جامع الأنوار في مناقب الأخيار

تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما جاورها من البلاد



لعيسى صفاء الدين البندنيجي القادري

تحقيق

أسامة ناصر النقشبندي   مهدي عبد الحسين النجم

الدار العربية للموسوعات

جامع الأنوار في مناقب الأخيار

تراجم الوجوه والأعيان المدفونين

في بغداد وما جاورها من البلاد

جامع الأنوار في مناقب الأخيار
تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما جاورها من البلاد

لعيسى صفاء الدين البندنيجي القادري
المتوفى سنة 1283 هـ/1866 م

تحقيق
أسامة ناصر النقشبندي
مهدي عبد الحسين النجم

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى : 1422هـ ــ 2002م

كافة المراسلات تعنون باسم:

الدار العربية للموسوعات

ص.ب: 511 - الحازمية - هاتف: 05/952594 فاكس: 05/459982
هاتف نقال: 03/388363 - 03/525066
بيروت - لبنان

صفاء الدين البندنيجي القادري
حياته ومكانته

هو أبو الهدى صفاء الدين عيسى بن جلال الدين موسى بن جعفر البندنيجي القادري النقشبندي البغدادي، ولد في بغداد حدود سنة 1203 هـ 1788م وعاش في بغداد واستقر فيها ودرس على أيدي علمائها.

أصله من بندنيجين أو بندنيج وهي مدينة مندلي في محافظة ديالى في الوقت الحاضر، وبندنيجين لفظة تثنية، وبندنيج بلدة بطرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد (معجم البلدان 1/ 499) وإليها نسبته، كان والده فقيهاً عالماً مقيماً في بندنيج، ثم رحل إلى بغداد واتصل بمجدد الطريقة النقشبندية في العراق الشيخ خالد بن أحمد النقشبندي المتوفى سنة 1242 هـ/ 1827م (الأعلام 2/ 294) وأصبح خليفة له في بندنيج واشتهر بالقادري النقشبندي وتوفي سنة 1238 هـ/ 1822م.

أخذ صفاء الدين عيسى العلم عن والده أولاً، ثم عن مشايخ عصره في بغداد كعبد الرحمن الروزبهاني البغدادي، وكمال الدين الكركوكلي الحنفي البغدادي المدرس بجامع الأحمدية، ومجدد الطريقة الشيخ خالد بن أحمد النقشبندي، ويحيى بن خالد العمادي المروزي، وعبد الله الحيدري البغدادي النقشبندي وغيرهم، كما تلقى العلم خلال رحلاته إلى بلاد الشام واسطنبول والحجاز من علماء تلك البلاد، ففي الشام أخذ عن العلامة عبد

الرحمن بن محمد الكزبري الدمشقي المتوفى سنة 1262 هـ / 1846م (الأعلام 3/ 333) وحامد بن أحمد العطار، وعن إمام الحنفية في الجامع الأموي الشيخ عمر أفندي الكوسجي الآمدي، وأخذ في المدينة المنورة عن الشيخ علي بن يوسف الملك الباشلي المدني.

لقد أصبحت لصفاء الدين عيسى البندنيجي مكانة علمية مرموقة في العراق، وصار رئيساً للمدرسين في المدرسة الداودية التي بناها داود باشا في جامع الحيدرخانة ببغداد، وأصبحت له صلة وثيقة وصداقة مع علماء بغداد ورجالها كأبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي المتوفى سنة 1270 هـ/ 1854م صاحب تفسير (روح المعاني والسبع المثاني) (الأعلام 7/ 176) والشاعر عبد الباقي بن سليمان بن أحمد الفاروقي العمري المتوفى سنة 1279 هـ/ 1862م (الأعلام 3/ 271).

والسيد محمود بن زكريا الكيلاني القادري شيخ الطريقة القادرية ونقيب الأشراف ببغداد المتوفى سنة 1258 هـ / 1840م وغيرهم.

اشتغل البندنيجي بالتدريس في التكية البندنيجية القريبة من مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني، التي أسسها الشيخ علي بن حسن البندنيجي والد زوجته، وبالمدرسة الداودية في جامع الحيدرخانة التي أصبح رئيس المدرسين فيها، وقد برز من تلاميذه عبد الرحمن بن علي الكيلاني نقيب الأشراف القادرية والشيخ قاسم الغواص بن محمد بن بكر الطائي، والعلامة نعمان خير الدين بن محمود الآلوسي والشيخ عبد السلام الشواف والشيخ عبد اللطيف الراوي، وازداد عدد تلامذته ومن أخذ عنه، وأصبحوا قادة الحركة الفكرية والثقافية في تلك الفترة وأبدعوا في شتى صنوف المعرفة.

شخصيته وأخلاقه:

لقد قال عنه محمود شكري الآلوسي المتوفى سنة 1342 هـ 1924م (الأعلام 7/ 172) أنه كان طويل الباع في جميع العلوم راسخ القدم في كل

فن من منطوق ومفهوم، ولا سيما علم النحو والصرف والمنطق والفقه والحديث والتأريخ. وقد وصفه (أحدهم) لم يذكر اسمه في ترجمته للبندنيجي التي تصدرت إحدى النسخ الخطية من كتابه (تراجم الوجوه والأعيان) الموجودة في دار صدام للمخطوطات برقم (9108) ص6ـ5 بعد أن ذكر هيئته وشخصه بقوله: كان فصيح الكلام عذبه، ذكياً جيد الفطنة والإدراك، والانتقال والفهم، حاضر الجواب خفيف الروح عاقلاً مدبراً، ذا أخلاق أرق من النسيم ودوداً متواضعاً وقوراً أديباً، محبوباً، ذا حافظة قوية، ونظم لطيف... له معرفة للألسن العربي والفارسي والتركي والكردي والفرنساوي، وخط بديع في جميع أنواع الخطوط (أخذ الخط عن أستاذ الخط العربي في بغداد في ذلك العصر سفيان الوهبي البغدادي المتوفى سنة 1267 هـ / 1850م (جمهرة الخطاطين 2/ 644) وأصبح من الخطاطين المجيدين.

لقد كان البندنيجي محط اهتمام والي بغداد داود باشا الذي قربه وجعله رئيساً للمدرسين في مدرسته الداودية وضلت صلته به محل تقدير واحترام بعد ان ترك الولاية داود باشا وعندما التقى البندنيجي بداود باشا في المدينة المنورة أنزله في قصره معززاً مكرماً.

مؤلفاته:ـ

كان عيسى صفاء الدين البندنيجي مقلاً في التأليف رغم غزارة علمه وإجادته اللغات وامتلاكه مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات ونوادرها، ومعظم ما وصلنا من آثاره رسائل صغيرة في موضوعات مختلفة، وأكبر إنتاجه الكتاب الذي بين أيدينا وهذهِ الآثار هي:ـ

1 ـ تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما جاورها من البلاد وستتناول نسخه الخطية وتواريخها.

2 ـ الأجوبة البندنيجية عن الأسئلة اللاهورية وهي مجموعة أسئلة وردت إلى علماء بغداد من لاهور بالهند وقد كلف بالإجابة عنها.

3 ـ شرح نظم السراجية في الفرائض لسراج الدين محمد بن عبد الرشيد السجاوندي الذي كان حياً سنة 596 هـ / 1200م والنظم لمحمد بن علي الرجي المتوفي سنة 577 هـ / 1181م (معجم المؤلفين 11/ 44).

4 ـ شرح القصيدة الرائية وتخميسها لعبد الباقي بن سليمان العمري المتوفى سنة 1278 هـ / 1861 م.

5 ـ حاشية على الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة في الحديث.

6 ـ مشيخة البندنيجي.

7 ـ مجموعة البندنيجي: وتضم رسائل وملتقطات من النصوص في العقائد والفلسفة والأدب واللغة والحديث والتأريخ.

وفاته:ـ

توفي صفاء الدين عيسى البندنيجي ببغداد في السابع عشر من رجب سنة 1283 هـ / 12 تشرين الثاني سنة 1866م وله من العمر ثمانين عاماً ودفن في التكية البندنيجية في حجرة خاصة قرب قبة السيد علي البندنيجي وقد رثاه الآلوسي الكبير ووصف وفاته بقوله: (وقد عرا الناس من هذا الخطب ما تنفطر منه القلوب وتسيل منه المآقي وتذوب) كما رثاه العلماء والشعراء.

الكتاب والمؤلف:ـ

أصل الكتاب هو مختصر وضعه باللغة التركية مرتضى البغدادي الشهير بنظمي زادة المتوفى سنة 1134 هـ / 1721م، وسماه جامع الأنوار في مناقب الأخيار وقد استحسن هذا الكتاب والي بغداد الوزير إبراهيم باشا الثاني فطلب منه الوزير الإزادة عليه وإكماله، فأنجزه وقدمه للوزير المذكور سنة 1092 هـ / 1681م.

لقد عرب هذا الكتاب أحمد بن حامد فخري زادة الموصلي المتوفى

سنة 1185 هـ / 1771م بإيعاز من سعد الله بك نجل الوزير حسين باشا الجليلي، وتقع هذه الترجمة للكتاب في (138) صفحة، توجد نسخة منها في مكتبة الأوقاف في الموصل (فهرس أوقاف الموصل 1/ 182). وهذه الترجمة حرفية لنصوص الكتاب.

ثم تناول هذا الكتاب عيسى صفاء الدين البندنيجي فلم يكتف بتعريبه مع ملازمته المؤلف في ترتيب كتابه، إلا أنه هذب وحرر الكثير من المعلومات والنصوص وأضاف إلى الكتاب زيادات كثيرة، وخالف رأي المؤلف في مواضع عديدة وتجاوز عن الأصل ليتوسع في دراسته، وقد رجع البندنيجي إلى المصادر ليتوسع في الترجمات وتوثيق النصوص وتقويمها، وسيطلع القارئ على ذلك في تضاعيف الكتاب، حيث يصرح البندنيجي بمخالفته للمؤلف فيقول: (طاوياً للكشح عن كلام المؤلف)[1] وقوله مثلاً عندما يتكلم عن داود بن نصير الطائي (نقول: طاويين للكشح عما ذكره المؤلف). كما يكمل بعض النواقص في الترجمات فقال عند ترجمته لتاج العارفين أبو الوفاء: (لما كان المؤلف نقل ترجمته ومناقبه من كتاب البهجة ولم يستوفها رأيت أن أنقلها برمتها وأقول...).

وقد أضاف البندنيجي تراجم عديدة لبعض الأعلام العارفين لم يأت عليها المؤلف منها: ترجمة الشيخ أبو اسحق الشيرازي الشافعي، وعبد الله ابن ناقيا ومحمد بن علي المصري وجاكير والحسن بن عبد الله السيرافي والحارث المحاسبي وغيرهم.

ومن النصوص التي استخدمها عند إضافته هذه الزيادات مثلاً عند كلامه عن الحارث المحاسبي: (قلت ونذكر بترجمة وافية فيها ما ذكره المؤلف وزيادة بعبارة شافية) وعن أبي سعيد السيرافي قوله: (وقد أهمله المؤلف...).

---

(1) طوى كشحاً على ضغن إذا اضمره وقيل طوى كشحه عنه إذا عرض عنه (لسان العرب 3/ 261).

وعن الحسن بن علي بن أحمد الفارسي قوله: (قلت: وقد ترك ذكره المؤلف أيضاً...).

لقد اعتمد نظمي زادة في جمع مادة كتابه على ستة مصادر في حين اعتمد البندنيجي على أضعاف هذا العدد من المصادر والمراجع، وبلغ عدد الأعلام الذين ذكرت تراجمهم في الكتاب (192) علماً.

ان هذا الكتاب تأليفاً قائماً بذاته متكاملاً، منسجماً في معلوماته، متجانساً في أسلوبه، سلس العبارة ينم عن مقدرة البندنيجي في استخدام المعلومات التأريخية لدراسة المواقع التراثية والأثرية خططياً، ومتابعة المصادر لتقديم معلومات دقيقة عن تراجم الأعلام وآثارهم.

نسخ الكتاب الخطية:ـ

في دار صدام للمخطوطات ببغداد خمسة نسخ خطية اعتمدناها في تحقيق النصوص وهي:ـ

1 ـ الرقم 11360 نسخة جيدة كتبها حاوي محمد بن علاوي بن أحمد سنة 1286 هـ / 1869م في آخرها فهرس بأسماء الأعلام الذين وردت تراجمهم في الكتاب تقع في 404 صفحة.

2 ـ الرقم 9108 نسخة كتبها بخط النسخ الجيد عبد الرزاق فليح البغدادي سنة 1350 هـ / 1931م في آخرها فهرس بأسماء الأعلام تقع في 653 صفحة.

3 ـ الرقم 256 كتبها محمد بن خضر محمد سنة 1362 هـ / 1943م تقع في 384 صفحة.

4 ـ الرقم 1319 كتبها نافع أفندي بن عبد الرزاق في أولها تعليق بخط يعقوب سركيس عن نسبة الكتاب ومؤلفه تقع هذه النسخة في (617) صفحة.

5 ـ الرقم 2627 كتبها محمد أمير تقع في (206) صفحة.

6 ـ نسخة في مكتبة يحيى الجليلي في الموصل بخط الدروبي.

7 ـ نسخة في مكتبة جميل الطالباني في كركوك.

8 ـ نسخة كانت موجودة في مكتبة محمد توفيق البندنيجي.

9 ـ نسخة في مكتبة الدولة ببرلين برقم (3301).

منهجنا في تحقيق الكتاب: ـ

لقد تم نسخ الكتاب على أقدم نسخة خطية موجودة في دار صدام للمخطوطات رقمها: (11360) التي كتبها حاوي محمد بن علاوي سنة 1286هـ / 1869م، وقد قارنا نصوص هذه النسخة ومقابلتها على النسخ الأخرى الأحدث منها.

ثم تابعنا تراجم الأعلام والأمكنة والبقاع والمعلومات التأريخية التي تضمنها الكتاب اعتماداً على أمهات المصادر والمراجع المتوفرة لدينا.

وتم ضبط النصوص القرآنية الكريمة والإشارة إلى أماكنها في المصحف الشريف. كما تم تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وتصحيح بعض الهفوات اللغوية، مقتفين في ذلك أثر من سلفنا من المحققين.

راجين أن نكون قد أوفينا هذا الكتاب الجليل حقه من الخدمة العلمية لنضعه بين أيدي القراء والدارسين والباحثين، إحياءً لتراث أمتنا المخطوط.

والله تعالى من وراء القصد.

المحققان



صفحات من المخطوطة

ما لم نذكر منا قبهم المنيفة وكافل ببيان اساميهم الشريفة فلم اظفر
بكتاب مختص بالبحث عن المقبورين في الزوراء فنهضت متشبثا
باذيال المصنفين من الفضلاء ونظمت دررما من مختصة باولئك
الاجلاء جامعا اياها من كتابي شواهد النبوة ونفحات الانس المنسوبين
الى العارف السامي مولانا عبد الرحمن الجامي قدس الله تعالى سره
والبهجة وشرح الهمزية والصواعق وروضة الصفا وتاريخ ابن خلكان
وغيرها من الكتب المؤلفة في هذا الشان وسميته جامع الانوار
في مناقب الاخيار فجاء كتابا لطيفا في التاريخ والاخبار الا انه لاستعجالي
في تصنيفه وجمعه وتأليفه كان محتاجا الى التكميل ومفتقرا الى التنقيح
والتذييل ولم يساعد التقدير اذ ذاك لادراك ما فات اذ الامور مرهونة
بالاوقات والشؤون منوطة بالساعات الى ان تولى بغداد دار
السداد ابراهيم باشا الثاني حفظه رب العباد سنة الف واثنتين
وتسعين من هجرة سيد المرسلين فدخلها وهو بها امير اثناء جمادى الاخرى
ولم يزل كسلفه مولعا بتدبر مناقب الاولياء وتتبع مآثر الصلحاء فاخبر
بالكتاب المؤلف المذكور وانه جامع لانوار اولئك البدور فطلبه
وقدم له السرور فشرعت في تكميله والزيادة عليه وضم ما يحتاج
اليه ثم اهديته وقدمته بين يديه وليعلم ان بعض
هؤلاء المترجمين قد تبدلت القابهم واساميهم بين الناس بمضي
الايام والسنين فاكتفيت بتسطير اساميهم السنية وتحرير مآثرهم
المشهورة البهية وان بعضا منهم مع كونه مقبورا في هذه الاراضي
والا لكنه على ما هو المذكور في الكتب المعتبرة في هذا الفن المستحسن
لم يكن مزاره معينا ولا مدفنه بينا لاندراس مرقده وذهاب
طول مشهده بتبدل الملوك والدول وتعاقب الازمنة
والعوارض

والعوارض والعلل فنبهت عليه وذكرته واشرت اليه واعرضت عن
التشدق في الكلام تقريبا له من الافهام تنبيه اشتهر
من اهل العراق ان آدم ونوحا على نبينا وعليهما الصلاة والسلام
مدفونان في مكان دفن فيه علي ابن ابي طالب رضي الله عنه من ارض
نجف وان كثيرين وجدوهما مخزونان في تلك البقعة الكبيرة الشرف
والذي ثبت عند العلماء على ما نص عليه الحديث النبوي ان مراقد
الانبياء والمرسلين سوى ابراهيم الخليل ومحمد خاتم النبيين صلى الله
عليه وسلم عليهما وعليهم اجمعين لم يتشرف بتقبيلها فم المغيبين
ولم تفز بلثم اعتابها شفاه المتبين ولكنه اشتهر بين الناس غاية
الاشتهار بحيث كاد يبلغ الى حد المتواتر في الاخبار مرقدا يوشع بن
نون وذي الكفل عليهما السلام وانهما في ارض بغداد مدينة السلام
ولهذا ذكرت مناقبهما واثبت هنا مآثرهما والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب انتهت ترجمة الديباجة ولنشرع في المقصد
بعون الله المعبود من ترتيب تراجم الوجوه والاعيان المدفونين
في بغداد وما يليها من البلدان فنقول قال المؤلف
رحمه الله تعالى ما ترجمته ومنهم يوشع النبي عليه السلام وهو
من انبياء بني اسرائيل كان في زمن موسى ملازما له وصحبه في سفره
في طلب الخضر واستنبئ بعد وفاة موسى عليه السلام بسبع سنين
فامر الامر الالهي والوحي السماوي بالجهاد مع الجبابرة الكائنين
في حصون اريحا واريحه وبلقاء وقتالهم وتسخير تلك الحصون
واخذها من ايديهم قلت لم ارينا وصلت اليه يدي من كتب
التفسير والاخبار ذكر اريحه عند بيان قتال الجبابرة وبيان
مواضعهم وانما ذكروا اريحا وايليا وبلقاء نعم تاريخ الجد

قال المؤلف هو من الاولياء الكرام والمشايخ العظام وكان معتقدا
في عصره للخاص والعام ومدفنه في قصبة دجيل ظاهر مزار ومنهم
الشيخ محمد جركين عليه الرحمة قال المؤلف انه كان من الاولياء
وكان رث الهيئة والحال ومدفنه في بغداد في الجانب الغربي قرب
مرقد معروف الكرخي وداود الطائي ابن ابي سحق والله اعلم قلت
ولفظ الجركين فارسية كلمة نسبة بمعنى ذو وسخ ومنهم
الشيخ صندل عليه الرحمة قال المؤلف ما معناه انه من الاولياء
الكاملين والمشايخ العارفين اتفق اهل الوفاق على انه ذو الكرامات
السنيه والاشارات والاحوال البهيه ومدفنه في بغداد في الجانب
الغربي منها قلت وعلى مشهده الان جامع معمور بالراكعين
والساجدين وله الاوقاف الكثيره والخدام العديده ومنهم
ابو سيفين عليه الرحمة قال المؤلف ما معناه لم اقف
على ترجمته ووصفه في كتاب من الكتب الا ان مدفنه في بغداد
ظاهر مزار وشهد بعض كراماته بعض الاخيار قلت
وكذا الفقير لم اعثر على اسمه ولا على رسمه ولا على سبب تكنيته
بهذه الكنيه والله اعلم هذا آخر ما ترجمته من كلام
المؤلف رحمه الله باشارة السيد السنيه ومن به الوثوق
وعليه المعتمد بعد الله ورسوله الكامل الامجد اعني به نجيب
الاسلاف نقيب الاشراف رئيس العصبة القادرية ونفيس
عقد القلادة الكيلانية محمود الاسم والوسم من به تجدد
الرسم السيد محمود افندي النقيب حفظه الرقيب القريب آمين
وقد وقع الفراغ من هذه النسخه ساعة بالحنة من النهار يوم
الثلاثاء عشرة ايام مضين من ربيع الثاني سنة الالف ومائتين
وستة وثمانين

الهجريه

الهجريه على مهاجرها افضل الصلوة والسلام والتحية بقلم
احقر الفقراء الذي جميع التقصير حاوي محمد بن عزاوي بن ملا جهم
سنة اللهم وارحم من نظر في هذا الكتاب ودعا له
ولوالديه وللمومنين بالخير

١٢٨٦

١٠ ربيع الثاني

ان تجد عيباً فسد الخللا	ينبغي عند الناس في عين الملا
لا تقير من به عيب وقل	جل من لا عيب فيه وعلا



قال ثم غاص في خلال الناس فلم ازد بعد ذلك فسئلت عنه فقيل لي هو
ابو عبيد سليم الخواص منذ سبعين سنة لم يرفع راسه الى السماء حياء من الله عز وجل
وقال صحبة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وقال عبد الله بن احمد بن حنبل
سمعت بشر بن الحارث ينشد

اقسم بالله لرضخ النوى ... وشرب ماء القلب المالحة
اعز للانسان من حرصه ... ومن سؤال الاوجه الكالحة
فاستغن بالله تكن ذا غنى ... مغتبطا بالصفقة الرابحة
فاليأس عز والتقى سودد ... ورغبة النفس لها فاضحة
من كانت الدنيا به برة ... فانها يوما له ذابحة

وروي عنه انه قال قبل موته اللهم انك تعلم اني قد ذكرت ونوهت باسمي
وشهرتني بين الناس فاسئلك بوجهك الكريم ان لا تفضحني غدا يوم القيامة
وراه بعض الصالحين في المنام بعد موته فقال له ما فعل الله بك فقال
غفر لي وقال ما استحييت مني يا بشر كنت تخافني ذلك الخوف ثم قال
لي مرحبا يا بشر لقد توفيتك وما على الارض احب الي منك وراه بعض
اخر في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي واباح لي نصف جنته
وقال لي يا بشر لو سجدت لي على الجمر ما اديت شكر ما جعلته لك في قلوب
عبادي توفي ببغداد يوم الاربعاء عاشر المحرم الحرام سنة سبع وعشرين
ومائتين ودفن في قصبة امامنا الاعظم بقرب من تربة الامام يزور قبره
ويتبرك به الخاص والعام روح الله روحه واعاد علينا فتوحه آمين

ومنهم ابو الحسين السري بن المغلس السقطي
قدس سره فنقول فيه وبالله التوفيق وهو المستعان من غير تعرض
لكلام المؤلف هو السري بن المغلس السقطي خال الجنيد واستاذه وكان
تلميذ معروف الكرخي وكان اوحد زمانه في الورع والاحوال السنية وعلوم
التوحيد

بالتوحيد وهو اول من تكلم فيها ببغداد واليه ينتمي اكثر المشايخ الامجاد وسبب
زهده انه كان في السوق يبيع الاسقاط ويتردد الى معروف الكرخي فبينما هو
في حانوته يوما اذ جاءه معروف الكرخي ومعه صبي يتيم فقال اكس هذا اليتيم
قال السري فكسوته ففرح معروف بذلك وقال لي بغض الله اليك الدنيا واراحك
مما انت فيه فقمت من الحانوت وليس شيء ابغض الي من الدنيا وكل ما انا فيه من
بركات معروف **قال** الجنيد قدس سره ما رايت اعبد من السري اتت
عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا الا في علة الموت **وقال**
الجنيد ايضا دخلت على السري وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال جاءتني البارحة
الصبية فقالت يا ابت هذه الليلة حارة فاعلق هذا الكوز لعله يبرد فعلقته
ثم غلبت عيناي فنمت فرايت في المنام جارية من احسن الخلق
قد نزلت فقلت لمن انت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد في الكوز وتناولت
الكوز فضربت به الارض **قال** الجنيد فرايت الخزف المكسور لم يمسه ولم يرفعه
حتى عفى عليه التراب **وقال** ايضا جاء رجل فقدم له كيف انت
فانشا يقول

من لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يدر كيف تفتت الاكباد

وقال ايضا سمعت السري يقول صليت على علة ثلاثين سنة وذلك
انا كنا جماعة نبكر الى الجمعة ولنا اماكن قد عرفت بنا لا نكاد نخلو عنها فمات
رجل من جيراننا يوم جمعة فاحببت ان اشيع جنازته فشيعتها ثم جئت
اريد الجمعة فلما قربت من الجامع قالت لي نفسي الان يراك الناس وقد
تخلفت عن وقتك فشق علي ذلك فقلت لنفسي اراك مرائية منذ
ثلاثين سنة وانا لا ادري وتركت ذلك المكان الذي كنت اصلي فيه
وجعلت اصلي في اماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني وقضيت صلوة
الجمعة مدة ثلاثين سنة **ونقل** عنه قدس سره انه قرأ ناقل الاستغفار

وعرج بهم الى منابر القدس ومحاضر الانس على مدرج الفضل
والاحسان ورفعت سرائرهم على سرر التحبيب واجيلت ضمائرهم
في ميادين التقريب واطلق لها العنان وادير عليهم في منتدى
الوصال بايدي سقاة العز والدلال كؤوس اللطف والكمال
من ارق خمور العرفان فهم دعاة محبوبون محبوبون مجذوبون
فالسابقون السابقون اولئك هم المقربون مجذوبون بالجذب وانا
عرشيون بالارواح فرشيون بالاشباح سماويون بالقلوب ارضيون
بالابدان محبوبون بذلوا نفوسهم في محبة مولاهم فاذابوها
بنيران الرياضات واخلوها بالحبس عن لذة الشهوات بل بترك
الالتفات اليها بالبصر والجنان ظمئوا في الهواجر وسهروا في الدياجر
وطهروا العيون والمحاجر بغض اهداب الاجفان عبدوا ربهم بمخالفة
هوى النفوس وخرجوا من عالم الحس والمحسوس سائرين بقلوبهم
الى الجناب المقدس المحروس طائرين باسرارهم الى المقام الارفع المأنوس
باجنحة العلم والعمل والوجد والعرفان ففتح لهم ابواب الكشف
والمشاهدة عند العكوف على اعتاب المعاملة والمجاهدة وناداهم
فادناهم وناجاهم فانجاهم من موجبات البعد والحرمان
وحفظ بهؤلاء الاحباء والاولياء كنوز اسرار حقائق الشريعة
الغراء عن مطاعن الجهلة والعميان كما احكم احكامها
ورفع اعلامها وعمر مدارسها وزين مجالسها باجلة العلماء الاعيان
فقاموا باعلاء كلمتها وتحرير اصولها وادلتها ونشر آثارها في البلدان
دامغين بصوارم العلم الشريف اباطيل اهل الزيغ والبطلان
قامعين بمعاول زخرف اهل الريب والبهتان كيف لا وهم ورثة
الانبياء وقد اثنى الله تعالى عليهم باجمل الثناء بقوله انما يخشى الله
من عباده

من عباده العلماء والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله العلماء امناء الرسل
ما لم يخالطوا السلطان احمده على ما هداه ثم يجمع لمن هداه من جمع
بين الاسلام والايمان والاحسان واشكره على ما اولاه من النعم العظام
والاحسان شكر من عرف نفسه بنور ربه وصرف كل شكره بجوارحه
وقلبه واسراره في اوقات عوارف الامتنان واشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله شهادة يثقل بها الميزان ويخلد
في اعلى فراديس الجنان واصلي واسلم على سيدنا محمد ينبوع الفيض
والفيض الاعم واسطة ما بين الوجود والعدم ورابطة تعلق
الحدوث بالقدم مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان
الكامل المتين والامام المبين المبعوث رحمة للعالمين بالسبع المثاني
والقرآن وعلى آله واصحابه الذين رتعوا في رياض اقواله وافعاله
وكرعوا من حياض اخلاقه واحواله فروى منهم القلب واخصب
الجنان وعلى التابعين والائمة الاربعة المجتهدين وعلى اتباع تابعيهم
لهم باحسان ما فاح النسيم عذبات البان وحدى الحادي وسارت
الركبان اما بعد فيقول العبد الابق خادم العلماء
وسادات الطرائق صفاء الدين عيسى القادري النقشبندي
البندنيجي افاض الله عليه سحائب لطفه الخفي ان علم التاريخ
والاخبار مما ينشرح بساط في مقاعده ذوي السعادة الاخيار ويحفر
ساطرين مخاضر ذوي القلوب والابصار ويجري في مجامعهم درر فوائده
ونظم وتذكر في مجالسهم عند عوائده ونفهم ولتنشق انفاس
نفائس مباحثه في ليلة سامرة وتتمتع ابكار عرائس
مقاصده في جلة حاضرة وتستقر في محافل مباحثهم فوائد دره
وغرائبه وترشف في حان محافلهم سلافه ولعمري انه لمعصم محفل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجلى بذاته في منصة الاحدية اذ كان الله ولم يكن
معه ثان واظهر حقائق اسمائه وصفاته في مرتبة الواحدية بمظاهر
الاعيان وافاض من عين الكرم والجود على تلك المظاهر ماء حيوة
الوجود وزين صفحات الاكوان واتقن نظام الكائنات على
ما تقتضيه الصور العلمية والحقائق الثابتة الغيبية اي اتقان
ورتبها بعد نتيجة حتى انتهى الامر الى عالم الانسان فتم به قوسا
دائرة الوجوب والامكان فاظهره نافخا فيه الروح النوراني
بالنفس الرحماني وابرزه مقوما باحسن تقويم رحماني
اذ خلق على صورة الرحمان وتوجه بتاج ولقد كرمنا بني آدم تعظيما
وتبجيلا وشرفه بتشريف وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
وكتب له توقيع الاصطفاء والاجتباء وائتمنه على امانة عرضت
على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
والبسه طيلسان خلافة اني جاعل في الارض خليفة نيابة عن [illegible]
وعلمه في مدرسة وعلم آدم الاسماء كلها الاسرار استعداده لتلك الرتبة
الشريفة الرفيعة الشان واجلسه على سرير تلك الخلافة العامة ورفعه
على عرش المظهرية التامة وامر الملائكة بان يسجدوا له فسجدوا الا
الشيطان

الشيطان ثم اوجد ذريته منقسمة الى اقسام ومفترقة
الى فرق واقوام ووهب كلا بحكمته الازلية ما يليق باستعداده التام
فلم يكن في الامكان ابدع مما كان فجعل منهم رسلا وانبياء وصير
صدورهم حياض رياض الاصطفاء وقلوبهم حدائق حقائق
اسرار الايحاء ونفح عالم الشهادة بازهار سرائرهم وكساه حلل
البهاء ونور بانوار ظواهرهم ارجاء الارض والسماء واروى
من مناهل سننهم كل وارد وظمآن واختص منهم من نما شرفا وفضلا
وسما حسبا ونوعا وفضلا وزكى نفسا وفرعا واصلا اولى
المظاهر الكاملة واكمل النفوس الفاضلة عنصر النفحات الفائضة
النازلة للفصل والفرقان المسرى به على براق الجذب والحب
الى حضرات القدس والقرب فتشرف باسفل نعليه علو قدر كيوان
المنادى باشرف الاوصاف والنعوت المشافه بمكالمة في قاب
قوسين او ادنى من حضرة اللاهوت المتلذذ في تلك الحضرة
بالشهود والعيان الخاتم النبي هو لديوان الرسالة اشرف
عنوان والمقطع الذي هو لقصيدة النبوة مطلع لا يفي ببديع
معانيه حسنه بيان المراد الذي لظهوره دارت الافلاك
ولنوره سجدت الاملاك ولاجله رفع عن امته الخطا والنسيان
والمريد الذي اعطي بلا سؤال ونال النعيم الوصالي حين قيل له
لن تراني مهد الذي عجز عن احصاء اوصافه اولو الفصاحة والبيان
وكل عن ادراك حقيقته ذوو العقول والاذهان صلى
الله عليه وسلم صلوة وسلاما دائمين الى مدى الازمان وجعل
زمام هؤلاء الاكارم محبوبين انهم بالحب والجذب من عالم
الغيب واخذت بايدي قلوبهم عن مضايق مسالك الريب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي تجلى بذاته في منصة الأحدية، إذ كان الله ولم يكن معه ثان، وأظهر حقائق أسمائه وصفاته في مرتبة الواحدية بمظاهر الأعيان. وأفاض من عين الكرم والجود على تلك المظاهر ماء حياة الوجود، وزين صفحات الأكوان، وأتقن نظام الكائنات على ما تقتضيه الصور العلمية، والحقائق الثابتة الغيبية أيَّ إتقان، ورتبها بعد نتيجة حتى انتهى الأمر إلى عالم الإنسان، فتم به قوسا دائرة الوجوب والإمكان، فأظهره نافخاً فيه الروح النوراني بالنفس الرحماني، وأبرزه مقوَماً بأحسن تقويم رحماني، إذ خلق على صورة الرحمان، وتوّجه بتاج «**ولقد كرمنا بني آدم**» تعظيماً وتبجيلا، وشرفه بتشريف: «**وفضلناهم على كثير من خلقنا**» تفضيلا. وكتب له توقيع الاصطفاء والاعتيان[1] وائتمنه على أمانةٍ عُرضت على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان[2]، وألبسه طيلسان خلافة «**إني جاعل في الأرض خليفة**»[3] فياله من طيلسان، وعلمه في مدرسة «**وعلم آدم الأسماء كلها**» لإبراز استعداده لتلك الرتبة الشريفة

---

(1) الأعتيان: الارتياد. وبعتنا عينة أي طليعة يعتاننا...و المعتان الذي يبعثه القوم رائداً. (لسان العرب 2/ 949).

(2) إشارة للآية 72 من سورة الأحزاب.

(3) سورة البقرة الآية 30.

الرفيعة الشأن. وأجلسه على سرير تلك الخلافة العامة، ورفعه على عرش المطهّرية التامة، وأَمَرَ الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا الشيطان ثم أوجد ذريته منقسمة إلى أقسام ومتفرقة إلى فرقٍ وأقوام، ووهب كلاً بحكمته الأزلية ما يليق باستعداده التام، فلم يكن في الإمكان أبدع مما كان فجعل منهم رُسُلاً وأنبياء. وصيّرَ صدورهم حياضَ ورياضَ الاصطفاء، وقلوبهم حدائق حقائق أسرار الإيحاء، ونضّر عالم الشهادة بأزهار شرائعهم، وكساه حلل البهاء، ونوّر بأنوار طرائقهم أرجاء الأرض والسماء، وأروى من مناهل سننهم كل واردٍ وضمآن. واختار منهم من نما شرفاً وفضلاً. وسما جنساً ونوعاً وفضلاً . وزكي نفساً وفرعاً وأصلاً. أول المظاهر الكاملة، وأكمل النفوس الفاضلة عنصر التعينات المفاضة النازلة، للفصل والفرقان. المُسرى به على براق الجذب والحب إلى حضرات القدس والقرب، فشرّف بأسفل نعليه علو قدر كيوان المنادي بأشرف الأوصاف والنعوت، المشافه بالمكالمة في قاب قوسين أو أدنى من حضرة اللاهوت، المتلذذ في تلك الحضرة بالشهود والعيان، الخاتم الذي هو لديوان الرسالة أشرف عنوان والمقطع الذي لقصيدة النبوة مطلع لا يفي ببديع معاني حسنه بيان، المراد[1] الذي لظهوره دارت الأفلاك، ولنوره سجدت الأملاك، ولأجله رفع عن أمته الخطأ والنسيان، والمريد[2] الذي أعطي بلا سؤال، ونال نعيم الوصال، وما قيل له لن تران. محمد الذي عجز عن إحصاء أوصافه أولو الفصاحة واللسان، وكلّ عن إدراك حقيقة ذاته ذوو العقول والأذهان، صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاماً دائمين إلى مدى الأزمان. وجعل من أمم هؤلاء الأكارم محبوبين أتتهم يد الحب والجذب من عالم الغيب، وأخذت بأيدي قلوبهم عن مضائق مسالك الريب. وعرّج بهم إلى منابر

(1) المراد، مصطلح صوفي. فحين يصل المريد إلى الدرجة التي يكون فيها أفعاله خالصة لله تعالى وطاعته، لا يرى سواه من الخلق والمخلوقات. يكون حينئذ مراد الله القريب من رحمته ولطفه؛ معجم ألفاظ الصوفية ص 262.

(2) المريد، يُراد به الذي اتجه بكليته لله سبحانه، وتحرر من قيود الهوى والشهوة، وكابد وجاهد حتى تولته رعاية الله تعالى (معجم ألفاظ الصوفية ص 263).

القدس، ومحاضر الأنس، على معارج الفضل والإحسان، ورفُعت سرائرهم على سُرر التحبيب، وأُجْبِلَتْ ضمائرهم في مضامير التقريب، وأطلق لها العنان، وأدير عليهم في منتدى الوصال بأيدي ساقي العز والدلال كؤوس اللطف والجمال من أرق خمور الدنان. فهم دعاة مجابون محبوبون مجذوبون، فالسابقون السابقون أولئك هم المقربون بمحجن الجذب والاحجان، عرشيون بالأرواح، فرشيون بالأشباح، سماويون بالقلوب، أرضيون بالأبدان، ومحبون بذلوا نفوسهم في محبة مولاهم فأذابوها بنيران الرياضات[1]، وأغلوها بالحبس عن لذة الشهوات بل بترك الالتفات إليها بالبصر والجنان ظمئوا في الهواجر، وسهروا في الدياجر، وطهروا العيون والمحاجر، بفيض يحب الأجفان عبدوا ربهم بمخالفة هوى النفوس، وخرجوا من عالم الحس والمحسوس، سائرين بقلوبهم إلى الجناب المقدس المحروس، طائرين بأسرارهم إلى المقام الأرفع المأنوس، بأجنحة العلم والعمل والوجد والعرفان ففتح لهم أبواب الكشف[2] والمشاهدة عند العكوف على أعتاب المعاملة والمجاهدة، وناداهم فأدناهم، وناجاهم فأنجاهم من موجبات البعد والحرمان، وحفظ بهؤلاء الأحباء والأولياء كنوز أسرار حقائق الشريعة الغراء عن مطاعن الجهلة والعميان. كما أحكم أحكامها ورفع أعلامها وعمّر مدارسها وزيّن مجالسها بأهلّة العلماء الأعيان، فقاموا بإعلاء كلمتها وتحرير أصولها وأدلتها، ونشر آثارها في البلدان، دافعين بصوارم العلم الشريف أباطيل أهل الزيغ والبطلان، قامعين بمعاولِهِ أراجيف أهل المين والبهتان، كيف لا وهم ورثة الأنبياء، وإن الله تعالى أثنى عليهم بأجمل الثناء، بقوله «**إنما يخشى الله من عباده العلماء**»[3]، والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

---

(1) يعرف الصوفيون الرياضة بأنها المجاهدة والأدب مع الله، أي البعد عن الخواطر الشيطانية، وذلك بتجنب الشهوات، ومخالفة أهواء النفس (معجم ألفاظ الصوفية ص 163).

(2) يقال عن الصوفية كشف عنه الحجاب، أي حجاب الظلمة، فرأى الحقائق، فهي مكاشفة لا بعين البصر ولكن بعين البصيرة (معجم ألفاظ الصوفية ص 242).

(3) سورة فاطر الآية 28.

العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان، أحمده على هذه النعم الجسام، حمد من جمع الإسلام والإيمان والإحسان، وأشكره على هاتيك المنن العظام الرزان، شكر من عرف نفسه فعرف ربّه، وصرف نحو شكره جوارحه وقلبه، واستدره ذوارف عوارف الامتنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، شهادة يثقل بها الميزان، ويخلد في أعلىٰ فراديس الجنان، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الروح الأعظم والفيض الأعم واسطة ما بين الوجود والعدم ورابطة تعلق الحدوث بالقدم، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، الحبل المتين والإمام المبين، المبعوث رحمةً للعالمين، بالسبع المثاني والقرآن، وعلى آله وأصحابه الذين رتعوا في رياض أقواله وأفعاله وكرعوا من حياض أخلاقه وأحواله، فروى منهم القلب وأخصب الجثمان وعلى التابعين، والأئمة الأربعة المجتهدين، وعلى أتباع التابعين لهم بإحسان، ما رنّح النسيم عذبات البان، وحدى الحادي وسارت الركبان.

أما بعد: فيقول العبد الآبق[1] خادم العلماء وسادات الطرائق، صفاء الدين عيسى القادري النقشبندي البندنيجي أفاض الله عليه سحائب لطفه التفريجي إن علم تاريخ الأخبار. مما ينشر بساطه في مقاعد أولى السعادة الأخيار، ويحضر سماطه في محاضر ذوي القلوب والأبصار، وتنثر في مجامعهم درر فوائده وتنظم وتذكر في مرابعهم غرر عوائده وتُفْهم، وتستنشق أنفاس نفائس مباحثه في ليلة المسامرة، وتستحسن أبكار عرائس مقاصده في جملة المحاضرة، وتستظرف في محافل مباستهم نوادراً وظرافه، وترشف في حان مخالطتهم سلافه، ولعمري أنه (لمعصم) محفل السمر أبهى سوار، وفي نحور (ابني) سمير قلادة الاعتبار للسهار ترتاح، من آثاره العقول والأذهان، وتطرب من إنشاء أشعاره القفول والركبان، وتتعطر بأرواح حكاياته معاطس السالكين، وتتنور بمصباح بصائر

---

(1) أبق العبد، يأبِق، ويأبُق (بالكسر والضم) أي هرب، والإباق: هرب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كد عمل (لسان العرب 1/ 7).

الناسكين، لأن الحكايات جنود الله إذا نزلت معسكر القلوب، رحلت عنها الغفلات وأخذت بالغروب ونهبت أسباب مقارفة الذنوب، فكم بها من تبتّل إلى الله وخالف مشتهاه وهواه وقد سمعت أن بعض السالكين ممن وافقه التوفيق وساعده، فتح له باستماع حكاية واحدة، ولا سيما تاريخ الأنبياء، وورثتهم الأئمة الأعلام، وسائر العلماء العاملين والأولياء الصالحين، الذين غرّدت بلابل قلوبهم بافانين وجدهم وحبهم على أفنان القرب من ربهم، إذ بمفاتيح إرشادهم تفتح أبواب الفتوح، وبمصابيح إمدادهم تنشرح الصدور وتنبسط الروح، ويستسقى بحرمتهم الغيث، ويستذل بهمتهم الليث، وتدر لدى نشر محاسنهم سحائب الهبات، وتنزل عند ذكر مناقبهم الرحمة والبركات، وتهتدى بمتابعتهم إلى أقوم المسالك، ويتّقى بمخالطتهم عن الوقوع في المهاوي والمهالك.

وممن يسرح طِرف الطرف في حدائق أسطارِهِ، ويجيل جواد النظر في ميدانه ومضماره، ويرشف عذب سلساله بكؤوس الأسمار، ويتنعم بموائد عوائده مع السمار ويكحل بأثمد عبره عين الاعتبار، ويوشح بمنظوم جواهره صدور أنديته، ويزين بمنثور لآلئه وجوه أفنيته، مَنْ زكت أعراقه، ونمت أخلاقه، وبرز على أقرانه في عصره، وانتهت إليه الرئاسة في مصره، ذو الأيادي الحاتمية، والمآثر الهاشمية خلاصة ذرية البتول، بقية أولاد الرسول، مركز دائرة السعادة، ومحور كرة السيادة. السيادة على ربوة الصدارة، والشريف الذي أسبل شرفه على النيرين أزاره النسيب الذي سما علو نسبه على كيوان، والحسيب الذي لا يفي بتلخيص بيانه أطول التبيان الكريم الذي روي من سلسال كرمه كل لائب وجنى من ثمرات هباته كل ذاهب وآيب، قادري الحسب والنسب، سامي المكانة والرتب، ملاذ اللائذ العاني، رئيس غرة الكيلاني، نقيب الأشراف، نجيب الأسلاف، محمود العواقب، مسعود الكواكب قبلة الإقبال، كعبة الآمال، الصارم الهندي، السيد محمود أفندي[1]، لا زال بألطاف الله مأنوساً،

(1) محمود بن زكريا الكيلاني القادري الذي ولي نقابة الأشراف سنة 1230هـ/ 1814م المتوفى سنة 1258هـ/ 1840م.

وبعين عنايته ملحوظاً ومحروساً، وبينما أنا في غصص الزمان أتجرع مرائرها فيه آناً فآن، لما أنا فيه من زمان اندرست فيه المعالم وهوت روقها، وفشت الجهالة وقامت على سوقها سوقُها، لم يزل متجر العلم فيه على كساد وبضاعة الجهل على نفاق وازدياد، فطوراً أعاتب دهري الخؤون، وأبث ما لدي من الشجون، وطوراً يلي نفسي عما أنا فيه بأن عسى أن لا ألاقي زمناً يكون حاله خيراً من ماضيه، وإذا بطارق يطرق الباب، فقلت: من هذا فقال في الجواب، خادم سلالة الأطياب، خلاصة الأنجاب، النقيب العالي الجناب، الواسع الرحاب، أرسلني يدعوك إلى نادية المستطاب، ومجمعه الجامع لأولي الألباب، فأجبته وشددت المئزر، وسرت وقد أحاطت بي الفكر، إلى أن حضرت في ذلك المحضر، فتشرفت بناديه، وشملتني أياديه، وبادر إليّ بالإكرام والاحترام، وأقعدني مقعداً لم أكن أهلاً له في ذلك المقام، ولا بدع إذ هو الموروث له من آبائه الكرام، فإنه من بيت شرف من الفضل برز، وكم لجأ إليه الذليل فعز ثم بعد استقراري، وغب زوال أفكاري، ناولني كتاباً، وشافهني خطاباً، وقال: إن هذا الكتاب في بابه من أعجب العُجاب، حوى تراجم الوجوه والأعيان، وحاز مآثر غرر نواصي الزمان، من الأصفياء والأولياء المدفونين في بغداد، ومن يتبع قضاءها من البلدان، إلا أنه تركي البيان، لا يجتني كباس[1] غرائره عربي اللسان، ولا يتنشق أنفاس نفائسه من ليس له بلغة الترك عرفان، فالمأمول أن تترجمه بلسان العرب لتعم فوائده جميع أهل الأدب، ولا تكون خالصته للأتراك لا غير، وليقع لك ولنا بذلك ذكر جميل وأثَرُ خير، ولما انتهى كلامه، وتبين مرامه، أطرقت ملياً، وقلت في نفسي خفياً، هو مني مناط الثريا، وما للبنديجي والبيان، فإنه أعجمي الطبع واللسان فرفعت رأسي، وأظهرت ما في نفسي، معتذراً بأني لم أكن من فرسان هذا الميدان وبتصاغري عن رتبة الترجمان، مع ما بي من تفرّق

(1) الكِباسة: بالكسر ـ العذق التام بشماريخه ورطبه، ومنه حديث علي (رض): كباس اللؤلؤ الرطب لسان العرب: 3/ 213.

الحال، وتشتت البال، وكثرة الملال وفرط البلبال، فكلما اعتذرت إليه وتبيّنت عذري بين يديه لم يفد الاعتذار إلا تكرار الطلب والإصرار، فلم يسعني إلا المسارعة والبدار إلى الامتثال والائتمار، على أني مولع بخدمة هؤلاء الفحول، ومجبول على حبهم وتلقي ما ورد عنهم بالقبول، معتقداً فيهم علو الشأن والرتبة، و إن لم أفز حقاً إليهم بنسبة ما قيل[1]:

أحب الصالحين ولست منهم ... رجاء[2] أن أنال بهم الشفاعة

و أكره من بضاعته[3] المعاصي ... و إن[4] كنا سواء في البضاعة

وكأن الإشارة الي في ذلك، وتعريفي لأجل ما هنالك، من الأخ الصفي والخل الوفي أليفي منذ كنت طفلاً، وحليفي إذ صرت كهلاً، مَنْ شاع فضله في دقائق العلوم وحقائق الفنون، ونزل من أعيان أبناء عصره منزلة الأناسي من العيون أحب أحبائي وأخصّ أخواني وأخلائي، الحسيب النسيب، والأديب الأريب، شهاب الدين السيد محمود أفندي الآلوسي، غمره الله بلطفه القدسي، ووافقه في تلك الإشارة، وأيّد ما ذكره من العبارة، الورع الزاهد، والتقي العابد، ذو الأعراق الهاشمية، والأخلاق المرضية السيد الذي أضحت سيادته ظاهرة العنوان، والشريف الذي هو لغاية الشرف كالسنان إمام العصبة الحنفية في الحضرة القادرية، وخطيب أهل السنة السنية في تلك السدة العلية، عمدة أولي الألباب السيد عبد الوهاب لا زال تحفه المواهب وتحسن له العواقب وحثني عليه كما يحثني لتكميل العلم على الجد والاجتهاد، من هو مني بمنزلة الروح والفؤاد نخبة أولي النباهة، وزبدة ذوي الوجاهة، ذو الفضائل التي ملأت كل واد، الفواضل التي تضوع كالمسك في كل ناد، ولي الإمامة في سدة إمامنا أبي

---

(1) البيتان للإمام الشافعي، ديوانه بتحقيق محمد عفيف الزعيبي ص 56.

(2) في الديوان: لعلي أن..

(3) في الديوان: تجارته.

(4) في الديوان: ولو كنا.

حنيفة النعمان زمن الوزير داود باشا مدة من الزمان، أعني به قسي الفصاحة وحاتمي السماحة، من أياديه جمة عندي، عبد الرحمن أفندي، لا زال الإقبال يقدمه، والسعد يخدمه، فلا جرم شمرت عن ساعد الاجتهاد، ووجهت مطية عزمي نحو المأمور به والمراد، فلازمت ترتيب المؤلف في التقديم والتأخير، والتزمت إضافة بعض زيادات إليه بعد التهذيب والتحرير، راجياً من الله سبحانه التوفيق للإتمام، والتنشيق لأنفاس المترجمين الأئمة الأعلام، والفوز بصحبتهم ببركة محبتهم، وشرف خدمتهم في دار السلام والمرجو من فضلاء الزمان أن يصلحوا بقلم فضلهم ما فيه من الفساد والنقصان لما قدمته من عذري، وبيان حلوي ومري فأقول والله المستعان، وعليه التكلان مبتدئاً بتعريب الديباجة والعنوان:

قال المؤلف ما ترجمته

أيها الخل كما ان لفظ الجلالة الذي هوعلم للواجب الوجود المتعال فاتحة سور أسماء الجلال والجمال، وإن امتداد بسم الله سلك سبحة فرائد أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، ووسيلة الوصول إلى المنى لأهل السموات والأرضين، فكذلك الحمد للفاعل المختار على الإطلاق، والشكر لمولى النعم وقاسم الأرزاق، زينة ديباجة الوافرة اليُمن للكتب والرسائل، وحلية العنوان الكثيرة الفيض للعبادات والمسائل، فبناءً على ذلك قلت أولاً بسم الله الرحمن الرحيم وثانياً إنما الله إله واحد فهو المنعم الواجد، فبهذا الكلام الرشيق النظام عطرت مشام أرباب النهي بروائح التحميد المسكية الفوائح، ونضّرت حدائق قلوب أهل الحب والولاء بنسيم التمجيد العنبري الشميم والنفائح، وكما لزم أن يكون حمده تعالى في ميدان التسابق أمام كل كلام حسن، وقدام طائفة كل حديث مستحسن، فكذا التصلية والتسلمة على مطلع قصيدة الاجتباء، وعنوان ديوان الاصطفاء محمد سيد الأنام عليه أفضل الصلوة والسلام تاليتين لحمده تعالى من لوازم كل تسطير وإملاء ومن مهام كل تحرير وإنشاء، فلهذا قلت ثالثاً وأصلي وأسلم على النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين:

أيا من جل عن وصفي صفاتك ... وليس تُحَدّ بالتعريف ذاتُك
إذا كان الإله عليك أثنى ... فأنّى تنتهي عدداً سِماتك

مقدماً من الصلواة أزهاراً هي حلية مجالس أعزة الأفاضل، ومن

التسليمات أنواراً هي منية أفئدة العنادل إلى روضة المكحل بكحل (ما زاغ البصر وما طغى) وحجرة المدلل بدلال «فكان قاب قوسين أو أدنى) مزيناً بها مجامع الساكنين في مشاهد الأنس ومعطراً بها محافل المعتكفين في مساجد القدس، ولما كان الترضي عن الآل ولأصحاب تتمة هذا الباب، وتكملة محاسن خطبة الكتاب، قلت: وأضعاف التحيات الدائمة في جميع الأوقات تعم الآل الكرام والأصحاب الفخام، ولا سيما السبطين الحسن والحسين، والعمين المحترمين، والعشرة المبشرة بالجنة، والتابعين الناهضين بأعباء السنة، فبإهدائي بهذا النسق جواهر الثناء المستنبطة من بحور صدور الأولياء وبإتحافي زواهر الترضي والدعاء المقتطفة من رياض منهج الأصدقاء إلى حضائر ضرائح سفائن بحر مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، وإلى مشاهد مراقد نجوم سماء أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، فيا فوز من اقتدى والتجى امنح العالمين صفاء القلوب وانجلاء الكروب

أما بعد: فإنّ سلطان السلاطين، ومولى ملوك الأرضين، شمس فلك أهل الإيمان، وقمر هالة الزمان، ملاذ الإسلام والمسلمين، كهف الفقراء والمساكين، من جيشه النجوم، وملكه العرب والعجم والروم، حامي الشريعة النبوية، ورافع ألوية الملّة المصطفوية، ناشر سباط[1] العدالة، فارس مضمار البسالة، معهد قواعد السلطنة الباهرة ومشيد أركان الشريعة الزاهرة، ظل الله الرفيع الشان، السلطان بن السطان، والخاقان ابن الخاقان، أبا الفتوح السلطان محمد خان[2]، خلّد الله ملكه إلى مديد الزمان، لما ولي من وزرائه الفخام وأمرائه العظام إبراهيم باشا[3] إيالة

---

(1) سباط إذا كان حَسَنَ القد والاستواء (لسان العرب 2/ 86).

(2) هو السلطان العثماني محمد الرابع بن السلطان إبراهيم، ولي السلطنة للفترة (1058 ـ 1099هـ)، (1648 ـ 1687م).

(3) هو إبراهيم باشا الطويل، كان رئيس البستانيين في الحرم السلطاني، ثم قائممقام استنبول، ثم عُهد إليه أمر بغداد ـ أنظر: تاريخ العراق بين احتلالين 5/ 74 وفيه أنه ولّي الوزارة أواخر سنة 1075هـ/ 1664م.

بغداد صانها الله تعالى عن الأنكاد سنة سبع وسبعين وألف، دخلها وصار لسكانها الغيث والكهف، ولم يزل يتذاكر في مناقب الأولياء، ويبحث عن مآثر الأصفياء، ويشنف سمعه بأقراط أسامي الأجلة المدفونين في بغداد وما يتبعها القرى والبلاد، ويتشرف بزيارة مراقدهم، وشهود مشاهدهم فسأل هذا الحقير عن كتاب ناقل لذكر مناقبهم المتبعة، وكافل ببيان أساميهم الشريفة، فلم أظفر بكتاب مختص بالبحث عن المقبورين في الزوراء، فنهضت متشبثاً بأذيال المصنفين من الفضلاء، ونظمت درر قلائد مختصة بأولئك الأجلاء، جامعاً إياها من كتابي شواهد النبوة ونفحات الانس المنسوبين إلى العارف السامي مولانا عبد الرحمن الجامي[1] قدس الله تعالى سرّه، والبهجة وشرح الهمزية والصواعق المحرقة وروضة الصفا وتاريخ ابن خلكان وغيرها من الكتب المؤلفة في هذا الشأن وسميته «**جامع الأنوار في مناقب الأخيار**» فجاء كتاباً لطيفاً في فن التاريخ والأخبار، إلا أنه لاستعجالي في تصنيفه وجمعه وتأليفه كان محتاجاً للتكميل، ومفتقراً إلى التنقيح والتذييل ولم يساعد التقدير إذ ذاك لإدراك ما فات، إذ الأمور مرهونة بالأوقات والشؤون منوطة بالساعات، إلى أن تولى بغداد دار السلام إبراهيم باشا[2] الثاني حفظه رب العباد سنة ألف واثنتين وتسعين من هجرة سيد المرسلين، فدخلها وهو بها أحرى، أثناء جمادى الآخرة، ولم يزل كسلفه مولعاً بتدبير مناقب الأولياء، وتتبع مآثر الصلحاء، فأخبر بالكتاب المؤلف المذكور، وإنه جامع لأنوار تلك البدور، فطلبه وقد تم له السرور،

---

(1) عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، نسبة إلى جام (من بلاد ما وراء النهر) وفيها ولد سنة 817هـ وانتقل إلى هراة وصحب مشايخ الصوفية وطاف البلاد، وتوفي بهراة سنة 898هـ، له تفسير القرآن، وشرح فصوص الحكم لابن عربي، والفوائد الضيائية في شرح الكافية وغيرها. الاعلام 3/ 296.

(2) إبراهيم باشا ؛ كان «أغا الينكجرية» ثم آمراً لحامية أرضروم، وفيها قمع عصياناً وقع في حاميته، فنال منصب ولاية بغداد سنة 1092هـ (1681)م ومن خدماته العمرانية إنشاء رصيف وسكة على جسر الزوارق وتعمير جامع السيد سلطان علي، أنظر: أربعة قرون من تاريخ العراق ص 119، وتاريخ العراق بين احتلالين 5/ 121.

فشرعت في تكميله، والزيادة عليه، وضم ما يحتاج إليه، ثم أهديته وقدمته بين يديه،

وليعلم أن بعض هؤلاء المترجمين قد تبدلت ألقابهم وأساميهم بين الناس بمضي الأيام و السنين، فاكتفيت بتسطير أساميهم السنية وتحرير مآثرهم المشهورة البهية، وإن بعضاً منهم مع كونه مقبور في هذه الأراضي والأمكنة على ما هو المذكور في الكتب المعتبرة في هذا الفن المستحسنة لم يكن مزاره معيناً ولا مدفنهُ بيّناً، لاندراس مرقده، وذهاب طول مشهده بتبدل الملوك والدول وتعاقب الأزمنة والعوارض والعلل، فنبهت عليه وذكرته، وأشرت إليه، وأعرضت عن التشدق في الكلام تقريباً له من الإفهام.

تنبيه:

اشتهر من أهل العراق أن آدم ونوحاً على نبينا وعليهما الصلواة والسلام مدفونان في مكان دفن فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أرض النجف، وإن كنزي وجودهما مخزونان في تلك البقعة الكثيرة الشرف، والذي ثبت عند العلماء على ما نص عليه الحديث النبوي أن مراقد الأنبياء و المرسلين سوى إبراهيم الخليل و محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم عليهما وعليهم أجمعين، لم يتشرف بتقبيلها فم التعيين ولم تَفُزْ بلثم أعتابها شفاه التبيين، ولكنه اشتهر بين الناس غاية الاشتهار، بحيث كاد يبلغ إلى حد المتواتر في الأخبار مرقد يوشع بن نون وذي الكفل عليهما السلام، وإنهما في أرض بغداد مدينة السلام، ولهذا ذكرت مناقبهما وأُثبت هنا مآثرهما والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

انتهت ترجمة الديباجة، ولنشرح في المقصد بعون الله المعبود من تقريب تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما يليها من البلدان، فنقول: قال المؤلف رحمه الله تعالى ما ترجمته:

1 ـ يوشع النبي عليه السلام

ومنهم يوشع النبي عليه السلام، وهو من أنبياء بني إسرائيل، كان في زمن موسى ملازماً له وصحبه في سفره في طلب الخضر، واستنبيء بعد وفاة موسى عليه السلام بسبع سنين، فأمر الآمر الإلهي والوحي السماوي بالجهاد مع الجبابرة الكائنين في حصون أريحا[1] وأريحة وبلقاء[2] وقتالهم وتسخير تلك الحصون وأخذها من أيديهم قلت: لم أر فيما وَصَلَتْ إليه يدي من كتب التفسير والأخبار ذكر أريحة عند بيان قتال الجبابرة وبيان مواضعهم، وإنما ذكروا أريحا وايلياء[3] وبلقاء نعم قال المجد في القاموس[4]: وأريح كأحمد قرية الشام، انتهى. وأريحا بهمزة مفتوحة فراء مكسورة فياء تحتي ساكنة فحاء مهملة مقصوراً على وزن زليخا، ويروى أريحاء على وزن كربلاء بلدة بالشام، وايلياء بهمزة مكسورة فمثناتين تحتانيتين بينهما لام مكسورة وفي آخره ألف مهموزة كرياء وفيه لغات آخر بيت المقدس، وبلقاء بياء مفتوحة فلام ساكنة فقاف بعدها ألف بعدها همزة

---

(1) في معجم البلدان «أريحا» وهي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس. معجم البلدان 1/ 165.

(2) في معجم البلدان: البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى...ومن البلقاء قرية الجبارين التي أراد الله تعالى بقوله: إن فيها قوماً جبارين. واشتقاقها من البلق وهي سواد وبياض مختلطان، ولذلك قيل أبلق أو بلقاء معجم البلدان 1/ 489.

(3) وايلياء اسم مدينة بيت المقدس. قيل معناه بيت الله: معجم البلدان (ايلياء) 1/ 293

(4) مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط (فصل الف باب الحاء).

بلدة بها أيضاً، والكل من الأراضي المقدسة هنا، وذكر في تاريخ الطبري[1] أن يوشع وبني إسرائيل بعد ما نجّاهم الله تعالى من التيه عزموا على ما أمروا به من فتح تلك القلاع، والقتال مع الجبابرة الذين في هاتيك البقاع فساروا إليها وأخذوا حصني أريحا وأريحة بمضي زمان يسير، ثم توجهوا إلى بلقاء وعسكروا بقرب منها، وبادروا إلى القتال مع من فيها فتعسر عليهم الفتح والظفر، وكلما جدّوا بالقتال لم ينالوا منها أدنى منال. بل كاد الجيش ينهزمون، وفي كل وادٍ يهيمون فتحيّر يوشع عند ذلك وتضرع إلى الله تعالى في الاستكشاف عما هنالك، فأوحى الله تعالى إليه أن فيهم رجلاً من الصلحاء يقال له بلعام بن باعوراء يدعو لهم وإن دعاءه سدّ عنكم باب الفتح والظفر، وكان عنده اسم الله الأعظم، فناجى يوشع ربه وقال يا رب كما سمعت دعاءه علي فأسمع دعائي عليه بأن تسلب أيمانه و تظهر خسرانه فأجاب الله دعوته على بلعام، وسلب منه المعرفة، ونزع منه الاسم الأعظم والايمان، فأحسّ بخسرانه وذهاب ايمانه، قلت بأن خرجت من صدره صورة كحمامة بيضاء علي ما قيل، وقيل اندلع لسانه على صدره، انتهى.

ثم أن يوشع ومن معه من المؤمنين صالوا على المدينة المزبورة مستهلين بالتكبير فاستقبلتهم بشائر النصر والفتح بالتبشير، فدخلوها، وقتلوا من لم يؤمن فيها واستجمعوا من آمن منهم وأطاع، وكانت مدة جهادهم سبع سنين، ثم رجعوا إلى مصر وأقاموا فيها، قلت: قال الإمام البغوي في المعالم[2] في تفسير سورة المائدة بعد ذكره وفاة هرون وموسى عليه السلام: فلما مات موسى وانقضت أربعون سنة بعث الله يوشع نبياً، فأخبرهم بأن الله عز وجل قد أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه، فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا ومعه تابوت الميثاق، فأحاط بمدينة أريحا ستة

(1) تاريخ الطبري 1/ 435 وما بعدها.

(2) معالم التنزيل للإمام الحسين بن مسعود البغوي المتوفي سنة 510هـ/ 1116م الاعلام 2/ 256.

أشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة وسقط سور المدينة فدخلوا وقاتلوا الجبابرة فهزموهم، وهجموا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل فيضربونها ولا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة، فبقيت منه بقية فكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم أردد الشمس عليّ، وقال للشمس إنك في طاعة الله تعالى وأنا في طاعة الله تعالى، فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله تعالى قبل السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم واحداً وثلاثين ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبني إسرائيل، وفرّق عمّاله فيها وجمع الغنائم فلما تزل النار [تأكلها][1]، وكانوا إذا غنموا غنيمة بعث الله عليها النار فتأكلها وهو علامة للقبول، ولم تكن الغنيمة حلالاً للمجاهدين إذ ذاك، فأوحى الله تعالى إلى يوشع أن فيها غُلولاً فمرهم ليبايعوك، والغلول بضم الغين المعجمة واللام مطلق الخيانة أو في الفيء والغنيمة خاصة، فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده، وقد جعل الله علامة الغُلول التصاق يد الغال عند المبايعة، فقال «أي يوشع» هلمّ ما عندك، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالجواهر واليواقيت، كان قد غلّه فجعله في القربان، وجعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان، انتهى مزيداً عليه، ووردت هذه في حديث رواه البخاري[2] في الغنائم صحيحه[3] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ولم يصرح فيه باسم يوشع عليه السلام، ولكن الحاكم روى في مستدركه من طريق كعب الأحبار، أنه يوشع، ولنذكر الحديث مشروحاً وهو قوله صلى الله عليه وسلم: غزا نبي من الأنبياء- أي أراد أن يغزو- فقال[4] لا يتبعني

---

(1) في الأصل: فلم تزل النار، والتصويب عن الطبري 1/ 440.

(2) صحيح البخاري 4/ 189.

(3) صحيح البخاري 4/ 189.

(4) في صحيح البخاري، فقال لقومه.

(بالجزم عن النهي) رجلٌ ملك بُضْعَ[1]، (بضم الموحدة وسكون المعجمة، أي نكاح) امرأة، وهو أي والحال أنه يريد أن يبني بها، أي يدخل عليها ويزفها، والأصل فيه أن الرجل كان إذا تزوج بامرأة بنى عليها قبة ليدخل فيها، وأنكر الجوهري استعمال بني هذه الباء، فقال: لايقال بني بأهله، ويقال بني عليه أهله ولم يرفع سقوفها، ولا أحد أشترى غنماً (أي حوامل) أو خَلِفات بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام ففاء مخففة جمع خِلفة، كذلك وهي الحامل من النوق وهو ينتظر وِلادَها (بكسر الواو ومصدر ولد يلد كالولادة، وإنما نهى عن اتباع هؤلاء لتعلق قلب كل واحد منهم بما في يده واشتغاله به، عما يريد منهم من الجهاد) فغزا[2] ذلك النبي وهو يوشع على ما قدمنا ـ مع من تبعه ممن لم يتصف بتلك الصفات، فدنا من القرية وهي أريحا صلوة العصر ـ أي وقتها ـ أو قريباً من ذلك، وفي رواية الحاكم عن كعب وقت عصر يوم الجمعة فكادت الشمس أن تغرب ويدخل الليل، فقال للشمس إنك مأمورة (أمر تسخير بالغروب)، وأنا مأمور (أمر تكليف بالصلوة أو القتال قبل الغروب) اللهم احبسها علينا حتى نفرغ من القتال، فحُبست على البناء للمفعول، أي وقفت أو بطأت حركتها حتى فتح الله عليه، وفي رواية عليهم، فجمع يوشع الغنائم، فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تَطْعَمْها ـ أي لم تذق طعمها على طريق المبالغة ـ فقال يوشع ان فيكم غُلولاً[3] أي سرقة من الغنيمة وخيانة ـ فيها قليباً يعني من كل قبيلة رجل، امر بذلك بالوحي فَلزِقت بفتح اللام وكسر الزاي أي فبايعوه فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول فليبايعني بالتحتية ويروى بالفوقية، قبيلتك، أي فبايعته فلزقت يد الرجل أو ثلاثة بيده، فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس البقرة من الذهب فوضعوها فجاءت [النار][4] فأكلتها، ثم أحل

---

(1) في صحيح البخاري «بضع امرأة» وهو النكاح.

(2) في صحيح البخاري، فدنا.

(3) هو الخيانة في المغنم. انظر لسان العرب: 2/ 1052.

(4) لم تذكر في الأصل، والتصويب من صحيح البخاري.

الله لنا الغنائم، خصوصية لنا، وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر رأى الله سبحانه وتعالى ضعفنا وعجزنا (أي تذللنا وخضوعنا بين يديه، وامتثالنا لما أمرنا به متبرئين من حولنا وقوتنا ملتجئين بحوله تعالى وقوته فانين عن آنيتنا في آنيته متيقنين حق اليقين أن لا شيء من الأعيان والمعاني إلا وهو شأن من شؤونه وأثر من آثار قدرته، طامعين في الدخول في حريم حضرته، غير قانعين بأطوار صفته وآثار صنعته كغيرنا)، فأحلها لنا[1] ولم يحلها لغيرنا لئلا يكون قتالهم لأجل الغنيمة لقصورهم عن الإخلاص، بخلاف الأمة المحمدية، فإن الغالب فيها الإخلاص، وبكماله لهم الاختصاص وفي تعبيره صلى الله عليه وسلم بضمير المتكلم مع الغير ما يدل على شرافتهم والإشعار بشراكتهم في حل الغنيمة وما اقتضاه من الرتبة الجسيمة بوراثتهم لكنوز أسرار سنته واغترافهم من تيار شريعته وطريقته، ولا يقدح فيما قلنا عدم عموم تلك الوراثة في جميع أفراد أمته فإن ألف عين تكرم لأجل عين وغرته، انتهى.

قلت وصححه في المعالم فإنه قال فيه واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يد من كان الفتح، فقال قوم إنما فتح أريحا موسى، وكان يوشع على مقدمته، فسار موسى إليهم بمن بقي من بني إسرائيل، أي بعد التيه، فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة، ثم دخلها موسى فأقام فيها ما شاء الله ثم قبضه الله إليه ولا يعلم قبره أحد، وهذا أصح الأقاويل، لاتفاق العلماء على أن عوج بن عنق قتله موسى، وذكر الطبري[2] في تاريخه أن يوشع دفن في الشام، ولكن المشهد المعروف الواقع في الجانب الغربي من بغداد، القريب من مرقد جنيد البغدادي[3]، كما شوهد تردد بعض أهل الكتاب إليه، الزاعمين بأنه من بني إسرائيل وزيارتهم له على اعتقاد أنه هو مدفن يوشع عليه السلام أوردناه في هذه الرسالة، وذكرنا مآثره في هذه العجالة،

---

(1) ينتهي النقل عن صحيح البخاري. وما وضع بين قوسين لم يرد فيه.

(2) تاريخ الطبري 1/ 442، وفيه أنه دفن في جبل افرايم.

(3) سيترجمه المؤلف فيما بعد.

قلت: يوشع بالشين، ويروى بالسين بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام ويقال له فتى موسى لأنه كان خادماً له وقيل تلميذه، وكل من الخادم والتلميذ يسمى فتى، وقام بتدبير أمر بني إسرائيل بعده سبعاً وعشرين سنة، ثم مات ودفن في جنب جده افرائيم في الشام، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة، كذا في بعض التفاسير، والجبار معناه المعظم الممتنع من القهر، يقال نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة من وصول الأيدي إليها، وسمي أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، قيل أن مابين كتفي كل واحد منهم ثمانمائة وثمانون ذراعاً وكانوا من أولاد عمليق بكسر العين المهملة وسكون الجيم وكسر اللام بعدها ياء ساكنة فقاف، ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح، ولذا يقال لهم العمالقة، ومنهم عوج بن عنق، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلثماية وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع وعمّر ثلاثة آلاف سنة والله تبارك وتعالى أعلم.

2 ـ ذو الكفل النبي عليه السلام

ومنهم ذو الكفل النبي عليه السلام، نقل في تفسير الكاشفي[1] عن الإمام محي السنة البغوي وصاحب التبيان أن نبياً من أنبياء إسرائيل أوحي إليه بأنه دنا أجله، وقرب مماته وأُمر بأن يستخلف رجلاً صالحاً يصوم نهاره ويقوم ليله، ذا مروءة وعدالة، معاملاً للناس بأحسن حالة، ليقوم بأمور الأنام وينفذ فيهم الأحكام، فخطب ذلك النبي في بني إسرائيل، واخبرهم بما أوحي إليه فقام فتى يلوح في وجهه نور السعادة وقبل تلك الشروط، وتكفل بالوفاء لتلك العهود، فخلف، ثم توّجه الله بتاج النبوة، واشتهر بذي الكفل، وقال بعضهم أن اليسع خليفة الياس، أخذ الياس عليه العهد بأن يقوم بعده بأمور على سنن الأنبياء والمرسلين، فكفل بذلك ولقب بذي الكفل، وتربته فيما بين الحلة الفيحاء والكوفة[2]، يزورها المسلمون وأهل الكتاب، وهي مشهورة معروفة. قلت وما قاله البعض يُنافيه قوله تعالى: «**واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل**» لأن قضية العطف المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد عطف ذا الكفل على اليسع، فلا بد أن

---

(1) هو «المواهب العلية» بالفارسية لكمال الدين حسين الواعظ البيهقي السبزواري الكاشفي المتوفى سنة 910هـ/ 1504م طبع بطهران وفي دار صدام للمخطوطات نسخ منه بالأرقام 17531، 26981، 20851، 6820 وانظر الذريعة 23/ 241.

(2) في قرية «القسونات» وتسمى اليوم «الكفل» ويقع قبره على الضفة الشرقية لنهر الفرات جنب مسجد النخيلة، له أروقة سميكة البناء مرتفعة الدعائم، قديمة الإنشاء، وتظل قبره قبّة مخروطية على الطراز السلجوقي (مراقد المعرف 1/ 293).

يكون غيره، ووجه الكاشفي في تفسير المواهب العلية المؤلف باللغة الفارسية العطف على قول هذا البعض بأنه من عطف على الموصوف، وفيه نظر، لأنه لم يعهد من أحد القول بتوسيط العاطف بين الصفة المفردة والموصوف، نعم قال الزمخشري في كشافه[1] بتوسطها بين الصفة والموصوف في مواضع وقعت الصفة فيها جملة، ومنها قوله تعالى في سورة الحجر «**وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم**»[2] ومنها قوله تعالى: «**وثامنهم كلبهم**» فإنه قال في تفسير الآية الأولى، ولها كتاب معلوم جملة وقعت صفة لقرية، والقياس بأن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى: «**وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون**» وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب، وقال في تفسير الثانية، فإن قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة التالية ولم دخلت عليها دون الأوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيدٍ وفي يده سيف، ومن قوله تعالى وما أهلكنا من قريةٍ إلا ولها كتاب معلوم، وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها أمر ثابت مستقر، انتهى، ولا يخفى على ذي فطانة أن قياس ما نحن فيه على ما قاله الزمخشري في الآيتين قياس مع الفارق على أنه أنكره ابن هشام، فإن قال في مغنيه[3]، وهذه الواو أي الداخلة على الجملة الموصوف بها أثبتها الزمخشري ومن قلده، و حملوا على ذلك مواضع الواو فيها كلها واو الحال نحو: وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، سبعة وثامنهم كلبهم، أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم والمسوغ لمجيء الحال من النكرة في هذه الآية أمران:

---

(1) جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف 2/ 387، طبعة دار المعرفة بيروت.

(2) سورة الحجر الآية 4.

(3) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص 404.

أحدهما خاص بها وهو تقدم النفي، والثاني عام في بقية الآيات وهو امتناع الوصفية، ثم قال والمانع من الوصفية في هذه الآية أمران، أحدهما خاص بها وهو اقتران الجملة بألاّ إذ لا يجوز التفريغ في الصفات، فلا تقول: ما مررت بأحد إلا قائم، نص على ذلك أبو علي وغيره والثاني عام في بقية الآيات وهو اقترانها بالواو انتهى[1].

واعترض عليه ابن مالك أيضاً في تسهيله[2] بأن ما ذهب إليه من توسيط الواو بين الصفة و الموصوف فاسد لأن مذهبه في هذه المسألة لا يعرف من البصريين ولا من الكوفيين، معول عليه فيجب ألا يلتفت إليه، وأيضاً فإنه معلل بما لا يناسب وذلك لأن الواو تدل على الجمع بين ما قبلها وما بعدها وذلك مستلزم لتفاسيرها وهو ضد لما يراد من التوكيد فلا يصح أن يقال للعاطف مؤكد، وأيضاً لو صحت الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف لكان أولى المواضع بها موضعاً لا يصلح للحال نحو: أن رجلاً رأيه سديد لسعيد، فرأيه سديد جملة نعت بها لا يجوز اقترانها بالواو لعدم صلاحيتها للحال بخلاف (ولها كتاب معلوم) فإنها جملة تصلح في موضع الحال لأنها بعد نفي، وكذا السكاكي لم يرتض بما قاله الزمخشري فإنه قال في المفتاح فالوجه عندي هو أن «**لها كتاب معلوم**» حال من قرية لكونها في حكم الموصوفة، أي قرية من القرى لا وصف، وحمله على الوصف سهواً خطأ ولا عيب في السهو، انتهى.

فنبين أن توجيه الكاشفي لا يقبله أولو الدراية كما أن قول ذلك البعض لا تساعده صحة الرواية، وقد فرق القاضي البيضاوي[3] بينهما حين قال في سورة صاد في تفسير قوله تعالى: واذكر إسماعيل واليسع وذا

---

(1) انتهى النقل عن مغني اللبيب.

(2) ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات طبع القاهرة 1968 ذخائر التراث 1/ 235.

(3) ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة 685 هـ / 1286م في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) الذي طبع أكثر من مرة. الاعلام 4/ 110.

الكفل في بيان اليسع وهو بن اخطوب استخلفه الياس على بني إسرائيل ثم استنبيء، وفي بيان ذي الكفل هو ابن عم اليسع أو بشر بن أيوب عليه السلام، واختلف في نبوته ولقبه، فقيل فر إليه مائة من بني إسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم، وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي مائة صلوة انتهى وجزم صاحب التبيان بأنه بشر بن أيوب بعث بعد أبيه إلى قوم من الشام، ووردت فيه أقوال أخر ذكرها البيضاوي في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى «**وإسماعيل وإدريس وذا الكفل**» قال يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى، أو تكفّل أمته، أو له ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم، والكفل بمعنى النصيب والكفالة والضعف انتهى.

قلت أو لأن الياس تكفل اليسع حين استخلفه على قومه بأنه يقوم بعده بأمور الدين، ويوشع كفل وقام بتدبير بني إسرائيل بعد موسى، وزكريا كفل مريم كما قال تعالى «**وكفلها زكريا**» هذا والقول بكونه زكريا أيضاً محل تأمل لقوله تعالى في سورة الأنبياء «**وزكريا إذ نادى رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين**» بعد قوله تعالى «**وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين**» فإن الظاهر من ذكره تعالى لزكريا مقروناً بالواو العاطفة بعده أن يكون غيره فتأمل، واستوفى الإمام محي السنة البغوي في تفسير سورة الأنبياء الكلام في بيانه، وما أثر في قصته وشأنه، ولا بأس بأن ينقل ويذكر فإن ذكر الكرام هو المسك تضوع كلما تكرر، فنقول: قال رحمه الله تعالى ما نصه: واختلفوا في ذي الكفل فقال عطاء أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى [إليه] الله تعالى إني أريد قبض روحك فأعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك بأن يصلي بالليل ولا يفتر، ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل ووفى به فشكر الله له وشكره ونبّأه فسمي ذا الكفل، وقال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس فقال

من يتقبل لي بثلث أستخلفه يصوم النهار ويقول بالليل ولا يغضب، فقام رجل تزدريه العين فقال أنا، فرده ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا: فاستخلفه فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة، فدق الباب فقال من هذا، فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا فجعل يطوّل حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال إذا رحت فائتني فإني آخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره، فقام يبتغيه، فلما كان الغد قعد يقضي بين الناس ينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم، فقال لم أقل لك إذا قعدت فأتني، قال إنهم أخبث قوم إذا عرفوك قاعداً قالوا نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني، قال فانطلق فإذا رحت فأتني ففاتته القائلة، وراح فجعل ينظر ولا يراه، فشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله لا تدعوا أحد يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق علي النوم، فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل، فلما أعياه نظر فرأى كوّة في البيت فتسور منها، فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم آمرك فقال أما من قِبَلي فلم تؤت فأنظر من أين أتيت، فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال: أعدو الله؟ قال نعم أعييتني ما ترى لأغضبك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفي به وقيل أن إبليس جاءه وقال: إن لي غريماً يمطلني فأحب أن تقوم معي وتستوفي حقي منه فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاّه وذهب وروي أنه اعتذر إليه وقال إن صاحبي هرب و قيل ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله تعالى فوفى به، واختلفوا في أنه هل كان نبياً؟ فقال بعضهم كان نبياً وقيل هو الياس وقيل هو زكريا وقال أبو موسى لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً انتهى والله تبارك وتعالى أعلم.

3 ـ علي بن أبي طالب

ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وهو يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد المطلب الجد الأدنى لهما، وكنيته أبو الحسن وأبو الحسين وأبو تراب قلت، كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجد علياً مضطجعاً في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم يا أبا تراب، فكانت هذه الكنية أحب الكنى إليه رضي الله تعالى عنه، وألقابه المرتضى والحيدر، قلت أما تلقيبه بالحيدر فسببه على ما ذكر في بعض كتب اللغة أنه لما ولد سمته أمه فاطمة بنت أسد[1]، أسداً باسم أبيها وكان أبوه أبو طالب غائباً إذ ذاك في بعض أسفاره فلما رجع كره تسميته أسداً فسماه علياً، فصار الحيدر لقباً له من تلك التسمية فإن الحيدر هو الأسد، كالحادر والحيدرة، وإلى هذا يشير رضي الله عنه بقوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة

وقيل أن أمه شاهدت منه وهو صبي يرضع في المهد أنه قصدته حية فانحدر إليها وقتلها فتعجبت وسمته حيدرة، وقال ابن الجوزي[2]: سمعت

---

(1) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، زوجة أبي طالب بن عبد المطلب، وأم أولاده طالب وعقيل وجعفر وعلي وأم هاني وجمانة وريطة، وكانت امرأة صالحة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل عندها، طبقات ابن سعد 8/ 161.

(2) ابن الجوزي: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة 597هـ/ 1201م الاعلام 3/ 316.

أمه هاتفاً يقول هذا حيدرة، فانحدر إلى عدوه فقتله، انتهى، وذو القرنين قال في القاموس[1] لقوله صلى الله عليه وسلم له أن لك في الجنة بيتاً وروى كنزاً وإنك لذو قرنيها، أي لذو طرفي الجنة، وملكها الأعظم تسلك ملك جميع الجنة كما سلك ذو القرنين جميع الأرض أو ذو قرني الأمة فأضمرت[2] وإن لم يتقدم ذكرها أو ذو جبليها للحسن والحسين رضي الله عنهما أو ذو شجتين في قرني رأسه أحدهما من عمرو بن ود والثانية من ابن ملجم، انتهى، قلت: وذو البرقة، لقبه به العباس يوم حنين على ما في القاموس[3] أيضاً،

وهو أحد السابقين إلى الإسلام، أسلم رضي الله عنه وهو ابن عشر سنين وقيل ابن تسع وقيل ابن ثمان وقيل ابن سبع، ونقل أبو يعلى عنه أنه قال: بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء، وقال ابن عباس وأنس بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة أنه أول من أسلم، ونقل بعضهم الإجماع عليه، ويجمع بين هذا وبين ما نقل من أن أول من أسلم أبو بكر وقيل خديجة وقيل زيد بن حارثة وقيل بلال بما قاله العراقي من التفصيل، وهو أن يقال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال. وبالجملة فلم يعبد صنماً قط، ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وصهر الرسول صلى الله عليه وسلم على بنته فاطمة البتول، وأخوه بالمواخاة، وأحد الزهاد والعلماء الربانيين الفحول، وأحد الشجعان المشهورين والخطباء المعروفين، أما مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله له، فقد أخرجه الترمذي[4] عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين

---

(1) القاموس المحيط للفيروز أبادي مجد الدين 4/ 258.

(2) في الأصل، أضمر والتصويب من القاموس.

(3) القاموس المحيط 3/ 211.

(4) سنن الترمذي 5/ 300.

أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت أخي في الدنيا والآخرة، قال محي الدين ابن العربي قدس سره في المسامرة، روينا من حديث محمد بن اسحق أنه قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فقال تواخوا في الله ثم أخذ بيد علي فقال هذا أخي، فكان علي ورسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين، والصديق وخارجة بن زهير[1] أخوين، ومعاذ بن جبل وجعفر بن أبي طالب أخوين، وعمر الفاروق وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وسلامة[2] بن سلامة أخوين ويقال بل الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين، وسعد[3] بن يزيد وأبي كعب، أخوين، ومصعب بن عمير بن هاشم[4] وأبو أيوب خالد بن زيد أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش[5] أخوين، وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين، ويقال ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم وعمار أخوين، وأبو ذر واسمه جندب بن جنادة الغفاري والمنذر بن عمرو[6] أخوين، وحاطب بن أبي بلتعة وعويمر بن ساعدة أخوين، وسلمان الفارسي وأبو الدرداء عويمر بن زيد، والخلاف في أبيه أخوين، و[بلال] وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي أخوين. قال ابن اسحق فهؤلاء من سمي ممن كان عليه الصلاة والسلام آخى بينهم من أصحابه، انتهى.

---

(1) في الأصل خارجة بن أبي زهير، والتصويب عن السيرة النبوية 1/ 109.

(2) في الأصل سلمة بن سلامة، والتصويب عن السيرة 1/ 109.

(3) في الأصل سعيد والتصويب عن السيرة 1/ 109.

(4) في الأصل هشام، والتصويب عن السيرة 1/ 109.

(5) في الأصل وقص، والتصويب عن السيرة 1/ 109.

(6) في الأصل «عمر» والتصويب عن السيرة 1/ 109.

قلت والحكمة في المواخاة كمال الألفة وزوال الوحشة فيما بينهم رضي الله عنهم أجمعين ورضي عنا بهم.

وأما زهده فقد نقل أن قوته كان خبز الشعير، فيأخذ منها قبضة ويضعها في القدح، ثم يصب عليها ماءً ويشرب، وكان رضي الله عنه يوماً جالساً فجاءه (التياح) فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء، فقال الله أكبر، فقام ونادى في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا صفراء، يا بيضاء غري غيري، ها، ها، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه، وصلى فيه ركعتين، رجاء أن يشهد له يوم القيامة، ويروى أن ضرار بن حمزة[1] قال: أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغابت نجومه، قابضاً على لحيته وهو يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إليّ تعرضت أم لي تشوّقت هيهات هيهات، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك كثير، ومجلسك حقير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق، ولقد أحسن من قال في المعنى:

عتبتُ على الدنيا وقلت إلى متى أكابد دهراً همُّهُ ليس ينجلي

فقالت أجل يا ابن الرسول رميتم بسهم عناد حين طلقني علي

قال ابن أرقم: رأيت علياً وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفتُ به الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته، وكان رضي الله عنه كثيراً ما ينشد ويقول:

حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دنياه قوت

فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس تدركه النعوت

---

(1) هو ضرار بن حمزة الضبائي، والكلمة له في نهج البلاغة ص 480 قالها عند دخوله على معاوية ومسألته له عن الإمام علي.

فيا هذا سترحل عن قريبٍ إلى قوم كلامهم السكوتُ

وأما علمه رضي الله عنه فغزير، وغني عن التحرير، قال في الصواعق[1] أخرج الحاكم وصححه عن علي أنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت يا رسول الله، بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري بيده، ثم قال اللهم اهد قلبه وثبّت لسانه، فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين، وقال فيه أيضاً روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً في جماعة من أصحابه فجاءه خصمان فقال أحدهما يا رسول الله إن لي حماراً وإن لهذا بقرة، وإن بقرته قتلت حماري، فبدأ رجل من الحاضرين فقال لا ضمان على البهائم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، إقضِ بينهما يا علي، فقال علي لهما أمرسلين كانا أم مشدودين، أم أحدهما مشدود والآخر مرسل فقال كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها، فقال علي على صاحب البقرة ضمان الحمار، فأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه وأمضاه، وفيه أيضاً أن سبب قوله صلى الله عليه وسلم فيه رضي الله عنه أقضاكم علي هو هذه الوقفة، ومما وقع له من الغرائب في العلم أن رجلاً من أهل زمانه كانت له زوجتان فولدتا معاً في ليلة مظلمة فأتت إحداهما بصبي والأخرى بأنثى، وكل منهما تقول أن الصبي لها فتخاصمتا إلى علي فأمر كل امرأة أن تحلب من لبنها شيئاً ثم وزن الحليبين فرجح أحدهما على الآخر، فحكم بأن الصبي لصاحبة اللبن الراجح، فقيل له من أين أخذت هذا، قال من قوله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين، وكان رضي الله عنه يقول على ما أخرجه ابن سعد عنه والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً، وروي عن أبي طفيل الصحابي أنه قال: قال سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم

(1) الصواعق المحرقة ص 73، والخبر في طبقات ابن سعد 2/ 100.

بنهار أم في سهل أم في جبل، وأما شجاعته فلها الآثار المشهودة في المشاهد التي شهدها ولا سيما يوم خيبر حيث أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الراية وأخبر أن الفتح يكون على يديه كما في الصحيحين، روينا في صحيح البخاري[1] في الجهاد عن سهل بن سعد الساعدي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه[2]، [فقاموا يرجوه لذلك، أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجو أن يعطى][3] فقال أين علي؟ فقيل يشتكي عينيه، فأمر فدعي له فبصق في عينيه فبرء مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء فقال تقاتلهم[4] حتى يكونوا مثلنا فقال [صلى الله عليه وسلم أنفذ][5] على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم[6]، فوالله لأن يُهدى بك رجلاً واحداً[7] خير لك من حمر النعم - انتهى - وحمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وإنهم جروه بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً، وقيل اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب، وفي رواية أنه لما رئي من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود وطرح ترسه من يده، فتناول باباً كان في الحصن فتترس به على نفسه، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه

ومن مشهور ما اتفق له مما يدل على قوته وشجاعته ما وقع منه مع عمرو ابن عبد ود العامري على ما نقله العلامة شمس الدين محمد السفري

---

(1) صحيح البخاري 5/ 279.

(2) كذا في الأصل وفي صحيح البخاري 5/ 279 أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال يوم خيبر لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

(3) كذا في الأصل، وفي صحيح البخاري، فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كلهم يرجو أن يعطاها.

(4) في صحيح البخاري 1/ 280 قال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

(5) ليست في الأصل والتصويب من صحيح البخاري.

(6) بعدها في صحيح البخاري (من حق الله فيه).

(7) في الأصل (رجل واحد).

ثم الحلبي في شرحه على بعض أحاديث صحيح البخاري عن ابن سيد الناس في سيرته الكبرى في غزوة الخندق عن ابن إسحاق من أن عمرو بن ود العامري البطل المشهور في الكفار لما برز إلى القتال ونادى يطلب من يبارزه قام إليه علي رضي الله عنه وهو مقنع بالحديد أنا له يا نبي الله فقال اجلس فإنه عمرو ثم كرر النداء وجعل يوبخهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون إنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً، فقام علي فقال أنا له يا رسول الله فقال اجلس إنه عمرو ثم نادى الثالثة وقال:[1]

ولقد بححت من النداء ... بجميعكم هل من مبارز

ووقفت إذا وقف المشجع وقفة الرجل المناجز

وكذلك إني لم أزل ... متسرعاً قبل الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فقام علي فقال أنا له يا رسول الله، فقال إنه عمرو، فقال علي، وإن كان عمراً؟

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز

ذا نية وبصيرة ... والصدق منجى كل فائز

إني لأرجو أن أقيم ... عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ... ذكرها عند الهزاهز

وكان عمره لما بارزه علي تسعين سنة، فقال عمرو من أنت؟ قال أنا علي قال ابن عبد مناف؟ قال أنا علي بن أبي طالب، فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أريق دمك، فقال علي لكني ما أكره أن أريق دمك، فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضباً، ويقال أنه كان على فرسه فقال له علي كيف أقاتلك

---

(1) الخبر والأبيات في (نور الأبصار ص 87).

وأنت على فرسك، ولكن انزل معي فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأنبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن علياً قتله[1]، وقيل ضربه علي فقطع فخذه من أصلها فنزل عمرو فأخذ فخذ نفسه فضرب بها علياً فتوارى عنها فوقعت على قوائم بعير فكسرتها، قاله الصفدي في شرح لامية العجم[2]، وأنشد علي لما قتله[3]:

أعلي يقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم اخروا أصحابي

اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ومصمم في الرأس ليس بنابي

وذكر أبياتاً أخرى آخرهنّ:

عبد الحجارة من سفاهة عقله وعبدتُ ربَّ محمد بصواب

انتهى، ولنرجع إلى ترجمة كلام المؤلف فنقول، ومن باهر كراماته رضي الله عنه، ما نقل في شواهد النبوة من أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها رأته ليلة زفافها يتكلم مع الأرض، فتعجبت من ذلك ثم حكته لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستكشاف عنه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشري يا فاطمة فإن الله تعالى فضل زوجك على أكثر الخلائق، وأمر الأرض بأن تعلمه ما كان وما يكون فوقها وتحتها، وروي أيضاً أن الفرات في سنة من السنين فاض ماؤه وطغى بحيث كاد أن يغرق ما عليه من المزارع والقرى فشكت الناس إليه في ذلك فقام ولبس جبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعمم بعمامته الشريفة وأخذ عصاه بيده

---

(1) أنظر الخبر في الطبري 2/ 574 وسيرة ابن هشام 3/ 143 وكامل ابن الأثير أحداث سنة 5هـ وشرح نهج البلاغة 19/ 62.

(2) الصفدي، الغيث المسجم في شرح لامية العجم.

(3) الأبيات في سيرة ابن هشام 3/ 135 قال: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب.

وركب فرسه ومعه أولاده الكرام وخدمه ذوو الاحتشام وذهب إلى الفرات، فنزل وصلى ركعتين وتضرع إلى رب الأرض والسموات ثم أشار بعصاه إلى الماء فنزل ذراعاً، فقال مستفهماً، هل نزل بقدر الحاجة، فسألوه أن يشير إليه بالنزول مرة أخرى فأشار، فنزل أيضاً ذراعاً، وكرر السؤال فكرروا الطلب إلى أن نزل بقدر ما أرادوه.

قلت وهذا وما ذكر قبله مثلما وقع لعمر الفاروق رضي الله عنه مع نيل مصر ومع الأرض حين تزلزلت، أما الأول، فقد روي أنه لما كتب له عمرو بن العاص وقد كان عامل مصر، إن النيل لا يزيد زيادته المعتادة إلا أن تلقى فيه جارية بكر، كتب له عمر رضي الله عنه كتاباً وفيه بطاقة إلى نيل مصر مكتوب فيها من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبل نفسك فلا تجر ولا حاجة بنا لك، وإن كان الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الواحد القهار أن يجريك، وأمر عمراً بن العاص في كتابه أن يلقي البطاقة في النيل، فلما ألقيت وقد أيقن أهل مصر بالغلاء فأصبحوا وقد أجرى الله النيل وزاد ستة عشر ذراعاً ببركة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأراح المسلمين من هذه البدعة التي كانت تصنع من زمن فرعون إلى خلافة عمر رضي الله عنه.

وأما الثاني فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أتت زلزلة عظيمة في زمن عمر كادت الجبال أن تقع فضرب عمر الأرض بدرته وقال لها أسكني أتزلزلين وأنا أعدل عليك، فما زلزلت في حياته بعد تلك المدة، فأنعم بهما من عزيزين على الله تعالى حكّمها حتى في العناصر رضي الله عنهما.

ومنها ما روي من أنه في أثناء مسيره إلى صفين نزل مع العسكر في منزل فأصابهم العطش وبلغ منهم الجهد، وكلما طلبوا الماء والتمسوه لم يجدوا إلا لمع السراب، فلم يزالوا كذلك إلى أن رأوا ديراً، فدنوا منه وسألوا منه أن يسقيهم فأبوا وقالوا إن الماء قريب منكم فالتمسوه، فتموج (يم) الغيرة الهاشمية في علي رضي الله عنه وأمر أن يحفروا الأرض،

فحفروا قليلاً فظهرت في الحفرة صخرة عظيمة، فاجتمع لإخراجها خلق كثير فلم يقدروا عليه، وأخبروا بها علياً، فنزل على شفير الحفرة وأدخل يده تحت الصخرة فرمى بها إلى الخارج بأدنى تحريك يده فظهر من تحتها عين ماء فشرب العسكر ورووا وتوضؤا وملأوا أوعيتهم، ثم رد رضي الله عنه تلك الصخرة إلى ما كانت عليه، ولما شاهد راهب ذلك الدير هذه الحالة الغريبة، والواقعة العجيبة مُثل بين يديه رضي الله عنه وقال له ما شأنك وهل أنت نبي، فقال: كلا ولكنني وصي النبي، فلما سمع الراهب منه هذا الكلام أعلن بكلمتي الشهادة، وفاز بشرف الإسلام، فقال له علي وأنت ما شأنك في سؤالك وما بالك فيما رأينا من حالك، فأجابه وقال إني وجدت في بعض كتبنا أن ههنا عين ماء وعليها صخرة عظيمة كالغطاء فهي بها مطلسمة في هذه البيداء، وإنه ما يجدها [أحد أول عين] ولا يقدر على رفع الصخرة عن رأس العين إلا نبي أو وصيه بلامين، فبنينا هذا الدير هنا وأقمنا فيه ننتظر من يبرز هذه العين، لنفوز بلثم أياديه، ففزت والحمد لله بذلك، وهديت إلى أحسن المسالك، ففرح علي بهذه المقالة، وحمد الله تعالى وشكر أفضاله، ولم يزل الراهب ملازماً لخدمته، متشرفاً بشرف صحبته إلى أن استشهد في وقعة صفين، وانتظم سمط الشهداء الفائزين، فجهزه رضي الله عنه وكفنه وصلى عليه ودفنه.

ومنها ما ذكر في الصواعق(1) من أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي صلى الله عليه وسلم في حجره والوحي ينزل عليه، وعلي لم يصل العصر، فما سري عنه صلى الله عليه وسلم إلا وقد غربت الشمس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم إنه إن كان في طاعتك وطاعة رسولك، فأردد عليه الشمس، فطلعت بعدما غربت وأدى فريضة العصر وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء وحسّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره ـ انتهى.

(1) الصواعق المحرقة ص78.

قلت: فإن قيل لم عُدّ هذا كرامة لعلي رضي الله عنه ولم يعد معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، قلت، إن كان زمن نبوته صلى الله عليه وسلم كلّه إلى وفاته هو زمن التحدي وإن لم يقع منه صريح التحدي في جميع أوقات نبوته، أو لم يشترط عند كل معجزة التحدي بل وقوعها ممن سبق منه التحدي فلما تقرر عند أكثر علماء الدين والمشايخ الأساطين إن الكرامة التي أكرم الله بها ولياً هي معجزة للنبي الذي تمسك ذلك الولي بشريعته واقتدى به في طريقته فاستغنى من عد ردّ الشمس ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم بالعلم الحاصل مما تقرر بكونه معجزة له وعد كرامة لعلي وإن لم يكن الأمر كما ذكرنا فالجواب أسهل فتأمل، والمعجزة أمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة والتحدي هو دعوى الرسالة، وقيل طلب المعارضة لشاهد الدعوى هذا.

ومنها ما ذكره النسفي من أن فاطمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إن علياً ينام ليلة الجمعة وهي ليلة الفضيلة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن الله تصدق عليه بنومة ليلة الجمعة، وإن الله يخلق من روحه إذا هو نام طيراً أخضر يسوح في السماء فما فيها موضع شبر إلا وفيه لروح علي ركعة وسجدة، قال النسفي فلذلك كان يقول: سلوني عن طرق السماوات فإني أعلم بها من طرق الأرض، فلما قال ذلك يوماً جاءه جبريل في صورة رجل ليختبره، فقال إن كنت صادقاً فأخبرني أين جبريل فنظر علي في السماء يمينا وشمالاً ثم إلى الأرض كذلك فقال: ما وجدته في السماء ولا في الأرض ولعله أنت.

ومنها ما روي عن علي بن زادان إن علياً حدّث حديثاً فكذبه رجل فقال له علي أدعو عليك إن كنت صادقاً؛؟ قال نعم، فدعا عليه فلم ينصرف حتى ذهب بصره.

ومنها ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو علياً فأتيت بيته فلم يجبني فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عُدْ إليه وأدعُهُ فإنه في البيت، قال: فعدت

أناديه فسمعت رحىً تطحن، فشارفت فإذا الرحى تطحن وليس معها أحد فناديته فخرج منشرحاً، فقلت له، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديك، فجاء ثم لم أزل أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر إليّ، ثم قال يا أبا ذر، ما شأنك؟ فقلت يا رسول الله عجبت من العجب، رأيت رحىً تطحن في بيت علي وليس معها أحدٌ يديرها، فقال يا أبا ذر إن لله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعاونة آل محمد.

ومن عذيب كلامه رضي الله عنه.

التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب، ولا ثناء مع الكبر، لا صحة مع النهم والتخم، لا شرف مع سوء الأدب، لا راحة مع الحسد، ولا سؤدد مع الانتقام، لا صواب مع ترك المشورة، لا شفيع أنجح من التوبة، لا لباس أجمل من العافية، لا داء أعيى من الجهل، نعمة الجاهل كروضة في مزبلة، أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة، البخل جامع لمساويء العيوب، من عَذُب لسانه كثر إخوانه، إذا حلت التقادير ضلت التدابير، الحاسد مغتاض على من لا ذنب له، السعيد من وعظ بغيره، الإحسان يقطع اللسان، إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه، الفقير يستعجل الفقر ويعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، العلم يرفع الوضيع، والجهل يضع الرفيع، العلم خير من المال، فالعلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكم والمال محكوم عليه، قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك[1]، هذا يفتي ويغير بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه، أقل الناس قيمة أقلهم علماً.

ومن درر لفظه وغرر وعظه للحسن ، لما دخل عليه أثناء وفاته: يا بني احفظ عني أربعاً واترك أربعاً. قال: وما هن يا أبتي، قال: إن أغنى

---

(1) شرح نهج البلاغة 20/ 284، وما بعده لم يرد في النهج، ومعنى المتنسك، متكلف النسك والتقوى

الغنى العقل، وأفقر الفقر الجهل، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق، قال: فما الأربع الأخر. قال: إياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذوب، فإنه يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يخذلك في [مالك] أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه.

ومن جواهر كلامه: الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة منه إلى غيره، وإنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم معه، ولا قراءة لا تدبر فيها، إمام عادل خير من مطر وابل، وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وقال لما سئل عن القدر: طريق مظلم لا تسلكه، بحر عميق لا تلجه، سرّ الله قد خفي عليك لا تفشه، أيها السائل إن الله تعالى خلقك لما شاء أو لما شئت؟ قال بل لما شاء، قال: فيستعملك كما شاء[1]، إن للنكبات نهايات لا بد لأحد إذا نكب أن ينتهي إليها، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها، فإن رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها، وسئل عن السخاء فقال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان عن مسألةٍ فحياء وتكرم، وقال له عدوه، ثبتك الله قال: على صدرك، وكان يقول: التقوى ترك الإصرار على المعصية، وترك الإصرار بالطاعة، وكان يقول القلوب أوعية وخيرها أوعاها، ثم يقول آه آه إن ههنا علماً ويشير إلى صدره، لو أصبت له حملة، وكان يقول موت الإنسان بعد أن كبر وعرف ربه خير من موته طفلاً ولو دخل الجنة بغير حساب، قلت لأن الكمال فوق النقصان ولا كمال فوق معرفته تعالى، إذ هي الحكمة في إيجاد العالم كما ورد في أحد وجوه تفسير قوله تعالى، وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، أي ليعرفوني، ونطق به الحديث

---

(1) في شرح نهج البلاغة 19/ 181: «قال عليه السلام وقد سئل عن القدر: طريق مظلم فلا تسلكوه، ثم سئل ثانياً فقال: بحر عميق فلا تلجوه، ثم سئل ثالثاً، فقال: سرّ الله فلا تتكلفوه» وما بعده لم يرد في النهج

القدسي، كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف فالعارف الكامل خير من الناقص حيّاً وميّتاً، وفي الباب كلام لا يليق بهذا المقام وقال أبو عبيدة رضي الله عنه: ارتحل علي عن تسع كلمات، قطع الأطماع عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث في المناجاة، وثلاث في العلم، وثلاث في الأدب، فأما التي في المناجاة، فهو قوله: كفاني عزاً أن تكون لي رباً، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً، أنت لي كما أحب، فوفّقني لما تحب، وأما التي في العلم فقوله: المرء مخبوء تحت لسانه، تكلموا تعرفوا، ما ضاع أمرؤ عرف قدره، وأما التي في الأدب، فقوله أنعم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وكان يقول: الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مخالطة الكلاب، وكان يقول: إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها، ثم قالت يا رب هبني لبعض أوليائك، فيقول الله عز وجل لها، اذهبي يا لا شيء، فلأنت أهون من أن أهبك لبعض أوليائي، فتطوى كما يطوى الثوب الخلق فترمى في النار، وكان يقول: لايخافن أحد منكم إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه، وكان يقول: لا يستح من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستح من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم، وكلامه في هذه الأساليب البديعة كثيرٌ واستقصاؤه يفضي إلى الإطناب، وذكر في تاريخ عزيز أفندي، أنه لما استشهد الإمام عثمان رضي الله عنه سنة ثلاث وثلاثين، وقع الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه، وكانت مدة خلافته خمس سنين، قلت: ما نقله المؤلف من التاريخ المذكور ليس بصواب، ولعله من السهو في الأصل أو في النقل، أو من طغيان القلم فيهما، والصواب على ما هو مذكور في التواريخ المعتبرة إن عثمان رضي الله تعالى عنه استشهد في ذي الحجة أثناء أيام التشريق سنة خمس وثلاثين، وبويع لعلي بالخلافة في تلك السنة، فاستمر على الخلافة إلى تاسع شهور سنة أربعين، فمدة خلافته رضي الله عنه، أربع سنين وتسعة أشهر، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، والله تبارك وتعالى أعلم.

وأما كيفية وفاته رضي الله عنه، فهو ما ذكر في الصواعق[1]، أنه لما طال النزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما، انتدب ثلاثة من الخوارج، عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك وعمرو التميميان، فاجتمعوا بمكة، وتعاهدوا ليقتلن علياً ومعاوية وعمرو بن العاص، ويريحون العباد منهم، فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي، وقال البرك أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو أنا لكم بعمرو، وتواعدوا على أن يكون ذلك في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان ثم توجه كل منهم إلى مصر صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة، فلحق أصحابه من الخوارج، ووافقهم شبيب بن عجرة الأشجعي، فلما كانت ليلة الجمعة السابعة عشرة من شهر رمضان سنة أربعين استيقظ عليٌ سحراً، وقال لابنه الحسن رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله ما لقيت من أمتك؟ فقال أدع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم لي شراً منهم، ثم أقبل عليه الأوز وقد كن في بيته يصحن بين يديه فطردهن بعض من كان لديه، فقال دعوهن فإنهنّ نوائح، وكان رضي الله عنه يعلم السنة التي يقتل فيها والشهر الذي يقتل فيه والساعة التي يقتل فيها، وفي تلك الليلة، كان رضي الله عنه يكثر الخروج إلى فناء الدار والنظر إلى السماء، كأنه ينظر للموعود، وجعل يقول، والله ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التي وعدت وبينما هو كذلك، إذ دخل منادي الصلاة عليه ينادي الصلاة، فعندما سمع رضي الله عنه النداء خرج طاهر الباطن والظاهر يقصد الصلاة وثب عليه شبيب فضربه بالسيف فوقع سيفه، وضربه ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل دماغه، فرجع رضي الله عنه مجروحاً إلى دار الإمارة وهرب شبيب ودخل منزله فدخل عليه رجل وقتله، وأما ابن ملجم فشد عليه الناس من كل جانب وأتوا به إلى حضوره فقال احبسوه، فإذا أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي، وقال الحاكم في المستدرك سبب قتله رضي الله عنه أن ابن ملجم خطب امرأة حسناء يقال لها قطام، وكان رضي الله عنه قتل

---

(1) الصواعق المحرقة ص79

أباها من جملة الخوارج فقالت له إن علياً قتل أبي بغير حق ووكلته في قتله بأبيها قوداً وطلبت منه بعد قتله ثلاثة آلاف وعبداً وقينة حتى تنكحه، وفي ذلك يقول الفرزدق الشاعر[1]:

فلم أر مهراً ساقه ذو فطانةٍ	كمهر قطام بين عرب وأعجم[2]
ثلاثة آلاف وعبد وقينة	وقتل علي بالحسام المخذّم[3]
فلا مهر أغلى من علي وإن علا	ولا قتل إلا دون قتل ابن ملجم

قلت والجمع بين ما ذكر في الصواعق وبين ما قاله الحاكم هو أن يقال إن ابن ملجم بعد ما تواعد مع صاحبيه البرك بن عبد الله وعمرو بن بكر ودخل الكوفة على قصد قتل علي لقي المرأة المسماة بقطام فعشقها وخطبها فأجابته على تلك الشروط التي منها قتل علي، فتأكد عزمه على ذلك، وقيل أن علياً رضي الله عنه كان إذا رأى ابن ملجم تمثل ببيت عمرو ابن معدي كرب في قيس بن مكشوح المرادي:

أريد حياته ويريد قتلي	عدوي من خليلي من مرادي

قلت، وهذا يقتضي إن ابن ملجم كان في خدمته كما هو المشهور على الألسن وقال الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي جاءه التياح عند طلوع الفجر يعممه الصلاة وهو مضطجع متثاقل فلم يقم فذهب وجاءه مرة أخرى فلم يقم فجاءه الثالثة فقام يمشي وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت	فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت	إذا حل بواديكا

---

(1) كذلك ورد في الصواعق ص80 وهي في الطبري 5/ 150 لابن أبي مياس المرادي، وفي المروج 2/ 607 أنها لابن ملجم نفسه.

(2) في الطبري 5/ 150 من فصيح وأعجم.

(3) في الطبري 5/ 150 والمروج 2/ 607 (المصمم) والصحيح كما أثبتناه وكما موجود في نسخة الأصل أما في نسخة (ب) فوردت المختم. والمخذم من الخذم سرعة السير وسرعة القطع، وبه سمي السيف مخذماً. لسان العرب 1/ 803.

ولما أصيب دعا الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوي منها عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم أنصاراً، واعملا لله ولا تأخذكما في الله لومة لائم، ثم نظر إلى ولده محمد ابن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك، قال نعم، قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك، ولا توثق أمراً دونهما، ثم قال أوصيكما به فإنه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله إلى أن قبض (كرم الله وجهه) ولما قبض أخرجوا ابن ملجم من الحبس فقتله الحسن واجتمع الناس واحرقوا جثته. وأما البرك بن عبد الله فإنه ضرب معاوية (رضي الله عنه) فأصاب أوراكه وكان معاوية (رضي الله عنه) عظيم الأوراك فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك، فلما أخذ قال: الأمان والبشارة، فقد قتل علي في هذه الليلة فاستبقاه حتى جاءه الخبر بذلك فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه فرحل إلى البصرة وأقام بها حتى بلغ زياد بن أمية أنه ولد له. فقال: أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله، قيل وأمر معاوية باتخاذ المقصورة من ذلك الوقت ولما سلم من القتل جعل يقول:

نجوت وقد بلَّ المراديُّ سيفَهُ   من ابن أبي شيخ الأباطح طالب

وأما عمرو بن بكر فإنه قصد عمرو بن العاص (رضي الله عنه) وقد اشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة، فصلى بالناس رجل من بني سهم يقال له خارجة بن قدامة[1] فضربه ابن بكر فقتله، فأخذ وأدخل على عمرو بن العاص ورآهم يخاطبونه بالإمارة. قال: أوما قتلت عمراً. قيل له لا وإنما قتلت خارجة فقال: أردت عمراً وأراد الله خارجة فقتله عمرو (رضي الله عنه) هذا ثم توفي رضي الله عنه ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين

---

(1) في الأصل: خدامة.

ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر يصبان عليه الماء وصلى عليه الحسن ودفن في الكوفة في دار الإمارة وقيل في الغري في المشهد الذي يزار الآن. وقيل بين منزله والجامع الأعظم ودفن ليلاً وعمي قبره حذراً من نبش الخوارج له. قال في الصواعق وأخرج ابن عساكر أنه لما قتل حملوه ليدفنوه مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فبينما هم في مسيرهم إذ ندَّ الجمل الذي عليه فلم يدر أين ذهب، ولم يقدر عليه فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب وقال غيره أن البعير وقع في بلاد طي فأخذوه ودفنوه. وقال الدميري في حياة الحيوان نقلاً عن ابن خلكان أن الرشيد خرج يوماً إلى الصيد فانتهى به الطرد إلى موضع قبر علي (رضي الله عنه) فأرسل فهوداً على صيد تبعت الصيد إلى مكان قبره ووقفت ولم تتقدم على الصيد فتعجب الرشيد في ذلك فجاء رجل من الجيزة فقال يا أمير المؤمنين أرأيت إن دللتك على قبر ابن عمك علي (رضي الله عنه) إلي عندك مكرمة؟. قال أتم مكرمة. قال: هذا قبره. فقال له الرشيد: من أين علمته قال كنت أجيء مع أبي فيروزه، وأخبرني أنه كان يجيء مع جعفر الصادق (رضي الله عنه) فيزوره، وان جعفر كان يجيء مع أبيه محمد الباقر (رضي الله عنه) فيزوره وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر، فأمر الرشيد بان يحج الموضع، فكان أول أساس وضع ثم تزايدت الأبنية فيه انتهى ما قاله الدميري...

قال ابن عبد البر: أحسن ما رأيت في صفته أنه كان ربعة الرجال، أدعج العينين، حسن الكفين، أغيد كأن عنقه أبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كثير اللحية المنكبه، مشاش كمشاش السبع الضاري، إذا أمسك بذراع رجل أمسك بثغر فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلى السمن ما هو أقرب، شديد الساعد واليد إذا مشى للحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، منصور على من لاقاه رضي الله عنه، وكان له من الأولاد أربعة عشر ولداً ذكراً، ولم يكن النسل إلا لخمسه منهم فقط، الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس رضي الله عنهم قاله

الشعراني في طبقاته نقلاً عن القضاعي.

تذنيب: قال شمس الدين محمد السفيري في شرحه لبعض أحاديث البخاري، لطيفة، أفاد شيخنا العلامة جلال الدين السيوطي في كتابه شرح الصدور، إن الله وكّل بالشقي عبد الرحمن بن ملجم من يعذبه إلى يوم القيامة بسبب قتله لعلي، واستدل على ذلك بما أخرجه تمام بن محمد الرازي في كتاب الرهبان له وابن عساكر من طريقة عن أبي علي محمد بن هارون الأنصاري عن عصمة القباداني، قال: كنت أجول في بعض الفلوات إذ أبصرت ديراً، وإذا في الدير صومعة راهب، فقلت له، حدثني بأعجب ما رأيت في هذا الموضع، فقال نعم بينما أنا ذات يوم إذ رأيت طائراً أبيض مثل النعامة قد وقع على تلك الصخرة، فتقايا رأساً ثم رجلاً ثم ساقاً وإذا هو كلما تقايا عضواً من تلك الأعضاء التأمت بعضها إلى بعض أسرع من البرق حتى استوى رجلاً جالساً فإذا هم بالنهوض نقره الطائر نقرة قطعت أعضاءه ثم يرجع فيبتلعه، ولم يزل على ذلك أياماً، فكثر تعجبي منه وازددت يقيناً لعظمة الله تعالى، وعلمت أن لهذه الأجساد حياةً بعد الموت، فالتفت إليه يوماً فقلت: أيها الطائر سألت بحق الذي خلقك وبراك ألا أمسكت عنه حتى أسأله فيخبرني بقصته، فأجابني الطائر بصوت عربي طلق: لربي الملك وله البقاء، الذي يفنى كل شيء ويبقى، أنا ملك من ملائكة الله، موكل بهذا الجسد لما أجرم، فالتفت إليه فقلت يا هذا الرجل المسيء إلى نفسه ما قصتك ومن أنت، قال أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي وإني لما قتلته، وصارت روحي بين يدي الله، ناولني صحيفة مكتوب فيها، ما عملته من الخير والشر منذ يوم ولدتني أمي إلى أن قتلت علي، وأمر الله هذا الملك بعذابي إلى يوم القيامة وهو يفعل بي ما تراه، ثم سكت فنقره ذلك الطائر نقرة نثر أعضاءه بها حتى جعل يبتلعه عضواً عضواً، ثم مضىٰ - انتهىٰ - قلت: وكفاه مقتاً ما قاله صلى الله عليه وسلم، فيه مخاطباً لعلي، يا علي أتدري من أشقى الأولين، قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك، وفي رواية أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه،

فيبل منها هذه، وأخذ بلحيته، وروى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أشقى الناس ثلاثة، عاقر ناقة ثمود، وابن آدم الذي قتل أخاه، ما سفك على الأرض دم إلا لحقه منه، لأنه سن القتل، وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هذا وملجم على صيغة اسم المفعول كما ذكر في تهذيب الأسماء.

4 ـ الحسين بن علي

ومنهم الحسين بن علي رضي الله عنه ولد سنة أربع من الهجرة[1] رابع شهر شعبان وبعدما انتشأ في حجر أمه رضي الله عنها، فاز بشرف صحبة جده صلى الله عليه وسلم وتربيته قلت: قال ابن حجر في الإصابة[2]، وقد حفظ الحسين أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه، أخرج عنه أصحاب السنن أحاديث يسيرة، وروى ابن ماجة وأبو يعلى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة وإن قدم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله ثواب ذلك، لكن في إسناده ضعف، انتهى، ونال كمال العلم والفضل بملازمته لوالده رضي الله تعالى عنهما وهو في المدينة، وبعدما خرج منها إلى الكوفة أيام خلافته، فشهد معه وقعتي الجمل وصفين ثم قتال الخوارج إلى أن استشهد أخوه، ثم مع أخيه إلى أن سلم الأمر لمعاوية، فرجع إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية وولي يزيد وطلب منه البيعة ليزيد فخرج إلى مكة كما سيأتي، ففضائله وكمالاته لا تحصى ومآثره وخصاله الحميدة لا تستقصى قال الشيخ ابن حجر في شرح الهمزية عن (الحسين) رضي الله عنه حديث حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبَّ حسيناً، وحسين سبط من الأسباط، وفي رواية الحسن والحسين سبطان من

---

(1) كتاب نسب قريش، ص40. وعمدة الطالب ص191.

(2) الإصابة 1/ 331 وأكثر الترجمة منقولة عنه.

الأسباط، وأخرج البغوي عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سمي هرون ابنيه شبّراً وشبيراً، وإني سميت ابني الحسن والحسين، قلت: قال المجد في القاموس[1] شبر كقمر وشبير كقمّير، ومشبّر كمحدث أبناء هرون، قيل وبأسمائهم سمى النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين والمحسن، انتهى، وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني في الإصابة، أخرج في مسند أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ولد الحسن فسميته حرباً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ما سميتموه، قلنا حرباً، قال بل هو حسن، فلما ولد الحسين فذكر مثله قال بل هو حسين، فلما ولد الثالث فذكر مثله قال بل هو محسن، ثم قال سميتهم بأسماء ولد هرون شبر وشبير ومشبر، إسناده صحيح، انتهى، وورد بطرق متعددة إن جبريل، وفي رواية ملك القطر جاء وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخبر شهادة الحسين، وهو في بيت أم سلمة، وإنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بتراب مصرعه، وشمّه صلى الله عليه وسلم وقال ريح كربلاء، فأعطاه أم سلمة وأعلمها بأنه يتحول دماً يوم قتل الحسين، روى عنها أنها قالت فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دماً، وروى أنه قالـأي جبريلـألا أريك تربة مقتله، فجاء بحصيات، فجمعهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في قارورة، قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول[2]:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... ابشروا بالعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن دا ... ود وموسى وصاحب الإنجيل

قلت ومن فضائله ما روي عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلقم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال، من أحبهما فقد

---

(1) مجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط 2/ 55.
(2) الأبيات في الطبري 5/ 467 وكامل ابن الأثير 4/ 40.

أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني، وما روي عن عبد الله بن عمر وهو جالس في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلاً فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء، وما رواه البخاري هما ريحانتاي من الدنيا، وما رواه أبو يعلى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أرادوا أن يمنعونهما أشار إليهم أن دعوهما، فإذا قضى الصلاة وضعهما في حجره فقال: من أحبني فليحب هذين، وما أخرج الترمذي هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من أحبهما، وما جاء من طرق عديدة، ابناي الحسن والحسين سيدا شاب أهل الجنة إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضله وفضل حبّه، وذكر في شواهد النبوة أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يوماً جالساً والحسين في جنبه وإبراهيم ابنه في جنبه الآخر فنزل جبريل وقال: يا محمد إن الله منع من اجتماع هذين الدرين الثمينين في عالم الشهادة وأراد أن يتنور بوجود أحدهما عالم الأشباح، ويتحلى بروح الآخر عالم الأرواح، ألا إنه تعالى خيّرك في تعيين أحدهما لأحد الأمرين، فاختار النبي صلى الله عليه وسلم موت إبراهيم لما في فقده رزيته صلى الله عليه وسلم فقط بخلاف فقد الحسين فإنه رزء له ولعلي وفاطمة، وهو صلى الله عليه وسلم [أوسع] صدراً من غيره للصبر على النوائب والرزايا، فرأى فقد إبراهيم أهون من فقد الحسين، فكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى الحسين يقبله ويقول مرحباً بمن فديته بولدي إبراهيم وفي شواهد النبوة أيضاً أنه حكى أن الجن كانوا ينوحون في مأتم الحسين ويرثونه بهذين البيتين:

مسح الرسول جبينه ... فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش ... وجدّه خير الجدود

وأما سبب شهادته رضي الله عنه على ما ذكره عزيز أفندي في تاريخه المسمى بروضة الأبرار والشيخ ابن حجر المكي في شرح الهمزية والصواعق، أن يزيد لما استخلف سنة ستين واستقرت حكومته، أرسل إلى عامله بالمدينة ليأخذ البيعة من الحسين، فامتنع رضي الله عنه وارتحل إلى

مكة خوفاً على نفسه، فراسله أهل الكوفة على أن يأتيهم فيبايعوه، ويمحي ما هم فيه من الجور، ويقوم بأمر المسلمين على أحسن الوجوه، وأرسلوا إليه رسائل عديدة في ذلك، فأجابهم وعزم على ما هنالك فنهاه ابن عباس وبيّن له غدرهم لأبيه وخذلانهم لأخيه وقال له إن لم تمتنع عن ذلك فلا تذهب إليهم بأهلك وعيالك، فبكى ابن عباس وهو يقول، واحسيناه واحبيباه، وقال له ابن عمر رضي الله عنهما، نحو ذلك فقبل ما بين عينيه وقال أستودعك الله من قتيل، ونهاه[1] ابن الزبير رضي الله عنهما أيضاً، فقال له حدثني أبي أن بمكة كبشاً به تستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش، ولم يبق بمكة أحد إلا وهو محزون لمسيره، ولما بلغ سيره أخاه محمد بن الحنفية، بكى عليه حتى ملأ من دموع عينيه طشتاً كان يتوضأ فيه بين يديه، وقدم أمامه مسلم بن عقيل، فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً وقيل أكثر من ذلك، فأرسل إليه يزيد عبيد الله بن زياد فقتله، وسار الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق في مسيره فقال له بين لي خبر الناس، فقال: أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء[2] ولما صار على ثلاثة أميال من القادسية، تلقاه الحر[3] بن يزيد التميمي، وقال له ارجع فما تركت لك خلفي خيراً ترجوه، وأخبره بقتل مسلم وقدوم عبيد الله بن زياد، واستعداده لقتاله، فهم بالرجوع فقال أخوا مسلم «**المقتول وهما عبد الله وعبد الرحمن**»، لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نقتل، فقال الحسين لا خير في الحياة بعدكم ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد، فعدل إلى كربلاء، فجهز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل، فلما وصلوا إليه طلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد، فأبى فقاتلوه،

---

(1) وفي مروج الذهب 2/ 42، لم يكن شيء يؤتاه أحب إليه من شخوص الحسين عن مكة، وانظر كذلك شرح النهج 20/ 134 وتاريخ الطبري 5/ 383.

(2) الخبر في الطبري 5/ 386.

(3) في الأصل «الحزين» والتصويب عن مروج الذهب 2/ 46 وتاريخ الطبري 5/ 389.

وكان أكثر الخارجين لقتاله من راسله وبايعه فلما جاءهم أخلفوه ما وعدوه، وفرّوا عنه إلى أعدائه، فحارب ذلك العدو الكثر، والجم الغفير ومعه من أهله نيف وثمانون واثنان وسبعون نفساً، فثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً ولم يتزلزل فيه أولا وآخراً، ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء لاذاقهم بعض كؤس الفناء ولما قدروا عليه ولا وقفوا بين يديه كف والشجاعة انتهت بالوراثة إليه ولما منعوه وأصحابه الماء، فقال له بعضهم، أنظر إليه كأنه كبد السماء، ولا تذق منه قطرة، حتى تموت عطشاً، فقال الحسين اللهم اقتله عطشاً، فلم يرو مع كثرة شربه للماء حتى مات عطشاً، ودعا الحسين بماء ليشربه فحال رجل بينه وبين الماء بسهم ضربه فأصاب حنكه، فقال اللهم أظمئه، فصار يصيح الحر في بطنه والبرد في ظهره، وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكانون وهو يصيح العطش، فيؤتى إليه بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه ثم يصيح فيسقى كذلك إلى أن أنفذ بطنه، ولما استمر القتل في أهله فإنهم لا يزالون يقاتلون فيقتلون واحداً بعد واحد حتى قتل منهم ما يزيد على الخمسين، صاح أما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج الرياحي[1] من عسكر الأعداء راكباً فرسه، وقال يا ابن رسول الله لئن كنت أول من خرج عليك فإنني الآن من حزبك، لعلي أنال شفاعة جدك بذلك، فقاتل بين يديه حتى قتل ثم فني أصحابه، وبقي بنفسه فحمل عليهم بسيفه يصول ويعدّ مفاخره ويقول:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وفاطمة أمي سلالة أحمد	وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً	وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

فقتل كثيراً من شجعانهم، وأباد جمعاً من فرسانهم، فكثروا عليه حتى

(1) في الأصل يزيد بن الحارث الرباح، والصواب هو الحر بن يزيد التميمي اليربوعي الذي استشهد مع المسلمين (رض) سنة 61هـ/ 680م.

حالوا بينه وبين حريمه، فصاح كفوا سفهاءكم عن النساء والأطفال، فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم حتى أثخنوه بالجروح والكِلام، وضعف من شدة العطش والآلام، لأنه طعن إحدى وثلاثين طعنة وضرب أربعاً وثلاثين ضربة، فسقط على الأرض الغبراء، فاختضبت بدمه أرض كربلاء، فخر رأسه وطابت بالشهادة نفسه، والذي باشر قتله قيل سنان بن أنس النخعي، وأعانه على ذلك شمر ابن ذي الجوشن، وقيل شمر، وكان قتله يوم الجمعة عاشر المحرم سنة إحدى وستين، ولما جاء قاتله برأسه الشريف بين يدي عبيد الله بن زياد، أنشد متبجحاً، ولبئس الإنشاد.

أوقر ركابي فضة أو ذهباً ... فقد قتلت السيد المحجّبا

قتلت خير الناس أماً وأباً ... وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فغضب ابن زياد من قوله وقال إذا علمت إنه كذلك فلم قتلته، فأمر بضرب عنقه[1]، وقتل من اخوته وبنيه وبني أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً، قال الحسن البصري، ما كان لهم على وجه الأرض يومئذ شبيه، قيل ولما أتي برأسه إلى ابن زياد وضعه في طشت وأخذ يضرب ثناياه بقضيب في يده ويعبث بأنفه ويتعجب من بهاء ثناياه ونضارة حسنه وكان عنده أنس[2] فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وغيره وروى ابن أبي الدنيا أنه كان عنده زيد بن أرقم فقال له: ارفع قضيبك، فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين هاتين الشفتين، ثم جعل زيد يبكي، فقال له ابن زياد، أبكى الله عينيك، لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فنهض يقول: أيها الناس، أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، والله ليقتلن خياركم وليستعبدن شراركم، فبعداً لمن رضي بالذل والعار، ثم قال: يا ابن زياد لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا،

(1) الرجز في مروج الذهب 2/ 46 وفيه أن عبيد الله بن زياد بعثه إلى يزيد ومعه الرأس ولم يرد أنه قتله أنظر كذلك تاريخ الطبري 5/ 390 ومقاتل الطالبيين ص80

(2) وفي الطبري 5/ 390 أنه أبو برزة الأسلمي.

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى، ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال: إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين، فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد[1]، ثم أرسل ابن زياد رأسه الشريف إلى يزيد، روي أن القوم الذين حملوا رأسه المكرم إلى يزيد، نزلوا في أول مرحلة وقعدوا يشربون الخمر والرأس المكرم بين أيديهم فبينما هم كذلك وإذا بيد ظهرت من الجدار ومعها قلم من حديد فكتبت سطراً بالدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس ثم عادوا وأخذوه، وقدموا به على يزيد، قلت: قال الدميري في حياة الحيوان[2] ما حاصله، إن عبيد الله بن زياد، جهز علي بن الحسين رضي الله عنهما ومن كان مع الحسين من حرمه بعد ما فعل ما فعل مما تقشعر من ذكره الأبدان، وترتعد من الفرائص إلى يزيد مع الشمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحابه ومعه الرأس المكرم، فساروا إلى أن وصلوا إلى دير فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه البيت المذكور سطراً، فسألوا الراهب عنه وعمن كتبه، فقال إنه مكتوب هنا قبل بعثة نبيكم بخمسمائة عام، وقيل أن الجدار انشق وظهر منه كف مكتوب فيه بالدم هذا السطر،انتهى.

قال الشيخ ابن حجر في شرح الهمزية، ولما وصلوا به إلى يزيد، قيل ترحم عليه، والمشهور أنه جعل ينكث الرأس بالخيزران، وجمع بأنه أظهر الأول وأخفى الثاني، قلت ويجمع بينهما أيضاً بأن كان الأول منه على سبيل التهكم، والثاني على الحقيقة، إذ لا يبعد ذلك ممن تسبب باختياره مؤثراً للشهوة الفانية على النعمة الباقية لقتل أولاد النبي صلى الله عليه وسلم وحمل رؤوسهم على الاسنة وآلهم على أقتاب الجمال، موثقين

---

(1) إلى هنا ينتهي النقل من الصواعق المحرقة.

(2) كمال الدين محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى 1/ 110.

بالحبال، والنساء مكشفات الوجوه والرؤوس، سبايا بين أيدي الرجال، يذهب بهم من بلد إلى بلد على أعين الناس بعد أن طهرهم الله تعالى وأذهب عنهم الأرجاس، مع ما بلغ نقله مبلغ التواتر من قبائح أفعاله، وفضائح أعماله، وتعديه حدود الله وإخلاله وهتكه لحرمات الله وإهماله، عامله الله بعدلِهِ بما يليق بحاله، ثم أن الرأس المكرم قيل دفن في دمشق قرب باب الفراديس، وقيل أن يزيد أرسل برأس الحسين ومن بقي من أهله إلى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر أمه بقبة الحسن، وقيل أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوماً من قتله، وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الكبرى، حمل رأسه إلى مصر ودفن في مشهده المشهور واستقبله الناس من غزة إلى مصر تعظيماً، ومما ظهر يوم قتله من الآيات أن السماء أمطرت دماً، وإن أوانيهم ملئت دماً، وإنه لم يرفع حجر إلا رؤي تحته دم عبيط، وإن الورس انقلبت رماداً، وإن السماء اشتدّ سوادها لانكساف الشمس حتى رؤيت النجوم، واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت وإن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت فيها الحمرة، وقيل أحمرت ستة أشهر، ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك، وعن ابن سيرين أخبرنا أن الحمرة لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزي[1]: وحكمة ذلك أن غضبنا يورث حمرة الوجه، والحق تعالى منزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق، إظهاراً لعظيم الجناية، هذا ومرقده ومرقد الذين استشهدوا معه في موضع استشهدوا فيه يعرف بكربلاء على خمس فراسخ من الفرات، ويقال له ألطف على ما قاله بعضهم، وقال بعض أن كربلاء قريب من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة،

وقلت وكان الحسين رضي الله عنه يكنى بأبي عبد الله، وكان فاضلاً كثير الصوم والصلاة والحج، روي أنه حج خمساً وعشرين حجة راجلاً ونجائبه تقاد معه، وكان جواداً كريماً حكي أن سائلاً دخل عليه يوماً

(1) أبو الفرج بن الجوزي، التبصرة.

وأنشده هذين البيتين:

لم يبق لي شيء يباع بدرهم ‏ تغنيك حالة منظري عن مخبري

إلا بقية ماء وجهٍ صنته ‏ ولئن يباع فقد أبعتك فاشتر

فأنفذ له جميع ما في خزانته، قيل وكان خمسين ألف درهم وأنشد هو أيضاً:

عاجلتنا فاتاك عاجل بِرِّنا ‏ نزراً ولو أمهلتنا لم نقتر

فخذ القليل وكن كأنك لم تبع ‏ ما صنته وكأننا لم نشتر

وكان يقول، أعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النعم فتعود نقماً، وكان يقول: من جاد ساد، ومن بخل رذل، ومن يعمل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً.

وعق عنه النبي صلى الله عليه وسلم يوم ولد كما عقّ عن أخيه الحسن وولد بعد الحسن بسنة، إذ الحسن ولد في نصف رمضان أو شعبان على ما قيل سنة ثلاث من الهجرة، وهو كما قدمنا في شعبان من سنة أربع، قال في الإصابة، قال جعفر بن محمد، لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طهر واحد، قلت لعلها ولدته لعشرة أشهر وابطاء شهرين، انتهى، وكان عمره يوم قتل ستاً وخمسين سنة وستة أشهر، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال أن الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر والرأس، والحسين أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك، وله رضي الله عنه من الأولاد علي الأكبر وعلي الأصغر وله العقب وجعفر وفاطمة وسكينة.

وقد انتقم الله تعالى من قتلته ومحاربيه أشدّ الانتقام في دار الدنيا فضلاً عن الآخرة، فإن المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، قد خرج بطلب بثأر الحسين وإن كان يتوسل بذلك إلى طلب الدنيا على ما قيل، فاجتمع عليه ناس كثيرون من الشيعة بالكوفة لغسل العار عنهم، فغلبَ عليها وتطلب قتلة الحسين وقتلهم، وخصَّ شمر بن ذي الجوشن الذي باشر قتل الحسين بأشد النكال، وجعل جثته موطيء أقدام الخيل، وأحدث إذ

ذاك في الكوفة عزاء الحسين تحريضاً على القتال، ولم يكن قبله فيها، وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، أمير الجيش المحاربين للحسين، وقتل معه ابنه حفصاً، وأرسل إبراهيم بن الأشتر[1] في عسكر كثير على عبيد الله بن زياد وهو إذ ذاك في الموصل مع ثلاثين ألف فارس، فحاربوه وقتلوه وأصحابه، وذلك سنة سبع وستين وأتوا برأسه [ورؤس] أصحابه إلى المختار، فنصبت في المكان الذي نصب فيه رأس الحسين، وصح أن حية دخلت في منخريه فمكثت قليلاً وخرجت، فعلت ذلك ثلاث مرات، وقال ابن جماعة في كتاب أنس الحاضرة بالسند المتصل إلى ابن عيينة عن أمه أنها قالت أدركت من قتلة الحسين رضي الله عنه رجلين، كان أحدهما يأتي عزلاء الراوية فيضعها على فيه حتى يستفرغها ويصيح العطش العطش ويدور إلى الجانب الآخر من الراوية فيستفرغها ولا يروى، وذلك لأنه نظر إلى الحسين وقد أتي إليه بماء فرماه بسهم فقال الحسين رضي الله عنه ما لك لا أرواك الله تعالى، هذا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال، أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم إني قتلت بيحيىٰ بن زكريا سبعين ألفاً، ولأقتلن بالحسين ابن بنتك قدر ذلك مرتين انتهى، هذا في الدنيا، وإن عذاب الآخرة أشدّ وأخزى، وقد أعجبني ما صح عن إبراهيم النخعي على ما في الإصابة أنه كان يقول: لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا وذكر الشيخ ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة[2] مقتل الحسين فلننقله لما فيه من تفصيل كيفية شهادة مسلم بن عقيل التي عقد لها المؤلف ترجمه بالاستقلال فتقول؛ قال الشيخ في كتابه المذكور، قال عمار بن معاوية الذهبي، قلت لأبي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، حدثني

---

(1) إبراهيم النخعي: قائد من الشجعان، قتل عبيد الله بن زياد ومزّق جيشه، ثم ولاه المختار الموصل، وبعد المختار صار إلى مصعب بن الزبير وقتل معه في وقعة مسكن سنة 71هـ وقبره قرب سامراء، أنظر الطبري وابن الأثيرفي مواضع متفرقة.

(2) الإصابة 1/ 332.

عن مقتل الحسين حتى كأني أحضره، قال، مات معاوية، وولي يزيد والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة، فأرسل إلى الحسين بن علي ليأخذ بيعته في ليلته، فقال أخرني، فرفق به، فخرج إلى مكة، فأتاه رسل أهل الكوفة، انا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم إلينا، وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة فبعث الحسين بن علي إليهم مسلم بن عقيل، فقال سر الى الكوفة فأنظر ما كتبوه إليّ فإن كان حقاً قدمت عليهم، فخرج مسلم وأخذ معه ابنيه محمد وإبراهيم، وكانا صغيرين[1]، حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين فمرّا به إلى البريّة فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين، وقدم مسلم الكوفة فنزل على رجل يقال له عوسجة[2] فلما علم أهل الكوفة بقدومه اجتمعوا عليه فبايعه منهم اثنى عشر ألفاً، فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير فقال إنك ضعيف أو مستضعف، قد فسد البلد، فقال له النعمان لئن أكون ضعيفاً في طاعة الله أحبّ اليّ من أن أكون قوياً في معصيته، ما كنت لأهتك سراً، فكتب الرجل بذلك إلى يزيد، قلت قيل إن الذي كتب بذلك إلى يزيد هو النعمان بعد أن جمع أهل الكوفة وأنذرهم وخوفهم وهددهم بيزيد على مبايعتهم لمسلم، وما أفادهم الإنذار، ولما وصل الخبر إلى يزيد دعا مولى له يقال له سرجون[3] فاستشاره، فقال له ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله وكان همّ بعزله عن البصرة، فكتب إليه برضاه عنه وإنه قد أضاف إليه الكوفة وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل فإن ظفر به قتله، فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة ملثماً، فلا يمر على أحد فيسلم إلا قال له أهل المجلس عليك السلام يا ابن رسول الله يظنونه الحسين بن علي قدم عليهم. فلما نزل عبيد الله

---

(1) لم يرد في الإصابة أنه اصطحب ابنيه.

(2) الخبر في مروج الذهب 2/ 42 وفي الطبري 5/ 355 أنه نزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

(3) هو سرجون مولى معاوية كما في الطبري 5/ 356.

القصر دعا مولى له فدفع إليه ثلاثة آلاف درهم، فقال اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايعه أهل الكوفة فأدخل عليه وأعلمه إنك من حمص وادفع المال وبايعه، فلم يزل المولى يتلطف حتى دلوه على شيخ يلي البيعة فذكر له أمره فقال لقد سرني أن هداك الله ثم أدخله على مسلم بن عقيل فبايعه ودفع إليه المال وخرج حتى أتى عبيد الله بن زياد فأخبره وكان مسلم قد تحول حين قدم عبيد الله من تلك الدار إلى دار أخرى فأقام عند هاني بن عروة المرادي وكان عبيد الله يقول لأهل الكوفة ما بال هاني بن عروة لم يأتني، فخرج إليه محمد بن الأشعث في أناس من وجوه الكوفة وهو على باب داره فقالوا له أن الأمير ذكرك واستبطاك فانطلق إليه فركب معه حتى دخل على عبيد الله بن زياد وعنده شريح القاضي، فقال عبيد الله لما نظر إليه شريح أتتك بخائن رجلاه، فلما سلم عليه قال يا هانيء أين مسلم ابن عقيل، فقال لا أدري، فأخرج إليه المولى الذي دفع الدراهم إلى مسلم، فلما رآه سقط في يده، وقال أيها الأمير والله ما دعوته إلى منزلي، ولكنه جاء فطرح نفسه علي، فقال ائتني به، فتلكأ، فاستدناه، فأدنوه منه، فضربه بالقضيب وأمر بحبسه فبلغ الخبر قومه، فاجتمعوا على باب القصر فسمع عبيد الله، فقال لشريح القاضي: أخرج إليهم فاعلمهم إنما حبسته لأستخبره عن خبر مسلم ولا بأس عليه، مني، فبلغهم ذلك، وتفرقوا، ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه، بشعاره فاجتمع إليه أربعون ألفاً من أهل الكوفة، فركب، وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عند القصر، فأمر كل واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردهم، فكلموهم فجعلوا يتسللون، فأمسى مسلم وليس عنده إلا عدد قليل منهم، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلما بقي وحده، تردد في الطرق بالليل، فأتى باب امرأة فقال لها أسقيني ماءً، فسقته، فاستمر قائماً، فقالت يا عبد الله إنك مرتاب فما شأنك، قال أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى، قالت نعم أدخل، فدخل وكان لها ولد من موالي محمد بن الأشعث، فانطلق إلى محمد بن الأشعث فأخبره فلم يفجأ مسلم إلا والدار قد أحيط بها، فلما رأى ذلك خرج بسيفه يدفع عن نفسه، فأعطاه ابن الأشعث الأمان، فأمكن من يده،

فأتى به عبيد الله فأمر به فأصعد إلى القصر، ثم قتله وقتل هاني بن عروة، وصلبهما فقال شاعرهم[1] في ذلك أبياتاً منها:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل

ولم يبلغ الحسين ذلك حتى كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمي، فقال له ارجع لم أدع لك خلفي خيراً، وأخبره الخبر، فهمّ أن يرجع وكان أخوا مسلم معه فقالا، والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فسار، وكان عبيد الله قد جهز الجيش لملاقاته، فوافوه بكربلاء، فنزلها ومعه خمسة وأربعون نفساً من الفرسان ونحو مائة راجل، فلقيهم الحسين، وأميرهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، وكان عبيد الله ولاه الريّ وكتب له بعهده عليها إذا رجع من حرب الحسين، فلما التقيا قال له الحسين اختر مني إحدى ثلاث، إما أن الحق بثغر من الثغور، وإما أن أرجع إلى المدينة وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فقبل ذلك عمر منه وكتب به إلى عبيد الله فكتب إليه؛ لا أقبل منه حتى يضع يده في يدي فامتنع الحسين، فقاتلوه، فقتل معه أصحابه، وفيهم سبعة عشر شاباً من أهل بيته، ثم كان آخر ذلك أن قتل الحسين، انتهى[2]

ومسلم هذا دفن في الكوفة قرب جامعها، يتبرك بقبره ويزار، وأما ابناه فبعد قتل أبيهما خرجا من الكوفة هاربين فلقيهما أحد أعوان ابن زياد خارج الكوفة فاستعلمهما بهما وبحالهما، فأعلماه فقتلهما وحزّ رأسيهما ورمي بجثتيهما في الفرات، وأتى برأسيهما إلى ابن زياد ثم وفق الله من ظفر بجثتيهما ودفنهما في موضع قرب بغداد من كربلاء معروف يتبرك به ويزار[3].

---

(1) هو عبد الله بن الزبير الأسدي، والبيت من قصيدة بديوانه ص115.

(2) انتهى ما أورده عن الإصابة 1/ 231.

(3) وقبرهما في شرقي مدينة المسيب على بعد ثلاثة كيلومترات، ولم يرد ذكرهما في مقاتل الطالبين وغيره وإنما ذكر في أمالي الصدوق ص51 وبحار الأنوار جـ10 ص204 والمنتخب للطريحي النجفي ص191.

وأما الشهداء الذين استشهدوا مع الحسين بتفاصيل أسمائهم وبيان قتالهم فهم على ما ذكره المؤلف ناقلاً له عن روضة الصفا[1] للفاضل حسين الواعظ الكاشفي ومن حديقة السعداء لأحمد الشهير بالفضولي الشاعر التركي البغدادي[2].

الحر بن يزيد بن رياح، وكان من حزب عبيد الله بن زياد، فلما رأى التهاب نار الحرب والخصام، وعلم بالظلم الصريح للآل الكرام خاطب عمر بن سعد أمير الجيش وقال ما هذا الرأي المعكوس، وما هذا العمل الذي تشمئز منه النفوس وبأي وجهٍ أتلقى رسول الله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، فسكت ابن سعد ورجع الحر إلى محل إقامته، عاضاً على يديه بسنّ ندامته، فلم يلبث إلا وانفصل من عسكر أهل الشقا واتصل بحزب أهل التقى، ووافقه على ذلك أخوه مصعب وابنه ومولاه ولم يسميا فأخذ بعد الاستئذان يحارب العدوان ويقاتل أهل الفساد والطغيان، فسمع بذلك عمرو بن سعد، فجعل يحتال لجلبه ورجوعه إلى حزبه، وأنّى له ذلك، فقاتل وقتل كثيراً منهم إلى أن طعنه قسور بن كنانة[3]، وهو أيضاً طعنه فوقعا جميعاً، ونادى الحرّ، يا ابن رسول الله أدركني فوصل الحسين إليه، فرآه وقد أغمي عليه، فأخذه وأتى به لعسكره، وجعل رأسه في حجره فأفاق وقال متبسماً للحسين، أرضيت عني، فقال له رضيت عنك، رضي الله عنك، فتوفى رحمه الله تعالى، ثم أخذ أخوه مصعب يقاتل إلى أن قتل، ثم برز ابنه فإن الولد الحر يقتدي بآبائه الغرّ، فقاتل وقتل، ثم مولاه كذلك رحمهم الله تعالى، ودفنوا في موضع أرض كربلاء على بعد ساعة من مرقد الحسين، واشتهر بمدفن الحر الشهيد،

وزهير بن حسان، وعبد الله بن عمرو بن حصن الهمداني، وابن عمه

---

(1) هو روضة الشهداء ـ بالفارسية ـ لكمال الدين حسين الواعظ الكاشفي.

(2) حديقة السعداء ـ بالتركية ـ هو ترجمة لكتاب روضة الشهداء للأديب العراقي المشهور بفضولي البغدادي، وهو محمد بن سليمان المتوفى بمدينة كربلاء سنة 963هـ/ 1556م.

(3) لم يرد هذا الاسم في كتب التاريخ التي أرخت لأحداث كربلاء.

عبد الله ابن جابر، ووهب بن عبد الله، وعمرو بن خالد، وابنه خالد بن عمرو، وسعد بن حنظلة، وعمرو بن عبد الله، وحماد بن أنس، ووقاص بن مالك، وشريح بن عبد الله، ومسلم بن عوسجة وابنه، وهلال بن نافع، وفي نسخه ابن رافع، وعبد الرحمن بن عبد الله المزني، ويحيى بن مسلم المازني، وعبد الرحمن بن عروة الغفاري، وأنس بن مالك المالكي، وعمرو بن المطاع، وقيس بن منبّه، فكل واحد من هؤلاء قاتل وقتل كثيراً من الأعداء، فقتل، وعزم إلى دار البقاء، وبعد هؤلاء، برز عتبة بن وقاص فوبّخهم أولاً وقال: ما أفسد رأيكم، وما أضل عقولكم، ثم أخذ يقاتلهم، فقتل وقتل، وحمزة مولى أبي ذر الغفاري، ويزيد بن مهاجر، وأنيس بن معقل، وعابس بن ثيّب وحجاج بن مسروق، وسيف بن الحرث، وعبدٌ من الترك، وكان حافظاً للقرآن، وحبيب بن مظاهر، وحنظلة بن سعد، ويزيد بن زياد، وسعد بن عبد الله، وجنادة بن الحارث، وابنه عمرو، ومرة بن أبي مرة الغفاري الأنصاري فبرزوا واحداً واحداً، فقتلوا وقُتِلوا، ومحمد بن المقداد، وعبد الله بن أبي دجانة، وهما برزاً جميعاً، وتبعهم لإعانتهم ستة من موالي الحسين وخدمه، وهم سعد وقيس وعمرو وعنطمة وحاد وأشعث، فبعد أن قاتلوا وقتلوا، فازت أرواحهم الثمانية بأبواب الجنة الثمانية وعباس بن شبيب، وجعفر، وكانا مؤذنين في العسكر، ومالك بن عبيد، فبرزوا وبارزوا وللدرجات العالية أحرزوا، ثم بعد هؤلاء الكرام، إلى النوبة، إلى آل الحسين من أقاربه الفخام فبرز عبد الله[1] بن عقيل وأخوه عبد الرحمن[2] أخوا مسلم ومحمد[3] بن عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب وأخوه[4] وعون بن عوف[5] فقاتلوا ثم قتلوا ثم برز عبد الله ابن حسن بن علي رضي الله عنهم مأذوناً من عمه الحسين،

---

(1) (2) عبد الله وعبد الرحمن ابنا عقيل بن أبي طالب، الطبري 5/ 169 ومقاتل الطالبيين 61 وعهدة الطالب 84 وممن قتل من آل عقيل: جعفر بن عقيل ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ومحمد وعبد الله ابنا مسلم بن عقيل.

(3) (4) محمد بن عبد الله بن جعفر وأخوه عون بن عبد الله: أنظر مقاتل الطالبيين ص60 وعهدة الطالب 83 والطبري 5/ 427.

(5) كذا في الأصل.

وكان أكبر أولاد الحسن فقتل مائة وثمانين رجلاً منهم ثم قتل، ثم برز أخوه قاسم[1] بن الحسن وقد كان شمس سماء الحسن والجمال، وزهرة رياض اللطافة والدلال، فقتل منهم كثيراً ثم طعنوه سبعاً وعشرين طعنة، ولم يزل يقاتل مع تلك الجروح إلى أن ضربه شيث بن سنان النخعي على كتفه فوقع من فرسه، ونادى يا عماه أدركني، فسمعه الحسين، فلم يتمالك نفسه فشق صفوف العدى ودخل المعركة وأتى به، ومنه بقية رمق إلى الخيام، ثم برز أبو بكر[2] بن علي مأذوناً من أخيه، وبعد أن أذاق كثيراً منهم كؤوس الفناء ذاق زلال الشهادة بأيدي ساقي البقاء، ثم برز مأذوناً عمر بن علي[3] فأرسل كثيراً إلى الجحيم، إلى أن فاز بالنعيم المقيم، ثم برز كذلك عثمان بن علي[4] يحمل على العدى ويلقنهم الردى، فقتل والى الجنان سلك فاهتدى، ثم برز عون بن علي[5] وقتل ما قتل وفاز بالشهادة ذلك البطل، ثم برز عبد الله بن علي[6] يجول ويفرق جمع العدا ويصول فقتل منهم ما شائه الله وأراده، ثم فاز بسعادة الشهادة، ثم برز عباس بن علي[7]، وجعل ينادي وينصحهم ويدعوهم إلى الرشاد، وينذرهم عما هم عليه من الظلم والفساد، ويلتمس منهم شربة لأهل بيت الاصطفاء، فكادت الحجارة تلين، بتلك الدعوة، وما لانت قلوبهم فهي

---

(1) عبد الله وقاسم ابن الحسن ابن علي، وقتل من أولاد الحسن أبو بكر بن الحسن: أنظر المقاتل ص58 والطبري 5/ 447 و 418.

(2) أبو بكر بن علي: لم يعرف اسمه (المقاتل ص56 والطبري 5/ 468).
ومممن قتل من أولاد علي بن أبي طالب: جعفر بن علي ومحمد الأصغر بن علي: أنظر الطبري 5/ 468.

(3) عمر بن علي: لم يذكر فيمن قتل من أولاد علي.

(4) عثمان بن علي بن أبي طالب، أمه أم البنين بنت حزام، المقاتل ص55 والطبري 5/ 468.

(5) لم يذكر فيمن قتل من أولاد الإمام علي في المصادر المتقدمة.

(6) عبد الله بن علي بن أبي طالب، وأمه أم البنين بنت حزام: المقاتل ص435 وفيه: أنه قتل وهو ابن خمس وعشرين سنة، الطبري 5/ 468.

(7) عباس بن علي بن أبي طالب،وأمه أم البنين، ويكنى أبا الفضل، وصف بأنه كان رجلاً وسيماً جميلاً، انظر: المقاتل ص56 والطبري 5/ 468.

فيها أشد قسوة، فرجع خائباً إلى الخيام، فرأى أهلها تستغيث من العطش والاوام، فأخذ أواني وقربات، وتوجه في طلب الماء من الفرات، ومعه محمد بن أنس[1] فملأها ماء وهم بالرجوع وانعكس، وإذا بالمأمورين لمنع الوصول إلى الماء المبذول أحاطوا بهما وقاتلوهما إلى أن قتلوهما، ثم برز علي الأكبر[2] بن الحسين فقتل كثيراً من الأعادي أولي الرّين، فطعن في مواضع متعددة من بدنه، فوقع من فرسه، فأخذه أبوه الحسين، وفيه بقية نفسه، ولما أتى به إلى الخيام طارت روحه الكريمة إلى رياض دار السلام، ولما انتصف النهار، واشتد الحر والتهب من الحرارة البحر والبر، وكان للحسين ولد صغير موسوم بعبد الله[3] وقيل بعلي الأصغر، لم يكن يرضع الثدي من شدة العطش ذلك البر، فأخذه الحسين بيده، وقال لهم إن كان فينا التقصير، فما بال هذا الطفل الصغير، وقد منع من الماء المبذول للأنام، فأودى به العطش والاوام فبينما هو يطلب الماء للطفل بحرقة، وإذا بسهم رمي إلى الولد فأصاب [حلقه] فشرب بقدح السعادة صافي زلال الشهادة، فصار للشهداء المذكورين ثاني اثنين وسبعين فدفنوا جميعاً في أرض كربلاء، وقبرهم في قبة الحسين سيد الشهداء، يتبرك به ويزار ويلتثمه الصغار والكبار.

تنبيه، ما كان ينبغي: بل يحرم التعرض لذكر مقتل الحسين وآله لأنه بحث عن ذلهم وهوانهم المؤدي إلى استحقارهم، وخفض مراتبهم، مع وجوب اعتقاد جلالَة قدرهم وعلو مناصبهم، وربما يفضي الجهلة إلى سوء العقيدة، أعاذنا الله منها في بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين دلّت الأحاديث والآيات على علو درجاتهم وكمال صفاتهم وشرافة ذواتهم، قال الإمام الغزالي: يحرّم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضي الله تعالى عنه، وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه مهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم، انتهى.

---

(1) كذا في الأصل، والمقاتل هلال بن نافع الجملي.

(2) علي الأكبر بن الحسين بن علي: أنظر: الطبري 5/ 446 ومقاتل الطالبيين ص56.

(3) عبد الله بن الحسين: الطبري 5/ 468.

إلا أن المؤلف لما ذكر مقتل الحسين ومصيبته لم نجد لنا بدّاً من التأسي به فيما ذكر ولم يسعنا طي الكشح[1] عما حرر فيه وزبّر على أن أقوالنا فيه كاعتقادنا والحمد لله تعالى منزهة عن بدع الروافض المبتدعين ومبرأة عن غلوهم المفرط المفضي إلى الطعن في أساطين الدين خذلهم وأعمى أبصارهم ودحرهم ومحا آثارهم.

تذييل: أعلم أن العلماء اختلفوا في يزيد وشأنه وفي جواز سبه ولعنه، فمنهم من جوز لعنه، ومنهم من منع ومنهم من توقف، فمن لعنه المولى سعد الدين التفتازاني في شرح العقائد النسفية حيث قال: فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه، وأبو الفرج بن الجوزي ونقله عن الإمام فإنه قال في كتابه المسمى بالرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، سألني سائل عن يزيد فقلت له يكفيه ما به، فقال: أيجوز لعنه فقلت: قد أجازه العلماء الورعون منهم: أحمد بن حنبل، فإنه ذكر في حق يزيد ما يزيد على اللعنة، كذا في الصواعق للشيخ ابن حجر.

وممن منع لعنه ابن الصلاح في فتاواه والإمام الغزالي وأطال الكلام في المنع، ومنهم الشيخ ابن حجر في الصواعق وهو اللائق بقواعد عقائد أئمتنا أهل السنة والجماعة لأن اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، فالمؤمن لا ينبغي أن يدعو به على أحد بعينه أو يخبر بوقوعه على أحد كذلك ولو كان كافراً لأن العبرة بالخواتم، وهي مجهولة ومن أين يعلم أنه لا يختم له بإيمان، فكيف بيزيد وقد كان أمير الإسلام والمسلمين ويجهّز الجيوش لنصرة الدين ويسد الثغور عن الكافرين، وممن توقف الكمال بن أبي شريف فإنه قال في حاشيته على شرح المولى سعد الدين وقد أقدم على التصريح بلعن يزيد على التعيين مستنداً إلى ما نقل عنه من

---

(1) في الكشح: من كشح ويعني هنا الكشف عنه وعدم ضمره، انظر: لسان العرب 3/ 260_261.

أن رضاه بقتل الحسين واستبشاره به قد تواتر، ولعل هذا بالنسبة إلى اطلاع الشر، وأما نحن فلم يخرج عندنا من حد الشهرة إلى التواتر، ولكنه إن ثبت عنه ما نسب إليه من أنه قال:[1]

ليت اشياخي ببدر شهدوا	وقعة الخزرج من وقع الأسل
لا هلّوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحيٌ نزل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدرٍ فاعتدل

فذلك يؤذن بالكفر، والأولى بالنسبة إلى من لم يثبت عنده ذلك الإمساك إذ لا خطر في السكوت عن لعن إبليس فضلاً عن غيره انتهى.

قلت وكذلك إن صح عنه أيضاً من أنه لما أخبر بأنه أتى إليه برأس الحسين وسبايا آله ركب مع جيشه وبرز إلى خارج دمشق متبجحاً مستبشراً ينظر الرؤوس والسبايا فلما رآها قال:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت	تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعق الغراب فقلت قل أو لا تقل	إني قضيت من الرسول ديوني

يحكم بكفره والله تبارك وتعالى أعلم والأولى والأحوط التوقف والإمساك ولو ثبت ما نقل عنه وما نسب إليه إذ لو جاز لعنه فسكت الإنسان عنه لم يكن عاصياً بالإجماع فإن أكفر الكافرين وهو إبليس لو لم يلعنه الإنسان طول عمره لا يقال له يوم القيامة لأي شيء ما لعنته، وربما يقال للاعن لم لعنت.

فائدة: صح في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل ربه أن من شتمه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة.

---

(1) الأبيات لعبد الله بن الزبعري قالها يوم أحد (سير ابن هشام 3/ 65 وفي مقاتل الطالبيين ص80 أن يزيداً تمثل بها).

5 ـ سلمان الفارسي(1)

ومنهم سلمان الفارسي رضي الله عنه، ابن عبد الله، ويقال له سلمان ابن الإسلام، وسلمان الخير، وقال ابن حبّان، من زعم أن سلمان الخير آخر فقد وهم، قيل وكان اسمه مابِه بكسر الموحدة، ابن بود، ثم لما تشرف بشرف الإسلام سمي بسلمان، وله فضائل كثيرة، وردت بفضله أحاديث عديدة شهيرة، قلت منها ما نقله في الإصابة(2) عن أبي ربيعة الأيادي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يحب من أصحابي أربعة، فذكر فيهم سلمان ومنها ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء(3) حين آخى بينهما، سلمان أفقه منك، وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أوّل ما شهد من المشاهد، الخندق في وقعة الأحزاب، وهو الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق، فقال: يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن العرب تعرفه قبل

---

(1) ترجمته، في طبقات ابن سعد 4/ 53، والمعارف 270 وتهذيب ابن عساكر والإصابة 2/ 60 وحلية الأولياء 1/ 185 وصفة الصفوة ومحاسن أصفهان 33 ومروج الذهب 1/ 522.

(2) الإصابة 2/ 60.

(3) أبو الدرداء، عويمر بن مالك بن قيس الأنصاري الخزرجي، من الصحابة الفرسان العلماء، ولي قضاء الشام أيام عمر بن الخطاب، ومات بالشام سنة 32هـ، الإصابة ت 6119 وحلية الأولياء 1/ 208.

ذلك، وفي هذه الوقعة فاز بتشريف قوله صلى الله عليه وسلم، سلمان منا أهل البيت.

قلت وذكره البغوي في المعالم بسنده حيث قال أخبرنا أبو سعيد الشريحي قال أخبرنا أبو اسحاق الثعلبي، قال أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني، قال أخبرنا محمد بن جعفر المطيري، قال أخبرنا حماد بن الحسين، قال أخبرنا محمد بن خالد بن عثمان قال أخبرنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، قال حدثني أبي عن أبيه أنه قال، خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب، ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً قال فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون، سلمان منا وقال الانصار: سلمان منا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، سلمان منا أهل البيت قال عبد الرحمن بن عوف، كنت أنا وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، انتهى، وكان عطاؤه من بيت المال خمسة آلاف درهم فإذا خرج له أنفقه وتصدّق به، وكان يعتاش بكدّ يديه، وكان عمله نسج الخوص فيشتري خوصاً بدرهم ويعمله ويبيعه بثلاثة دراهم، ينفق منها درهماً على نفسه [ويتصدق] منها بدرهم، ويبقي درهماً ثمن الخوص، ولا يأكل من صدقات الناس، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وكان الناس يسخرونه في حمل أمتعتهم لرثاثة حاله، فربما عرفوه، فأرادوا أن يحملوا عنه فيقول: لا حتى أوصلكم إلى المنزل وهو إذ ذاك أميرٌ على المدائن، وكان يستظل بالفيء حيثما دار، ولم يتخذ له بيتاً، ومن كلامه: عجباً لمؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك ولا يدري أربّه راضٍ عنه أم ساخط؟ قلت، ومنه قوله: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضرّه منعه، وقال: إن أكلته هلكت، وكذلك المؤمن يشتهي أشياءَ كثيرة ويمنعه الله عز وجل منها حتى يموت فيدخله الجنة، وكان يقول عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً فقال: ليكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب.

ومن كراماته، ما رأيت في بعض الكتب أنه نزل ضيف على سلمان الفارسي ولم يكن عنده شيء يطعمه، فرأى ظباءً وطيوراً في الصحراء، فأشار إلى ظبي وطير، فأقبلا إليه فقال الضيف سبحان الله، قد سخر الله لك الظباء والطير، فقال سلمان: هل رأيت عبداً أطاع الله فعصاه، انتهى.

ولبدء إسلامه قصة طويلة وملخصها على ما حكاه هو عن نفسه فيما ذكره الشيخ ابن حجر في شرح الهمزية من أن أصله من أصبهان، قلت قال في الإصابة أصله من رامهرمز واجتهد في المجوسية حتى صار رئيسها فمر بكنيسة للنصارى فأعجبوه، فذكر لأبيه، فقيّده وقال له: دينك ودين آبائك خير من دينهم، وكان يسألهم عن أصل دينهم فقالوا الشام، فأرسل إليهم إذا جاءكم أحد من الشام فأخبروني، ففعلوا فحل القيد وتوجه إليها، فسأل عن أعلمهم، فدلّ عليه، فخدمه إلى أن مات، ثم خدم من قام مقامه، فلما احتضر، قال له: بمن توصيني قال بفلان بنصيبين، فجاءه، وأخبره وخدمه، فلما احتضر ذكر له ذلك، قال بفلان بعمورية من أرض الروم، فلما احتضر قال له يا بني ما أعلم أحداً على ما كنا عليه آمرك تأتيه، وانه أظل زمان نبي هو المبعوث بدين إبراهيم، يخرج من أرض العرب، ويهاجر إلى أرض بين حرتين، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بأرضه فافعل، ثم مات، قال فمرّ بي نفر من كلب، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم ما عندي فحملوني، فلما بلغوا وادي القرى، ظلموني فباعوني من يهودي، فباعني من ابن عم له من بني قريضة بالمدينة، قال فحملني إليها فعرفتها، فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة، فلم أسمع له ذكراً، ثم هاجر إلى المدينة، فبينما أنا أجني لسيدي تمراً، جاءه ابن عمه فقال له: قاتل الله بني قيله، وهي أم الأوس والخزرج، إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم إليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي، فأخذتني رعدة وشدة حتى ظننت إني ساقط فنزلت فقلت لسيدي، ماذا قال لك هذا، فغضب مني ولطمني لطمة شديدة، وقال ومالك ولهذا، أقبل على عملك، فلما أمسى أخذ شيئاً

جمعه وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء، فقال له: هذا صدقة، فأمر أصحابه بأكله ولم يأكل فجمع شيئاً آخر فأتى به اليه، وهو بالمدينة، فقال له: هذا هدية، فأكل هو وأصحابه، ثم جاءه بالبقيع، وقد تبع جنازة، فجعل ينظر إلى ظهره، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يتأمله لشيء وصف له، فألقى رداءه عن ظهره، فرأى خاتم النبوة، فقصّ عليه حديثه وأسلم، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكاتب سيده نظراً لحالته الراهنة أي الحالة التي كان عليها من الرق، وإلا فهو من جملة الأحرار الذين هم أتباع حواري عيسى عليه السلام، فكاتب على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وأربعين أوقية ذهباً، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأمر أصحابه أن يعينوه بالودي فأعانوه، ثم غرسها صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها واحدة بل أثمرت كلها في عامها، وفي رواية وقفت منها واحدة، فقلعها صلى الله عليه وسلم، ثم أعادها، فساوت البقية، فأداها، وبقي عليه الذهب، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاجة من ذهب، من بعض المعادن فأعطاها له فقال: وأين تبلغ هذه أربعين أوقية، قال خذها فإن الله سيؤدي بها عنك، فوزنت فوفت الأربعين، وذكر في أسماء الرجال أنه ولي على المدائن زمن خلافة عمر رضي الله عنه، وعاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة سنة، قلت: قال في الإصابة ويقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقيل بل أدرك وصي عيسى، ثم قال بعد ما استدرك ما نقله عن الذهبي، فقد روي أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين من طريق العباس ابن يزيد أنه قال، أن أهل العلم يقولون، عاش ثلثماية وخمسين سنة، وأما مائتين وخمسين سنة، فلا يشكون فيها، انتهى.

وذكر في كتاب ملتقى الأبرار أنه رضي الله عنه سكن العراق في آخر عمره وتوفي في المدائن في خلافة عثمان رضي الله عنه وهو ابن مائتين وخمسين سنة. قلت: قال في الإصابة: مات سنة ستة وثلاثين في قول أبي عبيد أو سبعة في قول خليفة، وروى عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن

ثابت عن أنس أنه دخل ابن مسعود[1] على سلمان عند الموت، هذا يدل على أنه مات قبل ابن مسعود، ومات ابن مسعود قبل سنة أربع وثلاثين، فكأنه مات سنة ثلاث أو ثنتين وثلاثين انتهى ودفن في المدائن في مرقده الذي يزار الآن، ويتبرك به الإنس والجان في شرقي بغداد على بعد خمسة فراسخ منها للركبان.

---

(1) ابن مسعود، هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، من كبار الصحابة والسابقين للإسلام شهد بدراً وأجهز على أبي جهل. توفي سنة 32هـ الإصابة ت 4955 وصفه الصفوة 1/ 154 والبيان التبيين 2/ 56.

6 ـ حذيفة بن اليمان[1]

ومنهم حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه، وهو من كبار الصحابة، وصاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم، ومن خواصه، وشهد الخندق، وله بها ذكر حسن، وسنذكره أبسط مما ذكره المؤلف، فنقول: إن الأحزاب، أي طوائف أهل مكة ومن معهم من قبائل العرب، اجتمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة أحد، وحز بهم جماعة من اليهود ومنهم حيي بن أخطب[2] وسلام بن أبي الحقيق[3] لما ازدادت عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم فخرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه حتى نستأصله، فوافقوهم ثم ذهبوا إلى غطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وغطفان ومن معه من أهل نجد وقائدها عيينة بن حصن[4]، فاجتمعوا في عشرة آلاف، فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم

---

(1) الاستيعاب 1/ 334 والإصابة 1/ 317 وحلية الأولياء 1/ 270 والمعارف: 263.

(2) حيي بن أخطب، من يهود بني قريضة، الذين حاصرهم رسول الله بعد وقعة الخندق، واستنزلهم من حصونهم فقتلهم جميعاً، وكان حيي فيمن قتل أنظر تاريخ الطبري 2/ 587، وسيرة ابن هشام 3/ 149.

(3) سلام بن أبي الحقيق، من يهود بني قريضة، قتله جماعة من الخزرج بعد وقعة الخندق، أنظر سيرة ابن هشام 3/ 170.

(4) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزازي، كان سيد غطفان، أجدبت بلاده فورد المدينة مع قومه فوادعه رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر، ثم أغار على لقاحٍ للنبي، وعاد إلى بلاده =

أمر بضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان رضي الله عنه كما مر في ترجمته، وحفره هو وأصحابه، فلما وصلوا إليه خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف، وجعلوا ظهورهم إلى سلع[1]، فضرب هنالك معسكره، والخندق بينه وبين العدو، فمكثوا نحو عشرين يوماً أو خمسة عشر يوماً لا قتال بينهم إلا الرمي بالنبل والحصا، ثم اشتد[ت] الحرب وعظم البلاء وكثر الخوف حتى ظن المؤمنون كل ظنٍ وزلزلوا زلزالاً شديداً، فبينما هم كذلك إذ جاء نعيم بن مسعود[2] إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له إني أسلمت ولم يعلم بي قومي، فمرني بما شئت، فأمره أن يخذل عنهم ما استطاع، فإن الحرب خدعة، فذهب إلى بني قريضة، وكان نديمهم في الجاهلية، فحسن لهم التخلف عن معاونة قريش إلا أن يأخذوا رهناً، وعرفهم على أموالهم وأولادهم، فقالوا أشرت بالرأي، ثم ذهب إلى العرب، وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وأنهم ندموا على ذلك وأرسلوا إلى محمد أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً فنعطيكم فتضربون أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم، فأرسلوا رسلهم لبني قريضة، لسنا نقاتل حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا، فلما رجع الرسل إلى قريش وغطفان، قالوا والله إن الذي حدثكم به نعيم لحق، فانحل عزمهم، وخذلهم الله، وبعث عليهم الريح في ليلةٍ شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم وخيامهم، فلما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخالفهم وما هم

= وأسلم فكان من المؤلفة قلوبهم وارتد بعد وفاة رسول الله ولحق بطليحة الأسدي، وأسره خالد بن الوليد وبعثه إلى المدينة، فرجع إلى الإسلام وقبله أبو بكر الصديق، مات أيام عثمان بن عفان بعد ما كف بصره. انظر: المعارف ص 302، وتاريخ الطبري في مواضع مختلفة من الجزئين 2و3.

(1) سلع: جبل بسوق المدينة انظر معجم البلدان (سلع) 3/ 236.

(2) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي الغطفاني، صحابي جليل، أسلم سراً أيام الخندق، وسكن المدينة، ومات في خلافة عثمان سنة 30هـ، وقيل بل أيام حرب الجمل، الاستيعاب 4/ 1508، الإصابة 3/ 539 وأنظر حديث نعيم في تخذيل الأحزاب في تاريخ الطبري 2/ 578 وسيرة ابن هشام 3/ 137.

فيه دعا حذيفة بن اليمان المترجم فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً، قال البغوي في المعالم روى محمد بن اسحق عن زيد[1] بن زياد عن كعب بن محمد القرضي[2]، وروي غيره عن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال، قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان، يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه، قال: نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون؟ قال، والله لقد كنا نجهد، قال الفتى؛ والله، لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، ولخدمناه، وفعلنا وفعلنا، فقال حذيفة، يا ابن أخي، والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم، أدخله الله الجنة، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويّاً[3] من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله فأمسك القوم، وما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويّاً من الليل ثم التفت إلينا وقال، من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال، يا حذيفة، فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني، فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيت وإن جنبيّ ليضطربان فمسح وجهي ورأسي، وقال: أئت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم، ولا تحدثنّ شيئاً حتى ترجع إليّ، ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، فأخذت سهمي، وشددت على أسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنني أمشي في حمام، فذهبت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحاً، وجنود الله تفعل لهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً، ولا ناراً ولا بناءً،

(1) و (2) في سيرة ابن هشام 3/ 139 وتاريخ الطبري 2/ 579 يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرضي.

(3) الهويّ: الهزيع من الليل ونقول ومضى هَويٌ من الليل. أي هزيع منه: لسان العرب 3/ 849.

وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذت سهماً ووضعت في كبد قوسي وأردت أن أرميه، ولو رميته لأصبته، فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثاً حتى ترجع إليّ، فرددت السهم في كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً قام فقال: يا معشر قريش، ليأخذ كل رجل بيد جليسه لينظر من هو، فأخذت بيد جليسي، فقلت من أنت، قال سبحان الله أما تعرفني، أنا فلان بن فلان فإذا هو رجل من هوازن، فقال أبو سفيان، يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريضة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله، وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم، قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي، فلما سلم أخبرته الخبر، فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل المظلم، قال، فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفأ، فأدناني النبي صلى الله عليه وسلم، فأنا عند رجليه، وألقى علي طرف ثوبه، وألزق صدري ببطن قدمه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال قم يا نومان، انتهى.

فلنرجع إلى ما قاله المؤلف، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بجميع المنافقين، فكان عمر رضي الله عنه لم يبال بجنازة من لم يشيعه حذيفة، ولم يحضر صلاته، وكان في العسكر الذي جهزه عمر رضي الله تعالى عنه أيام خلافته إلى نهاوند، وكان أمير الجيش نعمان بن مقرّن المزني[1]، ولما استشهد أعطى له لواء الإسلام، وفي سنة ثنتين

(1) النعمان بن مقرّن المزني، صحابي جليل، من القادة الشجعان، وكان معه لواء عرينه يوم فتح مكة، وشارك في معارك الفتوح، وقدم المدينة بفتح القادسية، فولاه الخليفة عمر قتال الفرس، ففتح أصبهان ونهاوند واستشهد فيها سنة 21هـ. أنظر كذلك الطبري، في مواضع متعددة، والإصابة وفتوح البلدان والاستيعاب وطبقات ابن سعد.

وعشرين فتح همدان والري، قلت سيأتي منه في ترجمة قرظة أنه صحح أن قرظة فتح الري وهو أمير الجيش، ومنا، نقلاً عن الإصابة أن الفتح مع كونه بإمارة قرظة كان سنة ثلاث وعشرين.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر، واستعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان، وبعد بيعة علي بأربعين يوماً سنة ست وثلاثين، ودفن بالمدائن قرب تربة سلمان الفارسي، وهو الآن يزار ويتبرك به[1].

قلت، واسم أبي حذيفة هذا حسيل بالتصغير، ويقال بالتكبير، ابن جابر بن ربيعة وهو عبسي، بالموحدة، وقيل له ابن اليمان، وإن أباه أصاب دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه اليماني لكونه حالف اليمانية، فاليماني منسوب إلى اليمن، كما يقال في النسبة إليها يمني، يقال يماني بإحدى يائي النسبة، وحذف الأخرى لتعوض الألف عنها، ويقال، يمان، بحذف الأخرى إجراءً له مجرى الاسم المنقوص كما يقولون المتعال وطوال الأبد، وتزوج أبوه والدته، فولد له بالمدينة، وأسلم هو وأبوه، وأراد شهود بدر فصدهما المشركون، روينا في صحيح مسلم عن حذيفة أنه قال ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، فأخذ[نا] كفار قريش وقالوا إنكم تريدون محمداً فقلنا ما نريده، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرف عن المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه، فقال انصرفا...الحديث، وشهدا أحداً، فاستشهد أبوه بها، وقتله رجل من المسلمين ظناً منه أنه من المشركين فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما يدل على كمال منقبته، وجلال رتبته، ما رويناه في صحيح مسلم عنه رضي الله عنه أنه

(1) في فيضانات بغداد 1/ 269: كان على مقربة من مشهد سلمان على ضفة نهر دجلة قبران للصحابيين عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان، وعلى أثر هذا التآكل الذي حصل في الضفة الغربية بمياه الفيضان نقلت الحكومة العراقية بقايا رفاتهما إلى مشهد سلمان عام 1931 وبنوا لهما رسم قبرين، وأنظر أيضاً مراقد المعارف 1/ 239.

قال، لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان ويكون حتى قيام الساعة، وفي الصحيحين، أن أبا الدرداء قال لعلقمة أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غير حذيفة، وكان/ يقول، أحب يوم أكون فيه حين يأتيني أهل بيتي فيقولون ما عندنا شيء نأكله، لا قليل ولا كثير، وكان يقول، سيأتي على الناس زمان يقال للرجل فيه، ما أحسنه وما أظرفه وما أعقله، وما في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، رضي الله عنه ورضى عنا به.

7 ـ خباب بن الأرتّ[1]

ومنهم خباب بن الأرت التميمي رضي الله عنه، هو خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد المعجمة ابن الأرت بتشديد المثناة فوق ابن جندلة بن سعد التميمي، قلت، وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي عبد الله، وذلك لما ولد له ولد أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه عبد الله، وقال لخباب: أنت أبو عبد الله، قيل أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن خباب[2]، هذا وعبد الله بن الزبير، كان من السابقين الأولين، وكان من المستضعفين، قلت: قال في الإصابة[3]، روى الباوردي أنه أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه، وعذّب عذاباً شديداً لأجل ذلك، انتهى، وشهد المشاهد كلها، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين جابر[4] بن عتيك، روي عن النبي وروى عنه كثيرون[5]، وثبت في

(1) أبو عبد الله خباب بن الأرت، من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم، أصابه سباء، فبيع بمكة، ترجمته وأخباره في: المعارف ص316، والعبر 1/ 43، وطبقات ابن سعد 3/ 116، وشرح نهج البلاغة 18/ 171، وتهذيب التهذيب 3/ 133، والاستيعاب 1/ 438 والإصابة 1/ 416 وحلية الأولياء 1/ 143 وصفة الصفوة.

(2) وعبد الله بن خباب، هو الذي قتله الخوارج، فاحتج علي عليه السلام به وطالبهم بدمه أنظر: شرح النهج 18/ 172.

(3) الإصابة: 1/ 416.

(4) هو جابر بن عتيك بن قيس بن الأسود من بني سلمة ـ طبقات بن سعد 8/ 400.

(5) له في كتب الحديث (32) حديثاً: الأعلام 2/ 301.

الصحيحين أنه كان يعمل السيوف في الجاهلية، وثبت فيهما أيضاً، أنه تمول وكان يقول رضي الله عنه، إن إخواننا مضوا ولم يأخذوا من أجرهم شيئاً ولم تنقصهم الدنيا، وإنا بقينا بعدهم وأعطينا من المال ما لم نجد له موضعاً إلا التراب ولو لا رسول الله نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، وقال له عمر رضي الله عنه، يا خباب ماذا لقيت من المشركين، فقال: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا وَدَك[1] ظهري، ومات بالكوفة سنة سبع وثلاثين، زاد ابن حبّان ، منصرف علي من صفين، ودفن بالكوفة، ويقال أنه أول من دفن بظهر الكوفة، روى الطبراني من طريق زيد بن وهب أنه لما رجع علي من صفين مر بقبر خباب، فقال:

رحم الله خباباً، أسلم راغباً، وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه أحوالاً[2]،. قلت، فعلى هذا ينبغي أنه مات قبل وقعة صفين رضي الله عنه ورضي عنا به.

---

(1) الوَدَك: دَسَم اللحم... وفي حديث الاضاحي ويحملون منها الودك لسان العرب 3/ 902.

(2) الكلمة في تاريخ الطبري 5/ 61 ونهج البلاغة وشرح ابن أبي الحديد 18/ 171، باختلاف يسير

8 ـ المغيرة بن شعبة[1]

ومنهم المغيرة بن شعبة ابن أبي عامر الثقفي، كان من الصحابة الأجلاء، أسلم قبل الحديبية، وشهدها وشهد بيعة الرضوان، وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً[2]، وروى عنه كثيرون من الصحابة والتابعين، قلت: قال في الإصابة، قال ابن سعد كان يقال له: مغيرة الرأي، وشهد اليمامة، وفتوح الشام والعراق، وقال الشعبي، كان من دهاة العرب، وكذا ذكر الزهري، وقال قبيصة بن جابر، صحبت المغيرة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يُخرج من باب منها إلا بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها، وولاه عمر رضي الله عنهما البصرة، ففتح عدّة بلاد إلى أن عزله لما شهد عليه أبو بكرة، قال البغوي، كان أول من وضع ديوان البصرة، وقال ابن حبّان، أول من تسلم عليه بالأمرة، ثم ولاه عمر الكوفة، وأقرّه عثمان رضي الله عنه، ثم عزله، فلما قتل عثمان اعتزل القتال، إلى أن حضر مع الحكمين، ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع الناس عليه ثم ولاه بعد ذلك الكوفة، فاستمر بها حتى مات سنة خمسين، وقال

---

(1) أخباره كثيرة في كتب التاريخ، وانظر: الطبري 5/ 234 وفي مواضع متفرقة أخرى والإصابة ت1818، وأسد الغابة والاستيعاب 4/ 1445 ورغبة الآمل 4/ 202 والعبر 184 وطبقات ابن سعد 6/ 12.

(2) للمغيرة في كتب الحديث (136) حديثاً، أنظر: الاعلام 8/ 199 والجمع بين رجال الصحيحين.

الطبري كان لا يقع في أمرٍ إلا وجد له مخرجاً، ولا يلتبس عليه أمران إلا ظهر الرأي في أحدهما، وقال البغوي، حدثني مرة بن مالك الأسلمي، قال حدثني عمي سنان بن حمزة بن دريد بن المطلب، بن حنطب أنه قال، قال المغيرة: أنا أول من رشا في الإسلام، جئت إلى يرفأ حاجب عمر، وكنت أجالسه، فقلت له: خذ هذه العمامة فالبسها، فإن عندي أختها وكان يأنس بي، ويأذن لي أن أجلس من داخل الباب، فكنت آتي فأجلس في القائلة فيمر القائل فيقول، إن للمغيرة عند عمر منزلة، إنه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد، وذكر البغوي من طريق زيد بن أسلم، أن المغيرة استأذن على عمر، فقال له أبو عيسى، فقال: من أبو عيسى: قال المغيرة بن شعبة، قال: فهل لعيسى من أب، فشهد له بعض أصحابه أن النبي كان يكنيه بها فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم، غفر له، وأنا لا أدري ما يفعل بنا، وكناه بأبي عبد الله انتهى ملخصاً، ودفن رضي الله عنه بالكوفة.

9 ـ الأسود بن يزيد النخعي[1]

ومنهم الأسود بن يزيد رضي الله عنه، هو ابن قيس النخعي، قال في الاستيعاب على ما نقله المؤلف أنه أسلم زمن حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجتمع به، وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعن عمر رضي الله عنه، ولازم ابن مسعود، فهو من أكابر التابعين، سكن الكوفة، ومات بها سنة خمس وسبعين ودفن، ثم قلت، وقال في الإصابة، قال الحكم بين عينيه، كان يصوم الدهر، وقال العجلي، كوفي بأهلي ثقة رجل صالح فقيه، مات سنة أربع، وقيل خمس وسبعين، وبه جزم أبو نعيم شيخ البخاري، انتهى.

---

(1) ترجمته في: طبقات ابن سعد 6/ 46 والعبر 1/ 86، وتذكرة الحفاظ 1/ 48 وحلية الأولياء 2/ 102، والاستيعاب 1/ 92

10 ـ عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي[1]

ومنهم عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي، رضي الله عنه، وعبد الله بن أبي أوفى واسمه علقمة الأسلمي، ويكنى بأبي إبراهيم، قلت: قال في الإصابة[2]، وبه جزم البخاري، انتهى وقيل بأبي محمد، وقيل أبي محمد، وكان من عصبة الصحابة رضي الله عنهم، وروى أحاديث

كثيرة[3]، وروى عنه كثيرون، منهم: شعثاء الكوفية، وعمرو بن مرة[4] وأبو اسحق الشيباني[5]، وشهد مع رسول الله أحداً وخيبر وحنيناً والحديبية، قلت روينا في صحيح البخاري عنه أنه قال، غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم ست غزوات نأكل الجراد، وفي رواية سبع غزوات، وقال في الإصابة[6]، روى أحمد بن يزيد عن إسماعيل أنه قال، رأيت في

---

(1) طبقات ابن سعد 6/ 13 وفيه أنه توفى سنة ست وثمانين، والإصابة 1/ 271 والاستيعاب 3/ 870 وأسد الغابة ونكت الهميان 182 والمحبر 298 والجمع بين رجال الصحيحين 242.

(2) الإصابة 2/ 271.

(3) له في كتب الحديث (95) حديثاً، أنظر: الأعلام 4/ 240 والجمع بين رجال الصحيحين 242.

(4) عمرو بن مرة المرادي، من أهل الكوفة، توفي سنة 218 أو 216هـ، ترجمته في طبقات ابن سعد 6/ 220.

(5) أبو اسحاق الشياني الراوي، اسمه سليمان بن أبي سليمان، من رواة الحديث توفي سنة 129هـ ترجمته في المعارف ص451.

(6) الإصابة 1/ 271.

ساعد عبد الله أبي أوفى، ضربة، فقال ضربتها يوم حنين، فقلت شهدت حنين، قال نعم، انتهى.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كف بصره، ورحل إلى الكوفة ونزل بها ثم مات فيها سنة سبع وثمانين،قلت، وبه وجزم أبو نعيم، وكان آخر من مات من الصحابة بالكوفة كما في الإصابة رضي الله عنه.

11 ـ عبد الله يزيد الأنصاري[1]

ومنهم عبد الله بن يزيد الأنصاري، رضي الله عنه، هو أبو موسى عبد الله بن يزيد بن زيد ابن حصن الأنصاري الخطمي، كان من الصحابة، شهد الحديبية، وهو ابن سبع عشرة سنة وولى أمرة الكوفة من عبد الله بن الزبير، واستمر بها إلى أن مات[2].

قلت قال في الإصابة، قال البغوي، سكن الكوفة وابتنى بها داراً ومات في زمن ابن الزبير، انتهى

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه ابنه موسى[3] وعدي بن ثابت[4] وهو سبطه والشعبي[5] وأبو اسحق[6] وغيرهم، وشهد مع علي رضي الله عنه مشاهده كما في الاستيعاب والإصابة، وفي الإصابة أنه شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم أر من ضبط سنة

---

(1) ترجمته في الاستيعاب 3/ 1001 والإصابة 2/ 375. وطبقات ابن سعد 6/ 10

(2) في الطبري 5/ 622، حوادث سنة (65هـ) أن ابن الزبير عزل عبد الله بن يزيدفي هذه السنة، عن الكوفة وولاها عبد الله بن مطيع.

(3) موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري، من الأوس، وأمه بنت حذيفة بن اليمان، له ترجمة في طبقات ابن سعد 6/ 207.

(4) عدي بن ثابت الأنصاري، له ذكر في طبقات ابن سعد 6/ 215.

(5) الشعبي، عامر بن شراحيل الحبري، من التابعين الرواة، مات بالكوفة سنة 103هـ سيترجمه المؤلف فيما بعد.

(6) أبو اسحق الشيباني، تقدم ذكره.

وفاته، ويعلم مما قدمت نقله من الإصابة أنه مات سنة فيما بين خمس وستين وسبعين لأن عبد الله بن الزبير بويع له بالخلافة بالحجاز والعراق وغيرها سنة أربع وستين أو ثلاث وقتله الحجاج لما حاصره في مكة سنة اثنين وسبعين والله تبارك وتعالى أعلم.

12 ـ عبد الرحمن بن أبزى[1]

ومنهم عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي، رضي الله عنه، هو عبد الرحمن بن أبزى على وزن جمزى، ولم يذكر المؤلف أباه إلا محرفاً مغيّراً لم يُقرأ ولعله من قلم الناسخ، الخزاعي ولاءً، كان أبوه أبزى مولاهم، وهو ممن له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، قلت قال في الإصابة، وأما عبد الرحمن فقال خليفه ويعقوب بن سفيان والبخاري والترمذي وآخرون، له صحبة، وقال أبو حاتم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وصلى خلفه، انتهى.

وذكر في الإستيعاب على ما نقله المؤلف، أن عمر رضي الله عنه قال فيه، عبد الرحمن ابن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن، قال في الإصابة وفي صحيح مسلم أن عمر قال لنافع بن عبد الحرث الخزاعي، وكان عمر قد أمره على مكة من استعملت على مكة، قال: عبد الرحمن ابن أبزى، قال: استعملت عليهم مولى؟ قال: إنه قاري لكتاب الله / وأوفقهم في دين الله، انتهى.

واستعمله[2] علي رضي الله عنه على خراسان أيام خلافته، قلت،

(1) ترجمته في الاستيعاب 2/ 822 والإصابة 3/ 38.

(2) في الطبري 5/ 132: «واختلف في عامله على خراسان، فقيل، كان خليد بن قرة اليربوعي وقيل، كان ابن أبزى».

قال في الإصابة قال ابن السكن[1]، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على خراسان، ولعلهما وقعتا جميعاً.

وله الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه ابناه سعيد وعبد الله، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[2] والشعبي وغيرهم، وروي عنه أنه قال شهدنا مع علي ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ثمانمائة نفس، صفين، فقتل منا ثلثمائة وستون نفساً.

وسكن الكوفة ومات بها رضي الله عنه ورضي عنا به ـ آمين.

---

(1) ابن السكن، هو قيس بن السكن الأسدي، روى عن علي وأبي ذر، ومات بالكوفة أيام مصعب ابن الزبير (طبقات ابن سعد 6/ 122).

(2) عبد الرحمن بن أبي ليلى (يسار أو داود) الأنصاري، من التابعين، من رواة الحديث، توفي بدجيل، وقيل غرق في نهر البصرة، وقيل فُقد بدير الجماجم سنة 83هـ (الوفيات 3/ 126 وطبقات ابن سعد 6/ 109).

13 ـ عدي بن حاتم الطائي[1]

ومنهم عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، قلت هو عدي بن حاتم الجواد المشهور بن عبد الله بن سعد الطائي، أسلم في سنة تسع وقيل عشر، وكان نصرانياً قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، وأتى بصدقة قومه إلى أبي بكر، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه الشعبي وقيس بن حازم[2] وغيرهما، روى الشعبي عنه أنه قال: أتيت عمر في أناس من قومي، فجعل الرجل ويعرض عني فاستقبلته فقلت أتعرفني؟ قال نعم، آمنت إذ كفروا وعرفت إذ نكروا ووفيت إذ غدروا وأقبلت إذ أدبروا وإن أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتك، وكان سخياً وجواداً أخرج أحمد عن تميم بن طرفة أنه قال: سأل رجل عدي بن حاتم مائة درهم، فقال تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك[3]، وشهد فتوح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي وقيل شهد وقعة الجمل أيضاً مع علي وأصيب بعينيه، مات بالكوفة سنة سبع وستين، وجزم

---

(1) ترجمته في العبر 1/ 74 وطبقات ابن سعد و6/ 23 والمعارف 213 وخزانة البغدادي 1/ 286 ورغبة الأمل 6/ 135 والروض الانف 2/ 343 والاستيعاب 3/ 1057 والأخبار الموفقيات ص409 والإصابة 2/ 460.

(2) كذا في الأصل، وهو قيس بن أبي حازم واسمه عوف بن عبد الحارث، شهد فتوح العراق وتوفي في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك (طبقات ابن سعد 6/ 44).

(3) الخبر في الإصابة 2/ 461.

خليقة بأنه مات سنة ثمان وستين وبلغ من العمر مائة وعشرين سنة قبل بل مائة وثمانين سنة ودفن بالكوفة رضي الله تعالى عنه.

14 ـ عقبة بن عمرو أبو مسعود الأنصاري[1]

ومنهم عقبة بن عمرو رضي الله عنه، هو صحابي جليل، شهد العقبة الثانية، وأحداً وقيل شهد بدراً أيضاً، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابنه بشير وعبد الله بن يزيد الأنصاري، ومحمد بن عبد الله بن يزيد الأنصاري وغيرهم، واستخلفه علي رضي الله عنه في الكوفة عند مسيره إلى صفين[2]، ومات في الكوفة سنة إحدى وقيل اثنتين وأربعين ودفن بها [3].

قلت هو أبو مسعود عقبة عمر بن ثعلبة بن أُسَيْرة الخزرجي الأنصاري، واشتهر بكنيته، قال في الإصابة، اتفقوا على أنه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدراً، فقال الأكثر نزلها فنسب إليها، وجزم البخاري أنه شهدها، وقال أبو عتبة بن سلام ومسلم في الكنى، شهد بدراً، وقال ابن البرقي لم يذكره ابن اسحق فيهم، وورد في عدة أحاديث أنه شهدها، وقال ابن سعد عن الواقدي، ليس بين أصحابنا اختلاف في أنه لم يشهدها، وقيل إنه نزل بماء بدر فنسب إليه، وشهد أحداً وما بعدها ونزل

---

(1) ترجمته في الاستيعاب 3/ 1074 والإصابة 2/ 483 وتاريخ الطبري في عدة مواضع من جـ4 و5 وطبقات ابن سعد 6/ 9.

(2) تاريخ الطبري 5/ 93 وطبقات ابن سعد 6/ 9.

(3) وفي طبقات ابن سعد 6/ 9 «إنه رجع إلى المدينة فمات بها في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان».

الكوفة، وكان من أصحاب علي، واستخلفه مرة على الكوفة قال خليفة: مات قبل سنة أربعين، وقال المدائني مات سنة أربعين، قلت الصحيح أنه مات بعدها فقد ثبت أنه أدرك إمارة المغيرة على الكوفة وذلك بعد سنة أربعين قطعاً، قيل مات بالكوفة وقيل بالدينة، انتهى.

15 ـ عمرو بن حريث المخزومي[1]

ومنهم عمرو بن حريث، رضي الله عنه، هو من عصبة الصحابة الكرام، المتشرفين برؤية سيد الأنام، والرواية عنه عليه الصلاة والسلام، ويكنى بأبي سعيد، وحين تشرف بلقيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب وضع صلى الله عليه وسلم يده على رأسه ودعا له بالبركة، وروى عنه ابنه جعفر وإسماعيل بن أبي خالد، ومات بالكوفة سنة خمس وثمانين، قلت: وقال في الإصابة بعد ذكر نسبه، وهو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي إن له ولأبيه صحبة، قال ابن حبّان، ولد في أيام بدر، وقال غيره ولد بعد الهجرة بسنتين، وعن أبي داود عنه أنه قال، خط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة داراً، وهذا يدل على أنه كان كبيراً في زمانه[2]، وقد روى عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعلي/ وابن مسعود وغيرهم، وروى عن أخيه سعيد[3] بن حريث وله صحبة، وروى عنه ابن جعفر وآخرون من أهل الكوفة، ثم قال، قال البخاري وابن حبان وغير

---

(1) الإصابة 2/ 524 والاستيعاب 3/ 1172 وطبقات ابن سعد 6/ 14 وفيه أنه مات سنة 85هـ والمعارف 293، وفيه أنه تزوج ابنة عدي بن حاتم الطائي، وابنة جرير البجلي.

(2) في طبقات ابن سعد 6/ 14 والاستيعاب 3/ 1172 «قبض النبي وهو ابن اثنتي عشرة سنة».

(3) سعيد بن حريث، أقدم من أخيه، شهد فتح مكة مع النبي وهو ابن خمس عشرة سنة وانظر: الطبقات 6/ 14 وسيترجمه المؤلف فيما بعد.

واحد مات سنة خمس وثمانين، وكان قد ولي امرتها[1] ـ أي الكوفة ـ نيابة لزياد ولابنه عبيد الله بن زياد وبعده، ويقال أنه مات سنة ثمان وتسعين ولم يثبت ـ انتهى.

(1) كذلك ورد في الطبري 5/ 256، وفي 5/ 523 إن الكوفيين طردوه عنها سنة 64هـ واجتمعوا على عامر بن مسعود

16 ـ سهل بن حنيف الأنصاري[1]

ومنهم: سهل بن حنيف رضي الله عنه، هو سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي، كان من الصحابة الأعلام، والسابقين إلى الإسلام، ويكنى أبا ثابت، قلت، وفي الإصابة يكنى أبا سعد وأبا عبد الله[2]، شهد الخندق وشهد بدراً وثبت يوم أحد حين انكشف الناس، وبايع يومئذ على الموت، وكان ينفح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبل، فيقول صلى الله عليه وسلم نبلوا سهلاً فإنه سهل، وكان عمر يقول، سهل غير حزن، وأمره علي رضي الله عنه على المدينة، ثم توفى بالكوفة وصلى عليه علي رضي الله عنه، ودفن بها، وذلك سنة ثمان وثلاثين.

قلت، قال في الإصابة، استخلفه علي على البصرة بعد الجمل، ثم شهد معه صفين، ويقال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين علي، قال الواقدي حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز الإمامي عن محمد بن أبي إمامة ابن سهل عن أبيه قال مات سهل بالكوفة، وصلى عليه علي، وقال المدائني، مات سنة ثمان وثلاثين انتهى، وفيه أيضاً أنه روى عن

---

(1) ترجمته في: عبر الذهبي 1/ 118 وطبقات ابن سعد جـ3 ق2/ 39 و63/ 8 والمعارف 291 والإصابة ت3520 والاستيعاب ومواضع مختلفة من تاريخ الطبري (أنظر الفهرس) وكامل ابن الأثير والأعلام 3/ 142.

(2) في الاستيعاب 2/ 622 (وقيل أبا الوليد).

النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن ثابت، وروى عنه ابناه أبو إمامة سعد وعبد الله أو عبد الرحمن وأبو وائل[1] وعبيد بن السباق وعبد الرحمن بن أبي ليلى وغيرهم.

---

(1) أبو وائل، هو شقيق بن سلمة الأسدي، أدرك النبي ﷺ ولم يره، وشارك في معارك الفتوح، مات أيام الحجاج بعد وقعة الجماجم (طبقات ابن سعد6/ 64).

17 ـ سويد بن مقرّن[1]

ومنهم سويد بن مقرن رضي الله عنه، هو سويد بن مقرّن بن عائذ المزني، من الصحابة الأجلاء، ويكنى أبا علي[2] وأبا عمر، وقلت قال في الإصابة يكنى أبا عائذ، انتهى روى عنه ابنه معاوية ومولاه أبو شعبة وآخرون من أهل الكوفة، وكان قد نزل الكوفة ومات بها ولم أظفر بتاريخ سنة وفاته، وهو أحد الأخوة السبعة، وكلهم صحابيون، قال المجد في القاموس[3] عبد الله وعبد الرحمن وعقيل ومعقل والنعمان وسويد وسنان أولاد مقرن كمحدّث صحابيون[4] رضي الله عنهم، انتهى.

---

(1) طبقات ابن سعد 6/ 11 والإصابة 2/ 99.

(2) وفي الطبقات 6/ 11: ويكنى أبا عدي.

(3) القاموس المحيط 4/ 259 (فصل القاف ـ باب النون).

(4) لهم ذكر في تراجم الصحابة، وفيها إنهم شهدوا الخندق، ثم سكنوا الكوفة، أنظر المعارف ص399، والاصابة 2/ 99 والطبقات 6/ 11و121 وأشهرهم النعمان فاتح نهاوند.

18 ـ قرضة بن كعب الأنصاري[1]

ومنهم قرظة بن كعب رضي الله عنه، قلت قَرَظة بفتحتين، وظاء مشال، ابن كعب بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، ويُكنى أبا عمرو، كما في الإصابة، وشهد أحداً وما بعدها، ووجّهَهُ عمر رضي الله عنه سنة ثلاثة عشر إلى الكوفة يفقه الناس[2]. وصحح أنه فتح الري، وهو أمير الجيش، قلت: قال في الإصابة سنة ثلاث وعشرين، ثم ولي الكوفة في خلافة علي رضي الله عنه، ولكن لم يذكر في الإصابة[3] توليه على الكوفة، وروى عنه عامر ابن سعد والشعبي وعامر بن ربيعة ومات في الكوفة ودفن بها، قلت: نقل الشيخ ابن حجر العسقلاني في الإصابة عن أبي حاتم أنه سكن الكوفة وأنشأ بها داراً ومات في خلافة علي وصلّى عليه[4] ونقل عن ابن حبّان مثله، ثم اعترض بقوله وفيه نظر لما ثبت في صحيح مسلم من طريق علي ابن ربيعة أنه قال، أول من نيح عليه بالكوفة قرظة بن كعب، فقال المغيرة ابن شعبة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من نيح عليه، فإنه يعذّب بما نيح عليه يوم القيامة، وهذا يقتضي أن يكون قرظة مات في

---

(1) طبقات ابن سعد 6/ 10 والإصابة 3/ 223 وتاريخ الطبري 4/ 148 و499 و5/ 117.

(2) في الطبقات أنه أحد عشرة من الأنصار وجههم عمر بن الخطاب إلى الكوفة

(3) في الطبري 4/ 499 أن علياً ولاه الكوفة قبل مسيره إليها، وفي 5/ 17 ما يشير أنه تولى خراجها بعدئذ.

(4) الإصابة 3/ 223 والطبقات 6/ 10.

خلافة معاوية، حين كان المغيرة على الكوفة، لأن المغيرة كان في مدة الاختلاف بين علي ومعاوية مقيماً بالطائف، فقدم بعد موت علي، فولاه معاوية الكوفة بعد أن سلّم له الحسن الخلافة، وبذلك جزم ابن سعد، وقال مات بالكوفة والمغيرة وال عليها، ثم قال الشيخ: ووقع التصريح بان المغيرة كان يومئذ أمير الكوفة في رواية لمسلم، وفي رواية الترمذي فجاء المغيرة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال النوح في الإسلام، ثم ذكر الحديث، انتهى.

فيفهم مما نقلناه، أنه مات قبل الخمسين رضي الله عنه ورضى عنا به، آمين...

19 ـ محمد بن حاطب[1]

ومنهم محمد بن حاطب رضي الله عنه، هو محمد بن حاطب بن معمر القريشي الجمحي، ويكنى أبا القاسم وأبا إبراهيم، قلت وجزم ابن سعد بأن كنيته أبو إبراهيم، وهو أول من سمي في الإسلام محمد، قلت، ويقال أن أبويه هاجرا إلى الحبشة، وهو ولد بأرض الحبشة ومات أبوه بها، وقدمت به أمه إلى المدينة، وروي عنه أنه قال ولد قبل أن يصلوا إليها في السفينة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أمه وعن علي، وروي عنه أولاده إبراهيم وعمر والحارث وسماك بن حرب وآخرون، وتوفى في الكوفة سنة أربع وسبعين[2]، وفي الاستيعاب على ما نقله المؤلف أنه أصاب يده الحرق من الطعام الحار ليلة رجعت به أمه من الحبشة، فلما وصلت إلى المدينة أتت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح رأسه ودعا له بالبركة، ومسّ برضا به موضع الحرق وقال: اذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً، فعوفي من وقته، قلت وفي الإصابة روى عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب عن أبيه عن جده أنه قال: لما قدمنا من أرض الحبشة خرجت بي أمي إلى النبي صلى الله عليه

---

(1) الإصابة ت7767 والاستيعاب 3/ 1368 وشذرات الذهب 1/ 82 والمحبّر 153 و379 وقد عده من «أجواد الإسلام» ثم من «الحمقى المنجبين».

(2) وفي رواية ثانية سنة: 86هـ، وعند الزركلي في الاعلام سنة 74هـ/ 693م الاعلام 6/ 75.

وسلم فقالت: يا رسول الله هذا ابن أخيك، وقد أصابه هذا الحرق من النار، فادعوا الله له الحديث، وعنه أن أمه قالت: يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب، وهو أول من سمي باسمك، قالت فمسح على رأسك، ودعا لك بالبركة، انتهى، وإضافة الحرق إلى النار في أولى هاتين الروايتين يحتمل أن يكون على المجاز، لأنها السبب في حرارة الطعام إن صح ما نقله المؤلف عن الاستيعاب، والله أعلم بالصواب.

20 ـ وهب بن عبد الله[1]

ومنهم وهب بن عبد الله رضي الله عنه، قلت، هو أبو جحيفة بضم الجيم، وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة بن حبيب [السوائي][2] الصحابي، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر عمره، وحفظ عنه، ثم صحب علياً، وولاه شرطة الكوفة حين ولي الخلافة، وكان علي يسميه وهب الخير وفي صحيح البخاري عنه، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الحسن بن علي يشبهه، وأمر لنا بثلاثة عشر قلوصاً، فمات قبل أن نقبضها، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن علي وعن البراء بن عازب، وروى عنه ابنه عون والشعبي وأبو اسحاق وإسماعيل بن أبي خالد، وعلي بن الأرقم والحكم بن عيينة وآخرون، قال الواقدي مات في ولاية بشر[3] على العراق، وقال ابن حبان مات سنة أربع وسبعين، كذا في الإصابة، ولم يذكر مدفنه، ودفن في الكوفة، ونقل المؤلف عن الاستيعاب، أنه حضر يوماً في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد أكل من الثريد فوق الشبع، فتجشأ فقال له رسول الله صلى الله عليه

---

(1) طبقات ابن سعد 6/ 42، والإصابة 6063 والاستيعاب 4/ 1561 وأسد الغابة 5/ 95.

(2) في الأصل «السهواني» والسوائي نسبة إلى سُواءة بن عامر بن صعصعة، وفي الاستيعاب: واختلفوا في اسم أبيه، فقال بعضهم: وهب بن عبد الله بن مسلم، وقيل وهب بن جابر، وقيل وهب بن وهب.

(3) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، ولي إمرة العراقيين لأخيه عبد الملك سنة 74هـ أنظر: خزانة البغدادي 4/ 117 والمعارف 121.

وسلم، أكفف أو احبس عليك جشأك، يا أبا جحيفة فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة، فلم يأكل في الليل والنهار بعد ذلك إلا مرة، ولم يشبع بطنه، انتهى، رضي الله عنه ورضى عنا به آمين.

21 ـ الأشعث الكندي[1]

ومنهم أشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه، قلت: قال في الإصابة: بعد ذكر نسبه وهو أشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن ثور الكندي، يُكنى أبا محمد، قال ابن سعد، وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر في سبعين[2] راكباً من كندة، وكان من ملوك كندة، وهو صاحب مرباع حضرموت، قال ابن الكلبي، وأخرج حديثه البخاري ومسلم في الصحيح، وكان اسمه معدي كرب ولقب بالأشعث لكونه أشعث الرأس أبداً، وكان الأشعث قد ارتدّ فيمن ارتدَّ من الكنديين، وأُسر فأحضر إلى أبي بكر رضي الله عنه فأسلم فأطلقه وزوجه أخته أم فروة، قال الواقدي، حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال سمعت الأشعث بن قيس يقول لأبي بكر حين أتى به في الردّة استبقني لحربك وزوجني أختك، ففعل وروى الطبراني من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن حازم أنه قال، لما قُدم بالأشعث أسيراً على أبي بكر أطلق وثاقه وزوجه أخته، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل، فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلا عرقبه، فصاح الناس

---

(1) ترجمته في الطبقات 6/ 13 والمعارف 333 وشرح نهج البلاغة 1/ 292 وخزانة البغدادي 2/ 465 وتاريخ بغداد 1/ 196، وابن عساكر 3/ 64 والإصابة 1/ 66 والاستيعاب 1/ 133.

(2) في تاريخ الطبري 3/ 138 والاستيعاب 1/ 133 «في ستين راكب».

كفر الأشعث، فلما فرغ طرح سيفه وقال إني والله ما كفرت، ولكن زوجني هذا الرجل أخته، ولو كنا في بلادنا كانت وليمة غير هذه، يا أهل المدينة كلوا ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا شرواها، هذا ثم شهد الأشعث اليرموك بالشام، والقادسية وغزة والعراق، سكن الكوفة، وشهد مع علي صفين، قال خليفة وأبو نعيم وغير واحد مات بعد قتل علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسين[1] بن علي وقيل مات سنة اثنتين وأربعين، انتهى ملخصاً.

---

(1) كذا في الأصل، وفي طبقات ابن سعد 6/ 13، الحسن بن علي

22 ـ[1] أهبان بن أُوْس[2]

ومنهم أُهبان بن أوْس[3] رضي الله عنه، هو أهبان كعثمان بن أوس الأسلمي، صحابي وكان من أصحاب الشجرة، ورأى من معجزاته صلى الله عليه وسلم أن كلّمه ذئب يوماً وحرّضه على الإسلام فأسلم، وتشرف بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم، قلت قال في الإصابة روي، يعني البخاري في تاريخه من طريق أنيس بن عمر وعن أهبان بن أوس أنه كان في غنم له، فشدّ الذئب على شاة، فصاح عليه، فأقعى على ذنبه فخاطبني فقال من لها يوم تشغل عنها، قال البخاري إسناده صحيح ليس بالقوي لأن فيه عبد الله ابن عامر الأسلمي، وهو ضعيف: ثم قال وذكر ابن الكلبي وأبو عبيد الله والطبري أن مكلم الذئب هو أهبان[4] بن الأكوع بن عبادة، انتهى ملخصاً، وتوفي بالكوفة سنة ست ومائة ودفن بها، قلت هذا التاريخ إما من طغيان القلم أو من هذيان النم، فقد قال في الإصابة ناقلاً عن ابن حبان مات أهبان بن أوس في ولاية المغيرة بن شعبة، حيث كان والياً عليها لمعاوية، والله تبارك أعلم.

---

(1) المعارف 324 والإصابة 8/ 91 والاستيعاب 1/ 115.

(2) و (3) في الأصل (أويس) والتصويب من المعارف وغيره.

(4) أهبان بن الأكوع الأسلمي، أسلم وصحب النبي ﷺ وسكن الكوفة، وتوفي في خلافة معاوية ابن أبي سفيان (المعارف 323).

23 ـ البراء بن عازب الأنصاري[1]

ومنهم البراء بن عازب بن الحرث الأنصاري الأوسي، رضي الله عنه، قلت وكنيته أبو عمارة، وقيل أبو عمر، وله ولأبيه صحبة، قال أحمد حدثنا يزيد عن شريك عن أبي إسحاق عن البراء، أنه قال، استصغرني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنا وابن عمر فردنا ولم نشهدها، وقال أبو داود الطيالسي في مسنده، حدثنا شعبة عن أبي اسحق أنه سمع البراء يقول: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وروى عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء نحوه. وزاد وشهد أحداً[2] وروي عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة غزوة وفي رواية خمس عشرة، إسناده صحيح، وهو الذي افتتح الري سنة أربع وعشرين في قول أبي عمرو الشيباني، وخالف غيره، وشهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين وقتال الخوارج. ونزل الكوفة وابتنى داراً ومات في إمارة مصعب بن الزبير، وأرّخه ابن حبان سنة اثنين وسبعين، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبيه وأبي بكر وعمر وغيرهم من أكابر الصحابة. وروى عنه من الصحابة أبو جُحَيفة وعبد الله بن يزيد وآخرون من غيرهم كذا في الإصابة.

---

(1) طبقات ابن سعد جـ4 ق2 ص80 و 6/ 10 والمعارف 326 ومعجم البلدان (زنجان) ونكت الهميان 124 وفيه أنه كف بصره في أواخر أيامه، والإصابة 1/ 147 والاستيعاب 1/ 155.

(2) في سيرة ابن هشام 3/ 18 أنه فيمن ردهم رسول الله ﷺ يوم أحد، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة.

24 ـ جابر بن سمرة العامري[1]

ومنهم جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري رضي الله عنه، ويكنى أبا عبد الله له ولأبيه صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرج له أصحاب الصحيح[2] روى عنه سماك بن حرب وعامر الشعبي وغيرهما، نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفى سنة أربع وسبعين ودفن بها قلت وفي الإصابة، قال مسلم بن جنادة عن أبيه أنه صلى عليه عمرو بن حريث[3] رضي الله عنه ورضى عنا به.

---

(1) الإصابة 1/ 212 وتهذيب التهذيب والاستيعاب 1/ 224 وفيه جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب، وقيل جابر بن سمرة بن جنادة.

(2) روي له في كتب الحديث 146 حديثاً (الأعلام 2/ 104).

(3) عمرو بن حريث، الصحابي، مضت ترجمته.

25 ـ خالد بن عرفُطة[1]

ومنهم: خالد بن عرفُطة، رضي الله عنه، كان له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان حليف بني زهرة على ما قيل من أنه قدم مكة صغيراً فحالفهم، وولاه سعد القتال يوم القادسية وكان مع سعد بن أبي وقاص في فتوح العراق، روى عنه أبو عثمان النهدي[2] وعبد الله بن يسار ومسلم مولاه، وأبو اسحق وغيرهم، وعرفطة (أبوه بضم العين المهملة، والفاء بينهما راء ساكنة) ابن ابرهة (بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء).

---

(1) خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان العذري، من قضاعة حليف بني زهرة، استخلفه سعد بن أبي وقاص على القتال يوم القادسية، وشاركه في فتوح العراق وهو الذي قاتل الخوارج يوم النخيلة بعدما دخل معاوية الكوفة، وتوفي سنة 61هـ ونزل الكوفة وابتنى بها داراً فكان من رؤوس الأرباع أيام زياد

أنظر: طبقات ابن سعد ج4 ق2 ص74 و6/ 12، والإصابة 1/ 409 والاستيعاب 2/ 434

(2) في الاصل: الهندي.

26 ـ زيد بن أرقم[1]

ومنهم: زيد بن أرقم رضي الله عنه، وهو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الخزرجي الصحابي المشهور، واختلف في كنيته، قيل [أبو][2] عمرو وقيل أبو عامر، واستصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وقيل المريسيع[3]، وغزا مع النبي سبع عشرة غزوة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن علي رضي الله عنه، روي عنه أنس مكاتبة وأبو الطفيل وأبو عثمان النهدي وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم.

وله قصة في نزول سورة المنافقين، وشهد مع علي صفين، ومات بالكوفة أيام المختار سنة ست وستين، وقيل ثمان وستين ودفن بها، كذا في الإصابة.

---

(1) طبقات ابن سعد 6/ 18 وخزانة البغدادي 2/ 305 فيه أنه شهد صفين مع الإمام علي وهو معدود في خاصة أصحابه، والعبر 1/ 73 و76 وتهذيب التهذيب 3/ 394، توفي في الكوفة أيام المختار سنة 68هـ.

(2) ليست في الأصل، وفي الطبقات: يكنى بأبي أنيس، طبقات ابن سعد 6/ 18.

(3) المريسيع: في معجم البلدان: وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل، سار النبي، صلى الله عليه وسلم، في سنة خمس، وقال ابن اسحق: في سنة ست، إلى بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعاً، فوجدهم على ماء يقال له المريسيع، فقاتلهم وسباهم، وأنظر فيها كذلك، تاريخ الطبري 3/ 604 وسيرة ابن هشام 3/ 182.

قلت وأما قصته في نزول السورة، فهو ما ذكره البغوي في المعالم[1] حيث قال: ذكر محمد بن إسحاق وغيره عن جماعة من أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار[2]، أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليه، فبينما الناس على ذلك الماء إذْ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له مع بني [عبد مناف][3] يقال له جهجاه بن سعد[4] الغفاري يقود له فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر[5] الجهني حليف [بني] عوف ابن الخزرج على الماء فاقتتلا. فصرخ الجهني يا معشر الأنصار، وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين، وأعان جهجاه الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جُعال[6]، وكان فقيراً فغضب عبد الله بن أبيّ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن، فقال ابن أبيّ: أفعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ، يعني بالأعزّ نفسه، وبالأذلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أقبل على

---

(1) معالم التنزيل وأنظر كذلك: سيرة ابن هشام 3/ 182 وتاريخ الطبري 3/ 604.

(2) في الأصل: الحارث بن ضرار.

(3) كذا في الأصل، وفي سيرة ابن هشام 3/ 182 والطبري 3/ 604 من بني غفار وهو الصحيح كما سيأتي في لقبه.

(4) في الطبري، (سعيد)، وفي السيرة (مسعود)، وفي الإصابة 1/ 254 جهجاه بن سعيد، وقيل ابن قيس، وقيل ابن مسعود الغفاري، شهد بيعة الرضوان بالحديبية وذكر خبره في غزاة بني المصطلق.

(5) في الأصل: دبراء، والتصويب، من تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد 2/ 64.

(6) لم يرد اسم (جمال) في الطبري وسيرة ابن هشام، وكلاهما يروي عن ابن إسحاق.

من حضر من قومه، ثم قال، هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جُعال وذويه فضل الطعام،لم يركبوا رقابكم ولتحوّلوا إلى غير بلادكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عن محمد، فقال زيد بن أرقم، أنت والله الذليل المبغض في قومك، ومحمد في عزّ من حول الرحمن ومودة من المسلمين، فقال عبد الله بن أبيّ: أسكت، أسكت، فإنما كنت ألعب، فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال دعني أضرب عنقه يا رسول الله[1]، فقال كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولكن أَذِّنْ بالرحيل في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبيّ فأتاه، فقال: أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني، فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيداً لكذاب وكان عبد الله في قومه شريفاً عظيماً، فقال: من حضر من الأنصار من أصحابه، يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم[2] في حديثه، ولم يحفظ ما قاله، فعذره النبي صلى الله عليه وسلم، وفشت الملامة في الأنصار لزيد وكذّبوه، وقال له عمُّه وكان زيد معه: ما أردت أن كذّبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك، وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم، فاستحى بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم، فلما استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار لقيه أسيد بن حضير[3]، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا رسول الله، لقد رحت

---

(1) في الطبري وسيرة ابن هشام، وعنده عمر بن الخطاب (رض)، فقال: مرّ عباد بن بشر فليقتله.

(2) يقال وهم في كذا، إذا أسقط وأخطأ، ومثل «أوهم»، انظر لسان العرب 3/ 994.

(3) أسيد بن الحضير بن سماك الأوسي، صحابي، من سادات الأوس في الجاهلية والإسلام، من العقلاء وذوي الرأي، شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد أحداً فجرح سبع جرحات وثبت مع رسول الله، ومات =

في ساعةٍ منكرة، ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قاله صاحبكم عبد الله بن أبيّ، قال وما قال، قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذل، قال أسيد، فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال يا رسول الله أرفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه ينظمون له الخرز[1] ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ما كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه بلغني إنك تريد قتل عبد الله بن أبيّ لما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالديه مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشي في الأرض فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا: قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم حتى آذتهم الشمس ثم نزل الناس فلم يكن إلا وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي بالأمس من حديث عبد الله بن أبي، ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها، وضاعت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ليلاً فقال رسول صلى الله عليه وسلم، لا تخافوا فإنما هبّت لموت عظيم من عظماء اليهود، توفي بالمدينة، قيل من هو قال: رفاعة بن زيد بن التابوت، فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته، ألا يخبره الذي كان يأتيه بالوحي، فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق، وبمكان الناقة، وأخبر بذلك

= في المدينة سنة 20هـ أو21هـ وأخباره كثيرة في طبقات ابن سعد والإصابة1/ 64 والاستيعاب1/ 94 وصفة الصفوة.

(1) في الأصل «الحزن» والتصويب من الطبري وسيرة ابن هشام.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما أزعم إني أعلم الغيب، وما أعلمه ولكن الله يخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب، قد تعلق زمامها بشجرة، فخرجوا يسعون قبل الشعب، فإذا هي كما قال، فجاؤا بها، وآمن ذلك المنافق، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم، وكان من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين، فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، قال زيد بن أرقم، جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء، فانزل الله سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد وقال: يا زيد إن الله صدقك وكذب المنافقين وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى أناخ على مجامع طريق المدينة، فلما جاء عبد الله بن أُبَيّ، قال وراءك، قال ما لك ويلك قال: والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولتعلمنّ اليوم من الأعزّ من الأذلّ، فشكى عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خلّ عنه يدخل، فقال: أما إذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل، فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات، وقالوا لما نزلت الآية وبان كذب عبد الله بن أبي، قيل له يا أبا حباب إنه قد نزل فيك آيٌ شداد، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد، فنزل «**وإذا قيلَ لَهُمْ تَعَالوا يستغفِر لَكُم رسُولُ اللهِ لووا رُؤُسهم ورأيتهم يصدقون وهم مستكبرون**»[1] انتهى.

(1) سورة المنافقون الآية 5.

27 ـ زيد بن خالد الجهني[1]

ومنهم زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه وكنيته قيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو طلحة قلت وقيل أبو زرعة، وله الرواية[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم، قلت، وعن عثمان وأبي طلحة وعائشة رضي الله عنها، كما في الإصابة، وروى عنه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[3]، وابناه خالد وأبو حرب، ومولاه أبو عمرة وآخرون، وشهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح وكان من أصحاب علي وشهد معه صفين، ومات سنة ثمان وسبعين بالكوفة ودفن بها قلت: قال في الإصابة، قال ابن البرقي وغيره سنة ثمان وستين وقيل مات قبل ذلك في خلافة معاوية بالمدينة، والله تبارك وتعالى أعلم.

---

(1) طبقات ابن سعد حـ4 ق2 ص66 والإصابة 1/ 565 والاستيعاب 2/ 549 وعبر الذهبي 1/ 76 (وفيات سنة ثمان وستين) و1/ 89 (وفيات سنة ثمان وسبعين) قال: وفيها على الأصح، زيد بن خالد الجهني بالكوفة، وله خمس وثمانون سنة. وهو من مشاهير الصحابة وفي الاستيعاب: اختلف في وقت وفاته اختلافاً كثيراً قيل توفي سنة 86 وهو ابن خمس وثمانين، وقيل بل مات بمصر سنة خمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وقيل توفي بالكوفة في آخر خلافة معاوية...الخ.

(2) له في كتب الحديث (81) حديثاً (الأعلام 3/ 58).

(3) عبيد الله عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أحد فقهاء المدينة السبعة، روى الحديث عن وجوه الصحابة، وكان يقول الشعر توفى سنة 198 أو 199هـ ترجمته في الأغاني وطبقات ابن سعد 5/ 186 طبقات الأعيان 1/ 183 ونكت الهميان ص198، وأنظر مجموع شعره، في مجلة البلاغ الأعداد 6و7 لسنة 1980 جمع مهدي عبد الحسين النجم.

28 ـ سعيد بن حريث المخزومي[1]

ومنهم سعيد بن حريث رضي الله عنه، هو ابن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي الصحابي شهد فتح مكة وهو إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة[2]، وروى عنه أخوه عمرو[3] بن حريث، قلت روى ابن ماجد وابن أبي عاصم من طريق عبد الملك بن عمير عن عمرو بن حريث عن أخيه سعيد بن حريث أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من باع عقاراً أو داراً ولم يجعل ثمنها في مثلها لم يبارك له فيه، انتهى، وسكن الكوفة ومات بها قلت نقل في الإصابة موته في الكوفة عن ابن مندة ثم قال وقيل قتل بالحرة قاله أبو عمرو[4]، انتهى ولم تؤرخ سنة وفاته.

---

(1) طبقات ابن سعد 6/ 14 والإصابة 2/ 43 والاسيعاب 2/ 613 وذكره ابن قتيبة في المعارف ص393 في ترجمة أخيه عمرو.

(2) في الطبري 3/ 60 إنه قَتَلَ يوم فتح مكة عبد الله بن خطل، أحد الذين أهدر رسول الله دمهم.

(3) عمرو بن حريث، مضت ترجمته.

(4) في الأصل أبو [عمرو] والتصويب من الإصابة 2/ 43.

29 ـ سهل بن أبي حثمة[1][2]

ومنهم سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه قلت، وسهل بن أبي حثمة بن ساعدة بن عامر بن عدي الأنصاري الأوسي الصحابي، واختلف في اسم أبيه، فقيل عبد الله وقيل عامر وذكره المؤلف مصغّراً، وهو تحريف، ولد سنة ثلاث من الهجرة، حدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحدّث عن زيد بن ثابت ، وروى عنه ابنه محمد، وابن أخيه محمد بن سليمان، ونافع بن جبير، وسكن الكوفة ومات بها في زمن مصعب بن الزبير ودفن بها ، قلت، وقيل أنه مات في أول خلافة معاوية، ونقل المؤلف عن الاستيعاب أنه روي عن ابنه أن أباه سهلاً ، بايع تحت الشجرة، وشهد المشاهد إلاّ بدراً، وكان دليل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أحد،

قلت ونقل الشيخ ابن حجر العسقلاني في الإصابة[3] مثل هذا عن ابن أبي حاتم، ونقل عن ابن القطان القول بأنه لا يصح هذا لإطباق الأئمة على أنه كان ابن ثماني سنين أو نحوها عند موت النبي صلى الله عليه وسلم، منهم ابن منده، وابن حبّان وابن السكن والحاكم والطبري، ثم قال: والذي يظهر لي أن اشتبه على من شهد المشاهد إلا بدراً الخ بسهل

---

(1) الإصابة 1/ 85 والاستيعاب 2/ 661.

(2) في الأصل «خيثمة» والتصويب من الإصابة والاستيعاب.

(3) الإصابة 1/ 85.

بن الحنظلية[1] فإنه الذي وصف بما ذكره ويقال بأن الموصوف بذلك أبوه وهو الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم [خارصاً]، وكان الدليل إلى أحد.

(1) سهل بن الحنظلية، واسم أبيه الربيع أو عبيد وقيل عقيب بن عمرو الخزرجي، أنظر ترجمته في الإصابة 2/ 85 والاستيعاب 20/ 662، وفيهما أنه سكن الشام ومات بدمشق.

30 ـ أبو حنيفة النعمان بن ثابت[1]

ومنهم مقتدانا الأقدم وإمامنا الأعظم، رأس العلماء العاملين، ورئيس الأئمة المجتهدين أبو حنيفة، نعمان بن ثابت الكوفي، جوزي عنا خير الجزاء وكوفي، وهو نعمان بن ثابت بن كاوس بن هرمز ويتصل بخمسين ظهراً إلى ابن نبي الله يعقوب عليه السلام، وقيل يصل نسبه إلى أحد مشاهير كابل يسمى زوطا.

قلت، ذكر الدميري في حياة الحيوان[2] نسبه فقال هو نعمان بن ثابت

---

(1) ترجمته في طبقات ابن سعد ح7 ق2 ص67 وتاريخ بغداد 13/ 323 والوفيات 50/ 405 والنجوم الزاهرة 2/ 12 والبداية والنهاية 10/ 107 والجواهر المضيئة 1/ 26 ونزهة الجليس 2/ 176 ومرآة الجنان 1/ 309 والعبر 1/ 214 وشذرات الذهب 1/ 227.
والأعلام 8/ 36، وبروكلمان 3/ 235 وضحى للإسلام 2/ 176.
وألف عنه كثيرون منهم:ـ
أبو القاسم بن عبد العليم القريني «قلائد عقود الدرر والعقبان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان» وقد أخذ عنه المؤلف، وتوجد منه نسخ مخطوطة في الموصل وبرنستون ودمشق ذكرها بروكلمان 3/ 263. وقال الزركلي (الأعلام 5/ 5) طالعته في خزانة السيد حسن حسني عبد الوهاب بتونس. ومحمد بن علي بن يوسف الدمشقي «عقود الجمان» نسخة منه في مكتبة باتنه برقم 2454 والموفق بن أحمد المكي المتوفى سنة 568 «مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة طبع ولمحمد بن محمد الكردي «مناقب الإمام الأعظم» طبع في حيدر آباد 1321هـ وعفيفي أحمد: «حياة الإمام أبي حنيفة» طبع في القاهرة 1350هـ، وعبد الأول الجونبوري «النوادر المنيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة» طبع على الحجر في جونبور 1310 ومحمد أبو زهرة «أبو حنيفة: حياته وعصره وآراؤه وفقهه» ط القاهرة.

(2) الدميري: حياة الحيوان الكبرى 1/ 231.

بن زوطا[1] ابن ماه انتهى، قال أبو القاسم بن عبد العليم في كتابه[2] الذي ألّفه في مناقب الإمام أبي حنيفة أنه ولد سنة ثمانين[3] على القول الأصح في قرن الأصحاب الذي هو خير القرون بعد قرن النبي صلى الله عليه وسلم، قلت، قال الإمام عبد الوهاب الشعراني في طبقاته، وكان في زمنه أربعة من الصحابة، أنس بن مالك[4] وعبد الله بن أوفى[5] وسهل بن سعد[6] وأبو الطفيل[7] وهو آخرهم موتاً، ولم يأخذ عن أحد منهم، انتهى.

وقال علاء الدين[8] في الدر المختار في مقدمته الموضوعة أمام الشروع في الشرح وقد ثبت أن ثابتاً والد الإمام أدرك الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدعا له ولذريته بالبركة[9]، وصح أن أبا حنيفة سمع الحديث من سبعة من الصحابة كما بسط في آخر «منية المفتي» وأدرك بالسن نحو عشرين صحابياً كما بسط في (أوائل الفتيا). وذكر العلامة شمس

---

(1) في الأصل «روطا» بالراء.

(2) هو كتاب «قلائد العقود والعقبان في مناقب الإمام أبن حنيفة النعمان» وهو مخطوط ذكرنا مواضع نسخه.

(3) وفي الوفيات 5/ 405 «وقيل سنة 61» وفي مروج الذهب 3/ 240 أنه توفي سنة 150هـ وهو ابن تسعين سنة.

(4) أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، أسلم صغيراً، وخدم رسول الله إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم، فرحل إلى دمشق ثم إلى البصرة ومات فيها سنة 93هـ، روى عنه رجال الحديث 2286 حديثاً (طبقات ابن سعد 7/ 10 وتهذيب ابن عساكر 3/ 139 والجمع بين رجال الصحيحين 35).

(5) أنظر الترجمة رقم(10).

(6) سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري، من بني ساعدة، صحابي، له في كتب الحديث 188 حديثاً توفى سنة 91هـ عن نحو مائة عام (الإصابة، ت3526 والأعلام 3/ 143).

(7) أبو الطفيل، هو عامر بن واثلة بن عبد الله الكناني، أحد فرسان كنانة وشعرائها وسادتها، ولد يوم أحد وتوفى بمكة سنة 100هـ (طبقات ابن سعد 5/ 338 وخزانة البغدادي 2/ 91).

(8) علاء الدين الطرابلسي، علي بن محمد، عالم بالقراآت، من فضلاء الحنفية له «سكب الأنهر» والمقدمة العلائية (الأعلام 5/ 13)

(9) الخبر في الوفيات 5/ 45 وبعده: والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الفالوذج في يوم المهرجان النيروز.

الدين محمد أبو النصر بن عريشاه الأنصاري الحنفي في منظومته الألفية المسماة بجواهر العقائد ودرر القلائد ثمانية من الصحابة ممن روي عنهم الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمة الله عليه وعليهم أجمعين حيث قال:

معتقداً مذهب عظيم الشأن ... أبو حنيفة الفتى النعمان
التابعي سابق الأئمة ... بالعلم والدين سراج الأمة
جمعاً من أصحاب النبي أدركا ... أثرهم قد اقتفى وسلكا
طريقة واضحة المنهاج ... سالمة من الضلال الداجي
وقد روى عن أنس وجابر ... وابن أبي أوفى كذا عن عامر
أعني أبا الطفيل ذا ابن واثلة ... وابن أنيس الفتى وواثلة
عن بن جزء وقد روى الإمام ... وبنت عجرد وهي التمام
قد رضي الله الكريم دائما ... عنهم وعن كل الصحابة العظما

انتهى، وقال في كتاب «**نزهة الأبرار في مناقب الأخيار**» إن الإمام أبا حنيفة روى عن أنس قوله صلى الله عليه وسلم «**الساعي للخير كفاعله وإن الله يحب إغاثة اللهفان**» انتهى، ونظم الإمام العلامة أبو بكر ابن علي بن محمد سبعة من الصحابة الذين روى عنهم الإمام فقال:

إن الإمام أبا حنيفة قد روى عن سبعة من خير صحب محمد

أنس وواثلة ومعقل جابر وابنا أنيس وجزء وابنة عجرد

قيل أن الإمام أتته امرأة تسأله عن مسألة فقهية وهو يومئذ مشتغل بتحصيل علم الكلام فلم تفز بجواب شاف منه، فذهبت إلى حماد[1] فسألته عنها فأجابها بما يشفي غليلها فرجعت إلى أبي حنيفة وأخبرته بذلك فتشوق الإمام إلى علم الفقه فأتى إلى حماد وجعل يستفيد ويتعلم الفقه فلم يلبث

---

(1) هو أبو إسماعيل حماد بن أبي سليمان الأشعري، المتوفى سنة 120هـ، صاحب إبراهيم النخعي، من الفقهاء المحدثين، كانت له حلقة كبيرة في مسجد الكوفة، أنظر العبر 1/ 151 وضحى الإسلام 2/ 182.

إلا وقد فاق الأقران، وأشير إليه بالبنان، وصار أول من استنبط الأحكام وأسس قواعد الاجتهاد، وذكر في كتاب (جامع اليسير) أن أبا حنيفة رأى فيما يراه النائم أن ينبش مرقد النبي صلى الله عليه وسلم، فقُصّت على ابن سيرين فقال صاحب هذه الرؤيا يظفر بأوفر نصيب من العلم وينشر علمه على صفحات الدنيا، وبالجملة كان عالماً ملأ علمه الخافقين، وعاملاً كاد عمله يعجز الثقلين قال الكمال الدميري في حياة الحيوان[1]، قال الشافعي: قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة، قال نعم رأيت رجلاً لو كلّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته، وكان الشافعي يقول: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى محمد بن إسحاق في المغازي وعلى الكسائي في النحو وعلى مقاتل بن سليمان في التفسير، وكان أبو حنيفة إماماً في القياس وصلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، قلت: ونقل عن عبد الله بن المبارك رضي الله عنه أنه قال صلى أبو حنيفة الصلواة الخمس أربعين سنة بوضوء واحد، وكان عامة ليله يقرأ القرآن في كل ركعة واحدة، وكان يبكي في الليل حتى يرحمه جيرانه، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة، ولم يفطر منذ ثلاثين سنة، ولم يكن يعاب بشيء سوى قلّة العربية حكى[2] أن أبا عمرو بن العلاء سأله عن القتل بالمثقل أهو يوجب القَوَد، فقال لا على قاعدة مذهبه، خلافاً للإمام الشافعي، فقال أبو العلاء، ولو قتله بالمنجنيق، فقال ولو قتله بأبا قبيس، يعني الجبل المطل على مكة، وقد اعتذر عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يعرب الأسماء الستة بالألف في الأحوال الثلاثة وأنشدوا على ذلك

أن أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

وهي لغة الكوفيين، وأبو حنيفة من أهل الكوفة، انتهى.

---

(1) كمال الدين الدميري: حياة الحيوان الكبرى 1/ 231.

(2) وفيات الأعيان 5/ 410 وتاريخ بغداد 13/ 362 وحياة الحيوان 1/ 231.

وفي تاريخ بغداد[1] ووفيات الأعيان[2] أن أبا حنيفة كان له جار اسكافي، فيعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلاً تعشى، ثم يشرب فإذا دبّ الشراب تغنى بهذا البيت فقال:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغرِ[3]

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وأبو حنيفة يسمع جلبة كل يوم وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل له أخذه العسس منذ ليال، فصلى أبو حنيفة الفجر من غداة ثم ركب بغلته وإلى دار الأمير[4] واستأذن عليه فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير من مجلسه، فقال له ما حاجتك، فشفع في جاره فقال الأمير، أطلقوه، وكل من أخذ من تلك الليلة إلى هذا اليوم، فخلوهم أيضاً يذهبوا فركب أبو حنيفة بغلته والإسكافي يمشي خلفه فقال له أبو حنيفة يا فتى هل أضعناك، فقال بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيراً من حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل.

وكان لا يقبل الهدايا والعطايا من الملوك والأكابر ويتعيّش من كسبه الحلال، وكما كان ينفق على نفسه وأهله للمطعم والملبس كان ينفق مثله على العلماء والفقهاء.

وحكى الإمام الصيمري عن مصعب بن خارجة على ما نقله المؤلف أنه كان قصد بيت الله الحرام وعنده جارية، فأودعها الإمام أبا حنيفة وسافر إلى مكة فأقام فيها أربعة أشهر ثم رجع إلى الكوفة، فاستخبره عن الجارية وأطوارها، فقال والله ما أبصرتها ولا سمعت صوتها، فأخذ

(1) و (2) تاريخ بغداد 13/ 362 ووفيات الأعيان 5/ 410 والخبر أيضاً في الأغاني .1/ 428 وحياة الحيوان 1/ 231.

(3) البيت للعرجي، عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان (الأغاني1/ 396).

(4) هو عيسى بن موسى كما في الأغاني 1/ 396.

الجارية واستكشفها عن الإمام فقالت: لم يكن يفتر ساعة لا في الليل ولا في النهار عن العبادة والمجاهدة، فلم يُر مثله عابداً ولا وجد نظيره زاهداً، وكان لا ينام الليل وسموه الوتد لكثرة صلاته، وكان دائماً نومه ساعة بين الظهر والعصر وفي الشتاء ساعة أول الليل، ويروى أنه كان في اليوم والليلة يختم القرآن وكان يختمه في شهر رمضان ستين مرة وقد حقق على ما قاله المؤلف أن رجلاً من اليهود قال للإمام تعريضاً أن نبيكم قال علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، معجزات شتى وأنت أحد علماء أمته وقد صعدت مصاعد الاجتهاد وفزت برتبته فهل تقدر أن تحضر طعاماً من الغيب ومائدة تزيل بها عني الريب، فلما اختبر اليهودي الإمام بذلك المقال فجعل الإمام يطرق باب المولى بأيدي الابتهال وقال الهي ليس مطلبي وأنت أعلم علو الشان، بل تصديق نبيك صلى الله عليه وسلم بصادق البرهان لتزول شبهة عدو الدين في هذا النبي الكريم الأمين، فإذا هو بطعام قد حضر، ما ذاق قبله بشر، فقال اليهودي: أيها الإمام أثت بما قلت إن كنت صادق الكلام، فدعا اليهودي وبسط كف الضراعة، فحضر على النمط المذكور طعام في تلك الساعة، فتفكر الإمام في هذه الحال، وتفرق منه البال، وترقب من الغيب للإلهام، فبادر اليهودي وقد سبقته العناية إلى الأعلام، وقال إني تشفعت بك في دعائي، وتوسلت بك إلى الله في رجائي، فتقبل مني، ولم يخيّب ظني، فأعلن بكلمتي الشهادة، ونال بأهله وأولاده شرف الإسلام والسعادة.

قلت: ويقرب من هذا ما قاله سيدي عبد الوهاب الشعراني في طبقاته، أنه كان له جار يهودي، وكان قصبة خلائه تنضح على بيت الإمام أبي حنيفة، فمكث عشر سنين وهو يكنس كل يوم ما نزل في داره منها ويذهب به إلى الكوم، ولم يعلم اليهودي قط، فبلغ ذلك اليهودي فبكى وجاء وأسلم، انتهى وقال في الدر المختار، قال إسماعيل بن أبي رجاء، رأيت محمداً في المنام، فقلت له ما فعل الله بك، قال غفر لي، ثم قال: لو أردت أن أعذب ما جعلت هذا العلم فيك، فقلت له: أين أبو يوسف،

فقال: فوقنا بدرجتين، قلت فأبو حنيفة، قال هيهات ذاك أعلى عليّين، كيف وقد صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وحج خمساً وخمسين حجة، ورأى ربه في المنام مائة مرة، ولها قصة مشهورة، وفي حجته الأخيرة، استأذن حجبة الكعبة للدخول ليلاً، فقام بين العمودين على رجله اليمنى ووضع اليسرى على ظهرها حتى ختم نصف القرآن، ثم ركع وسجد، ثم قام على رجله اليسرى ووضع اليمنى على ظهرها حتى ختم القرآن، فلما سلم بكى وناجى ربه وقال: الهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك لكن عرفك حق معرفتك، فهب نقصان خدمته لكمال معرفته، فهتف هاتف من جانب البيت يا أبا حنيفة، عرفتنا حق المعرفة، وخدمتنا فأحسنت الخدمة، وقد غفرنا لك ولمن تبعك ممن كان على مذهبك إلى يوم القيامة، وقيل لأبي حنيفة بم بلغت ما بلغت؟ قال ما بخلت بالإفادة وما استنكفت عن الاستفادة، وقال مسعر بن كدام[1]، من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوت أن لا يخاف وقال فيه:

حسبي من الخيرات ما أعددته ... يوم القيامة في رضى الرحمن
دين النبي محمد خير الورى ... ثم اعتقادي مذهب النعمان

وعنه عليه الصلاة والسلام: أن آدم افتخر بي وأنا أفتخر برجل من أمتي اسمه نعمان وكنيته أبو حنيفة وهو سراج أمتي، وعنه عليه الصلاة والسلام، أن سائر الأنبياء يفتخرون بي، وأنا أفتخر بأبي حنيفة من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني، كذا في التقدمة شرح مقدمة أبي الليث قال: في الضياء المعنوي، وقول ابن الجوزي أنه موضوع فإنه تعصب لأنه روى بطرق مختلفة، وروى الجرجاني في مناقبه لسهل بن عبد الله الدستوائي أنه قال لو كان في أمة موسى وعيسى مثل أبي حنيفة لما تهوّدوا

(1) مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي الرزاسي، من ثقات أهل الحديث، كوفي، توفى بمكة سنة 152هـ أو 155هـ أنظر تهذيب التهذيب 10/ 113 وحلية الأولياء 7/ 209 والمعارف 211 والكواكب الدرية 168 والأعلام 7/ 216.

ولما تنصّروا، ومناقبه أكثر من أن تذكر وصنّف فيها سبط بن الجوزي مجلدين كبيرين وسماه «**الانتصار لإمام أئمة الأمصار**» وصنّف غيره أكثر من ذلك.

والحاصل: أن أبا حنيفة النعمان من أكبر معجزات النبي بعد القرآن، وحسبك من مناقبه اشتهار مذهبه، ما قال قول إلا أخذ به إمام من الأئمة الأعلام، وقد جعل الله الحكم لأصحابه وأتباعه من زمنه إلى هذه الأيام إلى أن يحكم بمذهبه عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو كالصديق رضي الله عنه، له أجره وأجر من دون الفقه وألّفه وفرّع أحكامه على أصوله العظام إلى يوم الحشر والقيام، وهذا يدل على أمر عظيم به من بين سائر العلماء الكرام، كيف لا وقد اتبعه على مذهبه كثر من الأولياء الكرام ممن اتصف بباب المجاهدة، وركض في ميدان المشاهدة، كإبراهيم بن أدهم[1] وشقيق البلخي[2]، ومعروف الكرخي[3]، وأبي يزيد البسطامي[4]، وفضيل بن عياض[5]، وداود الطائي[6] وأبي حامد اللقاني، وخلف بن أيوب، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح[7]، وأبي بكر الوراق وغيرهم

(1) إبراهيم بن أدهم، سيترجمه المؤلف.

(2) شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، من الزهاد المتصوفين، سيترجمه المؤلف.

(3) معروف الكرخي، سيترجمه المؤلف فيما بعد، وانظر الاعلام 7/ 269.

(4) أبو يزيد البسطامي، طيفور بن عيسى البسطامي، نسبة إلى بسطام (بلده ما بين العراق وخراسان) من الزهاد توفي سنة 261هـ، وأخباره كثيرة في وفيات الأعيان وطبقات الصوفية 67 وحلية الأولياء 10/ 33 وميزان الاعتدال 1/ 481 والأعلام 5/ 153.

(5) فضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، شيخ الحرم المكي من كبار الزهاد الصلحاء، ولد في سمرقند، ودخل الكوفة، ثم سكن مكة وتوفى بها سنة 187هـ، وترجمته في طبقات الصوفية 6 وتذكرة الحفاظ 1/ 225 والجواهر المضيئة 1/ 409 وصفة الصفوة 2/ 134.

(6) داود الطائي، سيترجمه المؤلف.

(7) وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي، أبو سفيان، ولد بالكوفة وبها تفقه وحدث، وكان زاهداً ورعاً أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع، له مؤلفات منها «تفسير القرآن» (والسنن) توفي سنة 197هـ، أنظر: تذكرة الحفاظ 1/ 282 وحلية الأولياء 8/ 368 ومفتاح السعادة 2/ 117 والجواهر المضيئة 2/ 208 وتاريخ بغداد 13/ 466.

ممى لا يحصى له عدة، فلو وجدوا شبهةً في مذهبه ما اتّبعوه ولا اقتدوا به ولا وافقوه، وقد قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في رسالته مع صلابة في مذهبه وتقدمه في هذه الطريقة، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصرابادي، وقال أبو القاسم أنا أخذتها من الشبلي، وهو أخذها من السري السقطي، وهو أخذها من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة، كلٌّ منهم أثنى عليه وأقرَّ بفضله، فعجباً لك يا أخي، ألم تكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادة الكبار أكانوا متهمين في هذا الاقرار والافتخار؟ وهم أئمة هذه الطريقة، وأرباب الشريعة والحقيقة ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع، وكل من خالف ما اعتمدوه مردود ومبتدع وبالجملة: ليس أبا حنيفة في زهده وورعه وعبادته وعلمه وفهمه بمشارك، ولقد أجاد فيما قال فيه ابن المبارك.

لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفة

بأحكامٍ وآثارٍ وفقهٍ ... كآيات الزبور على صحيفه

فما في المشرقين له نظير ... ولا بالمغربين ولا بكوفة

يبيت مشمّراً سهر الليالي ... وصام نهاره لله خيفة

فمن كأبي حنيفة في علاه ... إمام للخليقة و الخليفة

رأيت العائبين له سفاهاً ... خلاف الحق مع حجج ضعيفة

وكيف يحلّ أن يؤذي فقيه ... له في الأرض آثار شريفة

وقد قال ابن إدريس مقالاً ... صحيح النقل في قلم لطيفة

بأن الناس في فقه عيال ... على فقه الإمام أبي حنيفة

فلعنة ربنا تعداد رمل ... على من رد قول أبي حنيفة

انتهت عبارة الدرر بحروفها، ومما يدل على وفور علمه وكمال فطنته وفهمه ما نقل أن امرأة جاءته وهو في الدرس، فألقت إليه تفاحة نصفها أحمر ونصفها أصفر، فأخذها وكسرها وأعادها عليها ففهمت المرأة الجواب، فقال: قالت إنها ترى الحمرة والصفرة فمتى تغتسل،

فقلت لها حتى ترى الطهر الأبيض كباطن التفاحة، وروي أن رجلين دخلا الحمام يغتسلان، وقد أودعا عند الحمامي دراهم، ثم خرج أحدهما ولبس ثيابه وأخذ الدراهم من الحمامي وذهب ثم خرج الآخر ولبس ثيابه وادعى الدراهم، فتحيّر الحمامي ولم يدر ما يصنعه، فأتى إلى أبي حنيفة وقص عليه القصة، فقال له، قل له أنت وصاحبك قد أودعتماني الدراهم، فلا بد من إحضاره حتى أسلمكما إياها، فرجع وقال له ذلك، فبهت ومضى وقوع أمثال ذلك أكثر من أن يحصى، ومناقبه وفضائله أجل من أن تستقصى واشتهر أن الفقه الأكبر ورساله في الصرف شهيرة بالمقصد للإمام أبي حنيفة، وأنكره كثيرون والله أعلم، كان رضي الله عنه حسن الخلق والوجه، مربوع القامة، حسن اللحية، حسن الثياب، محمود الآداب، طلق اللسان، سريع البيان، كثير الكرم والمواساة لإخوانه، طيب الرائحة، كان يعرف بطيب الريح إذا أقبل وإذا خرج من داره، وكان رضي الله عنه يقول: ما صليت قط إلا ودعوت لشيخي حماد، وكان رضي الله عنه تعالى لا يجلس في ظل جدار غريمه، ويقول كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا، وأكره رضي الله عنه على تولية القضاء وضرب على رأسه ضرباً شديداً أيام مروان فلم يل ولما أطلق [قال] كان غم والدتي أشد عليّ من الضرب، وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا ذكر ذلك بكى وترحم عليه، ثم أكرهه أبو جعفر المنصور بعد ذلك وأشخصه من الكوفة فأبى وقال لا أكون قاضياً فحبسه وتوفي في السجن، وأخرجه المنصور مرات من الحبس، ويتوعده وهو يقول: يا منصور اتق الله تعالى ولا تول إلا من يخاف الله تعالى، والله ما أنا مأمون في الرضا فكيف أكون مأموناً في الغضب، ويقال أنه تولى القضاء يومين وثلاثة ثم مرض ستة أيام ثم مات، وقال ابن الجوزي رحمه الله، دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعر وشريكا ليوليهم القضاء، فقال أبو حنيفة: أخمن فيكم تخميناً، أما أنا فأحتال وأتخلص، وأما مسعر فيتحامق ويتخلص وأما سفيان فيهرب، وأما شريكا فيقع، وكان الأمر كما قال، فأما احتيال أبي حنيفة فقيل أنه قال

للمنصور: لست أهلاً للقضاء، فقال له بل أنت أهل، له، فقال: إن صدقت فذاك وإن كذبت فالكاذب ليس بمأمون على الأحكام الشرعية، فلا يتأهل للقضاء، وكان من تحامق مسعر أن قال للمنصور لما دخل عليه: كيف أنت وكيف عيالك وكيف دوابك، وكيف حميرك فقال: أخرجوه فإنه مجنون، وهرب سفيان، ووقع شريك في حبالة القضاء.

هذا وتوفى رضي الله عنه ببغداد سنة مائة وخمسين، وهو ابن سبعين سنة، ويروى أنه لما قبض سُمع هاتف يهتف وينشد هذين البيتين:

يا قائم الليل كثير الصيام   يا صائم الدهر خطير المقام

أجازك الله بما تبتغي   من جنة الخلد ودار السلام

ودفن في بغداد في الجانب الغربي منها في موضع يسمى بالخضريّة (بفتح الخاء والضاد على ما ذكره المجد في القاموس، وهو الموضع الذي يزار به قبره الآن ويتبرك به القاصي والداني، وأول من بنى عليه القبة أبو سعيد وزير الملك السلجوقي بناها سنة تسع وأربعمائة وربط لها أوقافاً وافية، ثم لما فتح الأراضي السلطان سليمان وقدمها جدد بناء المرقد، وضاعف له الأوقاف وزيد، ولما كان المرقد وما في حواليه من البيوت والبساتين تهدم وتضمحل بسبب تسلط ماء دجلة عليها، حيث إنها واقعة بقربها، صدر الفرمان السلطاني والأمر الخاقاني من السلطان بن السلطان أبو الفتوح محمد خان إلى وزيره الأكرم عمر باشا المفخّم سنة خمس وثمانين وألف ببناء سديد ومسنّى مشيّد، فبنى الوزير المشار إليه سدّاً طوله خمسماية ذراع وعمقه خمسة عشر ذراعاً وعرضه أربعة أذرع، وعمر أيضاً القبة الحنيفة وبنى ما يحتاج إليه من الترميم فكمل ذلك سنة اثنين وتسعين وألف بعد الهجرة

قلت: وفي سنة ألف ومائتين ونيف ذهّب منارته الوزير الخطير سليمان باشا الكبير وحكى له بعض الأكابر في السن أن الذي كان يعمل ذهب المنارة رجل من العجم يقال له ميرزا ربيع فبينما هو يشتغل مع عملته

وإذا بأحد عماله زلق رجله من قطع الخشب الموضوعة تحتهم فهوى إلى الأرض ودخل رجله بين خشبتين فأمسكه طرفاهما فبقي معلقاً لم يسقط إلى الأرض فأخذوه وأعادوه على ما كان، فأخبروا بذلك كتخذا أحمد باشا، فقال لميرزا ربيع النقاش، أنظر إلى إمامنا وكرامته كيف أغاث فتاك وأجاره من الهلاك، وحفظ لكم حرمة الخدمة والعمل ولو بأجرة، فاعرف هداك فإن تهتد فما رأيته كفاك.

ولنختم الكلام بذكر سندنا المتصل إلى الإمام، تحدثاً بالنعمة، وتبركاً بذكر أسامي مشائخنا الأئمة، فأقول حامداً الله ومستعيناً به، ومصلياً على رسوله وحبيبه، نروي الفقه المنسوب إلى إمامنا أبي حنيفة النعمان هطلت عليه سحائب الرضوان، عن شيخي يحيى أفندي المزوري العمادي عامله الله بلطفه الخفي والبادي، وهو عن الشيخ محمد الكزبري[1] وهو عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري[2]، وهو عن صفوة الأولياء ذي السر القدسي الشيخ عبد الغني[3] النابلسي، وهو عن والده الشيخ إسماعيل[4] النابلسي وهو عن العاملين العاملين الشيخ أحمد الشوبري والشيخ حسن الشرنبلالي[5] صاحب الحاشية على الدرر والغرر برواية الشوبري عن مشايخ الإسلام عمر بن نجيم صاحب النهر الفائق كنز الدقائق والشمس

---

(1) الشيخ محمد الكزبري، بن عبد الرحمن بن محمد فقيه (شافعي) اشتغل بالحديث، ودرس في دمشق، وتوفي سنة 1221هـ/ 1806م (الأعلام 6/ 198).

(2) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري، من أهل دمشق، توفي بمكة حاجاً سنة 1262هـ 1846/ م، (الأعلام 3/ 333).

(3) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي، شاعر ومتصوف، ولد في دمشق سنة 1050هـ، ورحل إلى بغداد وتنقل في بلاد الشام، وتوفي بدمشق سنة 1143هـ/ 1731م ومؤلفاته كثيرة سلك الدرر 3/ 30 والأعلام 4/ 32.

(4) إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، ولد بدمشق سنة 1017هـ/ 1608م، وكان فقيهاً، أديباً، شاعراً، توفي بدمشق سنة 1062هـ/ 1652م (الأعلام 1/ 317).

(5) حسن الشرنبلاوي: حسن بن عمار الشرنبلاوي، نسبه إلى شيرى بلولة، ولد سنة 994هـ ورحل إلى القاهرة وهو صغير، وتعلم في الأزهر، ثم درّس فيه، ومؤلفاته كثيرة، توفي بالقاهرة سنة 1069هـ/ 1659م (الأعلام 2/ 208).

الحانوتي[1] صاحب الفتاوى والشيخ علي المقدسي[2] شارح نظم الكنز ورواية الشرنبلالي عن مشايخ الإسلام عبد الله النحريري والشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن المسيري، والشيخ محمد بن أحمد الحموي، والشيخ محمد المحي براوايةكل واحد من مشايخ الشوبري والشرنبلالي عن الشيخ أحمد بن يوسف الشبلي صاحب الفتاوى المشهورة، وهو عن عبد الله[3] البر بن الشحنة وهو عن الكمال ابن الهمام وصاحب فتح القدير وشرح الهداية، وعن السراج قاريء الهداية، وهو عن الشيخ علاء الدين السيرافي، وهو عن السيد الجليل جلال الدين الكبير وهو عن الإمام عبد الستار محمد الكردي، وهو عن الشيخ الإمام برهان الدين علي صاحب الهداية، هو عن الإمام فخر الدين البزدوي[4]، وهو عن شمس الأئمة الحلواني[5]، وهو عن القاضي أبي علي النسفي[6]، وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل البخاري، وهو عن الإمام عبد الله السبذموني[7]، وهو عن الإمام الأمير عبد الله بن حفص البخاري، وهو عن أبيه، وهو عن

---

(1) الشمس الحانوتي، محمد بن عمر، شمس الدين، فقيه حنفي، من أهل القاهرة، توفي سنة 1010هـ/ 1610م (الأعلام 6/ 317).

(2) علي بن محمد بن علي المقدسي، فقيه حنفي، من أهل القاهرة، توفي سنة 1004 هـ / (الأعلام 5/ 12 وخلاصة الأثر 3/ 180 والبدر الطالع 1/ 491).

(3) ابن الشحنة: عبد الله بن محمد بن محمد، أبو البركات المعروف بابن الشحنة، فقيه حنفي، ولد بحلب وانتقل إلى القاهرة، وتولى القضاء فيها، توفى سنة 921هـ ومؤلفاته كثيرة (معجم المؤلفين 6/ 140).

(4) فخر الإسلام البزدوي، علي بن محمد بن الحسين، أبو الحسن، فقيه حنفي، نسبته إلى (بزدة) قلعة بغرب نسف له تصانيفها، الأعلام 4/ 328.

(5) شمس الأئمة الحلواني، عبد العزيز بن أحمد بن نصر الحلواني البخاري، فقيه حنفي، توفي في كش ودفن في بخارى سنة 448هـ، الجواهر المضيئة 1/ 318 والأعلام 4/ 13.

(6) الحسين خضر النسفي، قاض من فقهاء الحنفية، من سكنة بخارى وأقام ببغداد، ومات في بخارى سنة 424هـ (الفوائد البهية 66 والأعلام 2/ 255).

(7) في الأصل (السندموني) وهو عبد الله بن محمد بن يعقوب السبذموني نسبة إلى قرية (سبذمون) في بخارى، رحل إلى خراسان والحجاز والعراق وصنف (مسند أبي حنيفة) توفى سنة 340هـ 952م، (الجواهر المضيئة 1/ 289 والفوائد البهية 105 والأعلام 4/ 120).

الإمام محمد بن حسن الشيباني[1]، وهو عن الإمام أبي حنيفة النعمان، صاحب المذهب، وهو عن حماد[2]، وهو عن إبراهيم النخعي[3]، وهو عن علقمة[4]، وهو عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود[5] رضي الله عنه وعنهم أجمعين وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ونرويه أيضاً قراءة وأجازه عن المرحوم حسين أفندي الكركوكي الفقيه مدرس الأحمدية في بغداد، فقرأت عليه الكنز وربعاً من الهداية وشرح السراجية للسيد الشريف في الفرائض، فأجاز لي بالرواية عنه وهو عن المرحوم أحمد أفندي الشهير بالطبقلجلي بسنده المتصل إلى الإمام، ونرويه أيضاً قراءة وأجازه عمن رباني بصفاء العلوم وأنا طفل صغير الحاج درويش أفندي البغدادي أمين الفتوى عامله الله في دار الآخرة بما يهوى، وهو عن حسين أفندي المذكور، وعن الحاج موسى الشهير بالسميكة بسنده إلى الإمام رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار وحشرهم تحت لواء النبي المختار آمين يا رب العالمين..

---

(1) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، مولاهم، أحد أئمة الفقه والأصول، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة وأخذ من أبي حنيفة ونشر علمه، وخرج مع الرشيد إلى خراسان فمات بالري سنة 189هـ تاريخ بغداد 2/ 172 ووفيات الأعيان 4/ 184.

(2) هو حماد بن أبي سليمان الأشعري، أبو إسماعيل، فقيه الكوفة، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وكان سرياً محتشماً صدوقاً، لزمه أبو حنيفة مدة طويلة، توفي سنة 120هـ، أنظر (العبر 1/ 151 وضحى الإسلام 2/ 151).

(3) إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي، تابعي، من أهل الكوفة ومن مشاهير الأئمة، توفي سنة 95هـ (وفيات الأعيان 1/ 25 وطبقات ابن سعد 6/ 270).

(4) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الهمداني، تابعي، كان فقيه أهل العراق، ولد في حياة النبي، وروى عن الصحابة، وشارك في معارك الفتوح وشهد صفين وسكن الكوفة، وفيها توفي سنة 62هـ (تاريخ بغداد 12/ 296 وحلية الأولياء 2/ 98)

(5) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، من أكابر الصحابة فضلاً وعلماً وقرباً من رسول الله ولي بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة، وعاد إلى المدينة أيام الخليفة عثمان وفيها توفي سنة 32هـ الاعلام 4/ 137.

31 ـ الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق[1]

ومنهم الإمام موسى الكاظم رضي الله تعالى عنه، هو موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين، سابع الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية يكنى أبا الحسن وأبا إبراهيم، ويلقب بالكاظم لكثرة حلمه وتجاوزه، وكان مشهوراً بين أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأسناهم، قال ابن خلكان في تاريخه نقلاً عن الخطيب البغدادي[2]، وكان موسى المذكور يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده.

روى أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدة في أول الليل وهو يقول في سجوده عظم الذنب من عندي فليحسن العفو من عندك، يا أهل المغفرة، وجعل يكررها حتى أصبح، وكان سخياً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار،

---

(1) ترجمته في مروج الذهب: 2/ 280 ومقاتل الطالبين 332 والبداية والنهاية 10/ 183 وصفة الصفوة 1/ 103 ومنهاج السنة 2/ 115: الأئمة الاثنا عشر 87 ووفيات الأعيان 5/ 308 وتاريخ بغداد 3/ 27 وميزان الاعتدال 4/ 201 ومنهاج السيد 2/ 115 والعبر 1/ 287 وتاريخ ابن خلدون 4/ 115 وفرق الشيعة 81 ونور الأبصار 142 وعمدة الطالب ص196 ولمحمد باقر شريف القرشي: حياة الإمام موسى بن جعفر.

(2) وفيات الأعيان 5/ 308 وتاريخ بغداد 13/ 27.

وكان يصر الصرر ثلثمائة وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها في المدينة وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد وحبسه فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: يا محمد فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، قال الربيع[1] فأرسل اليّ ليلاً فراعني ذلك،فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً، فقال: عليّ بموسى بن جعفر، فجئته به، فعانقه وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقرأ علي كذا، فتؤمنني من أن تخرج علي أو على أحدٍ من أولادي، فقال والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال: صدقت، قال لي اعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى أهله بالمدينة، قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو في الطريق خوفاً من العوائق[2]، وأقام بالمدينة إلى أيام الرشيد، فقدم الرشيد المدينة منصرفاً من عمرة شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة، فقدم فحمل موسى معه إلى بغداد، وحبسه بها إلى أن توفى في حبسه، وذكر أيضاً أن الرشيد حج وأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحوله قريش وأبناء القبائل ومعه موسى بن جعفر، فقال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي، افتخاراً على من حوله، فقال موسى: السلام عليك يا أبتي، فتغير وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا ابن الحسن، انتهى[3] ما نقله عن الخطيب، قلت أن الرشيد لم يتحمل هذه المقابلة منه بالمفاخرة، وكانت سبباً لإمساكه وحمله إلى بغداد وحبسه فلم يخرجه من حبسه إلا ميتاً، وقال ابن خلكان عقب نقله لكلام الخطيب، وقال المسعودي في مروج الذهب[4] في أخبار

---

(1) الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، من موالي بني العباس، استوزره المنصور ثم المهدي، وصرفه الهادي وولاه دواوين الأزمة، توفي سنة 169هـ، (وفيات الأعيان 2/ 294 وتاريخ بغداد 8/ 414).

(2) الخبر في تاريخ بغداد 13/ 30 ووفيات الاعيان 5/ 308.

(3) الخبر في وفيات الأعيان 5/ 309 وتاريخ بغداد / 30.

(4) مروج الذهب 2/ 274، والخبر في الوفيات 5/ 309 نقلاً عنه.

الرشيد أن عبد الله بن مالك[1] الخزاعي كان على دار الرشيد وشرطته فقال أتاني رسول الرشيد وقتاً ما جائني فيه قط، فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك، فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد، فأذن لي في الدخول عليه، فدخلت، فوجدته قاعداً على فراشه، فسلّمت فسكت، ساعة، فطار عقلي وتضاعف الجزع عليّ ثم قال: يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، فقال إني رأيت الساعة في منامي كأن علياً[2] أتاني ومعه حربة فقال: إن خليت عن موسى الكاظم وإلا نحرتك بهذه الحربة، فاذهب وخلّ عنه، قال، فقلت: أطلق موسى بن جعفر ثلاثاً، قال: نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر واعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب وإن أردت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك قال: فمضيت إلى الحبس لإخراجه، فلما رآني موسى وثب قائماً، وظن أني أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف قد أمرني بإطلاقك وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول. إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك لك وأعطيته ثلاثين ألف درهم وخليتُ سبيله، وقلت له، لقد رأيت من أمرك عجباً، قال: وإني مخبرك، بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا موسى حُبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقلت: بأبي وأمي ما أقول، فقال قل: يا سامع كل صوت، ويا سابق كل فوت، ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حكيماً ذا أناه لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً، فرج عني فكان ما ترى انتهى ما قاله ابن خلكان، قلت ولا منافاة بين هذه وبين ما ذكره الخطيب

---

(1) في الأصل (ملك) والتصويب عن مروج الذهب.

(2) كذا في الأصل وفي الوفيات والمروج «حبشياً».

من أنه مات في حبس هارون الرشيد لا مكان تعدد الحبس، بأن جعل الله غشاوة على بصيرة هرون ومنعه الاعتبار بما رأى من الرؤيا لإنفاذ أمره تعالى.

ومن نوادره ما قاله في الصواعق[1] أن سأله الرشيد: كيف قلتم أنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أبناء علي، فتلا قوله تعالى «**ومن ذريته داود وسليمان إلى أن قال وعيسى**» وليس له أب، وأيضاً قال الله تعالى، فمن حاجك من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم، ولم يدع النبي صلى الله عليه وسلم[2] غير علي وفاطمة والحسن والحسين، فكان الحسن والحسين هما الأبناء.

قال في الصواعق ومن باهر كراماته ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي[3] وغيرهما عن شقيق البلخي، أنه خرج حاجاً إلى بيت الله الحرام سنة مائة وتسع وأربعين فرآه في القادسية منفرداً عن الناس، فقال في نفسه، هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس لأمضينَّ إليه ولأوبخه، فمضى إليه فقال: يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن...الآية، فأراد أن يحالِلَهُ فغاب عن عينه، فما رآه إلا بالواقصة يصلي وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تتحادر، فجاء إليه ليعتذر، فخفف في صلاته، فقال: وإني لغفار لمن تاب...الآية، فلما نزلوا رحاله رآه على بئر سقطت فيه ركوته فدعا فطاف له الماء فأخذها فتوضأ فصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل فطرح منه فيها وشرب فقال له أطعمني من فضل ما رزقك الله، فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك، قال فناولنيها فشربت فإذا سويق وسكر ما رأيت والله ألذّ منه ولا أطيب ريحاً منه،

(1) الصواعق المحرقة ص121.

(2) بعده في الصواعق «عند مباهلته النصارى».

(3) في الأصل الرامهزي، والتصويب عن الصواعق.

فشبعت وأقمت أياماً لا أشتهي شراباً ولا طعاماً ثم لم أره إلا بمكة بغلمان وحاشية على خلاف ما كان عليه في الطريق.

ولما حج الرشيد سعي به إليه وقيل له أن الأموال تحمل إليه من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار، فغضب عليه، وأنفذه الأمير بالبصرة عيسى بن جعفر بن المنصور فحبسه سنة ثم كتب له الرشيد بدمه، فاستعفى وأخبره انه لم يدع على الرشيد وإنه إن لم ترسل من يتسلّمه خلّى سبيله، فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسندي بن شاهك، جد كشاجم الشاعر بتسلمه، وأمره فيه بأمره، فجعل له سماً في طعامه وقيل في رطب فتوعّك ومات بعد ثلاثة أيام، انتهى ما قاله الشيخ ابن حجر في الصواعق.

وذكر عزيز أفندي في تاريخه على ما نقله المؤلف، أن هارون الرشيد أناب إلى الله في آخر عمره وتاب من اجترائه على أولياء الله تعالى، وجعل يراعي العلماء الأكابر، ويرغب إلى أعمال البر، وما نقل في روضة الصفا، يؤيد خبر توبة هارون من أنه أوصى ابنه المأمون وقال يا بني إن موسى الكاظم إمام الخواص وخليفة على الأرواح، ونحن إمام العوام وخلفاء الأشباح، ولكون الملك عقيماً صدر مني ما صدر، وأنت يا بني لازم ابنه علي الرضا ولا تألُ جهداً في توقيره واحترامه، قيل قال المأمون منذ أوصاني أبي أتولى محبة أهل البيت النبوي، وابتدر إلى إكرامهم وأعرف منازلهم، هذا وكانت ولادته يوم الثلاثاء، قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ببغداد ودفن في الشونيزية في مقابر قريش في الجانب الغربي، وقبره معروف يزار وعليه مشهد عظيم فيه من الذهب والفضة ما يكثره الناظرون.

هذا قلت ونقل عنه أنه أوصاه أبوه جعفر الصادق وصايا ليس عنها غنى، فلنذكرها وهي: يا بني احفظ وصيتي تعش سعيداً، يا بني، من قنع بما قسم له استغنى، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلّة نفسه استعظم زلة

نفسه، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن داخل السوء اتهم، يا بني قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة، فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، يا بني: إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، انتهى.

ولد جعفر هذا سنة ثمانين وقيل سنة ثلاث وثمانين، وتوفى سنة مائة وثمان وأربعين في المدينة ودفن بالبقيع.

32 ـ الإمام محمد الجواد[1]

ومنهم محمد الجواد رضي الله عنهن وهو محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم رضي الله عنهم، تاسع الأئمة الاثني عشر، يكنى بأبي جعفر الثاني[2] ويلقب بالجواد والتقي، وذكر في تاريخ ابن خلكان أنه رضي الله عنه كان يروي مسند أئمة آبائه إلى علي رضي الله عنهم أنه قال بعثني رسول الله صلى اله عليه وسلم إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني يا علي ما خاب من استخار ولا ندم من استشار، يا علي عليك [بالدلجة][3] فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا علي بكر فإن الله أعدّ وبارك لأمتي في بكورها[4]، هذا ومن غريب كلامه أنه قال: من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة، وقال: اثنان عليلان صحيح محتم وعليل مخلط، وقال يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 4/ 175 والأئمة الاثنا عشر، ومرآة الجنان 2/ 80 وتاريخ بغداد 3/ 54 ومنهاج السنة 2/ 127 ونور الأبصار 154 وشذرات الذهب 2/ 84 والنجوم الزاهرة 2/ 231 ونزهة الجليس 2/ 69 وفيه «ولادته سنة خمس وسبعين ومائة» ولعله من خطأ النساخ لأن أكثر الذين ترجموه ذكروا أنه توفي وعمره خمس وعشرون سنة ومروج الذهب 2/ 365.

(2) لمحمد بن وهبان الديبلي كتاب في سيرته سماه «أخبار أبي جعفر الثاني» أراد بالأول محمد الباقر بن علي بن الحسين.

(3) في الأصل: الدجلة.

(4) كذا في الأصل وفي الوفيات «يا علي أغدُ باسم الله، فإن الله بارك لأمتي في بكورها».

وقال: العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم.

قال في روضة الصفا، حكي عن رجل من العقلاء أنه قال: كنت في العراق وسمعت برجل في الشام ادّعى النبوة فحبسه الحاكم، فسافرت إلى الشام لاستعلم حاله وإنه من هو، فدخلتها وجعلت أسأل عن محبسه إلى أن دخلت عليه، فوجدته رجلاً وقوراً عاقلاً كاملاً، فاستخبرته عن شأنه، فقال: أنا رجل فقير من أهل الشام، كنت أسكن في الجامع الذي أودعوا فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنه، وأشتغل بالعبادة فيه، وبينما أنا كذلك إذا بفتى ظهر لي في ليلة من الليالي، فقال لي أقبل، فأقبلت، فمضى، فقفوت أثره، فمشينا قليلاً، وإذا نحن بمسجد الكوفة، فدخلناه فأخذ يصلي فاقتديت به، وصلينا ثم مشينا قليلاً، فرأيت المدينة ودخلناها وزرنا الروضة المطهرة ثم كذلك دخلنا مكة وطفنا فغاب الفتى من عيني، فرأيت نفسي وأنا في الشام في مكاني، ثم في السنة الثانية وقعت لي مثل تلك الواقعة بعينها غير أني سئلت عنه بمكة قبل أن يغيب من عيني، فقيل لي بأنه محمد بن علي الرضا، فقصصتها لبعض أصدقائي فانتشر خبرها في الشام إلى أن وصل إلى واليها فأمر بإحضاري بين يديه فأتوا بي إليه فاتهمني باني أدعي النبوة وحبسني كما ترى، قال الناقل فكتبت قصته في رقعة ورفعتها إلى والي الشام أتشفّع فيه فأجاب، ما بال من يسيره في ليلة واحدة إلى كوفة ومكة والمدينة لا يُخرجه من الحبس فساءني خطابه وكدرني جوابه، قال الراوي فمررت يوماً بباب السجن لأسأل عن حاله، فرأيت السجانين محبوسين مقيدين، فاستكشفت أحوالهم، فقالوا إن الرجل المدّعي للنبوة قد غاب من السجن، فغضب علينا الوالي فحبسنا، انتهى.

قال في الصواعق[1] ومما اتفق أنه بعد موت أبيه بسنة وهو واقف والصبيان يلعبون في أزقة بغداد إذ مر المأمون ففرّوا ووقف محمد وعمره تسع سنين فألقى الله محبته في قلبه، فقال يا غلام، ما منعك من

---

(1) الصواعق المحرقة ص123.

الانصراف، فقال له مسرعاً يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه عليك، وليس لي جرم فأخشاك، والظن بك حسن لا تضر من لا ذنب له، فأعجبه كلامه وحسن صورته، فقال له: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال له محمد بن علي الرضا فترحم على أبيه وساق جواده، وكان معه بزاة للصيد، فلما بعد عن العمارة أرسل بازه على دراجة فغاب عنها، ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة، وبها بقاء الحياة، فتعجب من ذلك غاية التعجب، فرجع فرأى الصبيان على حالهم، ففروا إلا محمد، فدنا منه وقال ما في يدي؟ فقال يا أمير المؤمنين، إن الله خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً يصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى، فقال: أنت ابن الرضا حقاً، فأخذه معه وأحسن إليه وبالغ في إكرامه، فلم يزل مشفقاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عقله وظهور برهانه على صغر سنه، وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل، فصمم على ذلك، فمنعه العباسيون خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه، فذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه على كافة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنه، فتنازعوا في اتصاف محمد بذلك ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره، فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم، ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً فحضروا الخليفة ومعهم ابن أكثم وخواص الدولة، فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد، فجلس عليه فسأله يحيى عن مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه، فقال له الخليفة، أحسنت يا أبا جعفر، فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة، فقال له: ما تقول برجل نظر إلى امرأة أول النهار حراماً ثم حلّت له عند ارتفاعه ثم حرمت عليه عند الظهر ثم حلّت له العصر ثم حرمت عليه المغرب ثم حلت له العشاء، ثم حرمت عليه نصف الليل ثم حلت له الفجر، فقال يحيى: لا أدري، فقال محمد: هي أمة نظرها أجنبي بشهوة وهو حرام، ثم اشتراها ارتفاع النهار ثم أعتقها الظهر وتزوجها العصر، وظاهر منها المغرب وكفر العشاء وطلقها رجعياً نصف الليل وراجعها الفجر، فعند ذلك قال المأمون للعباسيين، قد عرفتم ما كنتم تنكرون ثم زوجه في ذلك المجلس ابنته أم الفضل ثم توجه بها إلى

المدينة، فأرسلت تشتكي منه لأبيها أنه تسرّى عنها، فأرسل إليها أبوها انا لم نزوجك لنحرم عليه حلالاً، فلا تعودي لمثله، انتهى وأقام بالمدينة إلى أن ولي المعتصم الخلافة فقدم بزوجته أم الفضل بنت المأمون إلى بغداد بطلب من المعتصم فتوفى بها وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم فجعلت مع حرمه، وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان وقيل منتصف سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفى يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين[1] ببغداد وصلى عليه الواثق بن المعتصم، ودفن عند جده موسى الكاظم في مقابر قريش، وعلى قبرهما قبتان مطليتان بالذهب رضي الله عنهما.

(1) وفي مروج الذهب 2/ 1365 أنه توفى سنة تسع عشرة ومائتين.

33 ـ الإمام علي الهادي[1]

ومنهم الإمام علي الهادي رضي الله تعالى عنه، هو بن محمد الجواد المذكور قبله، عاشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، يكنى أبا الحسن ويلقب بالهادي والتقي والزكي ويعرف بالعسكري، قلت: العسكري منسوب إلى العسكر، وهو سر من رأى، سميت بالعسكر لأنه بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره، قيل لها العسكر، وانما نسب إليها لأنه لما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل أحضره من المدينة، وكان مولده بها وأمره بالإقامة في سر من رأى فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر وتوفي بها، كان رضي الله عنه جامعاً لأشتات الفضائل موصوفاً بأحسن الخصائل وأبهى الشمائل بالغاً أقصى مراتب السخاء والكرم بحيث كان من باب جوده يعد حاتم أقل خدم، وبالجملة، كانت مناقبه لا يفي ببيانها الفم ولا يقوم بتحريرها القلم، ولد يوم الأحد ثالث عشر رجب وقيل يوم عرفة سنة أربع وقيل ثلاث عشرة ومائتين، ذكر ابن خلكان في تاريخه[2] أنه سعي به إلى المتوكل وقيل إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب

---

(1) وفيات الأعيان 3/ 272 وتاريخ اليعقوبي 3/ 225 وعمدة الطالب ص199 ونور الأبصار 164 والصواعق 123 وتاريخ بغداد 12/ 56 ونزهة الجليس 2/ 82 والأئمة الاثنا عشر: 107.

(2) وفيات الأعيان 3/ 272 والخبر في مروج الذهب 2/ 396 ونور الأبصار 166.

الأمر لنفسه، فوجه إليه ناساً من الأتراك ليلاً، فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه وحده في البيت وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة يتلو آيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ على تلك الهيئة، وأتي به إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه وهو يستعمل الشراب وفي يده كأس، فلما رآه ولم يتحقق ما ذكر عنه أجلسه بجنبه، ولما لم ير حجة عليه ناوله الكأس الذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني منه فأعفاه وقال له أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إني لقليل الشعر[1]، فقال لا بد أن تنشدني فأنشده:

باتوا على قُلَلِ الأجبال تحرسهم	غُلْبُ الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم	فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعدما قبروا	أين الأسرّة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فأشفق من حضر على علي فظن أن بادرة تبدر إليه، فبكى المتوكل طويلاً حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضر، ثم امر برفع الشراب ثم قال: يا أبا الحسن أعليك دين، قال: نعم أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه وردّه إلى منزله مكرّماً، وقال في الصواعق[2] ما نصه وكان وارث أبيه علماً وسخاءً، ومن ثمة جاءه أعرابي من أعراب الكوفة وقال: إني من المتمسكين بولاء جدك، وقد ركبني دين أثقلني حمله، ولم أقصد لقضائه سواك، فقال كم دينك قال: عشرة آلاف درهم، فقال

---

(1) في الوفيات ومروج الذهب: إني لقليل الرواية للشعر.

(2) الصواعق المحرقة: 123 ونور الأبصار: 166.

طب [نفساً][1] بقضائه إن شاء الله تعالى، ثم كتب ورقة فيها ذلك المبلغ ديناً عليه، وقال ائتني بها في المجلس العام وطالبني بها، واغلظ علي في الطلب ففعل، فاستمهله ثلاثة أيام فبلغ ذلك المتوكل فأمر له بثلاثين ألف درهم، فلما وصلته أعطاها الأعرابي، فقال: يا ابن رسول الله، إن العشرة آلاف أقضي بها أزلي، فأبى أن يسترد منه الثلاثين شيئاً، فولى الأعرابي وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته، ذكر في روضة الصفا أن رجلاً من محبيه يدعى بصالح قال له حين أحضره المتوكل من المدينة وأمر باقامته في سر من رأى: أن المتوكل ما أتى بك من المدينة إلى هذه البقعة الموحشة ومأواك فيها مع ناس غير عارفين بمكانتك إلا لإخفاء قدرك وقصد خمولك، فقال رضي الله عنه: هيهات يا صالح، إنك لم تنتبه بعد من سنة الغفلة، وأشار بيده إلى جهة فرأى صالح في تلك الجهة أبنية منيعة، وقصوراً رفيعة، وأنهاراً جارية ذات لجّة وحدائق ذات بهجة، فقال: يا صالح: أينما كنت فهذا مكاني، وأين ما حللت فهذا مثواي، وحكى أن المتوكل مرض من قرحة كانت فيه، فأعيت الأطباء معالجتها، وأشرف المتوكل على الهلاك، فنذرت أمه للإمام مالاً كثيراً، واتفق أن رجلاً من خواص الخليفة يقال له الفتح بن خاقان حضر مجلسه رضي الله عنه، فاستدعى أن يصف للخليفة دواء، فعسى الله أن يشافيه به فوصف له دواء، فأخذ حضار المجلس يضحكون مستهزئين بما وصفه من الدواء، فقام الفتح من عنده وعالج قرحة الخليفة بذلك الدواء على سبيل التجربة، فشافاه الله تعالى وبرىء من ساعته فأرسلت إليه أمه ألف ألف دينار والله أعلم.

وتوفى سنة أربع وخمسين ومائتين في جمادى الآخرة، وقيل في رجب بسر من رأى ودفن بها، عاش أربعين سنة ومات عن أربعة ذكور

---

(1) الزيادة من الصواعق ص123.

وأنثى آجلّهم الحسن وسيأتي ترجمته، قلت وسر من رأى بلد على عشر ساعات من بغداد، وقال في القاموس وسر من رأى بضم السين والراء أي سرور، وبفتحهما وبفتح الأول وضم الثاني، وسامراء ومده البحتري في الشعر وكلاهما لحن (وسر من رأى) بلد لما شرع في بنائه المعتصم ثقل ذلك على عسكره فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها فلزمها هذا الاسم، والنسبة سر من ريّ وساميّ وسري انتهى، ويقال لها سراء بضم السين وتشديد الراء ممدوداً على ما ذكره المجد في القاموس قبل ما نقلنا.

34 ـ الإمام الحسن العسكري[1]

ومنهم الإمام الحسن العسكري رضي الله عنه، وهو الإمام حسن بن علي الهادي المذكور قبله حادي عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، يكنى أبا محمد، ويلقب بالخالص والمنير والزكي والسراج، ويعرف بالعسكري، قال في الصواعق[2] وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري قلت ليس في تاريخه ما يدل على أنه جعل هذا هو العسكري، فإنه قال في ترجمته ويعرف بالعسكري وأبوه علي أيضاً يعرف بهذه النسبة، ثم قال وإنما نسب إليها لأن المتوكل شخص أباه علياً الهادي وقام عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب هو وولده هذا إليها، وكذا قال في ترجمة أبيه علي الهادي ويعرف بالعسكري، انتهى.

ولد سنة اثنين وثلاثين ومائتين على ما ذكر في الصواعق[3]، واتفق لبهلول[4] إنه رآه في بعض أزقة سر من رأى وهو صبي يبكي والصبيان

---

(1) وفيات الأعيان 2/ 94 ونور الأبصار 166 ونزهة الجليس 2/ 120 ومروج الذهب 2/ 473 والعبر 2/ 20 والصواعق 124.

(2) الصواعق المحرقة ص124.

(3) الصواعق المحرقة 2/ 95.

(4) بهلول بن عمرو، أبو وهيب الصيرفي، سيترجمه المؤلف، وأخباره في الوافي للصفدي والبيان والتبيين 2/ 230 ونزهة الجليس، وفيها أن وفاته كانت سنة 190هـ وفوات الوفيات =

يلعبون، فظن بهلول أنه يتحسر على فقده ما في أيديهم، فقال له أشتري لك ما تلعب به؟ فقال: يا قليل العقل، ما للعب خلقنا، فقال: لماذا خلقنا؟ قال للعلم والعبادة، فقال له: من أين عرفت ذلك؟ قال: من قول الله عز وجل، أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون، قال له بهلول يا بني إني أراك حكيماً فعظني، فأنشأ يقول شعراً:

أرى الدنيا تجاهر بانطلاق — مشمرة على قدمٍ وساق

فلا الدنيا بباقية لحي — ولا حي على الدنيا بباق

كان الموت والحدثان فيها — إلى نفس الفتى فرسا سباق

فيا مغرور بالدنيا رويداً — ومنها خذ لنفسك بالوثاق

ثم رمق إلى السماء بعينيه وأشار إليها بكفه ودموعه تنسكب على خديه، وخرّ مغشياً عليه، فرفع بهلول رأسه إلى حجره ونفض التراب من وجهه فلما أفاق قال له: أي بني ما نزل بك، وأنت صغير لا ذنب لك، فقال: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدتي توقد الحطب الكبار فلا توقد إلا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم[1]، فلما فرغ من كلامه وقع بهلول مغشياً عليه، وانصرف هو فأفاق بهلول ولم يره، فسأل الصبيان عن نسبه، قيل له هو من أولاد الحسين بن علي رضي الله عنهما، ومن عترة النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، فقال ما يكون مثل هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة، قال في الصواعق، ولما حبس قحط الناس بسر من رأى قحطاً شديداً، فأمر الخليفة المعتمد بن المتوكل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا، فخرج النصارى ومعهم راهب، كلما مد يده إلى السماء هطلت، ثم في اليوم الثاني كذلك فشك بعض الجهلة، وارتد بعضهم، فشق ذلك على الخليفة فأمر بإحضار الحسن

= 1/ 228 وفيها أن وفاته كانت سنة 184هـ وبذلك يكون بين وفاته وتاريخ ولادة الإمام العسكري أكثر من (40) سنة.

(1) إلى هنا ينتهي النقل عن الصواعق ص124 ولم ترد فيه الأبيات إنما قال (فوعظه بأبيات).

الخالص وقال له أدرك أمة جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قبل أن يهلكوا، فقال الحسن يخرجون غداً وأزيل الشك إن شاء الله تعالى وكلم الخليفة في إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم له، فلما خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى غيمت السماء، فأمر الحسن بالقبض على يده، فإذا فيها عظم آدمي، فأخذه من يده وقال له استسق فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس فعجب الناس من ذلك، فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد، فقال هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف من عظم نبي تحت السماء إلا وهطلت السماء بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما ذكر وزالت الشبهة عن الناس، ورجع الحسن إلى داره وأقام عزيزاً مكرماً وصلات الخليفة تصل إليه كل وقت إلى أن مات بسر من رأى، انتهى.

وذكر في شواهد النبوة ما حاصله أنه نقل من أحد بني أعمامه يقال له محمد بن علي بن إبراهيم أنه قال اشتدّت بنا الفاقة فقال لي أبي يا محمد إن الحسن الخالص ملأ صيتُ جوده السماء والأرض ، وانتشر ذكر إحسانه في الطول والعرض، لو نقصده فيزيل فاقتنا، قال فعزمنا وذهبنا إليه وانا حدثت نفسي وأطمع أن يعطي أبي خمسمائة درهم ليصرف منها مائتي درهم إلى ما يحتاج إليه من الكسوة ومائتين درهم إلى مؤونة البيت يبقى مائة درهم نستعين بها على سعة العيش، وأن يعطي لي ثلثمائة درهم أشتري بمائة درهم منها دابة وبمائة درهم ما يلزم من أدوات السفر وأجعل المائة الباقية رأس المال أتجر بها إلى الجبال فلما انتهينا إلى باب داره استقبلنا خادم من خدامه وأدخلنا عليه فأقعدنا وبالغ في إكرامنا ثم هممنا بالرجوع إلى منازلنا فقمنا فإذا بالخادم أتانا بصرة دفع منها خمسمائة درهم إلى أبي وقال أرسل بها الإمام إليك لدفع عسرتك والاستعانة على مؤونة بيتك، ودفع ثلثماية الي وقال أرسلها الإمام إليك لتكتسب بها ونهاك عن السفر إلى الجبال وأمرك بالسفر إلى جهة فلانية وعينها، قال محمد فسافرت إلى تلك الجهة للتجارة وربحت فيها بالغاً ما بلغ هذا، وأمثال هذه من كراماته

الوافرة ومناقبه الكاثرة لا تكاد تحصر، إلا إنا اكتفينا بهذا القدر، وكانت ولادته يوم الخميس في بعض شهور السنة إحدى وثلاثين ومائتين على ما قاله ابن خلكان، وقال في الصواعق سنة اثنين وثلاثين ومائتين، وتوفى يوم الجمعة وقيل الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الأول وقيل من جمادى الأولى سنة ستين ومائتين ودفن بسر من رأى عند أبيه وعاش ثمانياً وعشرين سنة والله تعالى أعلم.

35 ـ محمد بن الحسن العسكري[1]

قلت[2] ولم يتعرض المؤلف لذكر محمد المعروف بالحجة بن الحسن العسكري، ولعله للاختلاف الواقع في شأنه طوى كشحاً عن ذكره وبيانه، ونحن نذكره ونشير إلى الاختلاف الذي فيه فنقول هو محمد بن الحسن العسكري المعروف بالحجة ثاني عشر الأئمة ولم يخلّف أبوه غيره، ويكنى أبا القاسم قال في الصواعق[3] وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين ولكن أتاه الله فيها الحكمة وسمي القائم المنتظر قيل لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب انتهى.

وقال ابن خلكان في تاريخه[4] وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي وصاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره آخر الزمان من السرداب بسر من رآى، كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه ـ وقد سبق ذكره ـ كان عمره خمس سنين واسم أمه خمطة وقيل نرجس والشيعة يقولون أنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه فلم يعد يخرج إليها، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين، وذكر ابن

---

(1) وفيات الأعيان 4/ 176 والأئمة الاثنا عشر 117.

(2) الكلام للمترجم.

(3) الصواعق المحرقة ص124.

(4) وفيات الأعيان 4/ 176.

الأزرق[1] في تاريخ ميافارقين أن الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، وهو الأصح، وإنه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين وقيل خمس سنين وقيل أنه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين وعمره سبعة عشر سنة، انتهى.

قلت: قول الشيعة بإمامته وهو صغير وبغيبته وهو إمام وإنه الموعود وخروجه آخر الزمان، وتقرير ذلك يحتاج إلى بسط وتفصيل لا يليق إيراده بهذا المقام.

---

(1) عبد الله بن محمد بن عبد الوارث، أبو الفضل الأزرق، من أهل ميافارقين وهي من بلاد ديار بكر، توفي سنة 590هـ أنظر: كشف الظنون 1/ 307 والأعلام 4/ 124.

36 ـ الإمام أحمد بن حنبل[1]

ومنهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه، هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ابن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن مازن بن قاسط بن شيبان الشيباني المروزي على ما صححه ابن خلكان[2]، فقال: خرجت أمه من مرو وهي حامل فولدته في بغداد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، وكان إمام المحدثين، صنف كتاب المسند[3] وجمع فيه من الحديث ما لا يتفق لغيره، وقيل أنه كان يحفظ ألف ألف حديث، وكان من أصحاب الإمام الشافعي رضي الله عنه وخواصّه، ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الإمام الشافعي إلى مصر وقال: خرجت من بغداد، ولا خلفت أتقى ولا أفقه من ابن حنبل، دعي إلى القول بخلق القرآن الكريم في زمن الخليفة الواثق بالله فلم يجب، فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع وكان ضربه وهو في العشر الأخير من شهر رمضان المبارك سنة عشرين ومائتين، وأخذ منه جماعة من الأماثل، منهم محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج

---

(1) مروج الذهب 2/ 403 والوفيات 1/ 63 وطبقات أبي يعلى ط الترجمة الأولى وتهذيب ابن عساكر 2/ 28 وتاريخ بغداد 4/ 412 ومرآة الجنان 2/ 132 وطبقات الشافعية لابن السبكي 1/ 199 وتذكرة الحفاظ 2/ 18 وشذرات الذهب 2/ 96 وضحى الإسلام لأحمد أمين 2/ 121.

(2) وفيات الأعيان 1/ 63.

(3) مسند أحمد رواه وكتبه ابنه عبد الله بن أحمد وطبع في القاهرة سنة 1311هـ في 6 أجزاء.

النيسابوري شيخا الحديث، ولم يكن في آخر عصره مثله في الورع والعلم، ومما يدل على ورعه ما ذكره الشيخ العطار في تذكرة الأولياء بنقل المؤلف، أنه اتفق يوماً أن أهل بيته أتو بخمرة العجين من بيت ابنه صالح فعجنوا بها وخبزوا وكان عالماً ورعاً قائم الليل صائم النهار وولى آنذاك قضاء أصبهان وكان لا ينام في الليل أو النهار إلا ساعتين لئلا تتعطل أمور الخلائق وتتأخر مصالحهم فيما يراجعون به إليه ويترافعون به لديه، فلما علم بذلك أحمد لم يأكل من ذلك الخبز وأمر أن يفرق على الفقراء، فأبى الفقراء أن يقبلوه، فألقوه في دجلة وامتنع من أكل السمك مدة حياته في بغداد منذ رموا بالخبز في دجلة لاحتمال اقتيات بعض السمك بذلك الخبز ومنه ما نقل أنه ما كان يأكل من حبوب تحصل من أراضي بغداد لما أن عمر رضي الله عنه لما فتحها وقفها على الغزاة والمسلمين وكان يأتي بطعامه من الموصل في كل سنة.

ومن كراماته أنه لما ضرب حين دعي إلى القول بخلق القرآن كان مشدود اليدين فدفعت الريح إزاره وظهرت عورته فرأوا كأن يداً مدت وسترت عورته، فعند ذلك خلّوا سبيله، وذكر أيضاً في تذكرة الأولياء للشيخ العطار أن فتى من الفتيان الصالحين كانت له أم زَمِنه فقالت يا بني انك تعلم ما بي وإني متيقنة ومعتقدة بأثر دعاء الصالحين وددت لو ذهبت إلى الإمام أحمد بن حنبل والتمست منه أن يدعو لي لعل الله أن يزيل عني هذه العاهة فذهب الفتى إليه وعرض قصة أمه عليه فاغتسل وتوضأ وصلى وتوجه إلى الله تعالى ودعا لها فرجع الفتى ورأى أمه وقد صحت وزال ما بها من العاهة، قلت ورأيت في بعض الكتب المؤلفة في الطريقة الشطاوية روي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه رأى الله تعالى في المنام تسعمائة وتسعاً وتسعين مرة ويسأله في جميع التسعمائة والتسعة والتسعين: الهي إن من أراد رؤيتك في الدنيا فما يعمل، أجابه الله تعالى: يقرأ وقت الضحى ثلاث عشر مرة هذا الدعاء وينام يرى الله تعالى في المنام والدعاء هو هذا «**بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم صغر الدنيا بأعيننا وعظم جلالك**

في قلوبنا اللهم وفقنا لمرضاتك، وثبتنا على طاعتك» انتهى.

وقال ابن خلكان[1] حزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفاً وقيل أنه اسلم يوم مات ستون ألف من النصارى واليهود والمجوس.

حدث[2] إبراهيم الحربي: قال رأيت بشر بن الحارث الحافي في المنام كأنه خارج من مسجد الرصافة وفي كمّه شيء يتحرك، فقلت ما فعل الله بك؟ قال غفر لي وأكرمني، فقلت: ما هذا الذي في كمك، قال قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر علينا الدر والياقوت فهذا ما التقطت، قلت: فما فعل بيحيى بن معين وأحمد بن حنبل، قال تركتهما وقد زارا رب العالمين ووضعت لهما الموائد، قلت فلم لم تأكل معهما، قال قد عرف هو أن الطعام عليّ فأباحني النظر إلى وجهه، انتهى.

توفي ضحوة نهار الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وقيل بل لثلاث عشرة بقين من الشهر المذكور، وقيل من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين على ما قاله ابن خلكان[3]، وقال في جامع السير سنة ست وثلاثين ومائتين من تغلب أهل الاعتزال عليه وضربهم إياه والله أعلم، وتوفي ببغداد ودفن بقبره بباب حرب على بعد فرسخ من بغداد في الجانب الغربي منها، وكان قبره بها مشهوراً يزار ثم بمرور الأزمنة والدهور وتتابع القرون والعصور أخذت الدجلة مرقده الشريف وغمرتها بمائها فصار لا يرى له أثر ولا يعرف له طلل، قلت: وباب حرب منسوب إلى حرب بن عبد الله أحد أصحاب أبي جعفر المنصور وإلى حرب هذا تنسب المحلة المعروفة بالحربية في بغداد، قال المجد في القاموس: والحربية محلة بها -

---

(1) وفيات الأعيان 1/ 65.

(2) الحديث في الوفيات 1/ 65 نقلاً عن ابن الجوزي في كتابه الذي صنفه في «أخبار بشر بن الحارث الحافي».

(3) وفيات الأعيان 1/ 64.

أي بغداد ـ بناها حرب بن عبد الله الراوندي، قائد المنصور، انتهى.

وكان للإمام ولدان[1] عالمان وهما صالح المتقدم ذكره، وعبد الله، فأما صالح فمولده سنة ثلاث ومائتين وتوفى بأصبهان، وكان قاضياً بها كما تقدم في شهر رمضان سنة ست وستين ومائتين وأما عبد الله وبه كان يكنى الإمام أحمد، فمولده سنة ثلاث عشرة ومائتين وتوفي في جمادي الأولى سنة تسعين ومائتين وكان يكنى بأبي عبد الرحمن ولم أظفر بذكر مدفنه.

---

(1) ترجمها ابن خلكان عرضا في الوفيات 1/ 65

37 ـ الإمام أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم[1]

ومنهم الإمام أبو يوسف رحمه الله تعالى، هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بضم الخاء المعجمة وفتح النون بن سعد بن حبْتَة بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة بعد باء آخر الحروف الأنصاري، وسعد بن حبتة أحد الصحابة رضي الله عنهم، وهو مشهور في الأنصار بأمه وهي حبتة بنت مالك على ما ذكره ابن خلكان[2]، وذكر أيضاً كان أبو يوسف من أهل الكوفة من أصحاب أبي حنيفة، وكان فقيهاً عالماً حافظاً سمع أبا إسحاق الشيباني وسليمان التيمي ويحيى ابن سعيد الأنصاري والأعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن إسحاق بن يسار وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ثم جالس أبا حنيفة النعمان ابن ثابت، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة، وخالفه في مواضع كثيرة، وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني الحنفي وبشر بن الوليد الكندي وعلي ابن الجعد وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وآخرين وسكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء العباسيين المهدي وابنه موسى الهادي وابنه

---

(1) ترجمته وأخباره في طبقات ابن سعد حـ7 ق2 ص73 والفهرست 203 ووفيات الأعيان 6/ 378 وأخبار القضاة 3/ 254 وطبقات الشيرازي 134 وتذكرة الحفاظ 292 والجواهر المضيئة 2/ 220 ومرآة الجنان 1/ 382 والبداية والنهاية 10/ 80 والنجوم الزاهرة 2/ 107 وشذرات الذهب 1/ 198 والعبر 1/ 284 وتاريخ بغداد 14/ 242 وبرو خلكان 3/ 245 وضحى الإسلام 2/ 198.

(2) وفيات الأعيان 0/ 378.

الآخر هارون الرشيد، وكان الرشيد يكرمه ويبجله وكان له عنده أعلى منزلة ومكانة، وهو أول من دعي بقاضي القضاة، ويقال أنه أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هي عليها في هذا الزمان، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يتميز أحد عن أحد بلباسه وذكر ابن عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه الانتقاء[1] في فضائل الثلاثة الفقهاء أن أبا يوسف المذكور كان حافظاً وإنه كان يحضر المحدثين ويحفظ الخمسين والستين حديثاً ثم يقوم فيمليها على الناس، وكان كثير الحديث، وقال محمد بن جرير الطبري: وتحامى عن حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه وتفريعه الفروع والأحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء، وحكى أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[2]: أن أبا يوسف قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلّ رث الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فقال: يا بني لا تمد رجلك مع رجل أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خبزه مشوي، وأنت تحتاج إلى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أمضي إليه، فقال لي أول يوم أتيته بعد تأخري عنه، ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع الي صرة وقال: استمتع بها فنظرت فإذا هي مائة درهم، وقال لي الزم الحلقة وإذا نفدت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة درهم أخرى ثم كان يتعاهدني وما أعلمته بخله قط ولا أخبرته بنفاد شيء، وكأنه كان يخبر بنفاد ما عندي، حتى استغنيت وتموّلت، ثم قال وحكي أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلاً صغيراً وإن أمه هي التي أنكرت عليه حضوره حلقة أبي حنيفة، ثم روى الخطيب أيضاً بإسناد متصل إلى علي بن الجعد قال: أخبرني ابو يوسف القاضي، قال توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصار

(1) الانتقاء في فضل الثلاثة الفقهاء ص172.

(2) تاريخ بغداد 14/ 244.

أخدمه، فكنت أدع القصار وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذني فتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلّم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما يفسد هذا الصبي غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له وأنا أطعمه من مغزلي وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال: مرّي يا رعناء ها هو يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك، ثم لزمته فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالوذجاً فقال لي يا يعقوب كل منه فليس كل يوم يعمل لنا مثلها، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت فقال لي وما يضحكك؟ فقلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين، قال لتخبرني، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، وقال لعمري إن العلم ينفع ديناً ودنيا، وترحم على أبي حنيفة، وقال كان يرى بعين عقله ما لا يرى بعين رأسه.

وقال طلحة بن محمد بن جعفر[1] أن أبا يوسف مشهور الأمر ظاهر الفضل، وهو صاحب أبي حنيفة، فاق أهل عصره ولم يتقدمه أحد في زمانه، وكان النهاية في العلم والحكمة والرياسة والقدر، وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة وأملى الرسائل ونشرها وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض، وقال عمار بن أبي مالك، ما كان في أصحاب أبي حنيفة كمثل أبي يوسف، لو لا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى، لكنه هو الذي نشر قولهما وبث علمهما، وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، مرض أبو يوسف زمن أبي حنيفة مرضاً خيف منه، فعاده أبو حنيفة ونحن معه، فلما خرج من عنده

---

(1) طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد، مؤرخ من أهل بغداد، محدث، له (أخبار القضاة) توفي سنة 380هـ (الاعلام 3/ 229).

ووضع يده على عتبة بابه قال: إن يمت هذا الفتى فليموتن معه علم كثير، فإنه أعلم من عليها وأومى إلى الأرض، قلت: وهذا الكلام من الإمام ولعله بلغه صار سبباً لإعجابه بنفسه وانقطاعه عن حلقة الإمام ومجلس درسه، فانفرد وعقد مجلساً وجلس للتدريس والإملاء، فأرسل إليه أبو حنيفة رجلاً يسأله عن خمسة مسائل للامتحان والابتلاء، وعلّم الرجل الأسئلة وأجوبتها وهي شهيرة في كتب الفقه فراجع إن شئت الإطلاع عليها وأخطأ فيها الإمام أبو يوسف كلها فعرف تقصيره ورجع إلى أبي حنيفة وقال زبّبت قبل أن تحصرم، هذا ولكن قال صاحب الأشباه في الفن السابع وفي مناقب الكردي أن سبب انفراده أنه مرض مرضاً شديداً فعاده الإمام وقال لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين لئن أصبت ليموتن علم كثير، فلما رأى أعجب بنفسه وعقد له مجلس الأمالي، وقال له حين جاء، ما جاء بك إلا مسألة القصار سبحان الله من رجل يتكلم في دين الله ويعقد مجلساً لا يحسن مسألة في الاجارة، ثم قال من ظن أن يستغني عن التعلم فليبك على نفسه، انتهى، ونقل عن أبي يوسف أنه قال سألني الأعمش[1] عن مسألة فأجبته فيها، فقال لي من أين أخذت هذا؟ فقال: من حديثك الذي حدثتني به، ثم ذكرت له الحديث، فقال لي يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك وما عرفت تأويله إلى الآن، وقال حماد بن أبي حنيفة كان أبو حنيفة جالساً يوماً وعن يمينه أبو سف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسألة، فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده زفر، ولا يقول زفر قولاً إلا أفسده أبو يوسف إلى أن دخل وقت الظهر وأذن المؤذن فرفع أبو حنيفة يده وضرب بها فخذ زفر فقال: لا تطمع برياسة بلدة فيها أبو يوسف، وقضى لأبي يوسف على زفر.

قال ظاهر بن أحمد الزبيري كان يجلس عند أبي يوسف رجل يطيل الصمت ولا يتكلم إلا ما قل، فقال له أبو يوسف ألا تتكلم؟ فقال: بلى،

---

(1) الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، تابعي من مشاهير المحدثين العلماء توفي في الكوفة سنة 148هـ (طبقات ابن سعد 6/ 338).

متى يفطر الصائم؟ فقال إذا غابت الشمس فقال: وإن لم تغب الشمس؟ فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي نطقك، ثم تمثل بقول القائل:

عجبت لازراء الغبي بنفسه وصمت بالذي بالنطق قد كان أعلما
ففي الصمت ستر للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

قال: يحيى بن عبد الصمد، خوصم أمير المؤمنين موسى الهادي بن المهدي إلى القاضي أبي يوسف في بستانه وكان الحكم في الظاهر للهادي، وفي الحقيقة لخصمه، فقال الهادي لأبي يوسف ما صنعت في الأمر الذي تنازعنا إليك فيه، فقال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلّف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق، فقال الهادي: أفترى ذلك؟ فقال: لقد كان ابن أبي ليلى يرى ذلك فقال: أردد البستان عليه، وإنما احتال أبو يوسف لعلمه بأن الهادي لا يحلف، وقال بشر بن الوليد الكندي: قال أبو يوسف القاضي: بينما أنا البارحة قد آويت إلى فراشي فإذا بالباب تدق دقاً شديداً، فأخذت علي إزاري وخرجت، فإذا هرثمة بن أعين، فسلمت عليه فقال: أجب أمير المؤمنين هارون الرشيد، فقلت يا أبا حاتم لي عليك حرمة، وهذا وقت كما ترى، فلعل أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور، فإن أمكنك أن تدفع بذلك إلى غدٍ فافعل لعل أن يحسن له رأي، فقال: ما لي إلى ذلك سبيل، قلت فكيف كان السبب، قال: خرج اليّ مسرور الخادم فأمرني أن آتي بك إلى أمير المؤمنين، فقلت أتأذن لي، أصبُّ علي ماءً وأتحفظ، فإن كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت أمري، وإن رزقني الله العافية فلن يضرني فأذن، فدخلت واغتسلت ولبست ثياباً جدداً وتطيبت، ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هارون الرشيد، فإذا مسرور واقف فقال له هرثمة قد جئت به، فقلت لمسرور: يا أبا هاشم أفتدري لم طلبني أمير المؤمنين، قال لا، فقلت: من عنده، قال عيسى بن جعفر، قلت ومن، قال ما عندهما ثالث، فدخلت فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر، فسلمت فرد علي السلام، فقال: أظننا

روّعناك، فقلت إي والله وكذلك من خلفي، فقال: أجلس، فجلست حتى سكن روعي، ثم التفت فقال: يا يعقوب، أتدري لم دعوتك؟ قلت: لا، قال: دعوتك لأشهدك على أن هذا عنده جارية سألته أن يهبها لي، فامتنع وسألته أن يبيعها لي فأبى، وإن لم يفعل لأقتلنه قال أبو يوسف فالتفت إلى عيسى، فقلت: وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين، وتنزل نفسك هذه المنزلة، فقال: عجلت عليّ في القول قبل أن تعرف ما عندي، قلت، وما في هذا من الجواب، قال: إن عليّ يميناً في الطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها، فالتفت إليّ الرشيد وقال: هل لذلك من مخرج، قلت نعم، قال: وما هو؟ قلت: يهب لك نصفها، ويبيع لك نصفها، فيكون لم يهب ولم يبع، فقال عيسى، أويجوز ذلك، قلت: نعم، قال فأشهدك أني وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي، بمائة ألف دينار، ثم أن الجارية أتى بها وبالمال، فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها، فقال الرشيد: يا يعقوب: بقيت واحدة، قلت وما هي، قال: هي مملوكة ولا بد أن تستبرىء ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه أظن أن نفسي ستخرج فقلت يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فإنّ الحرة لا تستبريء، قال فإني أعتقتها فمن يزوجها، فقلت أنا، فدعا بمسرور وحسين، فخطبتُ وحمدت الله تعالى ثم زوجتها إياه على عشرين ألف دينار، ودعا بالمال، فدفعه إليها، ثم قال لي: يا يعقوب انصرف، ورفع رأسه إلى مسرور وقال يا مسرور، قال: لبيك، قال: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختاً ثياباً، فحمل معي ذلك.

وحكي، أن عبد الرحمن بن مسهر أخا علي بن مسهر[1] كان قاضياً في المبارك[2]، والمبارك بضم الميم وبعدها باء موحدة، وبعد الألف راء

---

(1) علي بن مسهر القرشي بالولاء، من حفاظ الحديث، ولي القضاء بالموصل وغيرها، مات في الكوفة سنة 189هـ نكت الهميان 219 وتهذيب التهذيب 7/ 383.

(2) وفي معجم البلدان: المبارك: نهر وقرية فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ، وقيل هو الذي أحتفره خالد بن عبد الله القسري.

مفتوحة ثم كاف، بلدة بين واسط وبغداد على شاطئ دجلة، فبلغه خروج الرشيد إلى البصرة ومعه القاضي أبو يوسف في الحراقة، فقال عبد الرحمن القاضي لأهل المبارك أثنوا عليّ عند أمير المؤمنين وعند القاضي أبي يوسف، فأبوا عليه ذلك، فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلساناً أسود، وجاء إلى الشريعة، فلما أقبلت الحراقة رفع صوته وقال: يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضياً قاضي صدق، ثم مضى إلى شريعة أخرى وقال مثل مقالته الأولى، فالتفت هارون إلى أبي يوسف وقال: يا يعقوب هذا شرّ قاضٍ في الأرض، قاضي في موضع لا يثني عليه إلا رجل واحد، فقال له أبو يوسف، وأعجب من هذا يا أمير المؤمنين أنه هو القاضي يثني على نفسه، فضحك هارون الرشيد وقال: هذا أظرف الناس، ومثله لا يعزل، ومن كلامه: رحمه الله على ما ذكره كمال الدميري في حياة الحيوان[1]: من طلب غرائب الحديث كذب، ومن طلب الكيمياء بالمال افتقر، ومن طلب الدين بالكلام تزندق.

ومنه: صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة، ومنه رؤوس النعم ثلاثة: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية نعمة العافية، التي لا تطيب الجبلّة إلا بها، والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.

هذا وأخباره كثيرة ومناقبه جليلة شهيرة، وتوفى في بغداد يوم الخميس وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة، وولي القضاء أربعة عشر سنة، ومات وهو على القضاء ومدفنه فيها في مقابر الشونيزية، جوار موسى الكاظم باتفاق أهل العراق، قلت ولم أطلع على تاريخ مولده، ولكن رأيت على هامش بعض الكتب أن وفاته سنة اثنتين وثمانين ومائة وإنه عاش قريباً من سبعين سنة فيقتضي أن يكون مولده سنة مائة وعشر تقريباً والله أعلم.

وما بني على قبره قديماً أشرف على الاندراس بمرور الأيام والأزمنة

---

(1) الدميري: حياة الحيوان الكبرى 2/ 669.

فصدر الأمر الخاقاني وجرى الحكم السلطاني من حضرة السلطان أبي الفتوح محمد خان إلى وزيره محافظ مدينة السلام بغدان، عمر باشا رحمه الرحيم الرحمن بتجديد ذلك البنيان بالأحكام والتمكين سنة الف ومائة وإحدى وتسعين، فبادر إليه ذلك الوزير المشار اليه، فبناه أتقن البنيان على ما هو عليه الآن، قلت، وولده يوسف الذي كنى به كان عالماً فقيهاً، وسمع الحديث من يونس بن اسحق السبيعي والسري بن يحيى وغيرهما، وولي القضاء في الجانب الغربي في حياة أبيه وصلى في مدينة المنصور بأمر هارون الرشيد، ولم يزل على القضاء إلى أن مات في شهر رجب سنة اثنين وتسعين ومائة ببغداد ولم أظفر بذكر محل قبره لأحد، قال ابن خلكان وكان أبو يعقوب الخريمي الشاعر المشهور صديقاً لأبي يوسف ولابنه يوسف، فلما توفى أبو يوسف سمع الخريمي[1] رجلاً[2] يقول: اليوم مات الفقه، فأنشأ الخريمي يقول في ذلك:

يا ناعي الفقه إلى أهله	أن مات يعقوب ولا يدري
لم يمت الفقه ولكنه	«حُوِّلَ من صدرٍ إلى صدر»
ألقاه يعقوب إلى يوسف	(فزال من طيب إلى طهر)[3]
فهو مقيم فإذا ما ثوى	(حلّ وحلّ الفقه في قبر)[4]

انتهى

---

(1) أبو يعقوب الخريمي اسحق بن حسان بن قوهي، من صفد الترك، من مرو من أهل الجزيرة، نزل بغداد، وله ولاء في غطفان جعله يلزم عثمان بن خريم المري، فنسب إليه، وكان شاعراً مجيداً توفي سنة 214هـ، انظر: طبقات ابن المعتز ص293، والشعر والشعراء ص829 وتاريخ بغداد 6/ 326 وزهر الآداب 1/ 401 والبيان والتبيين والحيوان في مواضع متفرقة الكامل للمبرد ص 703 والورقة ص 102.

(2) لم ترد في الأصل والتصويب عن الوفيات 6/ 389.

(3) في الأصل "قد فرّ من طلب إلى صدر" والتصويب عن الوفيات 6/ 389.

(4) في الأصل «الرحيل حل الفقه في قبر» التصويب عن الوفيات 6/ 389.

38 ـ إبراهيم بن سعد الزهري[1]

ومنهم إبراهيم بن سعد رحمه الله، ويكنى أبا اسحق، وينتهي نسبه إلى عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ولد سنة ثمان ومائة، وكان كثير الحفظ للقصص والمغازي، وكان يحفظ سبعة عشر ألف حديث على ما حقق، وروى عن أبيه سعد وعن الزهري وهشام بن عروة وروى عنه يزيد بن عبد الله وأبو داود وشعبة وغيرهم، وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة ببغداد، ودفن بمقابر باب التبن[2] على ما نقله المؤلف عن أسماء الرجال.

---

(1) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قدم بغداد فنزلها هو وعياله وولده، وولى بها بيت المال لهارون الرشيد.
طبقات ابن سعد 7/ ق2/ 68، والعبر 1/ 288، وفيه أنه مات سنة 184هـ، ومشاهير علماء الأمصار ص141.

(2) باب التبن: محلة كبيرة ببغداد، قال ياقوت ويلصق هذا الموضع مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم (معجم البلدان 1/ 306).

39 ـ إبراهيم بن محمد بن عبيد[1]

ومنهم إبراهيم بن محمد بن عبيد، ويكنى أبا مسعود، سافر إلى أصبهان وخراسان والأهواز والبصرة والكوفة بطلب العلم والفضل والعرفان، فبرع في العلم فأشير إليه بالبنان، وروي عن أصحاب أبي شعيب الحراني ومحمد بن يحيى المروزي وغيرهم، وروى عن كثير من أماثل وقته، وصنف كتاباً في الحديث سماه «**أطراف الصحيحين**».

توفي سنة إحدى وأربعمائة في بغداد وصلى عليه أبو حامد الاسفراييني ودفن بها على ما ذكر في أسماء الرجال بنقل المؤلف، ولم تتعيّن سنة مولده، ولا محل مرقده.

---

(1) أبو مسعود الدمشقي، إبراهيم بن محمد بن عبيد الحافظ ترجمة الذهبي في العبر 3/ 72 قال «مات كهلاً، فلم ينشر حديثه» وفيه أنه توفي سنة 400هـ.

40 ـ إبراهيم بن محمد الرقي[1]

ومنهم إبراهيم بن محمد الرقي، وكلن يكنى أبا اسحق، وكان من العلماء العاملين، وأكابر المحدثين، وكان صاحب الإمام أبي عبد الله الحميدي، كان في بغداد ينقل الأحاديث النبوية وينشر مسائل العلوم الدينية إلى أن توفى فيها سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ودفن بها على ما ذكره المؤلف ناقلاً من أسماء الرجال.

(1) أبو إسحاق محمد بن نبهان الغنوي الرقي، الصوفي، فقيه شافعي، وهو راوي خطب «ابن نباته» توفى وعمره 85 سنة (العبر 4/ 119).

41 ـ أبو بكر البرقاني أحمد بن محمد[1]

ومنهم أحمد بن محمد البرقاني رحمه الله، ويكنى أبا بكر، وكان عالماً جليلاً في الفقه والحديث والعلوم العربية، وله تصانيف في الحديث والعربية، وكان حافظاً للقرآن المجيد ولد سنة ثلاثين وثلثمائة وتوفي سنة خمس وعشرين وأربعمائة ببغداد ودفن بجامع المنصور على ما في أسماء الرجال.

---

(1) أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، الخوارزمي البرقاني، نسبة إلى برقان من قرى كاث شرقي جيحون، على شاطئه، سمع ببلده ثم ورد بغداد، ومؤلفاته كثيرة عبثت مرة في 63 سفطاً وصفد وقيس.

ترجمته في: معجم البلدان 1/ 387 (برقان) واللباب 1/ 113 وتاريخ بغداد 4/ 373 وفيها أن مولده كان في سنة 336هـ، والأعلام 1/ 212.

42 ـ أحمد بن يونس[1]

ومنهم أحمد بن يونس رحمه الله، ويكنى أبا عبد الله، كان من أكابر علماء الحديث والفقه وكان ثقة ورعاً متقياً. روى عن سفيان الثوري وعن الزهري وغيرهم، وتوفى سنة سبع وعشرين ومائتين في الكوفة ودفن بها على ما نقله المؤلف.

(1) أحمد بن عبد الله بن يونس، أبو عبد الله اليربوعي مولاهم، عاش أربعاً وتسعين سنة وترجمته في: طبقات ابن سعد 6/ 283 العبر 1/ 398.

43 ـ إسماعيل بن أحمد[1]

ومنهم إسماعيل بن أحمد، ويكنى أبا قاسم، كان عالماً فاضلاً في الحديث والفقه روى عن كثيرٍ من مشايخ عظام، وأخذ عنه كثير من علماء كرام، وروى عنه كثيرون أيضاً توفي في بغداد سنة ست وثلاثين وخمسمائة، ودفن بها على ما نقله المؤلف.

(1) إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث،أبو القاسم بن السمرقندي الحافظ، ولد بدمشق سنة 454هـ وسمع من شيوخها، وانتقل إلى بغداد.؟

العبر 4/ 99 ومعجم البلدان 3/ 249 (سمرقند) وقد ترجم لأبيه أبي بكر أحمد، قال إنه بدمشق يكتب المصاحف، وكان مزاحاً، ثم خرج إلى بغداد ثم لحقه بنوه ومنهم أبو القاسم إسماعيل، قال ياقوت سألت أبا القاسم عن وفاة أبيه فقال في رمضان سنة (489).

44 ـ إسماعيل بن اسحق[1]

ومنهم إسماعيل بن اسحق، رحمه الله، ويكنى أبا اسحق، وكان بصري المولد مالكي المذهب، وكان عالماً فاضلاً جليلاً، صاحب تصانيف كثيرة، روى عن محمد بن عبد الله الأنصاري وعن مسلم بن إبراهيم وغيرهم، وروى عنه كثير من فضلاء عصره، وولي القضاء في بغداد مدة مديدة، ومات بها موت الفجاءة سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ودفن بها كما نقله المؤلف.

---

(1) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي (مولاهم) الجهضمي، من بيت علم وفضل، ولد بالبصرة سنة 200هـ وسكن بغداد وولي قضاء بغداد والمدائن والنهروانات، وكان فقيهاً محدثاً إماماً في العربية، قال المبرد: هو أعلم بالتصريف مني، وله تصانيف كثيرة منها:
«الموطأ» و (أحكام القرآن) و «المبسوط» في الفقه و «الرد على أبي حنيفة» و «الرد على الشافعي» و «الأموال والمغازي» و «شواهد الموطأ» في عشر مجلدات و «الأصول» و «السنن» و «الاحتجاج بالقرآن» و «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله» مخطوط في كوبريلي 428.
ترجمته في العبر 2/ 67 والديباج المذهب 92 وقضاة الأندلس 33 وتاريخ بغداد 6/ 284 ومعجم الأدباء 6/ 192 وبغية الوعاه 1/ 197 وشذرات الذهب 2/ 178 وتذكرة الحفاظ 2/ 180 وكامل ابن الأثير 6/ 142
وبروكلمان 3/ 204 والأعلام 1/ 310.

45 ـ إسماعيل بن جعفر[1]

ومنهم إسماعيل بن جعفر، ويكنى أبا إبراهيم، كان عالماً بالحديث والفقه، روى عن عبد الله بن عبد الله بن دينار وشريك بن عبد الله ومشايخ آخر[ين] وروى عنه شريح بن نعمان ومحمد بن الصباح وغيرهما، وتوفي في بغداد ودفن بها كما نقله المؤلف.

---

(1) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ـ مولاهم ـ المدني، قارىء أهل المدينة في عصره بعد نافع ومحدثهم بعد الإمام مالك، رحل إلى بغداد، وتولى تأديب علي بن المهدي، وتوفي بها سنة 180هـ. أنظر: طبقات ابن سعد حـ6 ق2 ص72، تذكرة الحفاظ 1/ 231، التهذيب 1/ 267 العبر 1/ 275 والبداية والنهاية 1/ 175 وتاريخ بغداد 6/ 218 وغاية النهاية 1/ 163 وبروكلمان 3/ 152 والأعلام 1/ 312.

46 ـ إسماعيل بن عليّة[1]

ومنهم إسماعيل بن عليّة رحمه الله ويكنى أبا بشر، وكان من العلماء الأعلام بأحاديث سيد الأنام، وكان ورعاً تقياً خاملاً، روى عن عبد العزيز بن صهيب وأيوب السجستاني وأحمد بن حنبل وغيرهم، ولد سنة عشر ومائة، وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة ببغداد، ودفن بها كما نقله المؤلف.

---

(1) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي بالولاء، وعليّة أمه، أصله من الكوفة، وولي صدقات البصرة، ثم المظالم ببغداد أيام الرشيد، وكان محدثاً ثبتاً.

طبقات ابن سعد ج6 ق2 ص70 و المعارف 506 و 598.

و العبر 1/ 310 وتهذيب التهذيب 1/ 275 وتذكرة الحفّاظ 1/ 296 وميزان الاعتدال 1/ 100 وتاريخ بغداد 6/ 229.

47 ـ عبد الله بن عتبة[1]

ومنهم عبد الله بن عتبة، وهو من أكابر التابعين، وعدّه بعض المؤرخين في الصحابة روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وروى عنه ابنه[2] وحميد بن عبد الرحمن توفى في الكوفة، كذا ذكره المؤلف.

---

(1) عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذليّ، ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور، وعتبة صحابي قديم الإسلام، مات أيام الخليفة عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله يكنى: أبا عبد الرحمن كان فقيهاً كثير الحديث و الفتيا، وولي قضاء الكوفة أيام مصعب بن الزبير، وتوفي بها في خلافة عبد الملك بن مروان سنة 74هـ.
أنظر: العبر للذهبي 1/ 85، وطبقات ابن سعد 6/ 82 والمعارف ص250 والاستيعاب 3/ 945 وفيه: «وذكره العقيلي في الصحابة وهو غلط، وإنما هو تابعي من كبار التابعين بالكوفة» والإصابة 2/ 332.

(2) هو عبيد الله بن عبد الله المسعودي الهذلي، أحد فقهاء المدينة السبعة.

48 ـ عبد الله بن محمد[1]

ومنهم عبد الله بن محمد، ويكنى أبا بكر، كان من أهل واسط ثم سكن في بغداد، وكان عالماً متقناً في الحديث والفقه، روى عنه عبد الله بن المبارك[2] وشريك بن عبد الله[3] وكان يقول أبو زرعة في حقه، ما رأيت أحفظ من أبي بكر، توفى في سنة تسع وخمسين ومائة ببغداد، ودفن بها، كذا نقله المؤلف.

---

(1) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، روى عن الكوفيين ورحل إلى البصرة فروى عن مشيختها، ترجمته في: طبقات ابن سعد 6/ 288

(2) أنظر الترجمة رقم (56).

(3) شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي، من رجال أهل الكوفة ومحدثيها، ولاه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة توفي سنة 177هـ (طبقات ابن سعد 6/ 263)، وفي الطبقات أن عبد الله بن محمد هو الذي روى عن شريك

49 ـ شجاع بن وليد[1]

ومنهم شجاع بن وليد، كان فريد عصره علماً وعملاً وزهداً وورعاً، وكان كثير الحفظ للأحاديث، روى عن عطاء بن السائب ومغيرة بن قيس وأعمش ومن في طبقتهم، وروى عن ابنه وليد[2] ومسلم بن إبراهيم واحمد بن حنبل، توفي سنة أربع ومائتين في بغداد ودفن بها، كذا ذكره المؤلف ناقلاً من أسماء الرجال.

---

(1) أبو بدر، شجاع بن الوليد بن قيس السكوني (طبقات ابن سعد 7/ 76 ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص176.

(2) الوليد بن شجاع، أبو حمام السكوني، له ترجمة في طبقات ابن سعد 7/ 98.

50 ـ عباد بن العوام[1]

ومنهم عباد بن العوام، ويكنى أبا سهل، وكان من التابعين، مشهوراً بالعلم والصلاح معروفاً بالزهد والتقوى والفلاح، روى عن أبي إسحاق الشيباني وجرير ابن أبي عروة، وروى عنه سعيد بن سليمان، توفي سنة خمس وقيل ست وثمانين ومائة ببغداد، ودفن بها على ما نقله المؤلف من كتاب أسماء الرجال، والعهدة عليه.

---

(1) عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله الكلابي الواسطي، أبو سهل، من رجال الحديث الثقاة خرج مع إبراهيم عبد الله العلوي على المنصور سنة 245هـ في البصرة، وحبسه الرشيد ثم أطلقه وأقام ببغداد، وكانت ولادته سنة 118هـ.
أنظر: العبر 1/ 203 و293 وطبقات ابن سعد حـ7 ق2 ص73 وتهذيب التهذيب 5/ 99 وتذكرة الحفاظ 1/ 241 ومشاهير علماء الأمصار ص177.

51 ـ محمد بن موسى الحازمي[1]

ومنهم محمد الحازمي، ويكنى أبا بكر، وكان عالماً ذا فنون، بارعاً في الفقه والحديث والتواريخ والعلوم العربية، وله في كل منها تصانيف مفتخرة[2]، وكلمات معتبرة، وسافر أوان تحصيله إلى البلاد النائية[3]، وزار مشايخ عظام، وأخذ عنهم علوماً وافرة وافية، عاش أربعين سنة تقريباً، قال أهل زمانه لو عاش بعدُ وامتدّ زمان حياته لكان آية من آيات الله، توفى في بغداد سنة/ أربع وثمانين وخمسمائة ودفن في المقابر الشونيزية، كذا نقل المؤلف من كتاب أسماء الرجال.

---

(1) أبو بكر محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان بن حازم، زين الدين الهمذاني، ولد في سنة ثمان ـأو تسعـ وأربعين وخمسمائة بطريق همذان، وحمل إليها ونشأ فيها، ترجمته في:ـ

وفيات الأعيان 4/ 294، والروضتين 2/ 137 وتذكرة الحفاظ 1363، ومختصر ابن الدبيثي 144 والعبر 4/ 254 وطبقات السبكي وشذرات الذهب 4/ 282 والنجوم الزاهرة 6/ 107.

(2) من مؤلفاته «ما اتفق لفظه واختلف مسماه» مخطوط في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط و «الفيصل» في مشتبه النسبة و«الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار» طبع و«العجالة» في النسب و«شروط الأئمة الخمسة» مخطوط، في مصطلح الحديث وكتاب «سلسلة الذهب» فيما روى الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام الشافعي.

(3) تنقل في مدن العراق، ورحل إلى الشام والموصل وبلاد فارس وأصبهان وهمذان وأذربيجان وكتب عن أكثر شيوخ هذه البلاد (الوفيات 4/ 295).

52 ـ أبو خيثمة زهير بن حرب[1]

ومنهم زهير بن حرب، ويكنى أبا خيثمة، كان في وقته إمام المحدثين وأسوة الحفاظ، فصيح البيان، صاحب اتقان، موثوقاته أكثر من أن تحصر، وكمالاته أكثر من أن تذكر، أخذ عن أبي عيينة وهشيم وجرير، وروى عنه الإمامان في الحديث البخاري ومسلم وأبو زرعة، ولد سنة ستين ومائة، وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين في بغداد، ودفن بها على ما حققه المؤلف من كتاب أسماء الرجال.

(1) زهير بن حرب بن شداد النسائي البغدادي، أصله من (نسا) مدينة بخراسان وشهرته ببغداد، ترجمته العبر 1/ 416 وطبقات ابن سعد جـ7 ق3 ص91، وتاريخ بغداد 8/ 482 وفيه أن اسم جده أشتال، فعرب وجعل شداد، له «العلم» مخطوط في الظاهرية.

53 ـ عبد الله بن سليمان ابن أبي داود السنجري[1]

ومنهم عبد الله بن سليمان السنجري، ويكنى أبا بكر، كان من علماء دهره وفضلاء وقته وعصره، سكن بغداد، بعد أن سافر إلى البلاد، يأخذ العلم من أكابر ذوي الرشاد، روى عن علي بن حشوم، ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهم، وروى عنه أبو بكر بن مجاهد، ودعلج بن أحمد، ولد سنة ثلاثين ومائتين وتوفى سنة عشر وثلثمائة في بغداد، وعُدّ من صلى عليه ثلثمائة ألف رجل ودفن بها.

(1) أبو بكر عبد الله بن سليمان أبي داود بن الأشعث الأزدي السجستاني. من كبار حفاظ الحديث ولد بسجستان ورحل مع أبيه إلى مصر والشام، واستقر في بغداد فكان إمام أهل العراق، قبل توفي سنة 316هـ، 929م له تصانيف منها «المصاحف، طبع» (والمصابيح) و(الناسخ والمنسوخ) و«المسند» و«السنن) و«التفسير» وترجمته في:-

وفيات الأعيان 2/ 404 ترجمة أبيه والتذكرة 2/ 198، وغاية النهاية 1/ 420 وميزان الاعتدال 3/ 293 وتاريخ بغداد 9/ 464، وطبقات الحنابلة 2/ 51، وطبقات ابن سعد ج7 قسم 2 ص104 والأعلام 4/ 91 توفي سنة 316 هـ / 929م.

54 ـ عبد الله بن الحسن العلوي بن علي[1]

ومنهم عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، هو عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي ويكنى أبا محمد، كان من السادات الأكارم، وعظماء بني هاشم، روى عن إبراهيم بن محمد وأبي بكر بن حزم، وروى عنه الإمام مالك بن أنس وعبد العزيز بن محمد الداودي، سعي به عند المنصور الخليفة فحبسه في الكوفة وقيل في بغداد وتوفى في حبسه سنة خمس وأربعين ومائة، قال المؤلف، وعلى القول بأن مدفنه في بغداد فمرقده هو المرقد الشهير بمرقد الإمام عبد الله قرب دار الإمارة والله أعلم.

---

(1) عبد الله بن الحسن العلوي، أبو محمد المعروف بالنفس الزكية، وإبراهيم الثائرين على الخليفة المنصور سنة 145هـ، سجنه المنصور مع أكثر الحسنيين بسبب ثورة ولديه، وجلبهم من المدينة إلى الهاشمية في العراق، ومات أكثرهم في السجن، وأخباره كثيرة في تاريخ الطبري 7/ 552 ومقاتل الطالبيين ص140 وعمدة الطالب ص101 والوفيات 2/ 397 ومروج الذهب 2/ 236 ونسب قريش ص52.

55 ـ سعيد بن جبير[1]

ومنهم سعيد بن جبير رضي الله عنه، هو سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي الوالبي، ابن أسد بن خزيمة، هو إمام جليل مجمع على جلالته في العلم والعبادة، وكان يقال له: جهبذ العلماء، وهو من أكابر التابعين، روى عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وابن عمر وابن الزبير، وقال له ابن عباس: حدث فقال: أحدث وأنت هاهنا؟ قال: أليس من نعم الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علّمتك، وأخذ القراءة عن ابن عباس عرضاً وسماعاً، وسمع منه التفسير، وأكثر روايته عنه، وروى عن سعيد القراءة عرضاً المنهال بن عمرو وأبو عمرو بن العلاء.

قال وفاء بن اياس: قال لي سعيد، قرأت القرآن في ركعة في البيت الحرام، وقال خصيف: كان أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء وبالحلال والحرام طاووس وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبير، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير، وكان في أول أمره كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم كتب لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وكان سعيد مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لما خرج على عبد الملك بن

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 2/ 371 وطبقات ابن سعد 6/ 178 وتهذيب التهذيب 4/ 11 وحلية الأولياء 4/ 272 وابن الأثير 4/ 220 والمعارف 197 والطبري 8/ 93

مروان، فلما قتل عبد الرحمن وانهزم أصحابه من دير الجماجم هرب سعيد فلحق بمكة، وكان واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري، فأخذه وبعث به إلى الحجاج بن يوسف مع إسماعيل بن أوسط البجلي، فقال له الحجاج: يا شقي بن كسير، أليس قدمت الكوفة ولا يؤم بها إلا عربي فجعلتك إماماً؟ فقال له: بلى، فقال: أما وليتك القضاء فضج أهل مكة، لا يصح للقضاء إلا عربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك؟ فقال: بلى. قال: أما جعلتك في سمّاري وكلهم رؤس العرب؟ قال بلى. قال أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرّقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك ثم لم أسألك عن شيء منها؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك علي؟ قال بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث، فغضب الحجاج وقال فما كانت بيعة أمير المؤمنين في عنقك من قبل؟ والله لاقتلنك، يا حرسيّ اضرب عنقه، فضرب عنقه وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين، وقيل أربع وتسعين بواسط ودفن في ظاهرها[1] وقبره بها يزار وله تسع وأربعون سنة، وكان يوم أخذ يقول: وشى بي واشٍ في بلد الله الحرام، أكِلُهُ إلى الله تعالى يعني خالد بن عبد الله القسري[2]. قال الكمال الدميري في حياة الحيوان[3] في تفصيل كيفية شهادة سعيد يعني هذا الطريق ناقلاً من عون[4] بن شداد العبدي، أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما ذكر له سعيد بن جبير بعد قتل عبد الرحمن بن الأشعث أرسل إليه قائداً من أهل الشام يقال له المتلمس بن الأحوص، وكان معه عشرون رجلاً من أهل الشام، من خاصة أصحابه فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعة له

---

(1) قبره الآن في ضواحي مدينة الحي، وقد عمره أهلها حديثاً.

(2) خالد بن عبد الله القسري: أمير يماني من أهل دمشق، ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة 89هـ، ثم ولاه هشام العراقين سنة 105هـ، ثم عزله بيوسف بن عمر الذي عذبه ثم قتله سنة 126هـ، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ: أنظر الوفيات وابن الأثير 4/ 205 و5/ 101.

(3) حياة الحيوان الكبرى 2/ 547.

(4) في الأصل: عوف.

فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لي، فوصفوه له فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجداً يناجي ربه جلّ وعلا بأعلى صوته، فدنوا منه وسلموا عليه، فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم ردَّ عليهم السلام، فقالوا له: أرسل الحجاج إليك فأجبه، فقال: لا بد من الإجابة؟ قالوا: لا بد، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قام يمشي معهم حتى انتهوا إلى دير الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان، أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم، قال: اصعدوا إلى الدير، فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير، فعجلوا بالدخول قبل المساء، ففعلوا ذلك وأبى سعيد أن يدخل الدير، فقالوا: ما نراك ألا تريد الهرب منا، قال: لا ولكن لا أدخل دار مشرك أبداً، فقالوا: إنا لا ندعك فإن السباع تقتلك، قال سعيد: فإن معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرساً حولي، تحرسني من كل سوء إن شاء الله تعالى، قالوا: فأنت من الأنبياء؟ قال ما أنا من الأنبياء ولكن عبد من عباد الله عز وجل خاطئ مذنب قالوا له: فاحلف لنا انك ما تبرح فحلف لهم، فقال لهم الراهب اصعدوا الدير وأوتروا القسيّ لتنفّروا السباع عن هذا العبد الصالح [فإنه كره الدخول علي في الصومعة لمكانكم][1] فدخلوا واوترّوا القسيّ، فإذا هم بلبوة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت به، ثم ربضت قريباً منه، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك، فلما رأى الراهب ذلك وقع في قلبه هيبة، فلما أصبحوا نزلوا إليه فسأله الراهب عن شرائع دينه وسنن نبيّه، فقرر له سعيد ذلك فأسلم الراهب وحَسُنَ إسلامه، وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبّلون رجليه، ويأخذون التراب الذي وطأه بالليل يصلي عليه ويقولون يا سعيد حلّفنا الحجاج بالطلاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك بين يديه، فمرنا بما شئت، فقال: أمضوا لشأنكم فإنه لا راد لقضاء ربي، فساروا حتى وصلوا واسط، فلما انتهوا إليها قال لهم سعيد: يا معشر القوم قد تحرّمت بكم وبصحبتكم ولست أشك أن أجلي قد قرب وحضر، وإن المدة قد دنت،

---

(1) في حياة الحيوان: فإنه كره الدخول علي في الصومعة.

فدعوني الليلة آخذ أُهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر وما يحثى علي من التراب، فإذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم المكان الذي تريدون، فقال بعضهم: لا نريد أثراً بعد عين، وقال بعضهم: إنكم قد بلغتم [اسنيتكم][1] واستوجبتم جوائزكم من الأمير، فلا تعجزوا عنه[2] ثم نظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه، واغبرّ لونه، وكان رحمه الله لم يأكل ولم يشرب[3] منذ لقوه وصحبوه، فقالوا بأجمعهم: يا خير أهل الأرض، ليتنا لم نعرفك ولم نرسل إليك، الويل لنا، كيف ابتلينا بك، ما عذرنا عند خالقنا يوم الفزع الأكبر، فإنه الحكم العدل الذي لا يجوز، فلما فرغوا من البكاء والمحادثة لبعضهم بعضاً، قال كفيله: أسألك بالله يا سعيد ألا ما زودتنا من دعائك، فإنا لن نلقى مثلك أبداً، فدعا لهم سعيد ثم خلّوا سبيله، فغسل رأسه ومدرعته وكساءهُ، وأقبل على الصلاة والدعاء والاستعداد للموت ليله كله وهم مختفون[4]،فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد فقرع الباب، فقالوا صاحبكم ورب الكعبة، فخرجوا إليه فبكى وبكوا معه طويلاً ثم ذهبوا به إلى الحجاج، فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال له: ما اسمك قال سعيد بن جبير، قال بل أنت شقي بن كسير، فقال سعيد أمي كانت أعلم باسمي منك، قال الحجاج شقيت أنت وشقيت أمك، فقال سعيد: الغيب يعلمه غيرك، قال الحجاج: لأبدلنّك بالدنيا ناراً تلظّى قال سعيد، لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً، قال: فما قولك في محمد صلى الله عليه وسلم، قال: هو نبي الرحمة، قال: ما قولك في علي أفي الجنة أم في النار، فقال: لو دخلتهما وعرفت أهلها عرفت من فيهما، قال فما قولك في الخلفاء، قال لست عليهم بوكيل، قال فأيهم أحب إليك؟ قال:

---

(1) في حياة الحيوان: أمتكم.

(2) بعده في حياة الحيوان: وقال بعضهم: هو عليَّ أرفعه إليكم إن شاء الله تعالى.

(3) بعده في حياة الحيوان: ولم يضحك.

(4) بعدها في حياة الحيوان وهم مختفون الليل كله.

أرضاهم لخالقي، قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الله الذي يعلم سرّهم ونجواهم، قال: فما بالك لا تضحك؟ قال: أيضحك مخلوق من طين، والطين تأكله النار؟ قال: فما بالنا نضحك، قال: لم تستوِ القلوب، قال ثم أن الحجاج أمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت وغير ذلك من الجواهر فوضعت بين يدي سعيد بن جبير، قال سعيد، إن كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح وإلا ففزعة واحدة من فزع يوم القيامة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، ولا خير في شيء جمع من الدنيا إلا ما طاب وزكى، ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فضربت بين يدي سعيد، فبكى سعيد، فقال الحجاج ويلك يا سعيد، فقال سعيد، الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، فقال الحجاج: يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك بها، قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله لا تقتلني قتلةً إلا قتلك الله مثلها في الآخرة، قال: أفتريد أن أعفو عنك، قال: إن كان العفو من الله فنعم وأما منك فلا، فقال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج من الباب فضحك، فاخبر الحجاج بذلك فأمر برده، قال: ما أضحكك وقد بلغني أن لك أربعين سنة لم تضحك؟ قال: ضحكت عجباً من جرئتك على الله تعالى ومن حلمه عليك، فأمر بالنطع فبسط بين يديه، فقال: أقتلوه فقال سعيد كل نفس ذائقة الموت ثم قال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، قال: وجهوه لغير القبلة قال سعيد، فأينما تولوا فثم وجه الله، قال: كبّوه لوجهه..فقال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنا نخرجكم تارة أخرى، قال: اذبحوه، فقال سعيد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قال: اللهم لا تسلطه على احد من بعدي، فذبح على النطع فكانت رأسه تقول بعد قطعها: لا إله إلا الله مراراً وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين، وكان عمر سعيد تسعاً وأربعين سنة، وعاش الحجاج خمس عشرة ليلة، ولم يسلط على أحد بعده، ولما بلغ الحسن البصري قتل سعيد بن جبير قال: اللهم أنت على فاسق ثقيف رقيب، والله لو أن أهل الأرض من المشرق إلى المغرب

اشتركوا في قتله لكبهم الله في النار، والله لقد مات وأهل الأرض من المشرق إلى المغرب محتاجون إلى علمه روي أن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغشى عليه ثم يفيق ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير، وقيل أنه في مدة مرضه كلما نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بثوبه وهو يقول يا عدو الله بم قتلتني فيستيقظ مرعوباً مذعوراً، وروي أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رآه بعد موته في المنام وهو جيفة منتنة وإنه قال ما فعل الله بك، قال قتلني لكل قتيل قتلته، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة فإن قيل بالحكمة في أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتله وسعيد بن جبير سبعين قتلة وقد قتل من هو أفضل من سعيد وهو عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لأنه صحابي وسعيد بن جبير تابعي، والصحابي أفضل من التابعي، فالجواب أن الحجاج لما قتل ابن الزبير رضي الله عنهما كان له نظراء في العلم من الصحابة، كابن عمر وأنس بن مالك، ولما قتل سعيد بن جبير لم يكن له نظير في العلم فضوعف عليه العذاب بسبب ذلك[1] والله أعلم.

---

(1) انتهى النقل عن حياة الحيوان.

56 ـ عبد الله بن المبارك[1]

ومنهم عبد الله بن المبارك رضي الله عنه، هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي مولى بني حنظلة، من كبار التابعين، إمام زاهد عابد جليل جمع بين الدين والعمل، وكان منقطعاً عن الخلق، مقبلاً إلى الحق، محباً للخلوة، شديد التورع، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس وروى عنه الموطأ، قال ابن خلكان في تاريخه[2] ويحكى عن أبيه أنه كان يعمل في بستان لمولاه، وأقام به زماناً، ثم أنه مولاه جاءه يوماً وقال: أريد رماناً حلواً، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منه رماناً، فكسره فوجده حامضاً، فحرد عليه وقال أطلب الحلو فتحضر لي الحامض، هات الحلو، فمضى وقطع من شجرة أخرى، فلما كسره وجده أيضاً حامضاً، فاشتد حرده عليه وفعل ذلك دفعة ثالثة، فقال له بعد ذلك أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال: لا، فقال: لم لا تعرف؟ فقال: لأني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه فقال ولم لا تأكل، قال: لأنك ما أذنت لي، فكشف عن ذلك

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 32 وتاريخ بغداد 10/ 152 وتذكرة الحفاظ 274 والديباج المذهب 130 والمعارف 511 وحلية الأولياء 8/ 162 والعبر 1/ 280 والشذرات 1/ 295 والأنساب للسمعاني 179 وصفة الصفوة 4/ 109 وطبقات ابن سعد حـ7 ق2 ص207.
وكان يقول الشعر في الزهد والوعظ ونماذج شعره في الورقة 14 وطبقات السبكي الـ150 وترتيب المدارك 1/ 305 وأنظر كذلك: العصر العباسي الأول لشوقي صيف ص402 وتاريخ الأدب العربي بروكلمان 3/ 153 و4/ 56.

(2) وفيات الأعيان 3/ 32.

فوجد قوله حقاً، فعظم في عينه وزوجه ابنته، ويقال أن عبد الله رزق من تلك الابنة، فتمت عليه بكة أبيه، ورأيت في بعض النسخ من التواريخ هذه القصة منسوبةً إلى إبراهيم بن أدهم العبد الصالح رضي الله عنه، كذا ذكره الطرطوشي في أول سراج الملوك[1] لابن أدهم، انتهى.

وذكر في كتاب أخلاق المحسنين بنقل المؤلف أن قاضياً من قضاة المسلمين كانت له بنت جميلة حسناء، فريدة في النضارة والبهاء، فرغبت الناس يخطبونها فلم يدر القاضي أي الناس أحق بها وأولى بأن يزوجها له، وكان له جار نصراني فشاوره في ذلك، فقال النصراني معتذراً، لست أهلاً لمشورة المسلمين، فقال القاضي: انك رجل مأمون في عقلك، واتبع لما يراه رأيك في ذلك، فقال النصراني: إن الكفاءة من الأمور المعتبرة في النكاح بل من اللوازم فيه، وهي في شريعة الإسلام بالديانة، وفي قواعد زمن الجاهلية بالحسب والنسب، وفي أبناء الدنيا بالثروة والمال والجاه، فاختر لنفسك ما يحلو، فاختار القاضي من الكفاءة ما كانت بالديانة، وكان عنده عبد يسمى مباركاً...متصفاً بالديانة والعمل الصالح والأمانة، فزوّجه بنته فرزق منها عبد الله المذكور، وقال في كتاب أسماء الرجال بنقله أيضاً أن هشام بن عروة وإسماعيل بن خالد وغيرهم من الأفاضل الأماجد رووا عنه، وكان إسماعيل بن عياش يقول ما على وجه الأرض مثل عبد الله ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا جعلها فيه.

ولد سنة ثمان عشرة ومائة، وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة في هيت[2]، انتهى.

وقبره هناك، ويعرف ويزار ويتبرك [به] قال ابن خلكان كان عبد الله قد غزا فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفى بها في شهر رمضان

---

(1) سراج الملوك ص21.

(2) هيت، مدينة على الفرات فوق الأنبار معجم البلدان (هيت) والوفيات 3/ 34 وهي اليوم من أقضية محافظة الأنبار في العراق.

سنة إحدى وقيل اثنتين وثمانين ومائة ومولده بمصر سنة ثماني عشرة ومائة[1]، انتهى، وهيت بكسر الهاء مدينة، وذكر في تذكرة الأولياء للشيخ فريد الدين العطار «**أن عبد الله بن المبارك كان في ابتداء أمره مشغوفاً بحب ابنة جميلة بحيث اخذ عشقها بجامع قلبه، فذهب في ليلة شاتية مع أحد إخوانه إلى محلتها حتى وصل إلى باب دارها، فلم يزل يذهب ويؤوب على الباب طمعاً في أن ينال وصالها، بأن تريه من جدران سطح الدار جمالها إلى أن انشق عمود الصبح، فلما أسفر الصبح هداه مصباحه إلى النجاح، فزالت عنه الهواجس الشيطانية وخطرت له الخواطر الرحمانية، وقال في نفسه لو كنت في الصلاة خلف إمام وطوّل بالقراءة لأملني ذلك، وحسبت من وقوفي كأنه سنة، فما لي لا أحسب ليلة مرّت بهوى نفسي وقد عادلت في الطول سنة الا سنة أو لحظة، فهنالك تاب إلى الله وأناب إليه وأخذ بعبادته إلى أن صار من أمره ما صار**» انتهى

قلت وقال في حياة الحيوان[2] روينا عن عبد الله بن المبارك كان يتجر ويقول لو لا خمسة ما أتجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن عليّة، أي ليصلهم، فقدم سنة فقيل له قد ولي ابن عليّة القضاء، فلم يأته ولم يصله بشيء، فأتى إليه ابن علية فلم يرفع إليه رأسه ثم كتب إليه ابن المبارك وقال:

يا جاعل الدنيا له بازياً	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحلةٍ تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما	كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها	لترك أبواب السلاطين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عوف وابن سيرين
إن قلت أكرهت فذا باطل	زلَّ حمارُ العلم في الطين

(1) وفيات الأعيان 3/ 133.

(2) حياة الحيوان الكبرى 1/ 181.

فلما وقف إسماعيل بن علية على هذه الأبيات ذهب إلى الرشيد ولم يزل به إلى أن استعفاه من القضاء فأعفاه، انتهى.

ومن كلامه: تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا[1]، وذكر بعض المؤرخين أن عبد الله ابن المبارك استعار قلماً من الشام وعرض له سفر إلى إنطاكية، وكان قد نسي القلم فتذكره هناك، فرجع من إنطاكية إلى الشام ماشياً حتى ردّ القلم لصاحبه، وعاد[2] وروي أن عند ذكره تنزل الرحمة، وقال ابن خلكان[3]، أن أبا علي الجيّاني نقل أن عبد الله بن المبارك المذكور سئل أيهما أفضل معاوية ابن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز، فقال: والله إن الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقال سمع الله لمن حمده فقال معاوية ربنا ولك الحمد فما بعد هذا، انتهى، والله أعلم.

---

(1) الكلمة في وفيات الأعيان 3/ 34 وحياة الحيوان 1/ 181.

(2) الخبر في حياة الحيوان 1/ 181.

(3) وفيات الأعيان 3/ 33 وفيه «أبو علي الغساني البياني».

57 ـ عبد العزيز بن عبد الله[1]

ومنهم عبد العزيز بن عبد الله، هو من أكابر علماء مدينة الرسول، جمع في العلم بين الفروع والأصول، روى الحديث عن ابن شهاب الزهري، ومحمد بن المنكدر وعبد الله بن دينار وغيرهم من علماء عصره الأخيار، وروى عن ليث بن سعد وبشر بن الفضل ووكيع وغيرهم، وتوفى في بغداد سنة أربع وستين ومائة، وصلى عليه المهدي الخليفة العباسي، ودفن في مقابر قريش، كذا في كتاب أسماء الرجال بنقل المؤلف.

---

(1) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، أبو عبد الله، مولى لآل الهدير التيميّن من أهل المدينة، قدم بغداد فأقام بها إلى أن توفى في خلافة المهدي.

طبقات ابن سعد ج7 ق2/ ص67 وتذكرة الحفاظ 1/ 206 والتهذيب 6/ 343 وتاريخ بغداد 10/ 436 والأعلام 4/ 22.

58 ـ أبو الوقت عبد الأول[1]

ومنهم عبد الأول، ويكنى أبا الوقت وينتهي نسبه إلى إبراهيم الصوفي النهروي أحد العلماء العاملين، والفضلاء الكاملين، قدم بغداد سنة اثنتين وقيل ثلاث وخمسين وخمسمائة، روى صحيح البخاري عن الحسن [بن] عبد الرحمن الداودي. ومسند الدارمي عنه وعن السرخسي، وروى عنه جمعٌ كثيرون من علماء بغداد، توفي في بغداد ودفن في مقابر الشونيزية قرب جنيد والسرّي كما نقله المؤلف.

قلت: قال ابن خلكان في نسبه: عبد الأول بن أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن اسحق السّجزي[2]، وقال كان مكثراً من الحديث عالي الإسناد، طالت مدته والحق الأصاغر بالأكابر، ثم قال[3] وكان الشيخ أبو الوقت عبد الأول صالحاً فغلب[4] عليه الخير، وانتقل أبوه إلى مدينة هراة وسكنها، فولد بها أبو الوقت في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وخمسماية، فبينما نقل المؤلف وما قاله ابن خلكان[5] مخالفة لا تحتاج

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 226 وتذكرة الحفاظ 1315 والعبر 4/ 151 والشذرات 4/ 166.

(2) في الوفيات: شعيب بن إبراهيم بن اسحاق.

(3) يعني المؤلف.

(4) في الوفيات: يغلب.

(5) في الوفيات 3/ 226 أنه ولد في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

إلى بيان، والله أعلم، وعبد الأول المذكور تنتهي إليه طرق روايتنا لصحيح البخاري عن مشائخنا وبينه وبين البخاري ثلاثة مشايخ، فإنه روى عن الداودي، هو عن السرخسي، وهو عن محمد بن يوسف الغربري، وهو عن الإمام البخاري كما هو مذكور في ثبتنا[1] ولله الحمد والمنة.

(1) ثبت البندنيجي نسخة منه في دار صدام للمخطوطات برقم (9560/ 2).

59 ـ عبد الله بن إدريس[1]

ومنهم عبد الله بن إدريس، ويكنى أبا محمد، وهو عالم جليل، ثقة، كوفي أتى به خليفة عصره من الكوفة إلى بغداد فأبى ثم رجع إلى الكوفة وأقام بها إلى أن مات، ولد سنة خمس عشرة ومائة وتوفى سنة اثنتين وتسعين ومائة في الكوفة، ودفن بها على ما نقله المؤلف من كتاب أسماء الرجال والله أعلم.

(1) عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي، أراد الرشيد أن يوليه القضاء فامتنع تورعاً، فوصله، فرد صلته عليه.
أخباره في طبقات ابن سعد 6/ 271 وتذكرة الحفاظ 1/ 259 وتهذيب التهذيب 5/ 144 وتاريخ بغداد 9/ 415.

60 ـ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري[1]

ومنهم عبد الله بن مسلم ويكنى أبا محمد، ويعرف بالدينوري أحد علماء زمانه، وعدة فضلاء أوانه، أخذ من أكابر المحدثين، وروى عن جهابذة أساطين الدين، وروى عنه ابنه أحمد[2]، وعبد الله بن أحمد السكري[3] وغيرهما، وله تصانيف جليلة في بيان غرائب القرآن ومشكلاته، وسائر العلوم والفنون، توفي في بغداد سنة سبعين ومائتين[4] ودفن فيها على ما نقله المؤلف.

---

(1) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد سنة 213هـ، ببغداد، وسكن الكوفة، وكان من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ومؤلفاته كثيرة جداً طبع منها:
(الشعر والشعراء)، طبع في ليدن سنة 1875م ثم سنة 1902. وطبعه الخانجي سنة 1904، ثم نشره الشيخ أحمد محمد شاكر في ثلاث طبعات.
و(أدب الكاتب) طبع في ليدن وليبسك ومصر، ثم نشره محي الدين عبد الحميد في عدة طبعات آخرها الرابعة سنة 1963.
و(الأشربة) طبع بدمشق بتحقيق محمد كرد علي سنة 1947.
و«تأويل مختلف الحديث» طبع بالقاهرة سنة 1326هـ و«عيون الأخبار» طبع في غوتنجن ثم أصدرته دار الكتب المصرية في أربعة أجزاء و(المعارف) طبع في غوتنجن سنة 185، ثم نشره محققاً الأستاذ ثروت عكاشة سنة 1960 عن دار الكتب المصرية و(المسائل والأجوب) طبع بمصر سنة 1349هـ
ومما لم يطبع منها كثير جداً: أنظر مقدمة «الشعر والشعراء» ومقدمة «المعارف» وفيهما أسماء مؤلفاته ومصادر دراسته.

(2) أبو جعفر أحمد بن عبد الله، كان فقيهاً، روى عن أبيه كتبه المصنفة كلها، وولي قضاء مصر وتوفي بها سنة 322هـ، أنظر: وفيات الأعيان 3/ 43 ورفع الاصر 72.

(3) كذا في الأصل وفي تاريخ بغداد 10/ 170 «عبيد الله بن عبد الرحمن السكري».

(4) في الوفيات 3/ 43: (وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل سنة إحدى وسبعين، وقيل أول ليلة رجب وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين والأخير أصح الأقوال».

61 ـ القواريري عبد الله بن عمر بن ميسرة البصري[1]

ومنهم عبد الله بن عمر بن ميسرة، ويعرف بالقواريري البصري، وكان من العلماء الأعلام والمحدثين الأماثل الكرام، وروى عن حماد بن زيد وعبد الله بن سعيد، وأخذ عنه علماء عصره الأكارم كالإمام أحمد بن حنبل وأبو داود السجستاني وأبو زرعة وأبو حازم توفى في بغداد سنة مائتين وخمس وثلاثين، ودفن فيها، كذا ذكره المؤلف من غير تعيين.

---

(1) أبو سعيد (عبد الله) أو (عبيد الله) بن عمر بن ميسرة القواريري البصري الحافظ، من كبار أئمة الحديث ببغداد.

ترجمته في:

العبر 1/ 422 وتذكرة الحفاظ 2/ 438 وفيهما اسمه «عبيد الله» والشذرات 2/ 85

62 ـ علي بن الجوهري[1]

ومنهم علي بن الجعد الجوهري، ويكنى أبا الحسن، من أكابر علماء الدين، وأماثل الحفاظ المحدثين، وجمع بين العلم والعمل، وطول الفضل وقصر الأمل، وصام ستين سنة، صوم داود عليه السلام، يصوم يوماً ويفطر يوماً، وروى عنه أبو بكر بن[2] أبي شيبة والإمام البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم.

توفي في بغداد سنة ثلاثين ومائتين، ودفن في مقبرة باب حرب، كذا في كتاب أسماء الرجال بنقله.

---

(1) علي بن الجعد بن عبيد الهاشمي مولاهم، كان مولى (أم سلمة المخزومية) امرأة «أبي العباس السفاح» الخليفة العباسي، ولد سنة 136هـ كان يتجر بالجواهر، فسمي الجوهري، وكان شيخ بغداد في عصره، جمع عبد الله بن محمد البغوي اثني عشر جزءاً من حديثه سماها «الجعديات» مشتملة على تراجم شيوخه وشيوخهم.

المعارف ص525 و626 والعبر 1/ 406 وتهذيب التهذيب 7/ 289 وتاريخ بغداد 11/ 360 وطبقات ابن سعد جـ7 ق2 ص80.

(2) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أنظر الترجمة رقم (48).

63 ـ علي بن عبد الله[1]

ومنهم علي بن عبد الله، يكنى أبا الحسن، وكان أسوة المحدثين، وقدوة المسلمين، مجمعاً على جلالته في عصره، مسلماً فضله لدى فضلاء عصره، أخذ الحديث عن أبيه وعن حماد بن زيد، وروى عنه صالح بن الإمام أحمد بن حنبل، والحسين بن محمد الزعفراني توفي في سر من رأى سنة أربع ومائتين[2]، ودفن هنالك كما نقله المؤلف.

---

(1) أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي بالولاء البصري المديني، محدث ومؤرخ، مؤلفاته كثيرة جداً. منها «الأسامي والكنى» ثمانية أجزاء و«الطبقات» عشرة أجزاء و«قبائل العرب» عشرة أجزاء و«اختلاف الحديث» خمسة أجزاء و«مذهب المحدثين» جزآن.

أنظر: المعارف 527 والعبر 1/ 418 وميزان الاعتدال 2/ 229 وتاريخ بغداد 11/ 458 ومفتاح السعادة 2/ 163 وفيها أنه توفى سنة 234هـ.

(2) كذا في الأصل، وفي مصادر ترجمته أنه توفي سنة 234هـ.

64 ـ قيس بن أبي حازم(1)

ومنهم قيس بن أبي حازم، ويكنى أبا عبد الله، أدرك زمن النبوة، وتشرف بشرف الإسلام بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأتى ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم ويفوز بلقياه، فقبل أن يصل إلى حضرته، وينال الشرف بصحبته توفى صلى الله عليه وسلم، ولقي الأصحاب الأساطين، وهو من أكابر التابعين، وعد في بعض التواريخ من جملة الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. روى عن بلال بن رباح وعبد الله ابن مسعود، وعن تسعة من العشرة المبشرة وغيرهم من الأصحاب الخيرة، وكان مع الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وقعة النهروان، وعمر فوق مائة سنة من الزمان، ثم توفى في الكوفة ودفن هناك.

---

(1) قيس بن عوف (أبي حازم) بن عبد الحارث، الأحمسي البجلي الكوفي، أدرك عصر النبوة وشارك في فتح العراق، وروى عن الصحابة توفى سنة 84هـ أو 97هـ أو 98هـ، أنظر: طبقات ابن سعد 6/ 44 وتهذيب التهذيب 8/ 386 والعبر 1/ 115

65 ـ محمود بن حداس

ومنهم محمود بن حداس، وهو من الأئمة الأعلام المحدثين، ومن مشايخ الترمذي سكن في بغداد، واشتغل بنشر الأحاديث فيها للعلماء الأمجاد، روى عن عبد الله بن المبارك وعن محمد بن ربيعة[1]، وروى عنه جمع كثير من العلماء ذوي المراتب الرفيعة، وتوفى في بغداد سنة مائتين وخمسين، ودفن فيها في إحدى مقابر الصالحين، كذا ذكره المؤلف ناقلاً له عن الكتاب المذكور والله أعلم بحقائق الأمور.

---

(1) محمد بن ربيعة، أبو عبد الله، ذكره ابن سعد في الطبقات 6/ 278 قال روي عنه ومات ببغداد

66 ـ الشيخ عبد القادر الكيلاني[1]

ومنهم القطب الرباني والغوث الصمداني الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني، قدس الله سره وأفاض علينا برّه، هو قدوة السالكين، وأسوة الناسكين، مربّي المريدين، مرقي الطالبين الذي تواترت له المناقب والمفاخر، وخضعت لقدمه رقاب الأولياء الأكابر، شيخ مشايخنا الأوائل والأواخر، والقطب الرباني، والهيكل النوراني، أبو محمد، محي الدين عبد القادر الكيلاني وينتهي نسبه الشريف إلى الإمام الحسن سبط النبي صلى الله عليه وسلم على ما ساقه في البهجة[2] حيث قال: ابن أبي صالح موسى الشهير بجنكي دوست ابن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد ابن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن

---

(1) ترجمته في: النجوم الزاهرة 5/ 371 وطبقات الشعراني 1/ 108 وفوات الوفيات 2/ 2 ونور الأبصار 233 وشذرات الذهب 4/ 198 والكامل لابن الأثير 11/ 121 وبهجة المجالس وأغلب ما سيرد منقول عنه.

(2) بهجة المجالس ص88 وفي عمدة الطالب ص130/ وقد نسبوا إلى عبد الله بن محمد ابن يحيى بن محمد ابن الرومية المذكور الشيخ الجليل الباز الأشهب محي الدين (عبد القادر الكيلاني) فقالوا: هو عبد القادر بن محمد بن جنكي دوست ابن عبد الله المذكور ولم يدع الشيخ عبد القادر هذا النسب ولا أحد من أولاده، وإنما ابتدأ بها ولد ولده القاضي أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبد القادر، ولم يقم عليها بينه ولا عرفها له أحد، على أن عبد الله بن محمد بن يحيى رجل حجازي ولم يخرج عن الحجاز، وهذا الاسم ـأعني جنكي دوست أعجمي صريح كما تراه.

ويجب أن نلاحظ أن النسب الذي أورده صاحب البهجة روي عن أبي صالح نصر أيضاً.

الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، ولد سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، روى عن أمه أم الخير آمة الجبار فاطمة بالإسناد على ما في البهجة[1] أنها تقول غير مرة لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان، وغم على الناس هلال رمضان فأتوني وسئلوني عنه فقلت لم يلتقم اليوم ثدياً، ثم اتضح أن ذلك اليوم من رمضان، واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان، وروي بالإسناد عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر أنه قال سمعت عمي عبد الوهاب يقول: أن الأكابر من مشايخ العجم وعلمائها في رحلتي إليها يروون عن أكابره أنه كان لا يرضع في نهار رمضان يعني والده الشيخ عبد القادر وروى عن الشيخ رضي الله عنه كما ذكره مولانا السامي عبد الرحمن الجامي في كتابه المسمى بنفحات الأنس بنقل المؤلف أنه قال: خرجت في يوم عرفة أيام شبابي إلى الصحراء أقصد الحراثة ومعي ثور أعمل عليه وإذا أنا بالثور يقول لي يا عبد القادر ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، فارتعدت فرائصي بذلك المقال، واعترتني دهشة، وأخذني الحال، فرجعت إلى منزلي بلا اختيار، وصعدت على سطح الدار، فنظرت وقد رفعت عني حجب الناسوت، وفتحت لي أبواب الملكوت، ورأيت الحجاج واقفين بعرفة، وشاهدتهم على ما هم عليها من تلك البقعة المشرفة، فعند ذلك أخذت يد الجذب الإلهي بمجامع قلبي، ونهب جذر الحب الحقيقي أثار السّوى من مصر لبّي، فعزمت على السفر إلى بغداد لزيارة أوليائها الأفراد وملاقاة علماء دينها الأمجاد، شوقاً إلى الاستفاضة من فيض أنفاسهم والاستنارة من أشعة نبراسهم، قلت: وهنا يكون سير المجذوب السالك المعروف بذي قرب الفرائض عند أهل المسالك وأشير إليه بالحديث القدسي، كما هو معلوم لمحرم الحريم الأنسي، قال رضي الله عنه ثم استأذنت أمي لما

(1) بهجة المجالس ص89.

نويت وقصصت عليها قصتي مثل ما رأيت، وبكت على مفارقتي بذلك السفر إذ حبُّ الولد مما جُبِل عليه البشر، أذنت لي، وأسعفتني إلى مطلبي وأعطتني أربعين ديناراً وكانت موروثةً من أبي، وأوصتني بصدق المقال في كل حال، ثم أودعتني إلى الله المتعال، فأودعتها ورافقت قافلة تسير إلى بغداد والله نعم الرفيق، فسرنا وإذا نحن بستين فارساً قاطعين للطريق، خرجوا إلينا، وشنوا الغارة علينا فأخذوا القافلة ونهبوها وغلبوا أهلها وسلبوها، وأقبل رجل منهم إلي وأخذ في السؤال عما أملكه وما لديّ من المال، فقلت عندي أربعون ديناراً فقال لي فأين هي فقلت في جيبي، فظنني هازئاً وتركني ومضى، ثم جاءني آخر وآخر فسألاني وأجبتهما كما تقدم. فطويا عني كشحاً، وأعرضا، ثم اجتمعوا جميعاً في مكان وجعلوا يقتسمون بينهم ما أخذوه من الأموال، فقص لرئيسهم أحد أصحابي ما جرى بيني وبينه من سؤاله وجوابي، فدعاني الرئيس وسألني فأجبته بما مرّ من الجواب، فأخذ يفتشني ليتبيّن الكذب عن الصدق والخطأ عن الصواب، فطابق واقع الحال لما سمع مني من المقال، فظهرت الدنانير والكمال، فقال أيها الفقير ما سبب إظهار ما لديك في موضع يجب الإخفاء عليك فقلت عاهدتني أمي على الصدق أينما كنت في جميع ما عملت وقلت، فلزمت ذلك واستقمت بحول الله على ما هنالك، فلما سمع ذلك الرئيس مقالي، وظهر لديه خفيّ حالي، وقد سبقته العناية من مولى الهداية، تنبه من نوم الغفلة وصحا من سكر ما خامر عقله، فأخذ يبكي ويظهر الندم، ويقول: وازلة القدم طالما خنت عهود المولى، وعذرت الشروط فإلى متى هذا الخطا وإلى متى إلى ما نهيت عنه أمدّ الخطا، ثم تاب هو من معه، وردّوا عليّ وعلى القافلة أموالهم مجتمعة، ثم لم يزل رضي الله عنه يسير إلى أن دخل بغداد في زمنٍ يسير سنة أربعمائة وثمان وثمانين، وشرفها بيمن أقدامه الميامين، فاشتغل بالفقه والحديث والتفسير وسائر العلوم ففاز منه من النصيب منها ما تعجز عنه الرقوم، انتهى.

قلت: وقال في البهجة[1] عبارة تحيا بها المهجة، في بيان علمه رضي الله عنه وتسميته بعض مشائخه، أعلم أمدّك الله برفده، وجعلك من جنده، إن يد القدرة استخرجت من البحر النبوي، درّةً يتيمة عقدها وفريدة مجدها ونسيجة وحدها، ووحيدة فردها، واستخلصها مالكها لنفسه، وطهرها بجواد قدسه، ونورها ببهجة أنسه، وصفّاها بحبه[2]، واصطفاها لقربه، واصطفها لحضرته، وجذبها لرحمته، وناداها بفضله، وباداها[3] بوصله وأودعها من علمه، وسرّ معارفه[4]، وألبسها من نوره وسرّ لطائفه، فبرزت طلائعها[5] في مراكب المعالي والمفاخر، وأسفرت عن صبح طلعة الشيخ محي الدين عبد القادر، فاشتغل بالقرآن حتى أتقنه، وعمّ بدراسته سرّه وعلنه، وتفقه على أبي الوفا علي بن عقيل[6]، وأبي الخطاب محفوظ بن أحمد[7] الكلواذي وأبي الحسن محمد بن القاضي[8] أبي يعلي محمد بن الحسين بن محمد الفراء، وأبي سعيد المبارك[9] بن علي المخزومي رضي الله عنه مذهباً وخلافاً وفروعاً وأصولاً وسمع الحديث من جماعة منهم أبو غالب محمد بن[10] الحسن بن أحمد بن حسن الباقلاّني، وأبو

---

(1) بهجة المجالس: 105.

(2) في الأصل وصفا لحبه، والتصويب عن البهجة.

(3) في الأصل: ونادبها.

(4) في الأصل: وسدّ معارفه، والتصويب عن البهجة.

(5) في الأصل: فبرزت لطلابها في مراكب.

(6) أبو وفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، عالم العراق، وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته له تصانيف كثيرة، توفي سنة 513هـ، شذرات الذهب 8/ 217 والأعلام 4/ 313.

(7) أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني، (في الأصل الكوراني، وفي البهجة الكوداني)، وأصله من كلواذى (من ضواحي بغداد) من أئمة الحنابلة، له تصانيف كثيرة، توفي سنة 510هـ.

(8) أبو الحسن محمد بن القاضي أبي يعلي محمد بن الحسين بن محمد الفراء.

(9) في الأصل: أبي سعيد بن المبارك بن علي، والتصويب عن بهجة المجالس.

(10) في الأصل: أبو غالب محمد بن أبي الحسن أحمد بن حسن الباقلاني، والتصويب عن بهجة المجالس.

سعد محمد بن عبد الكريم[1] بن حبيش وغيرهم، وقرأ الأدب علي أبي زكريا[2] يحيى بن علي التبريزي، وصحب الشيخ العارف قدوة المحققين أبا الخير حماد[3] بن مسلم الدبّاس، وأخذ عنه علم الطريقة وتأدب به، وأخذ الخرقة الشريفة ولبسها من أبي سعيد المخزومي، ولقي جماعة من زهاد وأعيان الزمان وعظماء الأعيان، ولما قدم بغداد ولقي علماءها الأمجاد، وقام بأخذ العلوم الشرعية، وبتلقي الفنون الدينية حتى فاق أهل زمانه وتميز من بين أقرانه ثم إن الله أظهره للخلق وأوقع له القبول العظيم عند الخاص والعام والهيبة الوافرة عند العلماء الأعلام، وأظهر الله عز وجل الحكم من قلبه على لسانه، وظهرت علامات قربه من الله، وامارات ولايته وشواهد تخصيصه، مع قدم راسخ في المجاهدة[4] وتجرد خالص من دواعي الهوى، ومقاطعة دائمة لجميع الخلائق، وصبر جميل في طلب مولاه سبحانه على مرّ الشدائد والبلوى، ورفض كلي لكل الأشغال، ثم أضيف إلى مدرسة أستاذه أبي سعيد المخزومي، وما حولها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها، وبذل الأغنياء في عمارتها أمواله، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم، فكملت وهي المدرسة المنسوبة إليه الآن.

وكان الفراغ منها سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وتصدر بها للتدريس والفتوى، وجلس بها للوعظ، وقصدت بالزيارات والنذور، واجتمع عنده بها من العلماء والفقهاء والصلحاء جماعة كثيرة ينتفعون بكلامه وصحبته

---

(1) في الأصل: أبو غالب بن عبد الكريم بن حبيش والتصويب عن بهجة المجالس.

(2) أبو زكريا يحيى بن علي اللبزيزي، الشيباني، من أئمة اللغة والأدب، نشأ ببغداد ورحل إلى الشام، وعاد إلى بغداد وفيها توفي سنة 502هـ، ومؤلفاته كثيرة جداً.
أنظر: وفيات الأعيان ومعجم الأدباء 7/ 286.

(3) حماد بن مسلم الدباس: أنظر الترجمة رقم (82).

(4) المجاهدة عند الصوفية، مجاهدة النفس، وهي كما يقول الحسن البزاز «أن لا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة» الغنية للكيلاني 2/ 182.
وأنظر: الرسالة القشيرية ص81 ومعجم ألفاظ الصوفية ص252.

وقصد إليه طلبة العلم من الآفاق وانتهت إليه تربية المريدين بالعراق، وأتي مقاليد الحقائق، وسلمت عليه أزمة المعارف فأصبح قطب الوقت حكماً وعلماً، وقام بالنظر والتقوى نقضاً وبرماً، وبرهن على العلم فرعاً وأصلاً، وبين الحكم عقلاً ونقلاً، وانتصر للحق قولاً وفعلاً، وصنف كتباً[1] مفيدة وأملى، فسارت بذكره الركبان، وطارت بصيته إلى الأكوان، وانتشرت أخباره في الآفاق، والتوت نحوه الأعناق، وتنزّهت في حدائق محاسنه الأعين، واختلفت ببدائع أوصافه الألسن، فمن واصف له بذي البيانين واللسانين، ومن ناعت له بكريم الجدين والطرفين، ومن ملقب له بصاحب البرهانين والسلطانين، ومن داعٍ له بإمام الفريقين والطريقين، ومن مسمع له بذي السراجين والمنهاجين، فأضحى الزمان به كتائبه، وانتمى إليه جمع كثير من العلماء والفضلاء، وتلمذ عليه جمٌّ غفير من الفقهاء والصلحاء، وهذا المختصر لا يفي بذكرهم على التفصيل، إذ لا يتحمل الأطناب والتصويب، وروي بالإسناد عن الشيخ أبي القاسم عمر بن مسعود[2] المعروف بالبزاز البغدادي وعن الشيخ أبي حفص عمر الكمياني[3]، وكان ممن تتلمذوا على الشيخ أنهما قالا: سمعنا الشيخ عبد القادر يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر من يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة فقال لي: يا بني لم لا تتكلم؟ قلت: يا أبتاه أنا رجل أعجمي، كيف أتكلم على فصحاء بغداد، فقال: افتح فاك، ففتحته، فتفل فيه سبعا، ثم قال لي: تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج علي، فرأيت علياً رضي الله عنه قائماً بإزائي في المجلس

---

(1) طبع من مؤلفاته (الغنية) و«الفتح الرباني والفيض الرحماني» و«فتوح الغيب» و«الفيوضات الربانية».

(2) عمر بن مسعود بن أبي العز الفراس، أبو القاسم الزاهد البزاز، من أصحاب الشيخ عبد القادر، بنى لنفسه رباطاً سكنه جماعة من الفقراء، ولد سنة 533هـ وتوفي سنة 608هـ، المختصر المحتاج إليه 3/ 110 ودليل خارطة بغداد ص299.

(3) في البهجة ص25 العمران الكميماني.

فقال لي: يا بني لم لا تتكلم؟ قلت يا أبتاه قد ارتج عليّ فقال لي: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه ستاً، فقلت: لم لا تكملها سبعاً؟ قال: أدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم توارى عني، فقلت: غواص الفكر يغوص في بحر القلب، على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر، فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان فتشترى بنفائس أثمان حسن الطاعة في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، انتهى

قالوا: هذا أول كلام تكلم به الشيخ رضي الله عنه على الكرسي، وروي عن بعض المشايخ وقد حضر مجلس وعظه أنه كان يوماً يتكلم في مقامات الواصلين ومشاهد العارفين حتى اشتاق كل من كان حاضراً إلى الله تعالى، فوقع في خاطري: كيف الطريق إلى الله عز وجل، ونيل المراد؟ فقطع كلامه والتفت إلى جهتي وقال: بينك وبين نيل مرادك قدمان تقطع بأحدهما الدنيا وبالأخرى نفسك، ثم ها أنت وربك وأنشد:

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه ويحلو له مرّ المنايا ويعذُب

وكان رضي الله عنه يتكلم في ثلاثة عشر علماً، وكان يذكر في مدرسته درساً في التفسير، ودرساً من الحديث ودرساً من المذهب، ودرساً من خلاف المذهب والأصول والنحو، كان يقرأ بالقراءات السبع بعد الظهر، وقال غير واحد: وكانت الفتاوى تأتي إليه من بلاد العراق وغيره، وقالوا ما رأيناه يبيت عنده فتوى يطالع فيها أو يتفكر فيها عقيب قراءتها، وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد رضي الله عنهما، وكانت فتاواه تعرض على علماء العراق فما كان تعجبهم من صوابه أشدّ من تعجبهم بسرعة جوابه.

وروي[1] عن الشيخ سيف الدين يحيى بن أبي زكريا بن قاضي القضاة أبي صالح قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه عبد الرزاق بن الشيخ أنه قال:

---

(1) بهجة المجالس ص118.

جاءت فتوى من العجم إلى بغداد بعد أن عُرضت على علماء العراقَينِ عراق العجم وعراق العرب فلم يتضح لأحد فيها جواب شافٍ، وصورتها ما تقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق ثلاث أنه لا بد أن ينفرد لله عز وجل في عبادة يتفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبس بها فما يفعل من العبادات، قال: فأتى بها إلى والدي فكتب عليها على الفور: يأتي مكة ويخلّى له المطاف، ويطوف سبعاً وحده فتنحلّ يمينه، قال فما بات المستفتي انتهى.

وروي[1] عن الشيخ علي الهيتي[2] قال: زرت مع الشيخ رضي الله عنه والشيخ بقاء بن بطو قبر الإمام أحمد بن حنبل فشهدنه خرج من قبره وضم الشيخ عبد القادر إلى صدره وألبسه خلقه، وقال: يا شيخ عبد القادر قد افتقر إليك في علم الشريعة وعلم الحقيقة وعلم الحال وفعل الحال، انتهى

وقال رضي الله عنه في التقوى: التقوى على وجوه التقوى العامة، وتقوى الخاصة وتقوى خاص الخاص، فتقوى العامة ترك الشرك بالخالق، وتقوى الخاصة ترك الهوى وترك المعاصي ومخالفة النفس في سائر الأحوال، وتقوى خاص الخاص من الأولياء بترك الأرادات في الأشياء، والتحري في النوافل من العبادات والتعلق بالأسباب والركون إلى ما سوى المولى بلزوم الحال، والمقام والامتثال للأمر في جميع ذلك مع أحكام الفرائض، وتقوى الأنبياء لا يتجاوزهم غيب في غيب، فهو من الله إلى الله وبأمر الله ويأمرهم وينهاهم ويوفقهم ويؤديهم ويطيبهم ويطهرهم ويكلمهم ويحدثهم ويرشدهم ويهديهم ويعفيهم ويعطيهم ويطلعهم وينصرهم ولا مجال للعقل في ذلك، فهم في معزل عن البشر بل عن الملائكة إلا فيما يتعلق بالحكم الظاهر والأمر المبيّن الموضوع للأمة وعوام المؤمنين،

---

(1) بهجة المجالس ص118.

(2) علي الهيتي: أنظر الترجمة رقم (144).

فإنهم يشاركون الخلق في ذلك [وينفردون] عنهم فيما سوى ذلك، وقد يعطي بعض ذلك الكرام من الأبدال[1] والخواص من الأولياء فتقصّر عبادتهم عن ذلك فلا تظهر إلى الوجود ولا تدرك بالسمع والحس، ويستدل على التقوى بثلاث: بحسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الصبر على ما فات، والشكر على ما في يديه، ثم قال: وطريق التقوى أولاً التخلص من مظالم العباد من حقوقهم، ثم من المعاصي الكبار منها والصغائر، ثم الاشتغال بترك ذنوب القلب التي هي أمهات الذنوب وأصولها التي منها تتفرع ذنوب الجوارح من الرياء والنفاق والعجب والكبر والحرص والطمع والخوف وطلب الجاه والرئاسة والتقدم على أبناء جنسه وغير ذلك مما يطول شرحه، وإنما يقوى على جميع ذلك بمخالفة الهوى، ثم الاشتغال بترك الإرادة، وأن لا يختار مع الله شيئاً ولا يدبّر مع تدبيره، ولا يخير عليه ولا يعترض عليه عزّ وجلّ في حكمه في خلقه، بل يسلم الكل في الكل إليه ويستسلم بين يديه ويطرح نفسه لديه فيصير بيد قدرته كالطفل بيد ظئره ودابته، والميت بيد غاسله، مسلوب اختياره، منزوع عن إرادته، فإن قال قائل: كيف الطريق إلى ذلك، قيل له الطريق إلى ذلك بصدق الإلتجاء إلى الله عز وجل، والانقطاع إليه، ولزوم طاعته، وامتثال أوامره، وانتهاء نواهيه والتسليم لقدره وحفظ الحال، وصيانة حدودها أبداً، وما نجا من نجا إلا بمراعات الوفاء وتحقيق الحياء وتخليص الرضاء، وصدق الأعراض من الدنيا، وهي الحجاب العظيم، وبها يتبين الخاص من المبهرج.

وقال بعدما بين الورع وعرف درجاته: لا يتم الورع إلا بعشر خصال، أن يراها الشخص فريضة على نفسه؛

الأول: حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضاً، والثاني: الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى: اجتنبوا كثيراً من

---

(1) الأبدال .. واحد البدل، إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء عند الصوفية.
أنظر: معجم ألفاظ الصوفية ص22.

الظن، إن بعض الظن إثم ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم والظن فإنه أكذب الحديث، والثالث: الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى: لا يسخر قوم من قوم عسى الآية، والرابع: غضّ البصر عن المحارم لقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، والخامس: صدق اللسان لقوله تعالى: وإذا قلتم فاعدلوا، يعني فاصدقوا، والسادس: أن يعرف منّة الله تعالى عليه لئلاّ يعجب بنفسه لقوله تعالى: بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان، السابع: أن ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل لقوله تعالى: والذين إذا أنفقوا يُسرفوا ولم يقتروا، يعني لم ينفقوا في المعصية، ولم يمنعوا عن الطاعة، والثامن: أن لا تطلب نفسه العلو والكبر لقوله تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، والتاسع: المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها، لقوله تعالى: حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين، والعاشر: الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى: وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.

وسئل رضي الله عنه عن الهمة، فقال: هي أن يتعرى بنفسه عن حب الدنيا، وبروحه عن التعلق بالعقبى، وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ويتجرد بسره عن الإشارة إلى الكون ولو بلمحة ولو بطرفة.

وروي أنه كان الشيخ رضي الله عنه يتكلم فداخل الناس فترة فنظر إلى السماء فقال:

لا تسقني وحدي فما عودتني	أني أشحّ بها على جلاسي
أنت الكريم وهل يليق تكرّماً	أن يعبر الندماء دور الكاس

فاضطرب الناس اضطراباً شديداً، وتداخلهم أمر جليل، ومات في المجلس واحد واثنان، وسئل رضي الله عنه عن إبليس أنه قال: أنا مطرد، والحلاج قال: أنا مقرّب، قال: رضي الله عنه: الحلاج قصد الفناء بقوله أنا يبقى هو بلا هو فأوصل إلى مجلس الوصال، وخلع خلعة البقاء،

وإبليس قصد البقاء بقوله أنا ففنيت ولايته، وسلبت نعمته، وخفضت درجته، ورفعت لعنته.

وروي بالإسناد عن أبي الفتح سليمان أنه قال: سمعت أبي عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر يقول: كان والدي يتكلم بالأسبوع ثلاث مرات بالمدرسة، بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وبالرباط بكرة الأحد، وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم، ومدة كلامه على الناس أربعون سنة، أولها سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وآخرها سنة إحدى وستين وخمسمائة، ومدة تصدره للتدريس والفتوى بمدرسته ثلاث وثلاثون سنة، أولها ثمان وعشرون وخمسمائة، وكان يقرأ في مجلسه قارئان أخوان بغير ألحان ولا لحن قراءه مرتّلة وكان يقرأ في مجلسه أيضاً الشريف أبو الفتح مسعود بن عمر الهاشمي المقرئ، وكان يموت في مجلسه الرجلان والثلاثة، وكان يكتب ما يقول في مجلسه، وكان كثيراً ما يخطو في [الهواء] في مجلسه على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي، انتهى

وروي عن الشيخ عمر الكميماتي، وكان تلميذاً له أنه قال: لم يكن مجلس الشيخ يخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى ولا ممن يرجع عن معتقده بشيء من الرافضة وغيرهم، وأتاه راهب أسلم على يديه في المجلس ثم قال للناس: إني رجل من أهل اليمن وإن الإسلام وقع في نفسي وقوى عزمي أن لا أسلم إلا على يد حبر أهل اليمن في ظني وجلست مفكراً في نفسي، فغلب علي النوم فرأيت عيسى بن مريم يقول: يا سنان اذهب إلى بغداد وأسلم على يدي الشيخ عبد القادر فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت، قال: وأتاه مرة أخرى ثلاثة عشر من النصارى واسلموا على يديه في مجلس وعظه فقالوا نحن من نصارى العرب وأردنا الإسلام وترددنا فيمن نقصده لنسلم على يديه، فهتف بنا هاتف نسمع كلامه ولا نرى مشخصه يقول: أيها الركب ذا الفلاح ائتوا بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر فإنه يوضع في قلوبكم من الإيمان عنده ببركة ما لم يوضع

فيها عند غيره من سائر الناس وحكي أنه قيل للشيخ رضي الله عنه صف لنا شيئاً مما وجدته من أهوال البداية والنهاية من هذا الأمر لنقتدي بك فأنشد شعراً:

أنا راغب فيمن تعزز وصفه	ومناي ألفة من تلاطف لطفه[1]
ومفاوض العشاق في أسرارهم	من كل معنى لم يسعني كشفه
قد كان يسكرني مزاج شرابه	واليوم يصحيني لديه صرفه
وأُغيب عن رشدي بأوَّل نظرةٍ	واليوم أستجليه ثم أزقّه

فقالوا: إنا نصوم مثلما تصوم، ونصلي مثلما تصلي، ونجتهد مثلما تجتهد، ولا نرى من أحوالك شيئاً، فقال: زاحمتموني في الأعمال، أتزاحموني في المواهب؟ والله ما أكلت حتى قيل لي بحقي عليك كل، ولا شربت حتى قيل لي بحقي عليك اشرب، وما فعلت شيئاً حتى أمرت بفعله.

وروى مسنداً عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن الشيخ قدس سره أنه قال: قيل للشيخ عبد القادر، متى علمت أنك وليّ الله؟ قال: أنا كنت ابن عشر سنين في بلدنا أخرج من دارنا إلى المكتب فأرى الملائكة تمشي حولي، فإذا وصلت إلى المكتب سمعت الملائكة تقول للصبيان: أفسحوا الطريق لولي الله حتى يجلس، فمرّ بنا يوماً رجل ما عرفته يومئذ، فسمع الملائكة تقول ذلك فقال لأحدهم: ما هذا الصبي؟ قال له: سيكون له شأن عظيم، هذا يعطى فلا يمنع ويمكن فلا يحجب، ويقرب فلا يمكر به، ثم عرفت ذلك الرجل بعد أربعين سنة، فإذا هو من أبدال ذلك الوقت، قال: وكنت صغيراً في بلد أهلي، كلما هممت أن ألعب مع الصبيان سمعت قائلاً يقول لي: يا مبارك، فأهرب فزعاً فألقي نفسي في حجر أمي، فأنا إلى الآن أسمع هذا في خلوتي.

---

(1) في بهجة المجالس:

أنا راغب فيمن يقرب نفسه	ومناسب لفتى تلاطف لطفه

وقال: كنت وأنا شاب في سياحتي أسمع يقال لي: يا عبد القادر اصطنعتك لنفسي أسمع الصوت ولا أرى القائل وكنت في زمن مجاهدتي إذا أخذتني سنة أسمع قائلاً يقول: يا عبد القادر ما خلقت للنوم، قد أحببناك ولم تك شيئاً، فلا تغفل عنا وأنت شيء

وروي عن غير واحد أنهم قالوا له رضي الله عنه: ما سبب تسميتك بمحي الدين؟ قال: رجعت من بعض سياحتي مرة في يوم الجمعة في سنة إحدى عشر وخمسمائة إلى بغداد حافياً، فمررت بشخص مريض متغير اللون نحيف البدن، فقال: السلام عليك يا عبد القادر فرددت عليه السلام، فقال: أدن مني، فدنوت منه، فقال: أجلسني، فأجلسته، فنما جسده وحسنت صورته، وصفا لونه، فخفت منه، فقال: أتعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا الدين، كنت دثرت كما رأيتني، وقد أحياني الله بك، فأنت محي الدين، فتركته وانصرفت إلى الجامع: فلقيني رجل وضع لي نعلاً وقال: يا سيدي محي الدين، فلما قضيت الصلاة هرع الناس اليّ يقبلون يدي ويقولون: يا محي الدين، وما دعيت به من قبل.

وروى عنه رضي الله عنه مسنداً، أنه كان يقول على الكرسي ببغداد: مكثت خمساً وعشرين سنة متجرداً سائحاً في براري العراق وخرابه، وأربعين سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء وخمس عشر أصلي العشاء ثم أستفتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة ويدي في وتد مضروب في حائط خوف النوم حتى أنتهي إلى آخر القرآن عند السحر، وكنت ليلة طالعاً في سلم فقالت لي نفسي، لو نمت ساعة، ثم قمت فوقفت في موضع خطر لي هذا وانتصبت على رجل واحدة واستفتحت القرآن حتى انتهيت إلى آخره وأنا على هذه الحالة وكنت أمكث من ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً لا أجد ما أقتات به، وكان يأتيني النوم في صدرة فأصيح عليه فيذهب، وكانت الدنيا تأتيني بزخارفها وشهواتها في صور حسان وقباح فأصيح عليها فتفر هاربة، وأقمت في البرج المسمى الآن ببرج العجم إحدى عشر سنة، ولطول إقامتي فيه سمي ببرج العجمي، وكنت بايعت الله تعالى فيه أن لا آكل حتى

ألقم، ولا أشرب حتى أسقى، فبقيت مدة أربعين يوماً لا آكل ولا أشرب شيئاً، فبعد الأربعين يوماً جاء رجل ومعه خبز وطعام فوضعه بين يدي، فمضى وتركني، فكادت نفسي تقع على الطعام من شدّة الجوع فقلت: والله ما حلت عما عاهدت ربي تبارك وتعالى عليه، فسمعت صارخاً من باطني ينادي: الجوع، فلم أرتع له، فاجتاز بي الشيخ [أبو] سعيد المخزومي فسمع الصارخ فدخل عليّ، فقال، ما هذا يا عبد القادر؟ قلت: قلق النفس، وأما الروح فساكنة إلى مولاها عزّ وجلّ، فقال: تعال اليّ إلى باب الأزجّ، ومضى وتركني على حالي، فقلت في نفسي ما أخرج من هذا إلاّ بأمر، فجاءني أبو العباس الخضر وقال قم وانطلق إلى أبي سعيد فجئته، فإذا هو واقف على باب داره ينتظرني، فقال لي: يا عبد القادر ألم يكفك قولي تعال إلى حتى أمرك الخضر بما أمرتك، ثم أدخلني داره فوجدت طعاماً متهيئاً فجلس فلقمني حتى شبعت، ثم ألبسني الخرقة بيده، ولا زمت الاشتغال عليه، وكنت قبل ذلك في سياحتي فأتاني شخص ما رأيته قط قال لي: هل لك في الصحبة قلت: نعم، قال بشرط أن لا تخالفني، قلت نعم. قال أجلس هنا حتى آتيك وغاب عني سنة، ثم عاد الي وأنا في مكاني ذلك، فجلس عندي ساعة ثم قام وقال لا تبرح من مكانك حتى أعود إليك، فغاب عني سنة أخرى ثم جاءني وأنا في مكاني، فجلس عندي ساعة ثم قام وقال لا تبرح مكانك حتى أعود إليك، فغاب عني سنة أخرى، ثم عاد ومعه خبز ولبن، فقال: أنا الخضر وقد أمرت أن آكل معك، فأكلنا، ثم قال قم وادخل بغداد، فدخلنا جميعاً، فقيل للشيخ من أين كنت تقتات تلك السنين؟ قال من المنبوتات.

وروي مسنداً عن أبي السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي أنه قال: سمعت الشيخ محي الدين عبد القادر يقول: أقمت في صحاري العراق وخرابه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفوني، تأتي الي طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله تعالى ووافقني الخضر في أول دخولي بغداد، وما كنت عرفته قط، وشرط ألا

أخالفه وقال لي: أقعد هاهنا فجلست في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين مرةً بعد مرة ويقول لي مكانك حتى آتيك، وكانت الدنيا وزخارفها وشهواتها تأتيني في صور فيحميني الله تعالى منها، من الالتفاف إليها، تأتيني الشياطين في صور شتى من العجائب فيقاتلوني ويقويني الله تعالى عليهم، وتبرز اليّ نفسي في صورة، فتارة تتضرع اليّ فيما تريده، وتارة تحاربني فينصرني الله تعالى عليها، وما أخذت نفسي في حالة البداية في طريق من طرق المجاهدات إلا ولازمته واعتنقته نفسي، وأخذته بكلتا يديها، وأقمت زماناً في خرائب المدائن آخذ بطريق المجاهدات فمكثت سنة آكل المنبوت وسنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام، ونمت بإيوان كسرى في ليلة شديدة البرد فاحتلمت وقمت وذهبت إلى الشط واغتسلت فنمت تلك الليلة أربعين مرة واحتلمت أربعين مرة واغتسلت في الشط أربعين مرة ثم صعدت الإيوان خوف النوم[1] وأقمت في خراب الكرخ سنين لا أقتات فيها إلا بالبراري ويأتيني رجل في رأس كل سنة في جبة صوف، ودخلت في ألف سر حتى أستريح من دنياكم وما كنت أعرف إلا بالتخارس والجنون والبله، وكنت أمشي في الشوك وغيره وما أهالني شيء إلا سلكته، وما غلبتني نفسي في شيء تريده قط، ولا أعجبني شئ من زينة الدنيا قط، فقلت، ولا لما كنت صغيراً؟ قال: ولا لما كنت صغيراً.

وروي في مناقبه مسنداً عن الشيخ ابي الرضا محمد بن احمد بن داود البغدادي المؤدب الحاسب المعروف وروى مسنداً إلى أبي نصر بن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه أنه قال: سمعت والدي يقول: خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماءً فاشتد بي العطش، فظللتني سحابة ونزل عليّ منها شيء يشبه الندا فترويت منه، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، فنوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك، وقد حللت لك الحرمات، أو قال: ما حرمت على غيرك، فقلت: أعوذ بالله من

(1) الخبر في طبقات الشعراني 1/ 110.

الشيطان الرجيم، ثم قلت اخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور صار ظلاماً، وتلك الصورة دخاناً، ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك، بحكم ربك وفقهك بأحوال منازلتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت: لربي الفضل والمنّة، قال: فقيل له كيف علمت أنه شيطان قال بقوله وقد حلّلت لك المحرمات،

وبالجملة فمناقبه جاوزت الشرح والبيان وأحواله كادت تخرج عن طوق الإنسان كيف لا وما أعطيه محض المواهب وإن ترتبت له بحسب العادة على المكاسب وناهيك دليلاً على جلالته وحجة على سمو منزلته ما روي في كتاب مناقبه بطرق كثيرة بروايات شهيرة من المشايخ الأماثل والعلماء الأفاضل واشتهر واستفاض حتى في الجهات أنه قال يوماً وهو على الكرسي يكلم الناس: قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله، وكان في مجلسه يومئذ من عامة مشايخ العراق نحو نيف وخمسين شيخاً، منهم الشيخ عبد القاهر أبو النجيب السهروردي شاباً والشيخ قضيب البان الموصلي والشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي العطار وغيرهم من المشايخ.

وروي أن الشيخ أبا النجيب السهروردي قدس سره طأطأ رأسه وقال على رأسي قالها ثلاثاً، وروي أنه وضع ثلثمائة وثلاثة عشر ولياً رقابهم من جميع الآفاق في الأرض منهم في ذلك الوقت بالحرمين الشريفين سبعة عشر رجلاً وبالعراق ستون رجلاً وبالعجم أربعون رجلاً وبالشام ثلاثون رجلاً وفي مصر عشرون رجلاً وبالمغرب سبعة وعشرون رجلاً وباليمن ثلاثة وعشرون رجلاً وبالحبشة إحدى عشر رجلاً وبسد يأجوج ومأجوج سبعة رجال وبوادي سردنيب سبعة رجال وبجبل قاف سبعة وأربعون رجلاً وبجزائر البحر المحيط أربعة وعشرون رجلاً رضي الله عنهم

وكان من جملة من حنى له رقبته من الغائبين الشيخ أبو مدين بن شعيب المغربي، والشيخ عبد الرحيم القنادي والشيخ علي الهيتي والشيخ أحمد بن الرفاعي. أما الشيخ فرووا عنه أنه كان يوماً جالساً في رواقه في

أم عبيدة فمدّ عنقه وقال على رقبتي فسئل عن ذلك فقال أن الشيخ عبد القادر الجيلاني الآن ببغداد قال قدمي هذه على رقبة كل ولي لله فطأطأت له رأسي، وأما الشيخ أبو مدين فرووا عنه أنه كان من بين أصحابه لما سمع كلام الشيخ قال وأنا منهم اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أني سمعت وأطعت فسأله أصحابه من ذلك فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فأرّخوا ذلك اليوم وهم بالمغرب، ثم جاء المسافرون إلى العراق وأخبروا أن الشيخ عبد القادر قال ذلك في الوقت الذي أرّخوه، وأما الشيخ عبد الرحيم فرووا عنه أنه مد عنقه يوماً بقنا وقال صدق الصادق فيما قال فقيل له: ومن هو؟ قال: الشيخ عبد القادر قد قال قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وتواضع له رجال المشرق والمغرب فأرّخوا ذلك الوقت فجاء الخبر بذلك، وأما الشيخ علي الهيتي فإنه لما قال الشيخ عبد القادر مقالته صعد إلى فوق الكرسي وأخذ قدمه وجعلها على عنقه ودخل تحت ذيله فقال له أصحابه: لم فعلت ذلك؟ فقال: لأنه أمر بقولها وأذن له في عزل من أنكرها عليه من الأولياء، فأردت أن أكون أول من سارع إلى الانقياد، وقال الشيخ أبو محمد القاسم بن عبد الله البصري: لما أُمر الشيخ عبد القادر أن يقول قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، رأيت الأولياء في المشرق والمغرب واضعين رؤوسهم تواضعاً لله إلا رجلاً بالعجم لم يفعل فتوارى عنه حاله وسلب، قلت وسماه لي والدي المرحوم، وقال هو شيخ يقال له صنعان، وقصّ علي ما جرى عليه من سلب أحواله بعد أن كان صاحب أحوال صادقة، وأفعال خارقة، وكان تلاميذه وخلفاؤه يبلغون ألفاً أو يزيدون، من أنه سافر مع طائفة من مروانه إلى قسطنطينية ورأى بنت بعض عظماء النصارى قاعدة في قصرهم فعشقها وهام بها واستولى على قلبه سلطان حبها فوقف مبهوتاً كأنه جماد، أو وتد دُقّ في الأرض المهاد، لا يفرق اليمين من الشمال ولا الشخص من الخيال فعلمت النصارى بحاله، ودرت ببلبال باله، فأخذت تكلمه تارة تعريضاً وأخرى توبيخاً وأخرى تقريعاً وجرى بينهما من المحادثة والمناظرة والمباحثة ما يطول بذكره هذا المختصر وربما يسأم منه من نظر،

فآل الكلام بينهما إلى ان لا ينال وصالها ولا يرى جمالها إلا أن يرعى الخنازير لها، فرضي بذلك أعاذنا الله من الوقوع في المهالك، قال الوالد سقى الله مرقده وقيل أمرته بعقد الزنا فعقده وتفرقت تلاميذه الذين كانوا معه وذهبوا إلى بعض خلفائه وأخبروه عن حاله فطوراً بكوا على ما جرى عليه، وطوراً تضرّعوا إلى الله في كشف ما به، وتوجهوا إلى المدينة المنورة واستمدّوا له من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبينما هم كذلك وهو يرعى الخنازير هنالك فنام ذات يوم ثم استيقظ وإذا بخنزير قائم على رقبته يدوس رقبته ورأسه برجليه فتيقظ وحدّثه وارد رحماني بأنك لم ترض بقدم محي الدين على رقبتك فصارت رقبتك ورأسك موطئاً لما هو نجس لعين، فهنالك استغفر الله تعالى وتاب، واعتذر بقلبه إلى الشيخ رضي الله عنه، واستفاض على البعد منه، فتاب الله عليه وعادت أحواله إليه بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استمدت تلاميذه له واعتذاره ورجوعه عما فعله، فهام بوجهه نحو المدينة واجتمع بأصحابه هناك، وتشرفوا بزيارة خير الأنام ثم توجهوا إلى بغداد مدينة السلام فدخلها وألقى بنفسه بين يدي محي الدين، وقبل رجله الراسخ المكين، وجعله على عنقه ورأسه واستفاض من فيض أنسه، واعتذر عما عنه صدر، فأخذ رضي الله عنه بيده وأزال عنه اليم كمده، فرقى فوق ما كان عليه في سابق أمده، قال الوالد: فأما البنت النصرانية فأتتها سابقة العناية الأزلية عندما تنبه الشيخ صنعان من غفلته، وهامت بوجهها إلى مدينة خير الأنام وطيبته، وهيجتها تلك العناية وحركها نسيم الهداية، فخرجت من دارها هائمة لا تخاف في الله لائمة إلى أن وصلت الشيخ المذكور، وفي جبينها تلمع نور السعادة، فألقت بنفسها عليه، وتلقت منه حكمتي الشهادة، فلما نطقت بها شهقت شهقة وماتت رحمها الله تعالى.

وروى الشيخ أبو يعقوب يوسف الهمداني، قال سمعت شيخنا أبا أحمد عبد الله بن علي الجوني سنة أربع وستين وأربعمائة يقول: أشهدت أن سيولد بأرض العجم مولود له مظهر عظيم بالكرامات وقبول تام عند

الكافة، يقول يوماً: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله وتندرج له الأولياء في وقته تحت قدمه ذلك الذي يتشرف به زمانه وينتفع به من رآه.

وحكي عن تاج العارفين علي أبي الوفاء لما أتى الشيخ عبد القادر لزيارته وهو شاب، قال لمن حضره: قوموا لوليّ الله، فقال له أصحابه في ذلك، فقال: لهذا الشاب وقت إذا جاء افتقر إليه الخاص والعام، وكأني ببغداد أراه قائلاً على رؤوس الإشهاد وهو محق: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فتوضع له رقاب الأولياء في عصره، إذ هو قطبهم فمن أدرك منكم ذلك الوقت، فليلزم خدمته.

وحكي عن الشيخ عقيل المنبجي وقد سئل يوماً عن القطب في وقته فقال: ففي وقتنا هذا مخفي بمكة لا يعرفه إلا الأولياء، سيظهر هنا، وأشار إلى العراق، فتى بحمى شريف يتكلم على الناس ببغداد يعرف كراماته الخاص والعام، وهو قطب وقته، يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله ويضع له الأولياء رقابهم ولو كنت في زمانه لوضعت له رأسي، ذلك الذي ينفع الله به من صدّق بكراماته من سائر الناس.

وحكي عن الشيخ أبي سعيد القليوني أنه قال: لما قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تجلّى الحق على قلبه، وجاءته خلقة من جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد طائفة من الملائكة المقربين وألبسها بمحضر من الأولياء من تقدم منهم ومن تأخر، الأحياء بأجسامهم والأموات بأرواحهم، وكانت الملائكة ورجال الغيب حافين بمجلسه، واقفين [بالهواء] صفوفاً حتى انسدّ الأفق بهم ولم يبق ولي في الأرض حتى حنا عنقه.

وروي عن الشيخ مكارم أنه قال: أشهدني الله عز وجل أنه لم يبق أحد ممن عقد له لواء الولاية في أقطار الأرض أدناها وأقصاها إلا شاهد علم القطبية محمولاً بيد سيدي الشيخ عبد القادر وتاج الغوثية على رأسه، ورأوا عليه خلقة التصريف العام النافذ في الوجود وأهله ولاية وعزلاً معلمة

بطرازي الشريعة والحقيقة، وسمعته يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله ووضعت رؤوسهم وذللت قلوبهم له في وقت واحد حتى الأبدال العشرة.

قال الراوي: قلت من هم، قال: الشيخ بقاء بن بطو والشيخ أبو سعيد القيلوني، والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي والشيخ محمد بن عبد البصري والشيخ حيوة بن قيس الحراني والشيخ أبو مدين شعيب المغربي رضي الله عنهم.

وروى الشيخ أحمد بن أبي السعادات البندنيجي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله قد قال الشيخ عبد القادر قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، قال: صدق الشيخ عبد القادر، كيف لا وهو القطب وأنا أرعاه، وإلى هذا المعنى أشار رضي الله عنه بقوله شعراً:

ما في المناهل[1] منهل مستعذب | إلا ولي فيه الألذُّ والأطيب
أو في الوصال مكانة مخصوصة | إلا ومنزلتي أعزّ وأقرب
وهبت لي الأيام رونق صفوها | فحلت مناهلها وطاب المشرب
وغدوت مخطوباً لكلّ كريمةٍ | لا يهتدي فيها اللبيب فيخطب
أنا من رجال لا يخاف جليسهم | ريب الزمان ولا يرى ما يرهب
قوم لهم في كل مجدٍ رتبة | علوية وبكل جيش موكب
أنا بلبل الأفراح أملأ روحها | طرباً وفي العلياء باز أشهب
أضحت جيوش الحب تحت مطيتي[2] | طوعاً ومهما رمته لا يغربُ
أصبحت لا أملاً ولا أمنيّةً | أرجو ولا موعودة أترقّبُ
ما زلت أرتع في ميادين الرضا | حتى وهبتُ مكانةً لا توهبُ
أضحى الزمان كحلّةٍ مرموقةٍ | تزهو ونحن لها الطراز المذهب
أفَلَتْ شموس الأولين وشمسنا | أبداً على فلك العلا لا تغربُ

(1) في بهجة المجالس ص81: ما في الصبابة.

(2) في بهجة المجالس: مشيئتي.

وقال عقيب هذه الأبيات: كل الطيور تقول ولا تفعل، والبازي يفعل ولا يقول، ولأجل هذا صار كفّ الملوك سدّته، فقام إليه الشيخ المعمر أبو المظفر منصور بن المبارك ابن المفضل الواسطي المعروف بجرادة وأنشأ يقول:

بك الشهورُ تهنا والمواقيت — يا من بألفاظه تغلو اليواقيت
الباز أنت فإن تفخر فلا عجب — وسائر الناس في عيني فواخيت
أشمُّ من قدميك الصدق مجتهداً — لأنها قدم في نعله[1] الصيتُ

قلت: وقيل له الباز والباز الأشهب لما كان يمشي ويطير على رؤوس الأشهاد كما رواه الشيخ أبو القسم عمر بن مسعود البزاز والشيخ أبو حفص عمر الكميماني على ما في البهجة، وذكر في البهجة أيضاً أنه قيل الشيخ عقيل المنبجي أول من أخبر عن الشيخ عبد القادر بالباز الأشهب فإنه لما قيل له قد اشتهر ببغداد شاب أعجمي شريف اسمه عبد القادر قال أمره في السماء أشهر منه في الأرض وذلك الفتى العلي المدعو في الملكوت بالباز الأشهب، وسينفرد في وقته، وسيرد إليه الأمر ويصدر عنه في عصره.

هذا وأما كراماته، فقد قال الشيخ علي بن الهيتي ما رأيت في زماني أكثر من كرامات الشيخ عبد القادر كان لا يشاء أحد أن ينظر كرامة منه في أي وقت شاء إلا رآها، وكانت الخارقة تظهر أحياناً منه وأحياناً به وأحياناً فيه، ومن باهر كراماته وخوارق عاداته ما أخبر به الشيخ أبو الحسن القرشي قال: كنت أنا والشيخ أبو الحسن علي بن الهيتي عند الشيخ عبد القادر بمدرسته بباب الأزج، فجاءه أبو غالب فضل الله بن إسماعيل البغدادي الأزجي، التاجر فقال له: يا سيدي، قال جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم، من دعي فليجب، وهل أنا قد دعوتك إلى منزلي، فقال: إن أذن لي جئت، ثم أطرق ملياً، ثم قال: نعم، فركب بغلته وأخذ الشيخ علي بركابه الأيمن، وأخذت أنا بالأيسر، فأتينا داره، وإذا فيها مشايخ

(1) في الأصل: (في نعلها) والتصويب عن بهجة المجالس.

بغداد وعلماؤها وأعيانها، ومدّوا السماط، وفيه من كل حلو وحامض، وأتي بسلة كبيرة مختومة يحملها اثنان، وضعت في آخر السماط، وقال أبو غالب الصلاة، والشيخ مطرق فلم يأكل ولا أذن بالأكل وأهل المجلس كأن على رؤوسهم الطير من خشيته، فأشار الشيخ إليّ وإلى الشيخ علي الهيتي، أن قدّما لي تلك السلّة، فقمنا ووضعناها بين يديه، فأمرنا بفتحها ففتحناها، فإذا فيها ولد لأبي غالب مقعد مجذوم مفلوج، فقال له الشيخ: قم بإذن الله فإذا المقعد يعدو ولا عاهة به، قال فضجّ الحاضرون، وخرج الشيخ في غلبات الناس ولم يأكل شيئاً، فجئت إلى الشيخ أبي سعيد القيلوني فأخبرته بذلك، فقال: الشيخ عبد القادر يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله.

قال، وشهدت مجلسه مرةً سنة تسع وخمسين وخمسمائة، فأتاه جمع الرافضة بقفتين مخيطتين مختومتين، وقالوا له: قل لنا ما في هاتين القفتين فنزل من على الكرسي، وقال: في هذه صبي مقعد وأمر ابنه عبد الرزاق بفتحها ففتحها، فإذا فيها صبي مقعد، فمسك بيده وقال له: قم فقام يعدو، ووضع يده على الأخرى، وقال فيها صبي لا عاهة به وأمر ابنه عبد الرزاق بفتحها ففتحها، فإذا فيها صبي لا عاهة به فقام يمشي فأمسك بناصيته، وقال له: أقعد، فأُقعد، قال: فتابوا عن الرفض على يده ومات في مجلسه ثلاث.

قال في البهجة: لقد أدركت المشايخ من صدر القرآن الماضي يقولون: أربعة يبرئون الأكمه والأبرص، الشيخ عبد القادر والشيخ عقيل المنبجي، والشيخ حيوة بن قيس الحراني رضي الله عنهم، ولقد حضرت يوماً عنده، فاستقضاني حاجة فأسرعت في قضائها، فقال لي تمنّ ما تريد، قلت أريد كذا وكذا وذكرت له أمراً من أمور الباطن، فقال خذه إليك، فوجدته في ساعتي.

ومنها ما روى عن جماعة من المشايخ أنهم قالوا جاءت امرأة إلى الشيخ بولدها، وقالت إني رأيت قلب ولدي هذا شديد التعلق بك، وقد

خرجت عن حقي فيه لله عز وجل ولك فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق، فدخلت أمه يوماً فوجدته نحيلاً مصفرّاً من آثار الجوع والسهر، ووجدته يأكل في قرص من الشعير، فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مسلوقة قد أكلها، فقالت: يا سيدي أنت تأكل الدجاجة وولدي يأكل خبز الشعير، فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال: قومي بإذن الله الذي يحي العظام وهي رميم، فقامت الدجاجة وصاحت، وقال الشيخ إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء[1].

قالوا: ومرت في مجلسه حدأة طائرة في الجو في يوم شديد الريح فشوشت على الحاضرين، فقال يا ريح خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت في وقتها بناحية فنزل الشيخ من الكرسي وأخذها بيده، وأمرَّ يده الأخرى عليها فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فحييت بإذن الله وطارت، والناس يشاهدون ذلك، وروي عن الشيخ صالح أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد القدسي، قال: ركب الشيخ محي الدين عبد القادر وأتى إلى جامع المنصور ثم رجع إلى مدرسته، وكشف الطرحة عن وجهه، وألقى بيده عن جبينه عقرباً فسعت على الأرض فقال لها: موتي، فماتت مكانها ثم قال: يا أحمد إن هذه ضربتي من الجامع إلى هنا ستين ضربة.

قال: وشكوت إليه مرةً الفاقة والعيال من الغلاء الذي نزل ببغداد، فأخرج إلى أوبة من بر، وقال ضعها في كوارة، وشدّ رأسها وافتح في جانبها وأخرجوا منه واطبخوا ولا تغيّروه فأكلنا مدة خمس سنين، ثم فتحته فوجدته على حاله أول مرة، ونفذ في سبعة أيام، فقلت للشيخ فقال: لو تركتموه لأكلتم فيه إلى أن تموتوا

وروي مسنداً عن الشيخ أبي عمر وعثمان الصيرفي والشيخ أبي محمد عبد الحق الحريمي، قالا كنا عند شيخنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه بمدرسته، وفي يوم الأحد ثالث صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فقام

---

(1) الخبر في مرآة الجنان لليافعي 3/ 356.

وتوضأ في قبقاب له، وصلى ركعتين، فلما سلم صرخ صرخة عظيمة، وأخذ فردة من القبقاب ورمي بها في [الهواء] فغابت عن أبصارنا، ثم صرخ صرخة أخرى وأخذ الفردة الأخرى، ورمى بها في [الهواء] فغابت عن أبصارنا، ثم جلس ولم يجسر أحد على سؤال ذلك منه، ثم بعد ثلاثة وعشرين يوماً، قدمت قافلة من بلاد العجم وقالوا: إن معنا للشيخ نذراً، فاستأذناه، فقال: خذوه، فأعطونا منا من حرير، وثياباً من خز وذهباً وقبقاب الشيخ الذي رمى به في [الهواء] فقلنا لهم من أين لكم هذا القبقاب؟ قالوا: بينما نحن مسافرون يوم الأحد ثالث صفر إذ خرجت علينا عرب لهم مقدمان، فانتهبوا أموالنا، وقتلوا منا، ونزلوا وادياً يقتسمون الأموال، ونزلنا نحن على شفير الوادي، فقلنا: لو ذكرنا الشيخ عبد القادر، ونذرنا له شيئاً من أموالنا إن سلمت، فما هو إلا أن ذكرناه فسمعنا صرختين عظيمتين ملأتا الوادي، ورأيناهم مذعورين فظننا أن قد جائهم عرب آخرون، فجاء إلينا بعضهم، وقال لنا: تعالوا خذوا أموالكم، وانظروا ما قد دهمنا، فأتوا بنا إلى مقدميهم، فوجدناهم ميتين، وعند كل واحد منهما فردة قبقاب مبتلّة بماء فردّوا علينا أموالنا، وقالوا هذا الأمر بنا عظيم.

وروي مسنداً عن قاضي القضاة أبي صالح نصر وأبي المحاسن فضل الله أبناء الإمام عبد الله وعبد الرزاق ابني الشيخ محي الدين عبد القادر، قال أخبرنا والدنا قال كل منهما أخبرني الشيخ أبو الحسن بن الطنطنة البغدادي صبيحة دفن والدي، وقال: كنت أشتغل بالعلم على سيدي محي الدين عبد القادر وكنت أسهر أكثر الليل أترقب حاجة له فخرج من داره ليلة من صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة فناولته إبريقاً، فلم يأخذه، وقصد باب المدرسة فانفتح له الباب وخرج، وخرجت خلفه وأنا أقول أنه لا يشعر بي، ومشى إلى أن قرب باب بغداد فانفتح له الباب، وخرج وخرجت خلفه ثم عاد الباب مغلقاً، ومشى غير بعيد وإذا نحن ببلد لا أعرفه، فدخل فيه مكاناً شبيهاً بالرباط فإذا فيه ستة نفر فبادروا بالسلام

عليه، والتجأت إلى سارية هناك وسمعت، في جانب ذلك المكان أنيناً، فلم نلبث إلا يسيراً حتى سكن الأنين، ودخل رجل وذهب إلى الجهة التي سمعت منها الأنين، ثم خرج يحمل شخصاً على عاتقه ودخل آخر مكشوف الرأس طويل شعر الشارب وجلس بين يدي الشيخ، فأخذ عليه الشهادتين، وقصّ شعر رأسه وشاربه وألبسه طاقيّة وسماه محمداً، وقال لأولئك النفر؛ قد أمرت أن يكون هذا بدلاً من الميت: قالوا سمعاً وطاعة، ثم خرج الشيخ وتركهم، وخرجت خلفه، ومشينا غير بعيد وإذا نحن عند باب بغداد فانفتح كأوّل مرة، ثم أتى إلى المدرسة فانفتح بابها أيضاً فدخل داره، فلما كان الغد، جلست بين يديه لأقرأ على عادتي فلم أستطع من هيبته، فقال لي: إي بنيّ اقرأ ولا عليك، فأقسمت عليه أن يبين لي ما رأيت، فقال: أما البلد، فنهاوند، وأما الستة الذين رأيتهم فهم الأبدال النجباء، وصاحب الأنين سابعهم، وكان مريضاً، فلما حضره الموت جئت أحضره، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً على عاتقه، فأبو العباس الخضر، ذهب به ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين، فرجل من القسطنطينية، كان نصرانياً وأمرت أن يكون بدلاً عن المتوفي، فأتي به وأسلم على يدي، وهو الآن منهم، وأخذ علي العهد ألا أحدث بذلك أحداً وهو حي.

وروي عن أبي سعيد عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد البغدادي الأزجي، قال: صعدت ابنة لي اسمها فاطمة على سطح دارنا، فاختطفت، وكانت بكراً وسنها يومئذ ستة عشر سنة، فأتيت الشيخ محي الدين عبد القادر، وذكرت له ذلك فقال: اذهب الليلة إلى خراب الكرخ واجلس على التل الخامس وخط حواليك دائرة في الأرض وقل وأنت تخطها بسم الله الرحمن الرحيم على نية عبد القادر فإذا كانت فحمة الليل سرت بك طوائف من الجن على صور شتى، فلا يرد عليك منظرهم فإذا كان السحر مرّ بك ملكهم في جحفل منهم فيسألك عن حاجتك، فقل، بعثني عبد القادر إليك واذكر حاجتك، وشأن بنتك، قال: فذهبت وفعلت ما أمرني به

فمرت بي صور مزعجة المنظر لا يقدر أحد منهم أن يدنو إلى الدائرة التي أنا فيها، وما زالوا يعبرون زُمراً زُمراً إلى أن جاء ملكهم راكباً فرساً وبين يديه أمم منهم فوقف بازاء الدائرة وقال: يا أنسي ما حاجتك، قلت قد بعثني الشيخ عبد القادر إليك فترجل من فرسه وقبل الأرض وجلس خلف الدائرة وقال: ما شأنك؟ فذكرت له قصة ابنتي فقال لمن معه: من فعل هذا، فلم يعلموا من فعله، فأتي بمارد من مردة الجن وهي معه، وقيل له: هذا من مردة الصين، فقال له: ما حملك على أن اختطفت من تحت ركاب القطب؟ قال: إنها وقعت في نفسي، فأمر به فضربت عنقه وأعطاني بنتي، فقلت له: ما رأيت كامتثالك أمر الشيخ عبد القادر؟ قال: نعم إنه لينظر من داره إلى المردة منا وهم بأقصى الأرض فينفرون من هيبته، وإن الله تعالى إذا أقام قطباً مكّنه من الجن والإنس.

وحكى أنه أتاه رجل وقال: أنا من أصبهان، ولي زوجة تصرع كثيراً، وقد أعيا أمرها المعزمين، فقال الشيخ، هذا مارد من وادي سرنديب اسمه خانس، فإذا صرعت زوجتك فقل في إذنها يا خانس يقول عبد القادر المقيم ببغداد لا تعد فإن عدت هلكت، فذهب الرجل وغاب عشر سنين ثم جاء وسُئِل، فقال: فعلت ما قاله الشيخ، فلم يعد إليها الصرع إلى الآن.

وقال رؤساء صناعة التعزيم على ما في البهجة، أن بغداد مكثت في حياة الشيخ أربعين سنة لا يصرع فيها أحد، فلما مات وقع فيها الصرع.

وروي عن الشيخ أبي محمد عبد الله البطائحي أنه قال: حضرت مجلس شيخنا الشيخ عبد القادر بمدرسته ببغداد، وكان في مجلسه أبو المعالي محمد بن أحمد البغدادي التاجر فأخذته حقنة شديدة منعته من الحركة، وبلغت منه الجهد، فنظر إلى الشيخ نظر المستغيث، فنزل الشيخ مرقاه من الكرسي الذي يتكلم عليه فظهر على تلك المرقاة رأس كرأس الآدمي، ثم نزل أخرى فظهر كتفان وصدر وما زال ينزل مرقاة بعد مرقاة حتى تكلمت على الكرسي صورة كصورة الشيخ يتكلم على الناس بصوت مثل صوته، وكلام مثل كلامه، ولا يرى ذلك إلا هو ومن شاء الله من

الحاضرين، وجاء يشق الناس حتى وقف عليه وغطّى رأسه بكمة وفي رواية عبد الرزاق بمنديله، فإذا هو بصحراء متسعة فيها نهر عندها شجرة، فعلق فيها مفاتيح كانت في وسطه وأزال حقنته، وتوضأ من ذلك النهر وصلى ركعتين، فلما سلم منها رفع الشيخ الغطاء عنه فإذا هو في المجلس وأعضاؤه مبتلة بالماء لا حقنة به والشيخ يتكلم على الكرسي، كان لم ينزل، وتفقد مفاتيحه فلم يجدها معه، ثم بعد مدّة جهّز قافلة إلى بلاد العجم، وساروا من بغداد أربعة عشر يوماً، ونزلوا منزلاً من بريّة فيها نهر، فذهب فيها ليزيل حقنته فقال: ما أشبه هذه الصحراء، بتلك الصحراء وهذا النهر بذلك النهر، وتذكر شأنه ذلك في ذلك اليوم فإذا هو بذلك النهر وتلك الشجرة ومفاتيحه معلقة فيها، فلما رجعوا إلى بغداد، إلى الشيخ عبد القادر ليخبره بذلك، فأمسك الشيخ بإذنه قبل أن يخبره شيء وقال: يا أبا المعالي لا تذكرة لأحد وأنا حي. فلازم خدمته إلى ان مات.

وروي عن أبي الفضل أحمد ابن القاسم بن عبد الله بن عبد اللطيف الحراني، قال: كان الشيخ عبد القادر يتطلس ويلبس لباس العلماء، ويلبس الرفيع من القماش، ولقد أتاني خادمه سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بذهب وقال: أريد خرقة ذراعها بدينار لا يزيد حبة ولا ينقص حبة، فأعطيته وقلت: لمن هي؟ فقال: لسيدي محي الدين رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما ترك الشيخ للخليفة من اللباس، فلم يتم خاطري حتى وجدت مسماراً في رجلي، وشاهدت من ألمه الموت، واجتمع الناس عليّ لينزعوه فلم يستطيعوا، فقلت: احملوني إلى الشيخ، فلما طرحت بين يديه، قال: يا أبا الفضل كم تتعرض عليك بباطنك، وعزة المعبود ما لبسته حتى قيل لي: بحقي عليك البس قميصاً ذراعه دينار ويا أبا الفضل هذا كفن وكفن الميت يحمل بعد موته فكيف بعد ألف موته، ومرّ بيده على رجلي، فذهب المسمار والألم لوقته، والله ما أدري من أين جاء ولا أين راح، ولا رأيته في رجلي، وقمت أعدو فقال الشيخ: اعتراضه علينا شكل له بصورة المسمار.

وقال غير واحد: كان الشيخ يلبس لباس العلماء، ويتطيلس ويركب

البغلة، وترفع بين يديه الغاشية، ويتكلم على الكرسي العالي، وكان في كلامه سرعة وجهر، وله كلمة مسموعة إذا قال نصت له، وابتدروا لأمره، وإذا رآه ذو القلب القاسي خضع وإذا مرّ إلى جامع الجمعة وقف الناس في الأسواق يسئلون الله به حوائجهم، وكان له صيت وصوت وسمعه وسمت، ولقد عطس في الجامع يوم الجمعة فشمته الناس حتى سمع في الجامع ضجة عظيمة يقولون يرحمك الله ورحمنا بك، وكان المستنجد في مقصورة الجامع فقال: ما هذه الضجة؟ فقيل له قد عطس الشيخ عبد القادر، وكان ذا همة وهيبة عظيمة، إذا نظر إلى أحد يكاد يرعد من هيبته، وروي عن الشيخ المعمر أبو المظفر منصور ابن المبارك بن المفضل الواسطي المعروف بجرادة قال: ما رأت عيناي أحسن خلقاً وأوسع صدراً ولا أكرم نفساً ولا أعطف قلباً ولا أحفظ عهداً ووداً من الشيخ محي الدين عبد القادر، ولقد كان مع جلالة قدره، وعلو منزلته، وسعة علمه يقف مع الصغير، ويوقر الكبير، ويبدأ بالسلام ويجالس الضعفاء، ويتواضع للفقراء، وما قام لأحد من العلماء والأعيان، ولا ألمّ بباب وزير قط، ولا سلطان، ولقد كنت عنده يوماً في داره وهو جالس ينسخ فسقط عليه تراب من السقف، فنفضه فصار ثلاث مرات يسقط عليه وهو ينفضه، ثم رفع رأسه في الرابعة إلى السقف، فرأى فأرة تبعثر، فقال: طار رأسك فسقطت جثتها في ناحية ورأسها في ناحية، فترك النسخ وبكى، فقلت له: يا سيدي ما يبكيك، قال: أخشى أن يتأذى قلبي من رجل مسلم فيصيبه مثلما يصيب هذه الفأرة.

ومما يدل على قوته وسموّ مكانته وعلو منزلته، ومحبوبيّته عند ربه ومزيد عزّته وقربه ما حكي من جماعة من المشايخ والأعيان أنهم قالوا ضمن الشيخ عبد القادر لمريديه أن سبعة يدخلون الجنة، وقال: أنا كافل لمريد المريد إلى سبعة آباء بكل أموره، ولو انكشفت عورته أي عورة مريدي بالمشرق وأنا بالمغرب لسترتها، وأمرنا من حيث الحال والقدر أن نحفظ بهما أصحابنا، طوبى لمن رآني أو رأى من رآني ورأى من رأى من رآني

وحكي أن الشيخ حماد الدباس كان يسمع له كل ليلة دوي كدوي النحل، فقال أصحابه للشيخ عبد القادر وكان في صحبته يومئذ، أساله عن ذلك، فسأله: فقال له: إن لي اثني عشر ألف مريد وأنا أذكر أسمائهم كل ليلة، وأسأل حاجة من له حاجة إلى الله عز وجل، وإذا أصاب مريد لي ذنباً فلا ينقضي عليه شهره ذلك إلا يتوب إشفاقاً عليه أن يتمادى عليه، فقال له الشيخ عبد القادر: لئن أعطاني الله تعالى منزلة عنده، لآخذنّ من ربي تبارك وتعالى عهداً لمريدي إلى يوم القيامة أن لا يموت أحد منهم إلا على توبة، ولأكوننّ ضميناً لهم، فقال الشيخ: حماد أشهدني الله عز وجل أنه سيعطيه ذلك ويبسط ظلّ جاهه عليهم وقد روي أنه قد أجنب خادم الشيخ محي الدين عبد القادر في ليلة سبعين مرة، يرى في كل مرة أنه يواقع امرأة غير التي قبلها منهنّ من يعرفها، ومنهنّ من لا يعرفها، فلما أصبح أتى إلى الشيخ ليشكو إليه، فقال له قبل أن يذكر شيئاً: لا تذكر جنابتك البارحة، فإني نظرت إلى اسمك في اللوح المحفوظ فرأيت فيه أنك تزني سبعين مرة بفلانة وفلانة وذكر أسماء يعرف [من] منهنّ وصفاتهنّ، فسألت الله عز وجل أن يحول ذلك عنك من اليقظة إلى النوم.

وما روى عنه أبو القاسم عمر البزاز أنه كان يقول: عثر حسين الحلاج ولم يكن في زمانه من يأخذ بيده، ولو كنت في زمانه لأخذت بيده، وأنا لكل من عثر به مركوبه من أصحابي ومريدي ومحبيّ إلى يوم القيامة آخذ بيده، روى أنه قيل للشيخ عبد القادر أن تسمى بك شخص ولم يأخذ بيدك ولم يلبس لك خرقة، هل يُعد من أصحابك؟ فقال: من انتمى إلي وتسمى بي قبله الله تعالى وتاب عليه وإن كان في سبيل مكروه، وهو من جملة أصحابي وإن ربي عز وجل وعدني أن يدخل أصحابي وأهل مذهبي وكل محب لي في الجنة ، وقد منّ الله علينا بالانتماء إلى حضرة هذا الغوث الأعظم والانسلاك في سلك مريديه المنظم والحمد لله المنعم الكريم على هذا الفضل الجسيم، وسيأتي قريباً ذكر سندنا إلى رفيع جنابه، وبيان انتمائنا إلى سدّة بابه إن شاء الله تعالى.

وأما طريقة رضي الله عنه فهو على ما قاله الشيخ بقاء بن بطو اتحاد القول والفعل واتحاد النفس والقلب ومعانقة الإخلاص والتسليم، وتحكيم الكتاب والسنة في كل قطرة ولحظة ونفس ووارد وحال والثبوت مع الله عز وجل.

هذا وأما سلسة طريقته فتسلسل بهذا النسق المنظوم وهو أنه رضي الله عنه أخذ الطريقة العلية ولبس الخرقة البهيّة من الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي، وهو من الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي، وهو من الشيخ أبي الفرج علي الطرطوسي وهو من الشيخ أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي، وهو من الشيخ أبي بكر الشبلي، وهو من سيد الطائفة جنيد البغدادي، وهو من الشيخ سري بن المغلس السقطي، وهو من الشيخ معروف الكرخي وهو من الشيخ [أبي] سليمان داود الطائي وهو من الشيخ حبيب العجمي وهو من الشيخ الإمام الحسن البصري، وهو من حضرة الإمام والليث الهمام، فارس المشارق والمغارب الإمام علي ابن أبي طالب الهاشمي القرشي، وأخذ الشيخ معروف الكرخي الإنابة والطريقة ولبس الخرقة الأنيقة من مولاه الإمام علي الرضا وهو من أبيه موسى الكاظم، وهو من أبيه جعفر الصادق وَهو من أبيه محمد الباقر وهو من أبيه علي زين العابدين، وهو من أبيه الحسين السبط وهو من درة صدف الرسالة، وفصّ خاتم النبوة، معدن الشرف والصفا أبي القاسم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم، ما النهار أضاء والليل أظلم، وسبق أن مولد الشيخ قدس الله سره سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، فيؤرخها (عاشق) ولكن اشتهر في الألسنة وبه قال المؤلف إن تاريخ ولادته (عشق) فتكون سنة سبعين وأربعمائة والله أعلم، وتوفي رضي الله عنه سنة إحدى وستين وخمسمائة ويؤرخها [عشق كامل] في بغداد ودفن في مشهده المعروف الآن المشتهر غاية الاشتهار الملتثم بشفاه الكبار والصغار يتبرك به ويزار في آناء الليل وأطراف النهار.

67 ـ أبو عمر بن العلاء[1]

ومنهم: أبو عمر بن العلاء، هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن حجر بن خزاعي، وقيل في نسبه غير ذلك، واختلف في اسمه فقيل اسمه كنيته، وقيل اسمه العريان، وقيل اسمه زبّان[2]، وصحح ابن خلكان القول الأول وهو أحد القراء السبعة، وله راويان [الدوري والسوس]، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وروى عن ابن عباس وأبي بن كعب وغيرهما، قال ابن خلكان ما مخلصه، قال الأصمعي: قال ابن عمرو بن العلاء، لقد علمت من النحو ما لم يعلمه الأعمش، وما لو أكتبه لما استطاع أن يحمله، وقال أيضاً: سألت أبا عمرو عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف جواب[3]، وكان أبو[4] عمرو رأساً في حياة الحسن البصري مقدماً في عصره، وقال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 466 وطبقات الزبيدي 28 والمعارف 531 و340 وأخبار النحويين البصريين 22 ومراتب النحويين 13 ونور القبس 25 ونزهة الألباء 15 وغاية النهاية 1/ 288 والعبر 1/ 223 وشذرات الذهب 1/ 237 وبغية الوعاة 367 وفوات الوفيات 1/ 33 والأعلام 5/ 72 وبروكلمان 1/ 129.

(2) في الأصل ريان.

(3) في الوفيات «حجة».

(4) في الأصل (أبا).

بالأدب والعربية والقرآن والشعر، وكانت كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلى قريب السقف ثم أنه تقرّأ أي تنسك فأحرقها كلها، فلما رجع إلى علمه[1] الأول لم يجد عنده إلا ما حفظه بقلبه، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية، وقال الأصمعي: جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج فلم أسمعه يحتج ببيت إسلامي، قال: وفي أبي عمرو العلاء يقول الفرزدق:

ما زلت أغلِق أبواباً وأفتحها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وحكى أبو عمرو، قال: طلب الحجاج بن يوسف الثقفي أبي، فخرج منه هارباً إلى اليمن فبينما نحن نسير بصحراء اليمن إذ لحقنا لاحق ينشد:

رُبّما تكره النفوس من الأمـ ـر له فَرْجَةٌ كحَلِّ العقال

فقال أبي: ما الخبر؟ قال: مات الحجاج، قال أبو عمرو: فأنا بقوله (فَرجة) أشد مني سروراً بموت الحجاج، قال: فقال أبي: احرف ركابنا إلى البصرة، قال أبو عبيدة: قلت لأبي عمرو كم سنك يومئذ؟ قال: كنت قد حنقت[2] بضعاً وعشرين سنة، قلت والسبب في كونه يقول المنشد (فرجة) بفتح الفاء، أشدّ سروراً منه من موت الحجاج أنه استفاد منه أن الفرجة بفتح الفاء تستعمل في المعاني، كما أن مضمونة الفاء تستعمل في الأعيان يقال: بين الأمرين فرجة بالفتح، وبين الجبلين فُرجة بالضم.

وقال: ابن مناذر[3]: سألت أبا عمرو بن العلاء: حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ قال: ما دامت الحياة تحسن به[4].

وكان له في كل يوم فلسان، يشتري بأحدهما كوزاً يشرب فيه يومه،

---

(1) في الأصل (عمله).

(2) في الأصل (قعقت) والتصويب عن الوفيات.

(3) في الأصل: ابن مبارز.

(4) في الأصل «ما دامت الحسن تحسن به» والتصويب عن الوفيات.

ثم يتركه لأهله ويشتري بالآخر ريحاناً فيشمه يومه فإذا أمسى قال لجاريته جففيه ودقيه بالأشنان.

قال أبو عبيدة: ودخل أبو عمرو بن العلاء على سليمان بن علي[1] وهو عم السفاح وسأله عن شيء فصدقه فلم يعجبه ما قاله، فوجد أبو عمرو في نفسه وخرج متعجباً من كساد الصدق عندهم ونفاق الكذب عليهم، وكان أبو عمرو ينشد عقيب هذا الحديث:

أنفت[2] من الذل عند الملوك وإن أكرموني وإن قرّبوا
إذا ما صدقتهم خفتهم ويرضون عني بأن اكذبُ

وكانت ولادة أبي عمرو سنة سبعين وقيل ثمان وثمانين وقيل خمس وستين بمكة، وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة وقيل سنة تسع وقيل سنة ست بعد الخمسين والمائة بالكوفة، وكان قد خرج إلى الشام يجتدي عبد الوهاب بن إبراهيم[3] والي دمشق، فلما عاد إلى الكوفة توفي بها ويؤيد هذا ما ذكره بعض الرواة أن رأى قبر أبي عمرو مكتوباً عليه هذا قبر أبي عمرو بن العلاء ولما حضرته الوفاة كان يغشى عليه ويفيق، فأفاق من غشية له فإذا ابنه بشر يبكي، فقال: مايبكيك، وقد أتت علي أربع وثمانون سنة؟ ورثاه عبد الله بن المقفع[4] بقوله:

رزينا أبا عمرو ولا حي مثله فالله رب الحادثات بمن فجع

---

(1) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير جواد ممدح، ولاه السفاح البصرة سنة (132هـ) وعزله المنصور عنها سنة (139هـ) وتوفي بها سنة 142هـ، (تهذيب ابن عساكر 6/ 281 وفوات الوفيات 1/ 177).

(2) في الأصل (أنفقت) والتصويب عن الوفيات.

(3) عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام العباس، أمير من القادة الشجعان، توفي سنة 157هـ (الأعلام 4/ 179).

(4) عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، أول من عني بترجمة كتب المنطق توفي سنة 142هـ، أخباره كثيرة أنظر الأعلام 4/ 140 وأمراء البيان 99.

فإن تك فارقتنا وتركتنا ذوي خلّةٍ ما في انسداد لها طمع
فقد جر نفعاً بعد ذلك أننا أمنّا على كل البرايا من الجزع

انتهى [1].

(1) انتهى النقل عن الوفيات وبعده: وقد قيل إنما رثي بها يحيى بن زياد الحارثي الكوفي الشاعر المشهور، وقيل بل رثي بها عبد الكريم بن أبي العوجاء..وقيل أن هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن المقفع..(3/ 469).

68 ـ ربيعة الرأي بن عبد الرحمن[1]

ومنهم ربيعة بن أبي عبد الرحمن[2]، هو مولى آل المنكدر[3] المعروف بربيعة الرأي وكان فقيه أهل المدينة، أدرك جماعة من الصحابة وأخذ عنهم، وعنه أخذ مالك بن أنس، قال بكر بن عبد الله الصنعاني، أتينا مالك بن أنس، فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي، فكنا نستزيده من حديث ربيعة، فقال لنا يوماً: ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذاك الطاق فأتينا ربيعة ونبهناه وقلنا له أنت ربيعة؟ قال: نعم، قلنا له: أنت الذي يحدث عنك مالك ابن أنس؟ قال: نعم. فقلنا كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك، قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم[4]؟ وكان ربيعة يكثر الكلام، وكان يقول الساكت بين النائم والأخرس، وكان يتكلم في مجلسه، فوقف عليه أعرابي دخل من البادية،

---

(1) ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء، المدني، أبو عثمان، من أئمة الحديث، ومن أصحاب الرأي أصحاب العباس الذين يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً. كان من أهل المدينة، واستخدمه السفاح للقضاء، فمات بالهاشمية سنة 136هـ على الأغلب.

أنظر: المعارف 496، ووفيات الأعيان 2/ 288 وتاريخ بغداد 8/ 420 وتهذيب التهذيب 2/ 258 وتذكرة الحفاظ 157 وصفة الصفوة 2/ 38 وذيل المذيل 101 والتاج 10/ 141 والعبر 1/ 183.

(2) في الأصل (ربيع بن عبد الرحمن).

(3) آل المنكدر التيميين من قريش.

(4) الخبر في الوفيات 2/ 288.

فأطال الوقوف والإنصات إلى كلامه، فظن ربيعة أنه أعجبه كلامه، فقال: يا أعرابي ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز مع إصابة المعنى، فقال وما العيّ؟ قال: ما أنت فيه منذ اليوم[1]، فخجل ربيعة، وكانت وفاته سنة ثلاثين ومائة بالهاشمية، ودفن بها والهاشمية مدينة السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها ثم انتقل إلى الأنبار

وقال ابن خلكان[2]: قلت لا يمكن الجمع بين قول من يقول أنه توفي سنة ثلاثين ومائة وأنه دفن بالهاشمية التي بناها السفاح، لأن السفاح ولّي الخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إثنين وثلاثين ومائة، كذا نقله أرباب التواريخ واتفقوا عليه، انتهى

قلت: ولا منافاة بين القولين لاحتمال أنه توفي ودفن بتلك الأرض قبل أن يبنيها السفاح ويسميها بالهاشمية، ثم بناها وسماها بها فيصدق القول أنه مات ودفن بالهاشمية مجازاً كتسمية العنب خمراً أو نظراً إلى زمان المؤرخ القائل والله أعلم.

(1) الخبر في البيان والتبيين 1/ 102 والوفيات 2/ 288 والمعارف 496.

(2) الوفيات 2/ 290 وقبلها: وكانت وفاته في سنة ست وثلاثين، وقبل سنة ثلاثين ومائة بالهاشمية، وهو التأريخ الذي ذهب إليه أكثر مؤرخيه.

69 ـ حبيب العجمي[1]

ومنهم قدوة الأولياء حبيب العجمي قدّس سره، هذا هو أحد المشايخ المتقدمين، وأحد السادة المتصوفين، صاحب الكرامات والخوارق، ومعدن العبادات والحقائق، وإليه تنتمي فرق أكثر الطرائق، ذكر في تذكرة الأولياء بنقل المؤلف أنه كان في ابتداء أمره في البصرة الفيحاء، مشغولاً بالبيع والشراء وسائر المعاملات، وكان دأبه إذا طاب من له عليه دين ولم يتسلم شيئاً من دينه لم يرجع إلا ويأخذ من المديون شيئاً كائناً ما كان، ويسميه أجرة القدم وحق ا لتعب، فاتفق يوماً أنه ذهب إلى باب دار واحدٍ من مديونيه لمطالبته ما عليه، وسأل عنه فأجابته امرأته بأن زوجها ليس في الدار، فطلب أجرة المجيء فأعطته المرأة قطعةً من لحم رقبة

---

(1) حبيب العجمي، ذكره العلامة محمود شكري الآلوسي في تأريخ مساجد بغداد ص124 وقال أنه توفي في حدود سنة (140)هـ، أي قبل أن تنشأ بغداد على يد المنصور، وفي دليل خارطة بغداد ص299 والصحيح أن حبيباً العجمي توفي في البصرة: وقد زار قبره ابن بطوطة سنة 727هـ.

ترجمه بن جبان البستي فقال: «حبيب بن عيسى العجمي العابد أبو محمد أصله من فارس، وكان من أهل الورع والفضل والعبادة، ممن عرف باستجابة الدعاء في الأحايين، وما له حديث يرجع إليه». حضر مجالس الحسن البصري وتأثر بمواعظه، فانشغل بالتعبد واخرج عما كان يملك من أموال اكتسبها بالتجارة، انتهت إليه الرئاسة بعد الحسن البصري، ونسب الحبيب إلى العجم لبقاء لكنة لسانه وكان يقول (إن كان لساني عجمياً فقلبي عربي) قيل أنه توفي سنة 125هـ/ 742م في البصرة ودفن بها، وقيل توفي سنة 140هـ انظر اعلام العارفين 1/ 91ـ99 ومشاهير علماء الأمصار ص152.

الغنم، فرجع بها إلى بيته وأمر زوجته بطبخها ولم يحضر إذ ذاك عندهم شيء من الحطب والخبز، فابتدر حبيب بأمرهما وأتى بهما وطبخت المرأة قطعة اللحم المذكورة وصبتها في الماعون، فإذا بسائل يسأل شيئاً لله، فأجابته المرأة وهي تقول: نحن أشدّ احتياجاً إلى ما نقتات به، فلما ذهب السائل انقلب ما في الماعون دماً خالصاً، فبكت المرأة وقالت لحبيب: أيها الرجل هذا جزاء ضيفك ولنرى أكثر من ذلك وأطالت اللسان في التقريع والتوبيخ، فندم حبيب على ما كان عليه بمشاهدة ذلك بعينيه، وجعل يبكي وينحب، وكاد أن يتقطع أسفاً، فلما أصبح خرج من بيته على عادته، فرأى الأولاد يلعبون في الطريق، قال بعضهم لبعض تنحّو عن الطريق لئلا يصيبكم من غبار قدم حبيب الآكل للربا، ويمسّكم ما يمسّه من العذاب، فلما سمع ذلك اهتدى إلى احسن المسالك، وتوجه إلى عارف وقته وعصره ورئيس بلدته ومصره الشيخ أبي علي الحسن البصري، وبايعه على التوبة الخالصة لله تعالى وأخذ عنه العهد الوثيق إلى سلوك الطريق، ثم قام من عند الحسن البصري، ورجع إلى بيته، فرآه أحد مديونيه في الطريق، فأخذ يسعى ويفرّ منه، فناداه حبيب، وقال: عليّ وَجَبَ الفرار بعد اليوم، ثم مرّ على أولئك الأولاد فلما رأوه قال بعضٌ لبعض: اتقوا أن لا تؤذوا الحبيب التائب بعجعاج أقدامكم، فتكونوا بذلك من الخاطئين، فقال في نفسه: سبحان الله، التقبل إلى الله يفضي في ساعته إلى الذكر الجميل والثناء الحميد، وشكر الله تعالى على ذلك، واستأجر منادياً ينادي في البصرة، من له حق على حبيب فليأته ويأخذه منه، فاجتمع عليه ناس كثيرون وقسم عليهم ما يملكه من المال، فلم يبق عنده سوى ثيابه وثياب أهل بيته، ثم لم يزل يتردد على الحسن البصري ويتعلم منه علوم الشريعة والطريقة ويقوم الليالي على قدم المجاهدة ويشتغل بالطاعة والعبادة وقعد عن الاشتغال بالمعاملة وعن كل شاغل، فشكت إليه زوجته ضيق المعاش، وإنها لا تجد في بيته مما يتعيش به، فقال: استأجرني كريم أعمل له ووعدني بالأجرة بعد مضي عشرة أيام، وأنا أستحي من المطالبة قبل حلول الأجل، فسكنت المرأة بقوله، ومشى هو على عادته بالعبادة، ولما مضت عشرة أيام، جاء

فتى يطرق باب حبيب، فخرجت امرأته لترى من في الباب، وإذا هي بالفتى معه حمل من الدقيق والعسل والدهن، حمول محمّلة بظهور الحمالين، وفي يده صرّة فيها ثلثمائة درهم فناولها إلى امرأة حبيب وقال لها: أرسل بها إليكم من استأجر حبيباً وأمر أن يزيد في العمل، وهو أيضاً يزيد في أجره، ثم ذهب الفتى، ولما صار المساء جاء حبيب إلى البيت وهو متفكر في أمر بيته ومتصور الاعتذار من زوجته، فلما قرب من داره شمَّ رائحة الطعام والدهن، فتعجب ودخل البيت فحكت له زوجته ما جرى من القصة، فازداد تمكناً من العبادة والطاعة، وفوض الأمر إلى الله في كل ما أراده واشتغل بالرياضات وواضب على الأذكار والأوراد إلى أن صار منه ما صار من الأحوال الصادقة والأفعال الخارقة والكرامات الظاهرة، والمكاشفات الباهرة والأدعية المستجابة، والأنفاس المستطابة.

ومن كراماته: أن امرأة جاءت إليه ولها ابن مفقود مدة مديدة ولم يعلم له أثر، فالتمست منه أن يدعو الله عز وجل في رد ابنها إن كان حياً، فقال: تصدقي على الفقراء بما تستطيعين وأنا أدعو الله لك في ذلك، فأخرجت درهمين ولم يكن عندها غيرهما، فأخذهما الحبيب وتصدق بهما على الفقراء، وأمرها بالرجوع إلى بيتها وبشّرها بالبلوغ إلى أمنيتها، فرجعت وإذ هي بولدها في البيت فسألت عن شأنه واستكشفت عن كيفية إتيانه، فقال: بينما أنا في بلدة من بلاد العجم تسمى كرمان أشتري اللحم لأستاذي في هذا الآن فهبّت ريح شديدة وإذا أنا بصوت يقول: أيها الريح اذهبي بهذا إلى داره في بغداد، ثم وجدت نفسي هنا فعلمت أنه كان من كرامات الشيخ.

ومنها ما روي أنه كان يوم التروية بالبصرة ورأوه يوم عرفة، بعرفات ووقف بها.

وحكي أنه كان له جلد غنم بصوفه، كان يفرشه ويقعد عليه، كما يتخذه أهل السياحة والرباط في هذا الزمان فألقاه يوماً في الطريق وذهب إلى قضاء الحاجة، فاتفق مرور الحسن البصري بذلك الطريق فرآه فعرفه أنه

لحبيب فوقف لديه إلى أن جاء حبيب فلما جاء قال: ما أوقفك هنا؟ أيها الأستاذ؟ فقال الحسن: بمن أودعت هذا الجلد، قال: بالذي أوقفك لمحافظته وقيّدك لرعايته.

وحكي: أنه أضافه الحسن يوماً فأحضر له قرصة من شعير وملحاً، فأخذ الحسن يأكل فجاء سائل يسأل ويستعطي، فأعطاه ما أحضره من الطعام، فقال الحسن: لو كنت ممن نال مرتبة أهل العلم لأعطيت نصف الطعام للسائل وأبقيت نصفه لضيفك، ثم بعد ساعة أتى رجل صبيح الوجه ومعه خمسمائة درهم مصرورة ومقداراً من الخبز والحلوى فوضعها بحضرتهما فأعطى الحبيب الدراهم للفقراء وترك الخبز والحلوى للحسن، وقال له: أيها الأستاذ لو قارن عملك اليقين لكنت معمور الجهتين يعني الظاهر والباطن.

ونقل أن الحسن البصري طلب من قبل الحجاج، ففرّ من شرطته واختفى في بيت حبيب فدخلوه وسألوا الحبيب عنه فقال: هو في داخل البيت، فدخلوا وفتشوا عنه فلم يروا له أثراً فاستيأسوا ورجعوا فرجع الحسن إلى الحبيب فعاتبه على أن أخبرهم به، فقال: أيها الأستاذ قد نجوت أنا وأنت ببركة الصدق والإخلاص.

ونقل أيضاً انه رأى الحسن واقفاً على شاطئ الدجلة، فسأله عن سبب وقوفه، فقال: أنتظر سفينة أعبر بها، فقال: أيها الأستاذ دع عنك الحسد وحبّ الدنيا وحبّ الرياسة واعلم النقمة نعماً، وأنسب أمور الموجودات إلى موجدها تعبر الماء من غير سفينة ومعبر هكذا، فعبر الدجلة إلى الجانب الآخر فتفكر الحسن في أمره ثم لما لاقاه قال له: بم نلت هذا المنال أو كيف فزت بهذه الحال؟ فقال: إني اشتغلت بتبييض قلبي، وتصفيته بالمعلوم وأنت اشتغلت بتسويد القراطيس بالرقوم، فتأوه الحسن وبكى، وقال: نفع علمي غيري ولم ينفعني. انتهى

ولم يظفر بتاريخ ولادته وزمن وفاته، ومكان تربته في كتاب من

الكتب التي اتفق النظر إليها، ولكن اشتهر [بين] الناس أن مرقده[1] في بغداد في الجانب الغربي على شاطئ الدجلة مقابل قصر الإمارة، وذلك قريب من جامع القمرية، ويتبرك به ويزار، وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف جدّد آثاره وعمر الجامع الذي هو فيه كثير الخيرات صاحب المبرّات العالم الفاضل الفائق، وزير إيالة بغداد السابق داود باشا، يسر الله مطالبه على ما يشا، وعين له خدمة وربط له أوقافاً، أسعفه الله إسعافاً، وأفاض عليه من سماء لطفه ألطافاً.

(1) أنظر دليل خارطة بغداد ص299.

70 ـ الشيخ معروف الكرخي[1]

ومنهم الشيخ معروف الكرخي قدس سرّه، هو معروف بن فيروز وقيل بن الفيرزان، وقيل ابن علي، ويكنى أبا محفوظ، وهو من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع والفتوة، مجاب الدعوة يستشفى بقبره، وكان يقول البغداديون، قبر معروف درياق مجرب، مجرّب في استجابة الدعاء، وهو من موالي الإمام الهمام علي الرضا رضي الله عنه، وروى عنه وأخذ عنه الطريق، وذكر في تذكرة الأولياء وكذا في وفيات الأعيان لابن خلكان وفي غيره من الكتب المؤلفة في هذا الشأن، [إن] أبويه كانا نصرانيين، فسلموا معروفاً وهو صبي إلى معلمه ليعلمه ويؤدبه، فكان المعلم يقول: قل ثالث ثلاثة، ومعروف يقول: بل هو اله واحد، فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرّحاً، فهرب منه وغاب، فكان أبواه يقولان ليته عاد إلينا على أي دين

---

(1) معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ من موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، كان من الزهاد الصالحين توفي ببغداد سنة 200هـ وقبره مشهور ببغداد يزار في جانب الكرخ، عليه قبة وإلى جانبه مئذنة قديمة احترق المقام الذي شيد فوق قبره سنة 459هـ، فأعاد الخليفة القائم بناءه (أنظر فيضانات بغداد 1/ 221 للدكتور أحمد سوسة، ومراقد المعارف 2/ 318).

وأخباره كثيرة في: وفيات الأعيان 5/ 231 والترجمة هنا منقولة عنه، وطبقات السلمي 83 وصفة الصفوة 2/ 179 وطبقات الحنابلة 1/ 381 وتاريخ بغداد 13/ 199 وحلية الأولياء 8/ 360 والرسالة القشيرية 1/ 60 والعبر 1/ 335 وشذرات الذهب 1/ 335 ونزهة الجليس 2/ 351 وصيد الخاطر 175 والأعلام 7/ 269.

شاء، فنوافقه عليه، ثم أنه مضى إلى علي الرضا بن موسى الكاظم رضي الله عنهما وأسلم على يده، ورجع إلى منزله ودق الباب، فقيل من في الباب؟ فقال: معروف فقالوا: على أي دين؟ فقال: على الدين الحنيفي، فأسلم أبواه ووافقاه ولم يزل يخدم مولاه ويتأدب بآدابه ويلازم سدة بابه.

وصحب أبا سليمان داود الطائي، وأخذ عنه أيضاً وتتلمذ عليه السري السقطي وقال: يوماً إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي.

وروي أنه رحمه الله تعالى ورضي عنه بال في مكان قريب من الدجلة ثم تيمم، فقيل له: يا أبا محفوظ إن الماء قريب منك، فقال: لعلي لا أبلغه، قلت وهذه إشارة منه إلى مقام الياس وقصر الأمل، فإنه لم يكن يرجو له الحياة للآن الثاني فتيمم وذهب إلى الماء للتوضي لئلا يوافيه الأجل وهو محدث أثناء ذهابه، ولم يتيمم لأداء قربه مقصودة حتى يقال كيف ساغ له ذلك شرعاً مع وجود الماء وعدم العجز عن استعماله حقيقة أو حتماً بحسب الشرع وإن كان كلام الراوي يوهم ذلك.

وقال إبراهيم الأطروش، كنا ببغداد على دجلة مع معروف الكرخي، إذ مر بنا أحداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون، فقلنا لمعروف: أما تراهم يعصون الله مجاهرين؟ أدعو الله عز وجل عليهم. فرفع يده وقال: إلهي كما أفرحتهم في الدنيا فرّحهم في الآخرة، فقالوإإنما سألناك أن تدعو عليهم، فقال: إذا فرّحهم في الآخرة تاب عليهم، روي، جاؤا بأجمعهم إلى الشيخ وتابوا على يديه، وعادوا عن ما كانوا عليه.

وحكي أنه رآه بعض الفقراء يأكل طعاماً طيباً، فسأله عن ذلك فقال: أنا ضيف، عابر سبيل أتناول ما سيق إلي، وأحضر بين يدي، ومرّ رضي الله عنه بسقاء في السوق وهو يقول: رحم الله من يشرب، وكان صائماً، فتقدم وشرب، فقيل له: ألم تك صائماً، قال: بلى ولكن رجوت دعائه، ورغبت إلى رحمة الله، وقال محمد بن الحسن: سمعت أبي يقول: رأيت معروف الكرخي رضي الله عنه في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل الله

تعالى بك؟ قال: غفر لي، فقلت بزهدك وورعك، فقال: لا بل بقبولي موعظة ابن السماك، ولزومي للفقر ومحبتي للفقراء وموعظة ابن السماك هو ما قاله معروف: كنت يوماً ماراً بالكوفة، فوقفت على رجل يقال له ابن السماك، وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله تعالى بكليته أعرض الله عز وجل عنه جملة، ومن أقبل على الله تعالى بقلبه، أقبل الله تعالى إليه برحمته، وأقبل بوجوه جميع الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتاً ما، فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله تعالى وتركت كلما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي الرضا، ثم ذكرت هذا الكلام لمولاي فقال: يكفيك هذا موعظة إن اتعظت به.

وقال السري السقطي: قيل لمعروف رضي الله عنه عند موته: أوصي، فقال: إذا أنا متُّ فتصدقوا بقميصي، فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً.

وقال محمد بن منصور الطوسي، كنت عند معروف الكرخي مساء يوم فدعا لي، ثم عدت إليه من الغد وفي وجهه أثر خدش، فقال إنسان: يا أبا محفوظ، كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر، فما هذا؟ فقال: سل عما يعنيك، فقال له الرجل، بمعبودك ألا قلت لي، فقال: صليت البارحة ههنا، واشتهيت أن أطوف بالبيت، فمضيت إلى مكة، وطفت، وملت إلى زمزم لأشرب من مائها، فزلقت على الباب فأصاب وجهي ما تراه.

وروي عن عامر بن عبد الله الكرخي أنه قال: كان لي جار نصراني متمول، ولم يكن له عقب فالتمس مني أن أدله على أحد الأولياء المجابين، وأرشده إلى رجل من الرجال المحبوبين ليدعوا الله أن يرزقه ولداً، قال: فدللته على معروف الكرخي، وأتيت به إليه، وقصصت الحال عليه، فعرض عليه معروف الإسلام وسأله الدخول في الدين الحنيفي في أول الكلام فقال: إن لم يكن لي من الله العناية، فلست تملك لي أمر الهداية، ثم رفع معروف يديه وقال: اللهم إني أسألك أن ترزقه ولداً يكون

باراً بأبويه ويكون إسلامهما على يديه فاستجيبت دعوته ورزق النصراني ولداً، فلما كبر سلمه أبوه إلى معلم النصارى، فقال له المعلم قل ما أقول لك، فقال: أيها المعلم إن لساني من النطق بالتثليث معقول بحب الواحد مشغول، ومهما يذكر له ويعلمه من حروف الهجاء، ركب مع كل حرف كلاماً مقفّى دالاً على توحيد أهل الأرض والسماء فتحير المعلم في أمره وفي فهمه في أول عمره، فشرح الله صدر المعلم عند ذلك بنور الإسلام، واهتدى إلى الدين الحنيفي بتوفيق ذي الجلال والإكرام. فأتى به إلى أبويه وقص عليهما ما وقع منه بين يديه فاختارا الدين القويم المبين واسلما لله رب العالمين، فظهر فيهم أثر استجابة دعاء معروف رضي الله عنه، وكان مع كل ملّة من الملل في غاية التواضع والمجاملة، فكانت كل فرقة منهم تعتقده أنه إمام مذهبه وقدوة طريقته، وقال في مرض موته: أي طائفة وفرقة قدرت على حمل جنازتي ورفعها فأنا من تلك الفرقة، ولم يستطع حمل جنازته سوى فرقة الإسلام.

قلت: واطلعت على بعض حكاياته وذكر مناقبه في بعض كتب القوم، فلا بأس في نقلها لتكون عظة لأهل الغفلة وإيقاظاً لهم من النوم، فنقول:

إنه نزل يوماً إلى دجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته على الأرض، فجاءت امرأة فأخذتها فتبعها، وقال: يا أختي أنا معروف ولا بأس عليك، ألكِ ين يقرأ القرآن؟ قالت: لا، قال: فزوج؟ قالت: لا، قال: فهاتي المصحف وخذي الملحفة.

وحكى خليل الصياد قال: فقدتُ إبناً لي يسمى محمداً زماناً طويلاً، فوجدتُ عليه أنا وأمّه وجداً شديداً، فأتيت معروف الكرخي، وقلت: يا أبا محفوظ غاب ابني محمد وأمه واجدة عليه، فقال: ما تشاء؟ فقلت: أريد أن تدعو الله أن يردّه علينا، فقال: اللهم إن السماء سماءك والأرض أرضك وما بينهما لك أنت بمحمد، قال خليل: ثم خرجت إلى باب الشام فإذا ابني محمد واقف، فقلت: أين كنت يا محمد؟ فقال: يا أبت كنت الساعة بالأنبار.

وروى عنه أنه قال رأيت في البادية شاباً حسن الوجه له ذؤابتان حسنتان وعلى رأسه رداء قصب، وعليه قميص كتان وفي رجله نعل طاق، قال معروف: فتعجبت منه في مثل ذلك المكان ومن زيّه، فقلت له: السلام عليك ورحمة الله فقال: وعليك السلام ورحمة الله يا عم، فقلت له: يا أيها الفتى من أين؟ فقال: من مدينة دمشق، قلت: ومتى خرجت منها؟ قال: ضحوة النهار. قال معروف: فتعجبت وكان بينه وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة، فقلت له: وأين المقصد؟ فقال: مكة إن شاء الله تعالى، فعلمت أنه محمول، ثم ذهب ولم أره.

حتى مضت ثلاث سنين، فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره، وما كان منه وإذا بإنسان يدقّ الباب، فخرجت إليه فإذا بصاحبي، فسلّمت عليه وقلت له: أهلاً ومرحباً، وأدخلته المنزل، فرأيته متقطعاً ذاهباً تالفاً وقال: يا أستاذ لم يخبرني بما يفعله بمعامليه، فقلت له: أخبرني ببعض خبرك، قال: نعم، لاطفني حتى أدخلني الشبكة، ثم ضربني ورماني، فمرة يلاطفني ومرة يهينني، ومرة يكرمني، ومرة يوجعني، فليته أوقفني على أسرار بعض أوليائه، ثم ليفعل بي ما يشاء.

قال معروف: فأبكاني كلامه، فقلت: حدثني ببعض ما جرى عليك منذ فارقتني، فقال: هيهات أن أُبديه، وهو يريد أن أخفيه، ولكن أخبرك بما فعله بي في طريقي إليك مولاي وسيدي، ثم استفرغه البكاء، فقلت: وما الذي فعل بك، قال: جوعني ثلاثين يوماً ثم جئت إلى قرية فيها مقثئة قد نبذ منها الدود وطرح، فقعدت آكل منه فبصرني صاحب المقثئة، وأقبل إلى يضرب بطني وظهري ويقول: يا لص ما خرّب مقثئيّ غيرك، منذ كم وأنا أرصدك حتى وقعتُ عليك، فبينما هو يضربني إذا أقبل فارس نحوه مسرعاً وفلت السوط في رأسه وقال: تعمد إلى وليّ من أولياء الله عز وجل تضربه وتقول يا لص، فأخذ بيدي صاحب المقثئة فذهب بي إلى منزله، فما ترك شيئاً من الكرامة إلا عمله معي واستحلني، فبينما كنت عنده لصاً إذ جعلني ولياً، ثم أن صاحب المقثة، قال: قد جعلت المقثة لله

تعالى ولأصحاب معروف، فقلت له، صف لي معروفاً، فوصف لي الصفة فعرفتك بما شاهدته من صفتك، قال معروف: فما استتم كلامه حتى دق صاحب المقشة الباب ودخل عليّ وكان موسراً، فأخرج جميع ماله وجعله للفقراء وصحب الشاب سنة ثم خرجا للحج، فماتا بالربذة رحمة الله عليهما.

وقال السري السقطي رضي الله عنه: رأيت معروفاً في المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول لملائكته، من هذا؟ فقالوا: أنت أعلم يا رب، فقال: هذا معروف الكرخي سكر من حبّي فلا يفيق إلا بلقائي.

وقال أبو بكر الخياط: رأيت في المنام كأني دخلت المقابر، فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان، وإذا أنا بمعروف قائماً فيما بينهم يذهب ويجيء، فقلت: يا أبا محفوظ ما صنع بك ربّك؟ أو ليس قدمت؟ قال: بلى وأنشد:

موت التقي حياة لا نفاذ لها   قدمات قوم وهم في الناس أحياءُ

ومن كلامه قدّس الله روحه: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح له باب العمل وفتح عليه باب الجدل.

وقال: التصوف الآخذ بالحقائق، والكلام في الدقائق، والأياس مما في أيدي الخلائق.

وقال: حقيقة الوفاء إفاقة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهم عن فضول الآفات، والسخاء: الإيثار بما يحتاج إليه عند الإعسار.

وقال: علامة مقت الله للعبد أن يرى مشتغلاً بما لا يعنيه من أمر نفسه، وطلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور. وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق.

وقال له رجل: أوْصني، فقال: توكل على الله حتى يكون هو معلمك ومؤنسك وموضع شكواك، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك.

وقال أبو سليمان الداراني: سئلت معروف الكرخي عن الطائعين لله تعالى بأي شيء قدروا على الطاعة، فقال: بإخراج الدنيا من قلوبهم، ولو كان في قلوبهم منها شيء لما صحّت لهم سجدة واحدة. فقلت له: يرحمك الله، فمن كان له ولد؟ فقال: هكذا كانوا وبهذا أسموا، ومَنْ رجع إلى الدنيا اضطراراً كان عند الله بخلاف من رجع إليها اختيارً ولهما حالات، أحدهما لأولياء الله والآخر لأعداء الله.

وسئل: بماذا تخرج الدنيا من القلب؟ فقال: بصفاء الودّ وحسن المعاملة، ثم قال: المحبة ليس من تعليم الخلق إنما هي من مواهب الحق وفضله.

وقال: للفتيان علامات ثلاث، وفاء بلا خلاف، ومدح بلا جود، وعطاء بلا سؤال.

وقيل له: ما علامات الأولياء؟ فقال: ثلاث: همومهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه.

وقال: قلوب الطاهرين تشرح بالتقوى، وتزهر بالحب وقلوب الفجار تظلم بالفجور وتعمى بسوء النية.

وقال: يقول الله تعالى في بعض الكتب السالفة:

ابن آدم ما أجسرك، تسألني فأمنعك لعلمي بما يصلحك، ثم تلحّ علي بالمسألة فأجود بكرمي عليك، فأعطيك ما سألتني فتستعين بما أعطيك على معصيتي، فأهمّ بهتك سترك فتسألني فأستر عليك، فكم من جميل أصنعه بك، وكم من قبيحٍ تعمله معي، يوشك أن أغضب عليك غضبةً لا أرضى بعدها أبداً.

وقال أيضاً: قال تعالى: أحبُّ عبادي إليّ المساكين الذين سمعوا قولي وأطاعوا أمري، ومن كرامتهم عليّ أن لا أعطيهم دنيا فينقلبوا بها عن طاعتي.

وقال: من كابرَ الله صرعه، ومن نازعه قَمَعَهُ، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه حفظه ومنعه، ومن تواضع له رفَعَهُ. وقال: الدنيا أربعة أشياء: المال والكلام والمنام والطعام، بالمال يطغي والكلام يلهي، والمنام يُنْسي والطعام يقسي. وكان كثيراً ما ينشد:

أيّ شيء تريد مني الذنوب شغفت بي فليس عني تغيب
ما تضرّ الذنوب لو أعتقتني رحمةً لي فقد علاني المشيب

هذا وتوفي رحمه الله تعالى سنة مائتين وقيل إحدى ومائتين في بغداد، ونقل أنه حضر جنازته ثلثمائة ألف رجل، وصلوا عليه ودفن في الجانب الغربي، ومرقده هناك مشهور يتبرك به ويُزار عليه رحمة العزيز الغفار.

71 ـ إبراهيم بن أدهم[1]

ومنهم إبراهيم بن ادهم قدس سرّه كان صاحب الأحوال السنية والأخلاق البهية، أتقى أهل زمانه، عديم النظير بين أقرانه، كبير الشان في الزهد والورع وحيد الأوان في قصر الأمل وقطع الطمع، لقى كثيراً من المشايخ وجماً غفيراً من العلماء العاملين، أخذ عنهم وأخذوا عنه، وصحب الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وسفيان الثوري والفضيل بن عياض وجنيداً وغيرهم، وأسند أحاديث كثيرة من التابعين وتابعيهم، وأكثر مقامه بالشام، وكان يأكل من عمل يده كالحصاد وحفظ البساتين والاحتطاب وكان في ابتداء أمره من ملوك بلخ، وقيل من أنباء ملوكها، وسبب تركه للدنيا وتبتّله وإقباله على الله تعالى على ما نقله المؤلف من تذكرة الأولياء أنه كان نائماً ذات يوم في منزله على عرش السلطنة والسرير متنعماً بالفراش

(1) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، من أبناء المياسير، تفقه ورحل إلى بغداد والشام والحجاز وأخذ عن علمائها، وكان زاهداً متصوفاً، يتكلم العربية ولا يلحن، ويأكل من عمل يده ورابط في ثغر المصيصمة وقيل مات هناك سنة 161هـ، وأخباره كثيرة ولكنها مضطربة، أنظر: تاريخ ابن الوردي 2/ 167 والبداية والنهاية 10/ 135 وصفوة الصفوة 4/ 127 وتهذيب ابن عساكر وطبقات السلمي ص57 وحلية الأولياء 7/ 367 وطبقات الشعراني 1/ 81 وفوات الوفيات 1/ 3 ومرآت الجنان 1/ 349 ودائرة المعارف الإسلامية 1/ 33 وعروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية 1/ 134 وفي المكتبة الظاهرية بدمشق سيرة السلطان إبراهيم بن ادهم قصة عامية انظر الأعلام 1/ 24 ومشاهير علماء الأمصار ص183.

الوثير فاضطرب سقف ذلك البيت، كأن أحداً يمشي على سطحه فنادى وقال من على السطح؟ فقال: صديق أطلب إبلاً فقال: يا جاهل كيف يطلب الإبل في سطح الدار وكيف يجوز ذلك لأولي الأبصار، قال: يا غافل فكيف يصح أن تطلب العزيز القهار وتنال لديه منازل الأبرار وأنت على الفرش والسرير متنعم بالنعيم والفراش الوثير، منهمك بالشهوات مغمور بالغفلات، لاه بالسلطنة الفانية، ساه عن النعم الباقية، فدخل الرعب في قلبه، وأخذت الحيرة لبّه، ولم ينم إلى الصباح، فلما أصبح جلس في مجلس الحكمة، ثم اتفق أيضاً أنه كان جالساً في ناديه يوماً مع أرباب دولته، ورجال سلطنته، إذ دخل عليه رجل ذو هيبة ووقار، ولم يقدر أحد من الخواص والعلماء أن يقول له من أنت وما مهمك؟ حتى وصل إلى سرير إبراهيم ووقف لديه فقال له إبراهيم: ما شأنك؟ وما تعني فقال: أنا رجل غريب، وأريد أن أنزل في هذا الرباط، فقال: إنها دار الإمارة، وليس برباط، قال الرجل: فلمن كانت قبلك، فقال: كانت لأبي، قال ولمن كانت قبل أبيك فقال: لأبيه، قال: ولمن كانت قبل أبيه؟ قال: لأبيه، قال: وقبله؟ فقال: لفلان، قال الرجل: فكيف لا تكون رباطاً وقد انتقلت من قوم إلى قوم ودخلوا فيها طائفة بعد طائفة، أليس معنى الرباط أن يجيء فيه واحد ويذهب آخر؟ قال ذلك ومضى إلى سبيله، فقال إبراهيم نفسه واتبع أثره إلى أن وصله وقال له: أقسمت عليك بالله أن تخبرني من أنت؟ فقال: أنا الخضر، فزاد قلبه اكتئاباً، ونار شوقه التهاباً، وتغيّر حاله، واشتغل باله، فخرج متصيداً مع أرباب دولته وحزبه، يقصد انشراح صدره وابتهاج قلبه، فانفرد من عسكره في ناحية من الصحراء، فهتف به هاتف، وقال: يا إبراهيم انتبه من سنة الغفلة، فلم يلتفت إليه إلى أن سمعه أربع مرات، ثم سمع صوتاً آخر يقول: يا إبراهيم انتبه قبل أن ينبهك الموت، واغتنم الفرصة قبل الفوت، ثم إنه رأى ظبياً أثناء اقتناصه وهو يقول له بأفصح لسان وأظهر بيان: يا إبراهيم ألهذا خلقت، أم بهذا أمرت، وسمع قبل ذلك من قربوس سرجه فما استيقظ من سنة الذهول، وهبّت عليه نسمات القبول، وخرج عما هو فيه من سلطنته، وتوجه إلى الله بكليّته،

وأتى إلى راع من رعاء غنمه فأعطى الراعي ما عليه من لباسه وملّكه الغنم وأخذ منه كساءه وثيابه ولبسها وخرج على وجهه سائحاً[1].

قلت: ورأيت في بعض الكتب أن سبب زهده أحد هذه المذكورات لكن على الاختلاف وفيه أيضاً زيادة على ما ذكر ما نصّه: قال أحمد بن عبد الله صاحب إبراهيم بن أدهم: كان إبراهيم ابن أدهم من أبناء ملوك خراسان فبينما هو مشرف ذات يوم على قصره إذ نظر إلى رجل بيده رغيف يأكله، فاعتبر وجعل ينظر إليه حتى أكل الرغيف، ثم شرب ماء ثم نام فألهم الله عز وجل الفكر فيه فوكل به بعض غلمانه وقال: إذا قام من نومه فجئني به، فلما أرسل من نومه قال له صاحب هذا القصر يريد أن يكلمك، فدخل مع الغلام إليه، فلما نظر إليه إبراهيم، قال له: أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع؟ قال: نعم، قال فشبعت؟ قال: نعم قال إبراهيم: وشربت تلك الشربة من الماء ورويت؟ قال: نعم؛ قال: ونمت طيباً بلا شغل ولا هم؟ قال: نعم، فقال إبراهيم فقلت في نفسي، فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت؟ فخرج إبراهيم سائحاً إلى الله تعالى على وجهه، فلقيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح فقال لي: يا غلام من أين وإلى أين؟ فقال إبراهيم: من الدنيا إلى الآخرة، فقال: يا غلام أنت جائع؟ قال نعم، فقام الشيخ فصلى ركعتين خفيفتين، وسلم فإذا عن يمينه طعم وعن شماله ماء، فقال لي: كل فأكلت بقدر شبعي وشربت بقدر ريي، ثم قال لي الشيخ: أعقل وافهم لا تحزن ولا تستعجل فإن العجلة من الشيطان وإياك والتمرد على الله عز وجل فإن العبد إذا تمرد على الله عز وجل أوْرثَ الله تعالى قلبه ظلمة والظلالة مع حرمان الرزق، ولا يبالي الله في أي وادٍ هلك، يا غلام، إن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً جعل في قلبه سراجاً يفرق بين الحق والباطل والناس فيهما متشابهون، يا غلام إني معلمك اسم الله الأعظم، فإذا أنت جعت فادع الله تعالى به

---

(1) الخبر باختلاف يسير في طبقات السلمي ص30.

حتى يشبعك، وإذا عطشت فادع الله تعالى به حتى يرويك، وإذا جالست الأخيار فكن لهم أرضاً يطأوك، فإن الله عز وجل يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم، ثم قال: يا غلام خذ كذا وخذ كذا قال إبراهيم: فلم أبرح، فقال الشيخ: اللهم احجبني عنه واحجبه عني، فلم أدر أين ذهب، فأخذت في طريقي وذكرت الاسم الذي علمني فلقيني رجل حسن الوجه والثياب طيب الريح وقال لي: ما حاجتك ومن لقيت في سفرك هذا؟ قلت: شيخاً صفته كذا وكذا وعلمني كذا، فبكا، فقلت: أقسمت عليك بالله تعالى من ذلك الشيخ؟ فقال لي: ذاك الياس عليه السلام، أرسله الله إليك ليعلمك أمر دينك، فقلت له: فأنت يرحمك الله، من أنت؟ قال: أنا الخضر، انتهى.

وروي بنقل المؤلف: أنه دخل نيسابور وأوى فيه إلى غار معروف مشهور هناك ومكث فيه تسع سنين يعبد الله تعالى منعزلاً من الناس، وكان دأبه أنه تخرج من ذلك الكهف كل يوم خميس ويحتطب ويدخل في البلد يوم الجمعة، وكان بعد أن يصلي صلاة الجمعة يبيع الحطب ويشتري بثمنه خبزاً، وكان ينفق نصف الخبز على الفقراء، ويمسك النصف الآخر يقتات به ذلك الأسبوع إلى يوم الخميس، وكان يفعل فيه مثل ما كان يفعل في الخميس الماضي ، واحتاج في ليلة شاتية شديدة البرد إلى الغسل في ذلك الغار، فقام واغتسل فكاد أن يهلك من شدة البرد فقال في نفسه ليتني صادفت ناراً أتدفأ بها في هذه الليلة الباردة، ثم نام هوياً من الليل، فاستيقظ، فرأى في جنبه حيّة كأنها قطعة جبل وهي تدفيه بنفسها وزفيرها، فهابها إبراهيم وقال: الهي لاطفتني في أول أمري وعودتني أن تريني صوراً لطيفةً فلا أستطيع تجليك لي بالقهر وأن تريني صوراً هائلة كثيفة، وبينما هو في هذا الحديث وإذا بالحية خضعت بين يديه وغابت، ولما اشتهر بنيسابور خرج من ذلك الغار وقصد مكة قال: فلما وصل إلى ذات عرق رأيت سبعين صوفياً ماتوا وقد جرى الدم من آذانهم وأنوفهم فعطفت عليهم، فرأيت واحداً فيه بعض الحياة، فدنوت منه وقلت، أيها الفتى، ما هذه

الحال ومن هؤلاء الرجال؟ فقال: يا ابن أدهم عليك بالماء والمحراب، فلا تذهب بعيداً فتهجر وتهمل، ولا تأت قريباً فتقتل فإن المباسطة على بساط الملوك بلا أدب مما يوجب الهلال والعطب، فالذي يفعل هذا بحجاج بيته وسلاّك طريقته كيف يؤمن مكره أم كيف لا يخاف قهره، ثم قال: يا ابن أدهم نحن طائفة من الصوفية سائرين على قدم التوكل[1] في بادية المحبة الالهية وعاهدنا الله تعالى أن لا نشتغل إلا بذكره، ولا نطمئن إلا بفكره، ولا نلتفت إلى غيره، فقصدنا حج بيت الله الحرام ووصلنا إلى ميقات الإحرام، فاستقبلنا الخضر عليه السلام فاستبشرنا بلقياه واستلذذنا برؤية محيّاه، فتحدثنا فيما بيننا، وقلنا: قد فزنا بالسعي المشكور والعمل المقبول والحج المبرور، وتم لنا بذلك السرور، وبينما نحن في ميدان المباسطة نجول وإذا بهاتف يهتف بنا ويقول: أيها المدعين للحب والطامعين في منازل أهل القرب[2]، أين العهد الوثيق، وأين ما أخذتم على أنفسكم من المواثيق؟ فغدرتم العهد ونقضتم، وتركتم ما التزمتم، ورفضتم فلم تكونوا كما كنا، إذ خنتم العهد وما خنا، فلنريقن دمائكم، ولنقطعنّ من الحياة رجائكم، فهؤلاء شهداء بسيف ذلك النداء، وأنت يا إبراهيم إن تجد بنفسك فتقدم، وإلا فتأخر تسلم، قال إبراهيم فقلت له: ،انت كيف سلمت وما هلكت، وتخلفت عن طريق القوم وما سلكت، فقال: لما بي من القصور، ولما أنا عليه من الفتور، وأرجو الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم أن يوفقني في طريق القبول إلى اللحوق بالقوم، فلم يتم كلامه إلا وقد قضى نحبه ونال مرامه.

ويروى أنه لما توجّه إلى مكة ما فتر عن العبادة في خطوة خطاها،

---

(1) التوكل: عند الصوفية: غير التوكل الذي هو سلبية وتبطل وإهمال وبعد عن الحق، والتوكل كما نجده عند الإمام الغزالي ينقسم إلى علم وحال وعمل (معجم ألفاظ الصوفية ص93) وأنظر: الرسالة القشيرية ص129.

(2) القرب من مصطلحات الصوفية، وهو التقرب إلى الله وذلك بكثرة العبادات، وعمل الطاعات وفي هذا الحال يكون المريد دائم التطلع إلى الله لا يرى شيئاً سواه، معجم ألفاظ الصوفية ص233.

وفي كل منزلة أتاها، حتى وصول مكة في أربع عشرة سنة، ولما سمع بقدومه خدم الحرم ومشايخه، استقبلوه إجلالاً له، فلما سمع بذلك إبراهيم جعل يمشي أمام الحجاج وحده لإخفاء حاله على من برز لاستقباله، فلما وصلوا إليه ولم يعرفوه قالوا له: إبراهيم بن أدهم من هو؟ فقال: ما لكم ولإبراهيم، هو رجلٌ زنديق بين الرجال، فضربوه ضرباً مبرّحاً وقالوا: تقول فيمن يستقبله مشائخ الحرم أنه زنديق؟ انت الزنديق، فلما عبروا عنه أخذ يقول: كنت تريد أن يستقبلك مشائخ الحرم وما فزت والحمد لله بذلك، ثم علموا أن الذي سألوه عنه وضربوه هو إبراهيم، فجاؤا إليه يعتذرون منه، ويقبلون يديه، وأدخلوه مكة بالتكريم،

جاور مكة مدة من السنين يتعيش بالاحتطاب وبغيره من كسب اليمين، وروي أنه لما خرج من بلدته، وانفصل عن سلطنته كان له هناك ابن رضيع، فلما أدرك الحكم وعرف بنفسه سأل أمه عن أبيه، فقصت عليه أمه قصة أبيه وإنه في مكة الكرمة، فنوى الولد زيارته وعزم على التوجه إلى مكة، فأعدّ محامل وهوادج وخياماً وسائر الأمور اللازمة، وأمر منادياً ينادي في بلخ، من يشتاق إلى حج بيت الله الحرام فليتبعني فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل، فأعد لكل أحد ما يحتاج إليه من المركوب والمطعوم والمشروب، وأخذ معه أمه، فبادروا إلى المسير، وساروا بشوكة غنية عن التحرير، فلم يزالوا يسيرون، حتى وصلوا مكة، فلما دخلوها جعل الولد يتحسس على أبيه ويسأل عنه، فصادف جماعة من الفقراء الصوفية، فسألهم عنه، فقالوا له: هو شيخنا، ذهب يحتطب ويبيع الحطب ويأتي بالطعام لضيافتنا فذهب الولد نحو الصحراء، ويجيل نظره يميناً وشمالاً، فبينما هو كذلك إذ رأى شيخاً فوق رأسه حزمة حطب، فعرفه، تفرساً أنه أبوه، فاقتفى أثره، فجاء بحطبه إلى السوق ونادى من يشتري الطيب بالطيب، فأتاه خباز واشترى منه الحطب وأعطاه بثمنه خبزاً، فأخذ الخبز ورجع إلى أصحابه، ووضعه بين أيديهم، ولم يعرّف الابن نفسه لإبراهيم مخافة أن يهرب فرجع إلى أمه وأخبرها بما رأى، فقالت أمه: حتى نفرغ من أفعال

الحج، وكان إبراهيم أوصى أصحابه أن لا ينظروا إلى أصحاب الجمال من المرد والنساء، ثم لما كان الحجاج في الطواف وإبراهيم وأصحابه يطوفون حول الكعبة، فنظر إبراهيم إلى صبي صاحب جمال من الحجاج فتعجب أصحابه وقالوا له بعد الفراغ من الطواف، رحمك الله نهيتنا عن النظر وأنت نظرت إلى صبي جميل، فقال: لما جئت ههنا خلفت لي ولداً رضيعاً ببلخ، فأظن أن ذلك الصبي ابني، ثم اتفق يوماً أن فقيراً من أصحابه مرّ بخيمته فرأى بها ولداً ذا جمال يتلوا القرآن ويبكي فدنا منه وسأله عن نسبه وبلده [واستعلمه] عن بكائه وكمده، فقال: أنا بلخي وأبي إبراهيم ابن أدهم وفقد منذ سنين فأوْرَثَ لي فراقه ما تراه من الهم، ولقد رأيته أمس في الطواف فكتمت أمري عنه خوفاً من أن يهرب عني، فقال: الآن أنا أدلك عليه، فقام هو وأمه وذهبا مع الفقير إلى الحرم، وانتهوا إلى الركن اليماني فرأوه عند الركن، فعرفته أمه في أول نظرها إليه، وقالت: يا ولدي هذا أبوك، فبكت وبكى الولد وبكى كل من حضرهم، ثم تقدم الولد إلى أبيه وسلم عليه، وراعى الأدب بين يديه فرد إبراهيم سلامه عليه وعانقه، فسأله أولاً عن دينه، فقال: ديني الإسلام، فحمد الله تعالى ثم سأله عن تعلمه القرآن، فأخبره به فحمد الله تعالى، ثم سأله عن تحصيله للعلم، فقال: نعم، حصلت ما أحتاج إليه، فحمد الله تعالى، ثم أراد إبراهيم مفارقتهم وتوديعهم، فمنعه الولد، فامتنع، ثم رفع إبراهيم رأسه إلى السماء وقال: الهي أغثني وإذا هو بالولد قد مات بين يديه، فتحيّر أصحابه في ذلك وسألوه عن حقيقة ما هنالك، فقال: لما أخذ حبّ ولدي من خلدي، نوديت أن يا إبراهيم تدّعي محبتنا وتحبّ معنا غيرنا، فقلت الهي أغثني بقبض روح ولدي إليك، فأجاب الله دعائي، قال المؤلف: وجعل الشيخ فريد الدين العطار صاحب تذكرة الأولياء دعاء إبراهيم بموت ولده مماثلاً لتقديم إبراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام ولده للذبح، قلت: ولا عجب إذ كل وليّ من أولياء الله تعالى على قدم نبي من الأنبياء، كما قرر في كتب القوم.

ونقل عنه أنه قال: طفت ليلة بالبيت الحرام وكانت ليلة ممطرة شديدة الظلمة، وقد خلا الطواف، وطابت نفسي، فوقفت عند الملتزم، ودعوت فقلت اللهم أعصمني حتى لا أعصيك، فهتف بي هاتف أن يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي يسألوني ، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وأنا الغفور الرحيم، قال: فبقيت ليلتي إلى الصباح مستغفراً، مستحياً من الله عز وجل، وكان يقول في دعائه، اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك، آه، آه، من عرفك فلم يعرفك، فكيف حال من لا يعرفك، وكان يقول: الإخلاص صدق النية لله، وما صدق من طلب شهوة أو أحبها، وكان يقول: أثقل العبادة في الدنيا أثقل الأعمال في الميزان، وقال رضي الله عنه، على القلب ثلاثة أغطية، الفرح بما في يديك، والحزن على ما فاتك، والحب للمدح والثناء فإذا أفرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل، ودليل ذلك قوله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما أتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور،

وقال سهل ابن إبراهيم: صحبت إبراهيم بن أدهم فمرضت، فأنفق علي ما كان يملكه، وكان لي حمار، فقلت في نفسي، ليته يبيع الحمار وينفق ثمنه عليّ، فلما شفيت من مرضي لم أر الحمار، فقلت: أين الحمار؟ فقال: بعته، فقلت: على ماذا أركب؟ وأنا لا أطيق المشي؟ فقال: على عنقي فحملني على عنقه ثلاثة أيام.

ونقل أن الخليفة المعتصم لقيه يوماً فسأله عن حرفته فقال: تركت الدنيا والآخرة لطالبيها، ورضيت من الدنيا بذكر الله وفي الآخرة بلقائه تعالى، فكرر عليه السؤال، فقال: أوّما تعرف إن خدام الرحمن لا يحتاجون إلى حرفة، هذا ما نقله المؤلف عن تذكرة الأولياء، ثم قال: ومناقبه لا تحصى، ومحامده لا تستقصى، واشتهرت في الآفاق ولايته بالاتفاق، واختلف في مدفنه، فقيل: أنه توفى ودفن بالزوراء، وقيل في

الشام، قيل فقد في آخر عمره فلم يعرف أين مات كما في تذكرة الأولياء، لكن لما نصّ في جامع السّير أن مدفنه أرض بغداد من غير تعيين محل ومكان ذكرناه في هذا الكتاب، وشرفنا بذلك البنان، انتهى.

قلت: وظفرت على بعض حكاياته ومناقبه، وبعض كلماته الدالة على سمو مرتبته في بعض كتب القوم، فليس علينا في ضمها إلى ما ذكره المؤلف من لوم، لتكون عظةً للناظرين وعبرةً للمعتبرين فنقول قال إبراهيم[1] بن بشار رحمه الله كنت مع إبراهيم بن أدهم في سفر ذات ليلة وليس معنا شيء نفطر عليه، فرآني مغموماً حزيناً فقال لي: يا إبراهيم لا تحزن ولا تغتم فرزق الله مضمون، سيأتيك يا إبراهيم أنظر إلى ما أنعم الله به على الفقراء من نعم في الدنيا والآخرة لا يسألهم الله يوم القيامة عن حج ولا زكاة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، وإنما يسأل الأغنياء عن ذلك ويحاسبهم، فهم أغنياء في الدنيا، فقراء في الآخرة، أعزّة في الدنيا أذلّةٌ في الآخرة، ثم قام إلى صلاته، فما لبثنا غير ساعة وإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا وقال: كلوا رحمكم الله، قال: فسلم إبراهيم من صلاته فقال: كل يا مغموم، فجاء سائل فقال: أطعموني شيئاً فأخذ ثلاثة أرغفة وتمراً ودفعه إليه وأعطاني ثلاثة أرغفة وأكل رغيفين وقال المواساة من أخلاق المؤمنين،

وقال إبراهيم بن بشار هذا: سمعت إبراهيم بن ادهم يتمثل كثيراً بهذا البيت:

لَلُقمةٌ بجريش ملح أكلها ... أَلَذُّ من ثمرة تحشا بزنبور

وحكي عنه رضي الله عنه أنه قال مررت ببعض جبال الشام فإذا حجر عليه مكتوب كتابة بينة بالعربية والحجر عظيم كبير:

---

(1) إبراهيم بن بشار بن محمد، أبو إسحاق الخراساني، الصوفي، خادم إبراهيم بن أدهم، قدم بغداد وحدث بها (تاريخ بغداد 6/ 47).

كـــــل حـــــي وإن بـــــقـــــى		فـــمـــن الـــعـــيـــش يـــســـتـــقـــى
فـــاعـــمـــل الـــيـــوم واجـــتـــهـــد		واحـــذر الـــمـــوت يـــا شـــقـــي

وقال عبد الله بن المفرج اطلعت على إبراهيم بن أدهم بالشام في بستان وهو نائم وعند رأسه أفعى في فمها طاقة نرجس كذب عنه حتى انتبه. وقال سهل بن هاشم، جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بصرّة، فقال: يا أبا اسحق، اصرف هذه في بعض حوائجك، فقال إبراهيم: ألم تعلم شرطي؟ قال: وما شرطك؟ فقال: شرطي أن لا أقبل من فقير شيئاً. فقال الرجل: يعلم أهل بيروت أني من أكثرهم مالاً، فقال إبراهيم: الزيادة أحب إليك أم النقصان؟ قال: الزيادة، قال: فأنت فقير.

وقال يزيد بن سنان[1]؛ كان إبراهيم ابن ادهم قاعداً في مشرفه بدمشق إذ مرّ به رجل على بغلة، فقال له: يا أبا اسحق إن لي إليك حاجة أحبّ أن تقضيها، فقال إبراهيم: إن أمكنني قضيتها وإلا أخبرتك بعذري، فقال: إن برد الشام شديد وأنا أريد أن أبدل ثوبيك هذين بثوبين جديدين، فقال إبراهيم: إن كنت غنياً قبلت منك، وإن كنت فقيراً لم أقبل فقال الرجل: أنا والله كثير المال كثير الضياع فقال له إبراهيم: إني أراك تغدو وتروح على بغلتك هذه، فقال: أعطي هذا وآخذ من هذا، فقال له إبراهيم: قم فإنك فقير، فإنك تجتهد في الزيادة.

وقيل له: لم تكتب العلم، فقال: قد شغلني شكر النعمة وخوف العاقبة والعمل لما بعد الموت، وقال رضي الله عنه: خرج رجل في طلب العلم فاستقبل حجراً وإذا عليه مكتوب [اقلبني] تعتبر. فبقي الرجل لا يدري ما يصنع، فمضى ثم عاد فقلبه فإذا فيه كتابة منقورة، أنت لا تعلمنّ بما تعلم، كيف تطلب علم ما لا تعلم، فانصرف الرجل ورجع إلى منزله.

---

(1) في الأصل: يزيد بن سفيان، وهو يزيد بن سنان بن يزيد الأموي مولاهم أبو خالد القرشي المعري نزل مصر كان محدثاً ثقةً، توفي سنة 264هـ ميزان الاعتدال 3/ 313.

وقال أبو عمير بن عبد الباقي، صاحب أذنه: حصد عندنا إبراهيم بن ادهم بالمزارع بعشرين ديناراً ودخل اذنه، ومعه صاحب له، فأراد إبراهيم أن يحلق رأسه ويحتجم، فجاء إلى حجام وجلس بين يديه، فلما رآها الحجام استحقرها وقال ما في الدنيا أحد أبغض اليّ منكما، ما وجدتما أحداً يخدمكما غيري، فخدم جماعة فتهاون بإبراهيم وصاحبه، وإبراهيم ساكت ينظر، فلما لم يبق عنده أحد التفت إليهما وقال: ما تريدان، قال إبراهيم: أريد أن أحلق رأسي وأحتجم، فوجد صاحب إبراهيم في نفسه من تهاون الحجام بهما، فقال أما أنا فلا أحلق ولا أحتجم، فحلق إبراهيم واحتجم، فلما فرغ قال لصاحبه هات الدنانير التي معك فأخذها منه ودفعها إلى الحجام، وهي عشرون ديناراً، فقال له صاحبه: يا أستاذ حصدنا في هذا الحجر دفعتها إلى هذا فقال له: اسكت، تركت هذا لا يحقر فقيراً أبداً، ودخل من فوره إلى طرسوس، فلما أصبح قال لصاحبه خذ هذه الكتيبات أرهنها وجئنا بشيء نأكله، قال فخرج صاحبه ليجيء بشيء كما أمره، فرأى في طريقه خادماً على شهري، وبين يديه حمارات وخيل وبغال وعليها صناديق فيها زيادة على ستين ألف دينار والخادم يقول: الذي أبغيه هو أحمر أشقر يعرف بإبراهيم بن ادهم، فقال له صاحب إبراهيم الرجل الذي تطلبه ما يحب هذه الشهرة، وأنا أدلك عليه، فلما ضرب خيمته، أخذ يديه فجاء به إلى إبراهيم وهو جالس، فلما رآه الخادم وهو في زي الحصّادين، بكى بكاء شديداً ثم قال: يا مولاي بعد ملك خراسان صرت إلى هذه الحالة، فقال إبراهيم: اسكت أيش وراءك؟ فقال: مات الشيخ، فقال إبراهيم: موت الشيخ يأتي على كل ما أتيت به، فأيش الذي تريدون؟ فقال: أنا غلامك، ولما مات الشيخ ركب كل واحد هواه، وأخذ من المملكة ما استوى له، فأخذت أنا ما ترى معي، وأنا عبد لك، جئت أطلب الثغر، أقيم فيه، فقال لي العلماء: لا يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً حتى ترجع إلى مواليك فيحكموا فيك وفيما معك، فأمر فيّ ما أحببت، فقال له إبراهيم: إن كنت صادقاً فيما تقول فأنت حر لوجه الله تعالى، وكلما معك فهو لك إذ جئت تنفقه في هذا الوجه ثم التفت إلى صاحبه

وقال له بعد أن قال للخادم: قم اخرج عني ويحك خذ هذه الكتيبات ارهنها وجئنا بشيء نأكله.

وروى أيضاً أن إبراهيم كان جالساً عند الجامع بالمصيصة مع جماعة، فقدم رجل من خراسان فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم، فقالت الجماعة: هذا، فدنا منه وقال: إن أخوتك بعثوني إليك، فلما سمع ذكر أخوته قام فأخذ بيده فنحاه فقال: ما جاء بك؟ فقال: أنا مملوك معي فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم بعث بها إليك أخوتك، قال: إن كنت صادقاً فأنت حر: وما معك لك ولا تخبر أحداً.

قال بقية بن الوليد[1]: قلت لرفيق لإبراهيم بن ادهم أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته قال نعم كنا يوماً صياماً ولم يكن ما نفطر عليه، فقلت له: يا أبا اسحق هل لك أن نكري أنفسنا مع هؤلاء الحصادين، فقال: افعل، فجاء رجل واكتراني بدرهم، فقلت، وصاحبي قال: هو رجل ضعيف لا أريده، فما زلت به حتى اكتراه بثلثي درهم، فلما كان المساء أخذت الأجرة منه وأتيت السوق فاشتريت ببعضها قدر ما نحتاج إليه، وتصدقت بالباقي، فقال لي: أما نحن فقد استوفينا أجورنا، فيا ليت شعري أوفيناه العمل أم لا، فلما سمعت ذلك منه غضبت، فقال: لا بأس، تضمن لي إنا وفيناه عمله، قال: فلما رأيت امتناعه عن أكله أخذت الطعام فتصدقت به وبقينا طاويين.

وقال أبو علي الجرجاني: صلى إبراهيم بن ادهم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد

وحكي عنه أنه قال: بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس، فلما كان بعض الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه، من ههنا، فقال له الآخر: إبراهيم بن ادهم، فقال: ذلك الذي حط الله

---

(1) بقية بن الوليد الكلاعي، أبو يحمد الحمصي، من محمدثي أهل الشام، توفى سنة 197هـ (خلاصة تذهيب الكمال ص46).

درجة من درجاته، فقال: لم؟ فقال: لأنه اشترى بالبصرة تمراً فوقعت تمرة من تمر البقال على تمره، قال إبراهيم: فاستيقظت وتجهزت وسرت إلى البصرة واشتريت تمراً من ذلك البقال وأوقعت تمرة من تمري على تمره، ثم عدت إلى بيت المقدس وبت في ذلك الموضع، فلما كان في بعض الليل رأيت ملكين قد نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه من ههنا، فقال له: إبراهيم، فقال: ذاك الذي رفعت درجته.

وقال رضي الله عنه أول ما دخلت الشام سئلت بعض المشايخ عن الحلال فقال لي: عليك بمدينة يقال لها المنصورة وهي المصيصة، فعملت بها أياماً فلم يصف لي فقيل لي: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس ففيها العمل الكثير، فتوجهت إليها ودخلتها ونظرت البساتين فيها، وبينما أنا في بستان أنظر فيها وإذا بخادم لصاحب البستان جاء ومعه جماعة فجلس وقال: يا ناطور، فقلت: هوذا، فقال: اذهب وأتنا بأحلى رمان وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمان، فأخذ واحدة منها كسرها، فوجدها حامضة، فقال: يا ناطور أنت في بستاننا منذ كذا تأكل رماننا وفاكهتنا ولا تعرف الحامض من الحلو، قال: والله ما أكلت من فاكهتكم شيئاً ولا أعرف الحامض من الحلو، فنظر الخادم إلى أصحابه وقال: أما تسمعون كلام هذا، ثم قال لي: أتراك إبراهيم بن ادهم ثم انصرف، فلما كان من الغد ذكر صفتي فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه جماعة كثيرة، فلما رأيتهم اختفيت خلف الشجر والناس داخلون فاختلطت معهم ثم هربت وخرجت من طرسوس بعد ذلك،

وروى أنه رضي الله عنه كان يعمل في الحصاد وحفظ البساتين ويجتمع بالليل مع أصحابه، فينفق عليه وعليهم وقت إفطارهم كل ليلة، وكان يبطيء في الرجوع من العمل، فقال أصحابه في بعض الليالي تعالوا نأكل الفطور دونه حتى يعود بعد ذلك سريعاً، فأفطروا وناموا، فلما رجع إبراهيم وجدهم نياماً، فقال: المساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شيء من الدقيق كان هناك فعجنه وأوقد النار وطرح العجين على الملّة،

فانتبهوا وهو ينفخ في النار واضعاً محاسنه في التراب، فقالوا له في ذلك، فقال: قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً فنمتم فأحببت أن تستيقضوا والملة قد أدركت فقال بعضهم لبعض، أبصروا ايش عملنا وما الذي يعاملنا به.

وقيل: أنه مر رضي الله عنه بسوق البصرة فاجتمع إليه الناس وقالوا: يا أبا اسحق إن الله تعالى يقول في كتابه: ادعوني أستجب لكم، وها نحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا فقال: يا أهل البصرة لأنكم ضيعتم عشرة أشياء: أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقّه، الثاني: تعلمتم العلم لله تعالى ولم تعملوا به، والثالث: أدعيتم حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنّته، والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة، وما تعملون لها، والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، والسابع: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة الله ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم إخوانكم فلم تعتبروا بهم.

وقال شريك: سألت إبراهيم بن ادهم عما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهم، فبكى، قال: فندمت على سؤالي، فرفع رأسه وقال: إنه من عرف نفسه اشتغل بها عن غيره، ومن عرف ربه اشتغل به عن غيره،

وحكي عنه أنه قال: كنت سائراً نحو بيت المقدس، فلقيت سبعة نفر، فسلمت عليهم وقلت: افيدوني شيئاً ينفعني الله تعالى به، فقالوا لي: أنظر إلى كل قاطع يقطعك عن الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة فاقطعه فقلت: زيدوني يرحمكم الله، فقالوا: لا ترجُ أحداً إلا الله ولا تخف سواه، فقلت: زيدوني فقالوا: أنظر إلى كل من يحبّه فأحبّه، وكل من يبغضه فابغضه، قلت: زيدوني رحمكم الله، قالوا: عليك بالدعاء والتضرع والبكاء في الخلوات، والتواضع والخشوع حيث كنت، والرحمة للمسلمين والنصح لهم، فقلت: زيدوني، فقالوا: اللهم حل بيننا وبينه، فإنه قد شغلنا عنك فلا أدري، السماء رفعتهم، أم الأرض ابتلعتهم، وغابوا عني فلم أرهم.

ونقل: أنه نظر إبراهيم إلى رجل أصيب بمال ومتاع كثير بحريق وقع في حانوته، فاشتد جزع الرجل حتى خولط في عقله، فقال إبراهيم: يا عبد الله، إن المال مال الله متّعك به إذ شاء، وأخذه منك إذ شاء، فاصبر لأمره ولا تجزع، فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر على البليّة، ومن قدّم وَجَد، ومن أخّر ندم وفَقَدْ، فإن دارنا أمامنا، وحياتنا بعد مماتنا، ومصيرنا أما إلى الجنة أو إلى النار.

وروى عنه أنه كان يحفظ كَرْماً، فمرّ به جندي فقال: أعطنا من هذا العنب، فقال: ما أمر به صاحبه فأخذ الجندي يضربه بسوطه، فطأطأ رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله تعالى فعجز الرجل ومضى وروي: أنه كان له صاحب يقال له يحيى، يتعبّد في غرفة ليس لها سلم ولا درج، فكان إذا أراد أن يتطهر يجيء إلى باب الغرفة ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويسر في [الهواء] كأنه طير ثم يتطهر، فإذا فرغ يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته.

وقال رضي الله عنه: رأيت في المنام كأن جبريل عليه السلام نزل إلى الأرض، فقلت له لم نزلت؟ فقال: لأكتب المحبين، قلت: مثل من؟ فقال: مثل مالك بن دينار وثابت البناني وأيوب السختياني، وعدّ جماعة، فقلت: أنا منهم؟ فقال: لا، فقلت: إذا كتبتهم، فاكتبني تحتهم محب المحبين، فقال: قد أمرني الله أن أكتبك في أولهم.

وقال شعيب بن حرب: قدم إبراهيم بن ادهم رضي الله عنه مكة فنزل علي عبد العزيز بن أبي راود ومعه جراب من جلد ظبية، فعلّق جرابه على وتد ثم خرج إلى الطواف، فدخل سفيان الثوري رضي الله عنه دار عبد العزيز فقال: لمن هذا الجراب؟ قيل: لأخيك إبراهيم ابن ادهم، فقال سفيان: لعل فيه شيئاً من فاكهة الشام. فأنزله فحلّه، فإذا هو محشو بالطين فشدّ الجراب وردّه إلى الوتد، وخرج سفيان، وعاد إبراهيم، فأخبره عبد العزيز بفعل سفيان فقال: إنه طعامي منذ شهر، وقال عطاء: ضاعت نفقة إبراهيم بمكة، فمكث خمسة عشر يوماً يستف الرمل.

ونقل عنه أنه قال: ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات، مرة كنت في سفينة وفيها رحل مضحاك، كان يقول: كنا نأخذ العلم في بلاد الترك هكذا، وكان يأخذ بلحيتي ويهزّني فسرّني ذلك لأنه لم يكن في تلك السفينة أحقر مني في عينه، والثانية: كنت عليلاً في مسجد، فدخل المؤذن وقال: أخرج، فلم أطق، فأخذ برجلي وجرّني إلى الخارج، والثالثة: كنت في الشام وعليّ فرو، فنظرت فيه، فلم أميز بين شعره وبين القمل لكثرته، وفي رواية أخرى قال: ما سررت بشيء كسروري في يوم كنت جالساً فجاء إنسان وبال عليّ، وجاء آخر فصفعني.

وكن كبير الشأن في باب الورع يحكى عنه أنه قال: أطب مطعمك، ولا عليك ألا تقوم الليل ولا تصوم النهار.

وقال شقيق البلخي: لقيت إبراهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت: يا إبراهيم، تركت خراسان وقمعت ها هنا، فقال: ما تهنّيت بالعيش إلا بالشام، أفرّ بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: موسوس، ومنهم من يقول: مجنون، ثم قال: يا شفيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج والجهاد، إنما نبل من كان يفعل ما يدخل جوفه من الرغيفين من الحلال فبكى شقيق، وبكى الناس حوله، فقال شقيق: لا كاد سماء تسقي غيثها بلداً ظعنت عنه، عجباً لقوم خرجت من بين أظهرهم كيف لا يستسقون باثارك.

وروي أن إبراهيم بن ادهم دخل على ابي حنيفة فنظر إليه أصحاب أبي حنيفة بنظر الحقارة فقال أبو حنيفة، سيدنا إبراهيم، فقال أصحابه: بم نال إبراهيم هذه السيادة؟ فقال أبو حنيفة: بأنه مشغول بخدمة الله، ونحن مشغولون بخدمة النفس.

وقال الجنيد: مفتاح العلوم إبراهيم.

ومن كراماته رضي الله عنه ما قاله أبو إبراهيم اليماني، أنه قال: خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن ادهم، فانتهينا إلى غيطة فيها حطب كثير يابس وبالقرب منها حصين، فقلنا له: لو أقمنا الليلة ههنا

وأوقدنا من هذا الحطب، فقال: افعلوا، فطلبنا النار من الحصن وأوقدنا، ولم يكن معنا سوى الخبز، فأخرجنا نأكل، فقال واحد منا ما أحسن هذا الحجر لو كان لنا من اللحم ما نشويه عليه، فقال إبراهيم: إن الله قادر على أن يطمكموه قال: فبينما نحن كذلك، إذا بأسد يطرد أيلاً، فلما قرب منا وقع واندقّ عنقه، فقام إبراهيم وقال: اذبحوه فقد أطعمكم الله عز وجل، فذبحناه وشوينا من لحمه فأكلنا والأسد واقف ينظر إلينا.

ومنها ما قاله نصر بن منصور المصيصي[1]: أنه دخل إبراهيم بن ادهم المصيصة فأتى منزل أبي إسحاق الغزاري فطلبه، فقالوا له خارج، فقال: اعلموه إذا جاء أن أخاه إبراهيم بن ادهم يطلبه، وقد ذهب إلى مرج كذا وكذا يرعى فرسه، ثم مضى إلى ذلك المرج فإذا أناس يرعون دوابهم، فرعى فرسه حتى أمسى، فقالوا له: ضم فرسك إلى دوابنا فإن السباع تأتينا، فأبى وتنحى ناحية، فأوقدوا النيران حولهم ثم أخذوا فرساً لهم صؤولاً فأتوا به مشكولاً يقودونه، فقالوا له: إن في دوابنا حجوراً ورماكاً فليكن هذا عندك، فأخذه ومسح وجهه وأدخل يده بين فخذيه، فوقف الفرس لا يتحرك، فعجبوا من ذلك، ثم قال لهم: اذهبوا، فجلسوا ينظرون ما يكون منه ومن السباع، فقام إبراهيم يصلي وهم ينظرون، فلما كان في أثناء الليل أتته أسد ثلاثة يتلوا بعضهم بعضاً، فتقدم إليه الأول فشمّه ودار به ثم تنحى عنه فربض، وفعل الثاني والثالث كذلك، ولم يزل إبراهيم في ليلته قائماً يصلي حتى إذا كان وقت السحر قال للأسد، ما جاء بكم أتريدون أن تأكلوني، أمضوا فقامت الأسد وذهبت فلما كان الغد جاء الفزاري إلى اولئك القوم فسألهم وقال: هل جاءكم رجل؟ قالوا: أتى رجل مجنون وأخبروه بقصته، فقال: أوتدرون من هو؟ قالوا: لا، فقال: ذلك إبراهيم ابن ادهم، فمضوا إليه وسلموا عليه ثم انصرف به الفزاري إلى منزله.

---

(1) نسبة إلى مصيصة، من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الشام تقارب طرسوس (معجم البلدان 5/ 145).

وروي أنه كان مع جماعة في سفر، فأتاه الناس فقالوا: إن الأسد وقف على طريقنا، فأتاه فقال: يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإن لم تكن أُمرت فينا بشيء فتنحّ عن طريقنا، فمضى الأسد، فقال إبراهيم للجماعة: ما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، فلا نهلك وأنت رجائنا، قال إبراهيم: إني لأقولها على ثيابي ونفقتي فما أفقد منها شيئاً.

ومنها ما حكاه أبو إبراهيم اليماني أيضاً فقال: ركبنا البحر مع إبراهيم بن ادهم فانكسر بنا المركب فجعلنا صدورنا على الصاري وقمنا قياماً في الماء وإبراهيم في وسطنا يجمع بنا الصلاة نومىء برؤسنا، فأقمنا ثلاثاً نشرب من ماء البحر عذباً حتى خرج بنا الصاري إلى ساحل من سواحل الروم فيه بلوط، فأخذنا نأكل البلوط، ورأيت إبراهيم يأخذ بلوطة فيضعها في فمه ثم يلقي منها نواة رطب.

ومنها ما رواه عدي بن الصياد من أهل حَبْلة[1]، قال: سمعت يزيد بن قيس يحلف بالله تعالى أنه كان ينظر إلى إبراهيم بن ادهم وهو على شاطىء البحر في وقت الإفطار فيرى مائدة توضع بين يديه ولا يدري من وضعها، ثم يراه يقوم فينصرف إلى حبلة وما معه شيء.

ومنها ما قاله عبد الله بن السندي أنه كان إبراهيم بن ادهم على جبل أبي قيس وهو يحدث أصحابه فقال: لو أن ولياً من أولياء الله تعالى قال لهذا الجبل: زل، لزال، قال: فتحرك الجبل من تحته فضربه برجله وقال: ما إياك عنيت، أسكن، فإنما ضربتك مثلاً لأصحابي

ومنها ما رواه عمر بن عيسى عن أبيه، قال حدثني أبي قال: خرجت مع إبراهيم بن ادهم إلى مكة وكان إبراهيم إذا قصد مكة عرّج عن الطريق

---

(1) حَبْلَةُ: قرية من قرى عسقلان معجم البلدان 2/ 214.

المألوف، وكنا أربعة فسرنا حتى أتينا المدينة فاكترينا بها بيتاً ونزلنا فيه، فقال إبراهيم: نحن أربعة، خدمة البيت وما يصلحنا لمعاشنا وإفطارنا وحوائجنا كل يوم على واحد منا والثلاثة يذهبون إلى المسجد وينتشرون في أشغالهم، قال فبينما نحن جلوس في البيت إذ أقبل رجل آدم عليه قميص جديد، وفي رجليه خف وعليه عمامة ومعه مزود يحمله، فدخل علينا وسلم وقال: أين إبراهيم؛ فقلنا هذا منزله وقد ذهب في حاجته، قال فمضى ولم يكلمنا ورجع إبراهيم والرجل معه والمزود على عنقه، قال: فبقي معنا أياماً فإذا حضر الغداء أو العشاء تنحى عنا وخلا بمزوده يتناول منه وإبراهيم لا يدعوه ولا يعارضه، فلما كان بعد أيام قال لإبراهيم: إني أريد الخروج فقال إبراهيم: متى عزمت عليه؟ قال: الليلة، ثم خرج وذهب معه إبراهيم، فقال بعضنا إن هذا له قصته كيف لا يأكل معنا ولا يدعوه إبراهيم إلى طعامنا وهو مقبل على هذا المزود والله لأفتحنه فأنظر ما فيه، فإذا فيه عظام، قال فعاد وشدّه وجاء الرجل فأخذ المزود وأنكر رباطه ثم نظر في وجوهنا ومضى، فلما ذهب قال بعض أصحابنا لإبراهيم: يا أبا اسحق ما أعجب حال هذا الرجل الذي كان عندنا ولقد نظر فلان في مزوده فرأى فيه عظاماً، فتغيّر وجه إبراهيم وأنكر على ذلك الرجل فعله وقال: ما أحسبك تصحبني في سفر بعد هذا، لم نظرت في مزوده؟ ذاك رجل من مؤمني الجن وآخاني في الله عز وجل، فليس من بلد أدخل فيه إلا جاءني فكان معي فيه يؤنسني ويعينني ثم ينصرف، قال ثم مات الرجل الذي نظر في مزوده بعد أيام.

ومنها: ما نقل عن ابن المبارك الصوري أنه قال: كنت مع إبراهيم بن ادهم في طريق بيت المقدس، فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت من أصل الرمان صوتاً: يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً، فطأطأ إبراهيم رأسه، فقالت ذلك مرات ثم قال: يا محمد كن شفيعنا إليه يتناول منا شيئاً فقلت: يا أبا إسحاق قد سمعت، فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها وهي حامضة، وكانت شجرة

قصيرة، فلما رجعنا مررنا بها وإذا هي شجرة عالية ورمانها حلو وهي تثمر في كل سنة مرتين وسموّها شجرة العابدين وكان يأوى إلى ظلها العابدون.

ومنها: ما حكي عن حذيفة المرعشي أنه قال: صحبت إبراهيم بن ادهم بالبادية فكان يمشي ويدرس القرآن ويصلي كل ميل ركعتين، فبتنا بالبادية حتى بليت ثيابنا ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر اليّ إبراهيم وقال: يا حذيفة أرى بك الجوع، فقلت هو الذي رأى الشيخ فقال: علي بدواة وقرطاس، فخرجت وأتيت بهما فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى، ثم كتب:

أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر	أنا جائع أنا ذائع أنا عاري[1]
هي ستة وأنا الضمين بنصفها	فكن الكفيل بنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها	فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع اليّ الرقعة وقال: أخرج ولا تعلق سرك بغير الله تعالى وأعطها أول من تلقاه، قال: فخرجت فاستقبلني رجل راكب بغلة، فأعطيته فقرأها فبكى وقال: أين صاحب هذه الرقعة فقلت: هو في المسجد الفلاني الخراب، فأخرج من كمه صرة دنانير فدفعها اليّ ثم سار، فسألت عنه فقيل: هو رجل نصراني، فرجعت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة، فقال: لا تمسّها فإنه يأتي الساعة، فما كان بأسرع أن وافى النصراني، فأكب على رأس إبراهيم يقبله فقال له: قد حسن إرشادك إلى الله تعالى، فأسلم وحسن إسلامه وصار صاحباً لإبراهيم.

وكراماته أكثر من أن تحصى، وخوارقه لا تكاد تستقصى، وهذا القدر كاف لهذا المختصر ومن عذيب ملافظه، ولطيف مواعظه أنه قال: من استحوذت عليه الشهوات انقطعت عنه موائد التوفيق، وقال: كفى بخشية الله تعالى علماً، والاغترار به جهلاً، وقال: كفى بالله تعالى محباً

(1) الأبيات في الرسالة القشيرية ص136.

وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً، اتخذ الله عز وجل صاحباً ودع الناس جانباً.

وقال: إنما أمس مثل، واليوم عمل، وغداً أمل، وقال: من خالط الناس لا يسلم، ولا ينجو من إحدى اثنتين: إما أن يخوض معهم إذا خاضوا أو يسمع من جليسه فيأثم، وقال: من عرف الله تعالى حق المعرفة، فهو بعيد عن الظلالة، ومن عرف الإخلاص فهو بعيد عن الرياء، ومن أنزل الموت حق منزلته لم يغفل عنه، وقال: عاملوا الله تعالى بالصدق في السرّ، فإن الرفيع من رفعه الله عز وجل، وإذا أحب الله تعالى عبداً أسكن محبته في قلوب العباد، وقال: إن الله تعالى يقسم المحبة كما يقسم الرزق، وإياكم والحسد فإنه الداء الذي لا دواء له وقال: أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل، ومن عرف ما يدخل جوفه كان عابداً لله صدّيقاً فأنظر من أين يكون إفطارك يا مسكين، وقيل له: إن اللحم قد غلا، فقال: أرخصوه أي لا تشتروه، وروي[1] أنه قال لرجل في الطواف: اعلم إنك لن تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات: [أولاها أن][2] تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، الثانية: أن[3] تغلق باب العز وتفتح باب الذل، الثالثة: أن[4] تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، الرابعة: أن[5] تغلق باب الندم وتفتح باب السهر، الخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، السادسة أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت.

وقال: للزهد ثلاثة أصناف، زهد فرض، وزهد فضل وزهد سلامة، فالفرض الزهد في الحرام، والفضل: الزهد في الحلال، والسلامة الزهد في الشبهات.

وقال في قوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، السابق مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق، مضطجع

---

(1) طبقات السلمي، ص38.

(2) و (3) و (4) و (5) ليست في الأصل والتكملة عن طبقات السلمي.

على باب الكرامة، والمقتصد مضروب بسوط الندامة مفتول بسيف المسرّة، مضطجع على باب العفو، والظالم لنفسه، مضروب بسوط الغفلة، مقتول بسيف الأمل، مضطجع على باب العقوبة، وقال: قد رضينا من أعمالنا بالأماني ومن طلب التوبة بالثواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني، وقال: إياكم والكبر، وإياكم والإعجاب بالأعمال انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، من ذلل نفسه رفعه مولاه، ومن اتقاه وقّاه ومن أطاعه نجّاه، ومن أقبل إليه أرضاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاه، ومن شكره جازاه، وقال: ينبغي للعبد أن يزن نفسه قبل أن يوزن ويحاسبها قبل أن يحاسب، ويتهيأ للعرض الأكبر على الله تعالى في اليوم الأكبر.

وقال: اشغلوا قلوبكم بالخوف من الله، وأبدانكم بالذنوب في الطاعة ووجوهكم بالحياء من الله تعالى، وألسنتكم بذكر الله، وغضّوا أبصاركم عن محارم الله، فإن الله عز وجل أوحى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يا محمد كل ساعة تذكرني فيها، فهي لك مذخورة، والساعة التي لا تذكرني فيها فهي عليك لا لك، وقال: إن الصائم القائم الحاج المعتمر الغازي من أغنى نفسه عن الناس،

وقال: إن الله بالمسافر رحيم، إنه لينظر إليه في كل يوم نظرة، وأقرب ما يكون المسافر من ربه إذا فارق أهله، وقال: أقلّوا معرفتكم من الناس، ولا تعرفوا إلى من لا تعرفون وأنكروا من تعرفون، واهربوا منهم كهربكم من السباع، ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة،

وقال ابن بشار: سمعت إبراهيم بن ادهم يقول: قليل الخير كثير وقليل الشر كثير واعلم يا ابن بشار أن الحمد مغنم، والذم مغرم، الله الله في هذه الأبدان والأرواح الضعيفة، الحذر الحذر، الجد الجد، كونوا على حياء من الله تعالى، فوعزته لقد ستر وأمهل، وجاد وأجمل حتى كأنه قد غفر، كرماً منه لخلقه، ثم قال: قلّة الحرص والطمع يورث الصدق، والورع وكثرة الحرص والطمع يكثر الهم والفزع.

قال أبو سليمان الداراني[1]: حدثني من أثق به، قال: رأيت إبراهيم وقد أقبل على بعض إخوانه بطرسوس، فقال: أتحب أن تكون لله ولياً ويكون لك محباً؟ قال: نعم، قال: دع الدنيا والآخرة لله عز وجل، قال: فما أصنع؟ قال: أقبل على ربك بقلبك، يقبل عليك بوجهه، فإنه بلغني أن الله تعالى أوحى إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام: يا يحيى إني قضيت على نفسي أن لا يحبني أحد من خلقي، أعلم ذلك منه من نيته إلا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، وفؤاده الذي يعقل به، فإذا كنت له كذلك بغضت له أن يشتغل بغيري، وأدمت فكره وأسهرت ليله وأضمأتُ نهاره أنظر إليه في كل يوم سبعين مرة فأرى قلبه مشغولاً بي فأزداد من حبّه فأملأ قلبه نوراً حتى ينظر بنوري، أقرّبه مني وأمسح برأسه وأضع يدي على ألمه فلا يشكو إلا إلي لأنه مشغول بحبي عن ألم أوجاعه، فإنه يعرف الألم إذا فقدني من قلبه، وعندها يطلبني كما تطلب الوالدة الشفيقة ولدها إذا غاب عنها، أسمع خفقان قلبه فأقول: ما بال قلبك؟ فيقول: شفيق على قلبي أن لا يسكن بعد أن مننت عليه بحبك فكيف يسكن يا يحيى قلبه وأنا جليسه، وغاية أمنيته. وعزتي وجلالي لأبعثنه مبعثاً يغبطه النبيون والمرسلون، ثم أمر منادياً ينادي هذا حبيب الله وصفيّه، دعاه الله إلى زيارته، فإذا جاءني رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، فلما ذكر الحجاب صاح يحيى عليه السلام صيحة فلم يفق ثلاثة أيام، فلما أفاق قال من لم يرض بك صاحباً فبمن يرضى، وكيف أصاحب خلقك وقد دعوتني لصحبتك.

وقال رضي الله عنه: ما قاسيت شيئاً من الدنيا أشدّ عليّ من نفسي مرة عليّ ومرة لي وأما هواي فقد استعنت بالله عز وجل عليه فأعانني واستكفيته بسوء مغالبته فكفاني فوالله ما آسي على شيء من الدنيا، أقبل

---

(1) هو عبد الرحمن بن عطية، أو أحمد بن عطية، من أهل داريا [قرية من قرى دمشق] مات سنة 215هـ، أنظر: طبقات السلمي ص75 وحلية الأولياء 9/ 254 وطبقات الشعراني 1/ 91 وتاريخ بغداد 10/ 248 ومعجم البلدان (داريا).

وأدبر، فقام إليه رجل فقال: عظني يرحمك الله فقال له: ذلل نفسك للحق وإن غلبت به، وتنكب الباطل وإن غلب، والحق أحقُّ أن يتبع، وقال: عصيتم الله فيما أمر وخالفتموه فيما أنذر وحذّر وكذبتموه فيما وعد وبشّر، وكفرتموه فيما أنعم وقدّر، وإنما تحصدون ما تزرعون، وتجنون ما تغرسون، وتخبرون بما تفعلون، فاعملوا إن كنتم تعقلون، وانتبهوا من رقدتكم[1] لعلكم تفلحون.

وروى أنه كتب له عمر بن المنهال، وهو بالرملة، أن عظني بموعظة أحفظها عنك فكتب: أما بعد فإن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنقص منه في كل وقت نصيب، وللبلى من جسمه دبيب، فبادر بالعمل قبل أن ينادى بالرحيل، واجتهد في دار الممر قبل أن ترحل إلى دار المقر.

وقال: من طلب العلم لله تعالى خالصاً لينفع به عباد الله وينفع نفسه، وكان الخمول أحب إليه من التطاول، فذاك الذي يزداد في نفسه ذلاً وفي الطاعة اجتهاداً ومن الله تعالى خوفاً واليه اشتياقاً وفي الناس تواضعاً لا يبالي على ما أمسى وأصبح في هذه الدنيا.

وقال: أنا منذ عشرين سنة في طلب أخ إذا غضب عليّ لم يقل فيّ إلا الحق لا أجده.

وقال: بلغني أنه كان في بني إسرائيل رجلاً ذبح عجلاً بين يدي أمه فأيبس الله عز وجل يده، فبينما هو ذات يوم جالس إذا بفرخ قد سقط من وكره وهو يتبصبص إلى أبويه، وأبواه يتبصبصان إليه، فأخذه ورده إلى وكره رحمة، فرحمه الله تعالى برحمته لهما ورد عليه يده بما منع.

وقال: إن للموت كأساً لا يقوى على تجرّعها إلا خائف وَجِل طائع، فمن كان مطيعاً فله الحياء والكرامة والنجاة من عذاب القيامة، ومن كان

---

(1) في الأصل: قدرتكم.

عاصياً ترك بين الحسرة والندامة يوم الصاخّة والطامة.

وقال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أوصى مسلمة بن عبد الملك، فقال: يا مسلمة إذا وضعتني في لحدي فارفع عني لبنة وأنظر ما أذهب به من الدنيا، عظة له لزهده في الدنيا قال مسلمة: فلما وضعته في لحده ورفعت عنه لبنة فلم أره ذهب بشيء من الدنيا إلا ثوبيه الذي كفن فيهما وترك الدنيا لأهلها. هذا وأخباره رضي الله عنه كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية لأولي الأبصار.

72 ـ الحارث بن أسد المحاسبي[1]

ومنهم الحارث المحاسبي قدس سره، قلت: ونذكره بترجمة وافية، فيها ما ذكره المؤلف وزيادة بعبارة شافية، فنقول: هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، من أجلاء المشايخ في علوم الباطن والإشارات، ومن فحول العلماء بعلوم الأصول والمعاملات، اتفق على فضله أهل زمانه، وأشار إليه الفضل ببنانه، له التصانيف المشهورة والتآليف الموفورة[2]، أستاذ اكثر البغداديين من العلماء الربانيين، بصري الأصل، ثم سكن بغداد، ولكثرة محاسبته لنفسه في جميع الأحوال، ومبالغته في التفحص عن الحرام والحلال اشتهر بالمحاسبي.

قال أبو عبد الله محمد بن خفيف رحمه الله: اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا إليهم أحوالهم: الحارث ابن أسد المحاسبي،

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 2/ 57 وطبقات السلمي ص56 وتهذيب التهذيب 2/ 134 وابن الوردي 1/ 227 وصفة الصفوة 2/ 207 وميزان الاعتدال 1/ 199 وحلية الأولياء 10/ 73 وتاريخ بغداد 8/ 211 وشذرات الذهب 2/ 102 وطبقات الشافعية 2/ 37 والرسالة القشيرية ص15 ومرآة الجنان 2/ 142 وطبقات الشعراني 1/ 87، وبروكمان 4/ 57

(2) من مؤلفاته: آداب النفوس نسخة منه في برلين 66/ 8 وأخرى في كوبرلي 725 وشرح المعرفة مخطوط نسخة منه في برلين 2315 وأخرى في المتحف البريطاني 4026 والقاهرة، تصوف 83 والمسائل في أعمال القلوب والجوارح مخطوط والمسائل في الزهد نسخة منه في برلين 66/ 1 والرعاية لحقوق الله والقيام بها نشر في سلسلة جب التذكارية سنة 1940 وغيرها: أنظر بروكمان 4/ 58 والأعلام 2/ 153.

والجنيد بن محمد، وأبو محمد رويم، وأبو العباس بن عطاء، وعمر بن عثمان المكي رضي الله عنهم لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق.

قيل: إنه ورث من تركة أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع أن لا يتناولها وقال: قد صحت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يتوارث أهل ملتين، وقيل: أنه خلف أيضاً عقاراً وضياعاً وأموالاً كثيرة فلم يتعرض لها، وروي أن الله تعالى عوضه عن ذلك أنه كان إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على اصبعه عرق فكان يمتنع عنه، قال الجنيد قدس الله روحه: مرّ بي يوماً الحارث المحاسبي فرأيت به أثر الجوع فقلت له: يا عم أتدخل الدار وتتناول شيئاً؟ قال: نعم، فأدخلته الدار وطلبت شيئاً أقدمه إليه، فلم يكن إلا شيء من طعام حمل إلينا من عرس قوم، فقدمته إليه، فأخذ لقمة ووضعها في فيه وجعل يديرها فيه، فأدارها مرات، ثم أنه قام وألقاها في الدهليز وخرج على وجهه، فلما رأيته بعد أيام قلت له ذلك فقال: إني كنت جائعاً وأردت أن أسرّك بأكلي ولكن عهد الله الي بفضله أن يسوغني طعاماً ما فيه شبهة، ولا يمكنني ابتلاعه، فمن أين كان ذلك الطعام؟ فقلت: إنه حمل من طعام عرس قريب لنا، ثم قلت: تدخل اليوم؟ قال: نعم، فقدمت إليه كسرات كانت لدينا فأكل وقال إذا قدمت إلى فقير شيئاً فقدم مثل هذا.

وقال محمد بن خفيف: دخلت يوماً على القاضي علي بن أحمد فقال لي: يا أبا عبد الله، قلت: لبيك أيها القاضي، فقال: ههنا لكم حكاية يحق أن نكتبها بماء الذهب، فقلت: أيها القاضي: لا نجد ماء الذهب بل نكتبها بالحبر الجيد، فقال: بلغني أنه قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن الحارث المحاسبي يتكلم بعلوم الصوفية ويحتج عليها بالآي والسنن، فقال أحمد: أحب أن أسمع كلامه من حيث لا يعلم بي، فقال الرجل: أنا أجمعك معه، فاتخذ دعوة ودعا الحارث وأصحابه ودعا أحمد، فجلس أحمد بحيث لا يراه الحارث، فدخل الحارث

وأصحابه فحضرت الصلاة فتقدم وصلى بهم المغرب، وأحضر الطعام، فجعل ويأكل ويحدث معهم، فقال أحمد: هذا من السنة، فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم وجلس الحارث وجلس أصحابه، فقال: من أراد منكم أن يسأل عن شيء فليسأل، فسؤل عن الإخلاص وعن الرياء وعن مسائل كثيرة، فأجاب عنها واستشهد عليها بالآي والأحاديث، واحمد يسمع ولا ينكر شيئاً، فلما مرّ هويٌّ من الليل أمر الحارث قارئاً أن يقرأ شيئاً من القرآن، فقرأ فبكى بعضهم وانتحب آخرون ثم سكت القاريء، فدعا الحارث بدعوات خفاف ثم قام إلى الصلاة فلما أصبحوا قال احمد: قد كان بلغني أن ههنا مجالس الذكر يجتمعون عليها فإن كان هذا من تلك المجالس فلا أنكر منها شيئاً.

وقال أبو العباس الهاشمي من ولد صالح بن المأمون قال: دخلت على الحارث المحاسبي فقلت له: يا أبا عبد الله حاسبت نفسك، فقال: قد كان هذا قبل، قلت له: فاليوم؟ قال: أكاتم حالي، إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسي، ولو لا أن يغلبني بها فرح ما أعلنت بها، وقد كنت ليلة قاعداً في محرابي فإذا أنا بفتى حسن الوجه، طيّب الرائحة فسلم عليّ ثم قعد بين يدي، فقلت له: من أنت؟ فقال: واحد من السيّاحين، أقصد المتعبدين في محاربهم، وكم رأيت من العبّاد يجتهدون غاية الاجتهاد، وأما أنت فلم أجد لك اجتهاداً فأي شيء عملك؟ قلت له: كتمان المصائب، واستجلاب الفوائد، فصاح صيحة وقال: ما علمت أن أحداً بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته، قال الحارث فقلت له: أما علمت أن أهل القلوب يخملون أحوالهم فيكتمون أسرارهم، ويسألون الله تعالى كتمان ذلك عليهم، فمن أين تعرفهم؟ فصاح صيحة أخرى وغشي عليه، فمكث عندي يومين وهو لا يعقل، ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه، فأخرجت له ثوباً جديداً فقلت له: هذا كفني قد آثرتك به، فاغتسل وأعد صلاتك، قال: هات الماء، فأتيت به واغتسل وصلى ثم التحف الثوب وخرج، فقلت له: أين تريد، فقال لي: قم، فلم يزل يمشي

حتى دخل على المأمون أمير المؤمنين، فسلّم عليه فقال: يا ظالم، إن لم أقل لك يا ظالم، استغفر الله تعالى من تقصيري فيك، أما تتقي الله عز وجل فيما قد ملكك، وتكلم بكلام كثير، ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب، فأقبل عليه المأمون وقال: من أنت؟ فقال: رجل من السياحين تفكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظاً، فتعلقتك بموعظتك لعلّني ألحقهم، فأمر بضرب عنقه، وأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفاً في ذلك الثوب، ومنادٍ ينادي من وليّ هذا فليأخذه، قال الحارث، فاختبيت فأخذه أقوام غرباء فدفنوه، وكنت معهم لا أعلمهم حاله، فأقمت في مسجد في المقابر محزوناً على الفتى، فغلب النوم عيني فرأيته في المنام وهو بين جوارٍ لم أر أحسن منهنّ وهو يقول: يا حارث أتيت والله الكاتمين الذين يكتمون أحوالهم ويطيعون ربهم، قلت: وأين هم، قال: الساعة يتلقونك، وإذا أنا بجماعة ركبان، فقلت: من أنتم؟ فقالوا: نحن الكاتمون شجونهم المخففون أحوالهم وشؤونهم، الباذلون نفوسهم، المطيعون لقدّوسهم، حرّك هذا كلامك له، فلم يكن في قلبه شيء مما وصفت فخرج للأمر والنهي فأنزله الله تعالى معنا وغضب لعبده.

وقال قدس سره: عملت كتاب المعرفة واستقصيته وأعجبت به، فبينما أنا ذات يوم أنظر فيه مستحسناً له إذ دقّ إنسان الباب، فقلت من هذا؟ فقال: رجل يسأل عن مسألة، قلت: أدخل، فدخل عليّ رجل وعليه ثياب رثة فسلم علي وقال لي: يا أبا عبد الله، المعرفة حق للحق في الخلق أو حق للخلق على الحق، فقلت له: حق للحق في الخلق، فقال: هو أولى بكشفها لمستحقها، فقلت له: بل حق للخلق على الحق، فقال: هو أعدل من أن يظلمهم، ثم سلم عليّ وخرج، قال الحارث: فأخذت الكتاب ومزّقته وقلت: لا عدت أتكلم في المعرفة بعد ذلك.

وروي أنه رحمه الله قعد على ركبتيه أربعين سنة ولم يستند إلى شيء، فسئل عن ذلك، فقال: أستحي في مشاهدة الرب من أن أجلس وأنا أسيء الأدب وقيل أنشد قوّال بين يديه هذه الأبيات:

أنــا فــي الــغــربــة أبــكــي	مــا بــكــت عــيــن غــريــب
لــم أكــن يــوم خــروجــي	مــن بــلادي بــمــصــيــب
عــجــبــاً لــي ولــتــركــي	وطــنــاً فــيــه حــبــيــبــي

فقام يتواجد ويبكي حتى رحمه الله كل من حضره.[1]

ومن جواهر كلمه وزواهر حكمه أنه قال: العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة، وخيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم، ومن أحسن[2] معاملته في الظاهر مع جهد باطنه ورّثه الله تعالى الهداية إليه لقوله تعالى: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[3] وقال: الذي يبعث العبد على التوبة ترك الإصرار، والذي يبعثه على ترك الإصرار ملازمة الخوف، ولا ينبغي أن يطلب الورع بتضييع الواجب، وصفة العبودية ألا ترى لنفسك ملكاً، وتعلم إنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً، والتسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من غير تغيّر في الظاهر والباطن، والرجاء هو الطمع في فضل الله تعالى ورحمته، وصدق حسن الظن عند نزول الموت.

وقال: حسن الخلق احتمال الأذى وقلّة الغضب وبسط الوجه، وطيب الكلام، ولكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر، والعمل بحركات القلوب في مطالعات الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح، ومن طبع على البدعة متي يشيع[4] فيه الحق.

وقال: إذا أنت لم تسمع نداء الله تعالى فكيف تجيب داعيه؟ ومن استغنى بشيء دون الله عز وجل قدر الله والظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمه الناس، والقانع غني وإن جاع، والحريص فقير

(1) الخبر والأبيات في طبقات السلمي ص60.
(2) في طبقات السلمي: من حسّن.
(3) سورة العنكبوت: الآية 29.
(4) في الأصل يسير فيه الحق والتصويب عن طبقات السلمي ص59.

وإن ملك، ومن لم يشكر الله تعالى على النعمة فقد استدعى زوالها، وقال: لم يزل العارفون يحفرون خنادق الرضا ويغوصون في أنهار الرجا، ويستخرجون جواهر الصفا حتى وصلوا إلى الله تعالى في الجهد والخفا.

وقال: أصل الطاعة الورع، وأصل الورع التقوى، وأصل التقوى محاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء، وأصل الخوف والرجاء معرفة الوعد والوعيد، وأصل معرفة الوعد والوعيد ذكر عظيم الجزاء، وأصل ذلك الفكرة والعبرة، وأصدق بيت قالت العرب بيت حسان ابن ثابت الأنصاري:

وما حملت من ناقة فوق كسورها أعف وأوفى ذمّةً من محمد

وقال: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي، وما يكابد المكابدون في طلب مرضاتي، فكيف إذا صاروا إلى جواري وأسفرت لهم عن وجهي، فليبشر المصفون أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب، أتراني أنس لهم عملاً؟ كيف وأنا ذو الفضل العظيم، أجود على المولين عني فكيف بالمقبلين اليّ وما غضبت على شيء كغضبي على من أخطأ خطيئةً ثم استعظمها في جنب عفوي، فلو عاجلت أحداً لعاجلت القانطين من رحمتي، ولو يراني عبادي كيف أستوهبهم ممن اعتدوا عليهم بالظلم في دار الدنيا، ثم أوجب لمن وهبهم النعيم المقيم لما اتهموا فضلي وكرمي، ولو لم أشكر عبادي إلا خوفهم المقام بين يدي لشكرتهم على ذلك، ولو يراني عبادي كيف أرفع لهم قصوراً تحارُ فيها الأبصار فيقال: لمن هذه؟ فأقول: لمن عصاني ولم يقطع رجاءه مني، وأنا الديان الذي لا تحلُّ معصيتي، ولا حاجة بي إلى هوان من خاف مقامي.

وسئل عن علامة الصدق فقال: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله، ولا يكره اطلاعهم على السيء من

عمله، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين.

وقال: الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام، والفتوّة أن تنصف ولا تنتصف.

وقال: فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة وحسن الأخاء مع الوفاء

وسئل عن المحبة، فقال: هي ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وزوجك ومالك، ثم موافقتك للمحبوب سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

وقال لرجل يوصيه: أحذرك ونفسي من يوم آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك فيه عبداً أَمَرَهُ في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقَهُ وجليلَهُ، وسرَّهُ وعلانيتَهُ فانظر بأيّ بدن تقف بين يديه، وبأي لسان تجيب، وأعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً.

وقال: أول بلية العبد تعطيل القلب عن ذكر الآخرة وتحدث الغفلة في القلب.

وقيل له: ما حقيقة حذر العبد من الله تعالى؟ فقال: أن لا يضيّع واجب حقه ولا يرتكب ما حرّمه عليه.

وقال: من أراد أن يذوق لذة طعم معاشرة أهل الجنة فليصحب الفقراء الصادقين وسئل عن الأنس بالله عز وجل، فقال: الأنس بالله عز وجل، التوحّش من الخلق وعلامة التوحّش من الخلق الفرار إلى مواطن الخلوة، والتفرد بعذوبة الذكر، فبقدر ما يدخل القلب من الأنس بالله، يخرج منه الأنس بالمخلوقين.

وقال: من لم يهذب نفسه لا يفتح له السبيل على سنن أهل المقامات.

هذا ومات روّح الله روحه ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين، ودفن في الجانب الشرقي منها في زاوية المولوية التي بناها الوزير العديم النظير، صاحب الخيرات، كثير المبرّات، الملك العادل والعالم الفاضل، والي بغداد سابقاً، داود باشا، جعل الله له رغد العيش فراشاً، جامعاً ذا مأذنتين، ومدرسة، وهو مشهور الآن بجامع الآصفية وجعل منها سوقاً وخانين، وقفاً للجامع والمدرسة سنة ألف ومائتين واثنين وأربيعن، ووافق تاريخ بنائه لفظ مأذنتان، ومرقده رحمه الله تعالى الآن في رواق الجامع المذكور، معروف هناك ومشهور.

73 ـ جنيد البغدادي[1]

ومنهم سيد الطائفة جنيد البغدادي، قدس سرّه، هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد قدّس سره، وأصله من نهاوند[2]، ومولده ومنشأه العراق، من كبار أئمة القوم وسادتهم، تفقه على أبي ثور[3] رضي الله عنه، وكان يفتي في حلقته، صحب خاله السري السقطي[4]، والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب[5] البغدادي رضي الله عنه.

قال المؤلف ناقلاً عن تذكرة الأولياء ما مضمونه: أنه من أجلاء

---

(1) أبو القاسم الخزاز، القواريري. ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 373 وطبقات السلمي ص155 وحلية الأولياء 10/ 255 وصفة الصفوة 2/ 235 وطبقات الشعراني 1/ 98 والرسالة القشيرية ص24 ومرآة الحياة 2/ 231 والمنتظم 6/ 105 وتأريخ بغداد 7/ 241 والبداية والنهاية 11/ 13 وتأريخ دمشق لأبن عساكر 5/ 71 وشذرات الذهب 2/ 228 والعبر 2/ 110 والكامل لأبن الأثير وطبقات الحنابلة 89
وله مصنفات ورسائل ذكرها بروكمان أنظر تأريخ الأدب العربي 4/ 64.

(2) نهاوند، بلدة من بلاد الجبل، قديمة، بينها وبين همدان ثلاثة أيام، فتحت سنة 19هـ أو 20هـ أو 21هـ في خلافة عمر بن الخطاب. أنظر: معجم البلدان: نهاوند.

(3) أبو ثور الكلبي الفقيه، إبراهيم بن خالد بن اليمان، أحد الأئمة المجتهدين مات سنة 240هـ أنظر: خلاصة تهذيب الكمال ص15.

(4) هو سري بن المغلس السقطي المتوفي سنة 251هـ خال الجنيد، سيترجمه المؤلف فيما بعد.

(5) محمد بن علي، أبو جعفر القصاب الصوفي، أستاذ الجنيد، مات سنة 275هـ تأريخ بغداد 3/ 62.

مشايخ علم الطرائق، وكنز الإشارات والدقائق، ومنبع العلوم والحقائق، وصاحب الكرامات والخوارق عديم النظير في زمانه، متفق على فضله بين أقرانه، وكلامه بين المشايخ حجة، وطريقته عندهم أقوم محجّة، وعرف بينهم بسيد الطائفة، ولسان القوم، وأعبد المشايخ، وطاووس العلماء والمحققين، وسلطان الزهاد وأهل اليقين، واشتهرت طريقته بالصحوية، كما اشتهرت طريقة أبي يزيد البسطامي وأصحابه بالطيفورية، وانتسب أكثر مشايخ بغداد إلى طريقته، وسلك بها لما كانت أعرف الطرائق وأشهرها، وهو قدس الله روحه أول من أنتشر عنه علم الحقيقة والباطن، وألف فيه كتباً ورسائل[1]، وصح أنه من صغره ذا أدب وفطنة، وفي سرعة الفهم كان في أعلى مكانة، نقل أنه انصرف ذات يوم من المعلّم وأتى إلى البيت فرأى أباه حزيناً تدمع عيناه، فسأله عما به قال له: أرسلت بعض زكاة أموالي إلى خالك السري فلم يقبله مني وردّه عليّ، فقلت في نفسي، كفاني بعداً عن الله أنه انتهى عمري وأنا لاه بزخارف الدنيا وإني لست أهلاً لأن يقبل مني زكاتي ولا صرفي ولا عملي فحزنت لذلك، فقال: أعطني النقود فأنا أوصلها إليه، فأخذها وذهب إلى باب دار السري، فدقّه، فنودي من في الباب، فأجاب: أنا الجنيد، أتيت إليك لأن تقبل الزكاة التي رددتها، فقال السري: لا أقبلها، فقال الجنيد: عزمت عليك بالله الذي عاملك بفضله، وعامل أبي بعدله إلا أن تقبلها وإلا أوصلتها إلى مستحقيها، فقال السري: ما تعني بفضل الله علي وعدله في أبيك، قال: إن جعلك زاهداً في الدنيا، خالياً من زينتها، مشغولاً به تعالى، وجعل أبي من أهلها وحزبها، مشتغلاً بها، فقال: قبلتك قبل أن أقبل الزكاة، ففتح الباب المسدود وأخذ ما عنده من النقود.

ووقع قدس الله روحه عند السري قدس سرّه في أحلى موقع ومنزله، وأخذه وهو ابن سبع سنين معه إلى حج بيت الله الحرام فاجتمعا بمشايخ

---

(1) أنظر أسماء مصنفاته وما نسب إليه من رسائل في بروكمان 4/ 65.

الحرم وهو يزيدون على ثلثمائة فجري بهم مسألة الشكر، وذهب فيه كل منهم إلى مذهب، فأشار السري قدس سره إليه وقال: هات ما عندك في الشكر، فقال: أن لا تعصي الله تعالى بنعمة، فاستحسن المشايخ ما قاله وقالوا له: أحسنت يا نور عين الصديقين، ثم لما رجع من مكة وفتح حانوتاً وأخذ يبيع فيه الزجاج، قلت: ولذلك كان يقال له القواريري أيضاً، أو لأن أباه كان يبيع الزجاج على ما في الكتب المؤلفة في هذا الشأن، ولم يكن معه ما هو فيه من البيع والشراء يفتر عن العبادة وكان يسدل ستر حانوته ويصلي كل يوم أربعمائة ركعة إلى أن ترك الحانوت وبيع الزجاج وانقطع لمعاملة الرب وسلك إليه أحسن منهاج، فدخل زاوية السريّ قدس سره فاشتغل بالسلوك إلى ملك الملوك فأقام أربعين سنة يقوم الليل إلى الفجر، ويصلي الفجر بوضوء العشاء ولما انقضى عليه أربعون سنة، وهو لم يذق طعم سنة مع ما عليه من العبادة لله والانقطاع إليه عما سواه، خطر به بالبال أنه فاز بالوصول ونال، فهتف به هاتف: أن يا جنيد آن أن أريك طرف زنارك، فقال الهي: ما ذنبي وأنت الحكم العدل، فنودي أخرى وهل ذنب فوق ما أنت فيه من هذه الحال وعما خطر بالبال؟ فتنبه واستغفر الله وتاب، ورجع إلى مولاه وأناب، ولم يزل من أول الليل إلى آخره يجتهد في العبادة ويقوم بأوراده وأذكاره، مقبلاً على الصانع تعالى، معرضاً عن آثاره، فسعى به الحسّاد والجاحدون إلى الخليفة بأنه يفتن الناس ويفسدهم على الخليفة، فقال الخليفة: لا سبيل لنا عليه ولا حجة لنا في مؤاخذته إلا أن نخادعه ونحتال عليه، وكانت لديه جارية حسناء اشتراها بثلاثة آلاف فزينها بأنواع الحلي والحلل، وأرسلها إليه مع خادم لتفتنه وتفسد حاله، ويلقوا بذلك عليه سبيل، فمضت الجارية مع الخادم إلى صومعة جنيد، وحضرت بين يديه وألقت بنفسها عليه وجعلت تقول: أملي أن أصاحبك، وأشتغل معك بالطاعة وأفوز بوصالك، فقد أخذ بمجامع قلبي هواك، وليس لي طمع في سواك، فلم يلتفت إليها الجنيد، وتأوّه ونفخ عليها فاحترقت الجارية من تلك النفخة، كأنها قبس صادف شعلة نار فرجع الخادم وحده متعجباً مما رأى، وأخبروا الخليفة بما جرى، فندم الخليفة

من ساعته وذهب إلى الجنيد لزيارته فقعد بين يديه واعتذر لديه، وقال: كيف ساغ لك إحراق هذه الجميلة الحسناء، فقال الجنيد، وأنت كيف جاز لك أن تُفسد علي عبادة أربعين سنة وتجعلها إلى هباء ثم أنه قدس الله سره لم يزل يرقى مقاماً بعد مقام، ويقطع بقلبه منازل الأولياء الكرام إلى أن اشتهر أمره وشاع صيته بين الأنام، وصار معتقداً للخواص والعوام، وكان يقول: من أراد سلوك طريق الهداية والوصول إلى مقام التحقيق فليأخذ بيده اليمنى كتاب الله وبيده اليسرى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم من الهوى في مهاوي الشبه، والوقوع في ظلمات البدعة، وكان يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن أخذناه عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات، قال مولانا الجامي قدس سره السامي في شرح ديباجة المثنوي المنسوب إلى مولانا جلال الدين الرومي: حقق الثقات أن الجنيد قدس سره لم يتساهل قط في القيام بوظائف الشرع الأزهر، وقال له رجل: أهل المعرفة بالله يصلون إلى مقام فيه ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله تعالى فقال الجنيد: هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم والذي يزني ويسرق أحسن حالاً من الذي يقول هذا، بل إن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى واليه رجعوا بها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلاّ أن يحال بي دونها، انتهى. ما في شرح الديباجة.

نقل عنه رضي الله عنه كان يتزيا بزي العلماء ويلبس ملابسهم وكان يقول لو كان ينفع المرقع لألبسه في سبيل الله للبست مرقعاً من الحديد والنار، وإني لأسمع في باطني نداء يقول: ليس الاعتبار بالخرقة إنما الاعتبار بالحرقة، وذكر الشيخ فريد الدين العطار في تذكرة الأولياء أن الشيخ أبا بكر الشلبي قال يوماً: لو خيّرني الله تعالى يوم القيامة بين الجنة والنار لاخترت النار على الجنة، لأن الجنة من مشتهياتي، والنار مرادة للمحجوب ولا أؤثر مرادي على مراده، فسمع الجنيد ذلك فقال: هيهات، لو خيّرت بينهما ما اخترت شيئاً منهما، لأني عبد وما للعبد والاختيار،

قال: ويخطر ببال هذا الفقير أن كلام الجنيد ليس اعتراضاً على الشبلي ورداً له بل كان تعليماً للمريدين ترك اختيارهم، فإن كلام الشبلي لا ينافي العبودية.

قلت: بل كان رداً عليه وتربيةً له لئلا يتقيد بإثبات الاختيار لنفسه ولا يقف عند ذلك المقام فإن مقتضاه ينافي العبودية إذ العبد المتصف بالعبودية من لا له إرادة ولا خيار بل ولا حركة ولا سكون ولا قرار، وكل ذلك للمولى، فالجنيد لكونه شيخ الصحبة للشبلي على ما سيأتي في ترجمته أرشده بالكلام إلى هذا المقام، فما قاله المؤلف من خواطر البال، وما قاله الفقير من بوارق الحال، والله ولي العصمة في الحال والقال.

هذا ونقل أن رجلاً من الأكابر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام والجنيد جالس في مجلسه المقدس فأتى رجل بفتوى وعرضها على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: أعطه الجنيد، فقال الرجل: بعد أن حضرت يا رسول الله ما معنى الأمر بالإعطاء إلى جنيد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأن كل نبي من الأنبياء يباهي بأمته وأنا أباهي بالجنيد.

ويروى أنه رمدت عيناه، فأتاه طبيب نصراني وحذّره من أن يصيبه الماء وولى فقام قدس سره وآثر رضاء الرب على ما اقتضاه الطب، فتوضأ وصلى ثم نام ما شاء الله، وانتبه وإذا بعينيه عوفيتا من الرمد وسمع نداء من الهاتف يا جنيد، انك كحلت عين بصيرتك بكحل الرضاء، وتركت عين رأسك لم تخف عليها من الداء، فزت منا بالمعافات والشفاء، ولو شفعت في جميع أهل النار لقبلت شفاعتك فيهم، ثم أتى الطبيب فرآه مشافى من الرمد، فسأله عن المعالجة فقال: تداويت بماء الوضوء، فأنصف الطبيب وأسلم.

ونقل أيضاً أن أبا بكر الشبلي ذكر الله وقال: الله الله وهو جالس عند الجنيد، فقال الجنيد: إن هو غائب فذكر الغائب غيبه، وإن هو حاضر

فذكر الحاضر باسمه سوء أدب وترك حرمة، قال المؤلف في توجيه هذا المقال: أنه يخطر بالبال أنه لم يقل ذلك دخلاً في كلام الشبلي، وإنما هو تفهيم للمريدين بأن الله تعالى بصير محيط بكل شيء، وإلا فكل مسلم له أن يذكر الله تعالى سراً وجهراً.

قلت: بل قاله تربية له ويرقيه إلى مشهد فيه الذكر والذاكر والمذكور واحد والمقام لا يحتمل الكلام، ولكني أضرب لك مثلاً: يحكى أنه قيل لمجنون ليلى: أتحب ليلى؟ فقال: لا، قيل له: ولم؟ قال: لأن المحبة ذريعة الوصلة، وقد سقطت الذريعة فليلى أنا وأنا ليلى، فإن كنت عارفاً فتكفيك الإشارة، وإن كنت غيره فلا تكفيك العبارة.

هذا ونقل أن علي بن سهل كتب إلى الجنيد: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: أن من ادعى حبي ثم نام ليله فهو كاذب في دعواه، فعلى هذا يحرم على المحب الصادق المنام والراحة والسكون، فأجابه الجنيد: فإن السهر بحسب الظاهر بنسبة ما نصلي والنوم موهبة من الله تعالى على المحبين وأثره فيهم وموهبته أولى بالتلقي من فعل العبد.

قال المؤلف: تحدث الجنيد عن حال السكر مع كون طريقته صحوية مما يستغرب اللهم إلا أن يؤول كلامه على معنى نوم العالم عبادة، وتنام عيناي ولا ينام قلبي.

قلت: ما قاله الجنيد هو حال أهل الصحو وقضية طريقته حيث رأى واهباً وموهبة وموهوباً له بخلاف أهل السكر.

فإنهم لا يرون أثراً لأحد كما لا يخفى على من كان من أهل هذا البيت واتقد سراً بهذا الزيت. هذا نقل، والناقل أبو عبد الله المكانسي على ما في بعض الكتب قال: كنت عند الجنيد يوماً فأتته امرأة فقالت: إن ابناً لي قد غاب فأدع الله تعالى ليأتيني به، فقال: اذهبي واصبري، فمضت ثم عادت وقالت مثل ذلك، فقال: الجنيد اذهبي واصبري، فمضت ثم عادت، ففعلت ذلك مرراً والجنيد يقول اصبري، فقالت: عيل صبري ولم يبق لي طاقة فادع لي، فقال الجنيد إن كنت كما قلت، فاذهبي فقد رجع ابنك،

فمضت ثم عادت تشكره وأخبرته بعودته، فقيل له: بم عرفت ذلك؟ فقال: إن الله عز وجل يقول: أمّن يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، وقال أبو محمد الجريري[1]: كنت عند الجنيد حالة نزعة، وكان يوم الجمعة ويوم نيروز، وهو يقرأ القرآن فختم، فقلت له: في هذه الحالة أيضاً يا أبا القاسم؟ فقال: ومن أولى مني بذلك وهذه صحيفتي تطوى.

وقال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد وقد احتضر فختم القرآن ثم ابتدأ فقرأ من سورة البقرة سبعين آية ثم مات. ويروى أنه لما وضع في نعشه أتى طائر أبيض ونزل عند نعشه فكلما طرد لم يذهب وجعل يقول بلسان فصيح وبيان صريح: يا أيها القوم لا تتعبوا أنفسكم زلا تزاحموني، فإني مشكول بوتد المحبة والعشق، وجسد الشيخ في هذا اليوم يتشرف به الكروبيتين، ولو لا تزاحم الناس لتمثل بازياً أبيض وطار.

ومناقبه وكراماته لا تحصر، وهذا القدر يكفي لهذا المختصر.

ومات روح الله روحه في بغداد سنة سبع وتسعين ومائتين، قلت في يوم الجمعة آخر ساعاتها ودفن يوم السبت في الجانب الغربي في مقبرة الشونيزيه، وقبره هناك ظاهر يزار، يتبرك به الكبار والصغار، انتهى تعريب كلام المؤلف، ولنذيله ببعض حكاياته ومناقبه وجواهر ألفاظه فنقول: قال أبو الحسين علي بن إبراهيم الحداد: حضرت مجلس أبي العباس بن سريج[2] فتكلم في الفروع والأصول كلاماً حسناً أعجبت به، فلما رأى إعجابي قال: أتدري من أين هذا؟ قلت: لا، فقال: هذا من بركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد، ونقل عنه قدس سره أنه قال: يقول لي

---

(1) أبو محمد الجريري، أحمد بن محمد بن الحسين وفي اسمه خلاف من أصحاب الجنيد، وصحب سهل بن عبد الله التستري مات سنة 311هـ، ترجمته في طبقات السلمي ص259 وحلية الأولياء 10/ 347 وصفة الصفوة 2/ 252 وطبقات الشعراني 1/ 110 وتاريخ بغداد 4/ 430 ونتائج الأفكار القدسية 1/ 171.

(2) أحمد بن عمر بن سريج ولد ببغداد سنة 249هـ، فقيه شافعي كبير، مؤلفاته كثيرة جداً، كان يلقب بالباز الأشهب، توفي ببغداد سنة 306هـ، ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 66، طبقات السبكي 2/ 87 والبداية والنهاية 11/ 129 وتاريخ بغداد 4/ 287.

السري رضي الله عنه تكلم على الناس ، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، وإني كنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت ليلة في المنام النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت ليلة الجمعة، فقال لي: تكلم على الناس فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن أصبح، فدققت عليه الباب، فقال: لم تصدقنا حتى قيل لك، فقعدت للناس من الغد في الجامع وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس، فوقف علي غلام نصراني متنكراً، فقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، فأطرقت رأسي ثم رفعته فقلت: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام.

وقال جعفر بن نصير الخلدي[1]: دفع الي الجنيد درهماً وقال: اشتري به التين الوزيري فاشتريته، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ثم ألقاها وبكى ثم قال لي: احمله فقلت له في ذلك فقال: هتف بي هاتف في قلبي وقال: أما تستحي، تركت هذا لأجلي ثم تعود إليه وانشد:

نون الهوان من الهوى مسروقةٌ فصريع كل هوى صريع هوان

وقال أبو جعفر الفرغاني[2]: كنا عند الجنيد قدس سره جلوساً في المسجد فرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون فيما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون على من يدخل السوق، فقال الجنيد: كم ممن في السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ بإذن من فيه ويخرجه إلى السوق، ويجلس مكانه ثم قال: إني لأعرف، رجلاً منذ أربعين يوماً ما كسب حبةً واحدة، وكان في سوقه ووِرده كل يوم ثلثمائة ركعة

---

(1) جعفر بن محمد بن نصير، أبو جعفر الخواص الخلدي، من تلاميذ الجنيد ولد سنة 252هـ توفي سنة 348، أنظر تاريخ بغداد 7/ 226 وطبقات السلمي 434 وبروكمان 4/ 75 وحلية الأولياء 10/ 381 وصفة الصفوة 2/ 264 والرسالة القشيرية 36 ونتائج الأفكار القدسية 2/ 2 وطبقات الشعراني / 138 وشذرات الذهب 2/ 378.

(2) أبو جعفر، محمد بن عبد الله الفرغاني الصوفي، نزل بغداد وصحب الجنيد، وروى عنه كلامه الأنساب 424.

وثلاثين ألف تسبيحة وسبق الي أنه عنى بذلك نفسه.

ونقل عنه قدس سره أنه قال: كنت في بدء أمري أرى في منامي في الليل ما يجري علي في يقضتي ونهاري فأتصفح ذلك كله حالاً بعد حال فأكون مترقباً لما قد رأيته في منامي، وقد كنت أحب أن أرى الأبدال وسألت الله تعالى أن يريني الأبدال، فرأيت ليلة كأني جالس على بابنا إذ مرة ثلاثة نفر عليهم ثياب خلقان وزيّ رث دنس، وعليهم ظاهر بلوى، فوقع في قلبي أنهم الأبدال، فقمت واتبعتهم حتى جاءوا إلى مسجد فدخلوه ودخلت خلفهم، فلما رأوني انتفضوا وإذا زيهم أحسن زي وأبدانهم كأحسن الأبدان، وخلقهم كأحسن الخلق، فقلت، ما هذا؟ فقالوا: هذا زينا وخلقنا وحالنا. قلت فما بال الحال الأولى فقالوا لي: ذلك شيء يسترنا لله تعالى به عن الخلق، ثم قالوا: يجزيك؟ قلت: نعم، ثم انتفضوا فعادوا إلى صورهم التي كانت أولاً ثم خرجوا من المسجد يمشون حتى جاءوا إلى دكان بقال فيه قصب وحطب، فناول أحدهم من القصب قبضة فصارت في يده حطباً، وتناول من الحطب فصار في يده قصباً، ثم قال لي: يجزيك؟ فقلت: أجزني، ثم مضوا وانتبهت، فلما أصبحت جلست على بابنا أنتظر ما رأيت في ليلتي، فإذا الثلاثة بأعيانهم، دخلوا المسجد فدخلت خلفهم فكان مثل ما رأيت أيضاً، فلما أرادوا أن يفارقوني قلت من ببغداد من الأبدال، قالوا فلان وفلان لقوم أعرفهم، قال الجنيد: فكأني أزريت على واحد منهم بقلبي فقلت وفلان من الأبدال، قالوا: نعم هو من أهل الأنس بالله تعالى، قال الناقل: فما زال الجنيد رضي الله عنه يقول: هم ثلاثة فيسأل عنهم فلا يخبر، ولكن يقول: مات منهم وبقي منهم، وما زال يقول بقي واحد إلى أن مات، فكنا نرى أن الذي أخبر أنه من أهل الأنس بالله عز وجل أحمد بن مسروق[1]، والذي أرز، عليه عنى به نفسه والله أعلم.

---

(1) احمد بن محمد بن مسروق. سيترجمه المؤلف.

وقال قدس سره، صحبت خمس طبقات من الأكابر:

أولهم: أبو الحسن السري، وأبو عبد الله الحارث بن أسد[1] وأبو جعفر الخصاف وأبو يعقوب محمد بن الصباح ونظراؤهم في السن والمكان.

الطبقة الثانية: أبو عثمان الوراق وأبو الحسن بن الكريني وأبو حمزة محمد بن إبراهيم[2]، وحسن المسوحي[3]، ومحمد[4] ابن أبي الورد وإبراهيم البنا ونظراؤهم في السن والمكان.

والطبقة الثالثة: محمد بن وهب، ويعقوب الزيات، وسعد الدمشقي البزاز وحبش النجار ونظراؤهم في السن والمكان.

والطبقة الرابعة: أبو القاسم الواسطي، وأبو عبد الله الجبلي وأبو العباس الأدمي، وأبو احمد المغازلي، ومحمد بن السمان وأبو بكر المخزومي ونظراؤهم في السن والمكان.

والطبقة الخامسة: هي هذه التي نحن فيها، ما رأيت منهم أحداً زحمته حاجة عند صاحبه إلى حيث انتهينا، وكل منهم يحتشم صاحبه إلا لنقص كان في أحدهم وعلى ذلك مضى أكابر أهل هذه القصة.

---

(1) الحارث بن أسد المحاسبي، مضت ترجمته.

(2) أبو حمزة البغدادي البزاز، محمد بن إبراهيم، كان عالماً بالقراءات، صحب السري السقطي مات قبل جنيد، ترجمته في: طبقات السلمي ص295 والرسالة القشيرية 32 وتاريخ بغداد 1/ 390 وطبقات الشعراني 1/ 116 ونتاج الأفكار القدسية 1/ 177.

(3) الحسن بن علي، أبو علي المسوحي، من كبار المتصوفين وأستاذ البغداديين منهم، من أصحاب السري السقطي، وأول من عقدت له الحلقة في بغداد، ولم يكن له منزل يأوي إليه، أنظر: تاريخ بغداد 7/ 366 واللباب 3/ 140.

(4) محمد بن أبي الورد، من كبار الصوفية، صحب السري السقطي والجنيد وبشر الحافي، ترجمته في طبقات السنوي ص249 وحلية الأولياء 10/ 315 وصفة الصفوة 2/ 222 وطبقات الشعراني 1/ 115 وتاريخ بغداد 3/ 201.

وقال أبو العباس أحمد بن مسروق[1]، مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد وإذا مغنٍ يغني:

منازل كنت تهواها وتألفها ... أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديداً ثم قال لي: يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس، وما أوحش مقامات المخالفة، لا أزال أحنّ إلى حال بدايتي وجدّة سعي وركوبي الأهوال طمعاً في الوصول، وها أنا ذا في أيام الفترة أتأسف على أوقاتي الماضية.

وقال محمد بن إبراهيم[2] بن يوسف، سألت الجنيد رضي الله عنه وأنا أريد الحج: ماذا أسأل الله تعالى بالموقف إذا وصلت؟ فقال: سله العفو، ولا تجاوز منه سؤال العفو، فقال: فسألته عن سؤال العفو، فقال: نعم من سأل العفو وجب عليه قبول الحق والحكم جميعاً، حتى يصبح سؤاله للعفو، لأنه جعل الحق والحكم جميعاً في الدنيا سبباً لعذرنا، فإذا لم تقبل السبب الذي جعله لنا لم نعذر بقبوله، ولم يفد سؤال العفو إلا بقبول حقه علينا وحكمه فينا حتى تكون الحجة به علينا في جميع أحوالنا كما قال عز وجل: ويكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم حجة علينا، وجعل المؤمنين الذين يقبلون حقه وحكمه حجةً على من لا يقبل حقه وحكمه.

وقال قدس سره: اشتد البلاء برجل من الصالحين حتى جر برجله إلى المزبلة، فرفع طرفه إلى السماء وقال: أنا بعينك، وقد ترى، فافعل ما شئت وحسبي ما تشاء ثم قال:

---

(1) أحمد بن محمد، أبو العباس المحدث، توفي ببغداد سنة 297هـ وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن باب حرب في الجانب الغربي مروج الذهب 2/ 549 والعبر 2/ 110.

(2) أبو عمر الزجاجي، محمد بن أبي العجمي بن يوسف، من أصحاب الجنيد، صح سنين عمره، وتوفى بمكة سنة 348هـ ترجمته في طبقات السلمي ص431 وحلية الأولياء 10/ 376 والمنتظم 6/ 391.

إذا المستهام شكى شجوه   فقد زال عن سنن المستهام
وأين الكلوم التي في الحشا   وأين تبرّمه بالكلام

وقال قدس سره: جاءني بعض الصالحين يوم الجمعة فقال لي: أبعث فقيراً معي يدخل علي سروراً ويأكل معي شيئاً، فالتفت فإذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة، فدعوته وقلت له امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه السرور، فمضى، فلم يلبث أن جاء الرجل فقال: يا أبا القاسم: لم يأكل هذا الفقير إلا لقمة وخرج، فقلت: لعلك قلت كلمة جفت عليه، قال: لم أقل شيئاً فالتفت فإذا بالفقير جالس، فقلت له لِمَ لَمْ تتم عليه السرور، فقال: يا سيدي خرجت من الكوفة وقدمت بغداد ولم آكل شيئاً، وكرهت أن يبدو سوء أدب مني من جهة الفاقة في حضرتك، فلما دعوتني سررت إذْ جرى ذلك ابتداءً منك، فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان، فلما جلست على مائدته سوى لقمة وقال: كل فهذا أحبّ اليّ من عشرة آلاف درهم، فلما سمعت ذلك منه علمت انه دني الهمة، فتظرفت أن آكل طعامه، فقال الجنيد: ألم أقل لك إنك قد أسأت الأدب معه، فقال: يا أبا القاسم: التوبة، فسأله أن يمضي معه ويفرحه.

وقال قدس سره: كان معي أربعة دراهم وأنا شاب، فدخلت على السري وقلت له: أربعة دراهم حملتها إليك، فقال لي: أبشر يا غلام فإنك تفلح، كنت أحتاج إلى أربعة دراهم فقلت: اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك.

وقال قدس سره: رأيت إبليس في المنام وهو عريان، فقلت ألا تستحي من الناس؟ فقال: هؤلاء ناس؟ الناس قوم في مسجد الشونيزية، أضنوا جسدي، وأحرقوا كبدي، فلما انتبهت عدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون، فلما رأوني قالوا: لا يغرنّك حديث إبليس الخبيث.

وقال قدس سره: أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة، فأردت أن أنام فلم أقدر عليه فأردت القعود فلم أطق، ففتحت الباب وخرجت، فإذا أنا برجل ملتف في عبائته مطروح على الطريق، فلما أحسّ بي رفع رأسه وقال: يا أبا القاسم إلى الساعة؟ فقلت يا سيدي من غير موعد، فقال بلى، سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك، فقلت ما حاجتك؟ فقال: متى يصير داء النفس إلا دوائها؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار دائها دوائها، فأقبل على نفسه وقال: اسمعي، قد اجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت ألا تسمعيه من الجنيد، وقد سمعت، وانصرف عني فلم أعرفه ولا وقعت عليه.

وقال روح الله روحه: كنت جالساً في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيراً عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به، فلما انصرفت إلى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من الصلاة والقراءة والبكاء فثقل عليّ جميع أورادي، فسهرت وأنا قاعد فغلبتني عيناي، فرأيت ذلك الفقير وقد جاءوا به ممدوداً على خوان وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته، فكشف لي عن الحال فقلت: ما اغتبته إنما قلت شيئاً في نفسي فقيل لي: من أنت ممن يرضى بمثل هذا، اذهب واستحله، فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من ترداد الماء أوراقاً من البقل مما يتساقط من غسل البقل فسلمت عليه، فقال: أتعود يا أبا القاسم؟ فقلت: لا، فقال: غفر الله لنا ولك.

وقال عبد الوهاب: كنت جالساً عند الجنيد أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون، العجم والمولدون، فجاء إنسان بخمسمائة دينار ووضعها بين يديه، وقال: تفرقها على هؤلاء، فقال: أَلَكَ غير هذا المال؟ فقال: نعم لي دنانير كثيرة، فقال: تريد غير ما تملك؟ قال: نعم فقال الجنيد: خذها فإنك أحوج إليها منا ولم يقبلها.

ودخل جماعة على الجنيد فقالوا: أتطلب الرزق؟ فقال: إن علمتم

في أي موضع هو فاطلبوه، قالوا: فنسأل الله تعالى، فقال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، قالوا: فندخل البيت ونتوكل عليه، فقال: التجربة شك، قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

وسئل عن العارف، فقال: من نطق عن سرّك وأنت ساكت[1]، وقال: الطرق إلى الله تعالى كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم.[2]

وقال: لو أقبل الصادق على الله تعالى،ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة كان مما فاته أكثر مما ناله[3]. وقال: من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة. وقال: التصوف صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرق عن الدنيا، كما قال حارث[4] رضي الله عنه: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري.

وسئل عن التصوف مرةً فقال: أن تكون مع الله بلا علاقة، وقال: الغفلة عن الله تعالى أشدّ من دخول النار.[5]

وقال: إنك لن[6] تكون له على الحقيقة عبداً، وشيء مما دونه لك مسترقٌ، وإنك لن تصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عبوديته بقية، فإن كنت له وحده عبداً، كنت مما دونه حرّاً

وقال بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى

---

(1) الكلمة في طبقات السلمي ص157.

(2) بعدها في طبقات السلمي ص159: واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه.

(3) طبقات السلمي ص161.

(4) في الأصل حارثة والتصويب عن طبقات السلمي ص158: وهو حارث بن أسد المحاسبي.

(5) طبقات السلمي ص159.

(6) في الأصل: لا تكون على الحقيقة والتصويب عن طبقات السلمي ص158

قعد ثم قال: وعزّتك وجلالك، لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته شوقاً إليك.

وقال: نج قضاء كل حاجة من الدنيا تركها.[1]

وقال: إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم، وأبدأه بالرفق، فإن العلم يوحشه والرفق[2] يونسه.

وروي، أنه كتب إلى بعض إخوانه: من أشار إلى الله تعالى، وسكن إلى غيره ابتلاه الله تعالى وحجب ذكره عن قلبه، وأجراه على لسانه، فإن انتبه وانقطع ممن سكن إليه ورجع إلى من أشار إليه كشف الله تعالى عنه ما به من المحن والبلوى، وإن دام على سكوته نزع الله تعالى الرحمة عن قلوب الخلق عليه، وألبسه لباس الطمع، فتزاد مطالبته منهم، مع فقدان الرحمة من قلوبهم، فتصير حياته ذلاً وعجزاً، وموته كمداً، ومعاده أسفاً، ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غير اله تعالى[3]

وقال: أكثر الناس علماً بالآفات أكثرهم آفات[4]

وقال له رجل: من أصحب؟ فقال: من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك، وقيل [له] كرة أخرى، من أصحب؟ فقال من يقدر أن ينسى ما له، ويقضي ما عليه[5]،

وقال: قد مشى رجال على الماء باليقين، ومات على العطش أفضل منهم يقيناً.[6]

وقال: من عرف الله تعالى لا يسرّ به، والحياء من الله تعالى أزال

---

(1) الكلمة في طبقات السلمي ص160.

(2) الكلمة في الرسالة القشيرية ص162 بزيارة يسيرة، وطبقات السلمي ص160.

(3) الكلمة في طبقات السلمي ص162 باختلاف يسير.

(4) طبقات السلمي ص161.

(5) طبقات السلمي ص161.

(6) طبقات السلمي ص163.

عن قلوب أوليائه سرور المنّة،[1]

وقال له رجل: على ماذا يتأسف المحب من أوقاته؟ فقال: على زمان بسطٍ أورث قبضاً، أو زمان انس أورث وحشة، ثم أنشأ يقول:

قد كان لي مشرب يصفوا برؤيتكم فكدّرته يد الأيام حين صفا[2]

وقال: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك.

وقال: التوبة على ثلاث معان، الأول الندم، والثاني: العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله تعالى عنه، والثالث، السعي في أداء المظالم.

وقال: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة.

وقال: من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح قلبه وبدنه فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة.

وقال: ما نجا من نجا إلا بصدق الملجأ إلى الله تعالى، قال الله تعالى: وعلى الثلاثة الذين خلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت...الآية

وقال: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد، واستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب والخوف توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس.

وسئل عن الخشوع، فقال: خفض الجناح ولين الجانب

وقال: النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك، والمعينة للأعداء، والمتبعة للهوى المتهمة بأصناف الاسواء، وقال: الشكر فيه علة إذا كان الشاكر طالباً لنفسه المزيد فهو واقف مع الله تعالى على حفظ نفسه، فالشكر ألا ترى نفسك أهلاً للنعمة.

---

(1) طبقات السلمي ص162 وص163.

(2) طبقات السلمي ص163

وقال أبو بكر الكتاني[1]: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم، فتكلم المشايخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا له: هات ما عندك فيها يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه من نار هويته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله مع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا من مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين.

وقيل له: لأي شيء يبكي المحب إذا لقي المحبوب، فقال: إنما يكون ذلك سروراً به ووجداً من شدة الشوق إليه، ولقد بلغني أن أخوين تعانقا، فقال أحدهما واشوقاه، وقال الآخر: واوجداه

وقيل له: ما بال الإنسان يكون هادياً فإذا سمع السماع اضطرب؟ فقال: إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله: ألست بربكم استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فإذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك.

وقال: تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن، عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق، ولا يقومون إلا عن وجد، وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند مجارات العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء.

وقال: السماع فتنة لمن طلبه، وترويح لمن صادفه.

وقال: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء، الزمان والمكان والأخوان، وقال: إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة.

---

(1) محمد بن علي بن جعفر الكتاني، أبو بكر، أصله من بغداد، وصحب الجنيد وغيره، وأقام بمكة إلى أن مات سنة 322هـ، ترجمته في طبقات السلمي ص373 وحلية الأولياء 10/ 357 وصفة الصفوة 2/ 257 والرسالة القشيرية 35 وتاريخ بغداد 3/ 74.

وقال: دخلت يوماً على السري فرأيت عنده رجلاً مغشياً عليه فقلت ما له؟ فقال: سمع آية من كتاب الله، فقلت: تقرأ الآية مرة أخرى، فقرأ فأفاق، فقال لي: من أين علمت هذا فقلت: إن قميص يوسف ذهب بسببه عن يعقوب عليه السلام، ثم عاد به بصره، فاستحسن ذلك مني.

وروي أن شاباً كان يصحب الجنيد، فإذا سمع شيئاً من الذكر يزعق، فقال له الجنيد يوماً إن فعلت هذا مرة أخرى لم تصحبني، فكان إذا سمع بعد ذلك شيئاً تغير فيضبط نفسه حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه، فسمع يوماً من الأيام وصاح صيحة تلفت نفسه

وسئل عن العارف هل يزني؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً

وقال: رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس، فوقف على ملك وقال: أقرب ما يتقرب به المتقربون ماذا؟ فقلت: عمل خفي بميزان وفي، فولى الملك عني وهو يقول: كلام موفق والله؛

وقال: رأيت مرة أخرى كأني واقف بين يدي الله تعالى، فقال لي: يا أبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذي تقوله، فقلت: لا أقول إلا حقاً، فقال: صدقت.

وقال: كن متعبداً في باطنك مع الله عز وجل روحانياً، وكن متعبداً في ظاهرك مع الخلق جسمانياً لأن من فارق الخلق بجسمه فارق الجماعة، ومن فارق الجماعة وقع في الضلالة، ومن خالطهم بسره افتتن بهم، ومن افتتن حجب عن الحق، فإذا تخلى العبد بسره عن الدنيا والخلق والنفس كشف له أبواب المشاهدة، فأول ما يكشف له التقوى فيظفر العبد بالصدق والإخلاص فيستريح من غموم الدنيا وبلائها ويستنير بضياء عقله بين عباد الله عز وجل، ولا يتأذى به أحد من خلق الله عز وجل، ثم يكشف له باب الورع فيتمكن من ترك السبب ويموت فيه الطمع ويحظى بالعلم، ثم يكشف له وباب الزهد فلا يبالي بالدنيا ولا ينازع أهلها فيها ويترك من

فيها، ثم يكشف له باب القناعة فيطيب عيشه لفناء قلبه، ثم يكشف له باب الصبر فتخمد نيران الشهوات فيستريح ويزول عنه الهوى، ثم يكشف له باب التوكل فيكتفي بمولاه عمن سواه، ويطمئن قلبه عن ذكر الكفاية وينقطع سره عن التقاضي.

وقال: من عرف الله تعالى أطاعه، ومن عرف نفسه ساء بها ظنه، وخاف على حسناته أن لا تقبل منه، أشد مما يخاف غيره على سيئاته.

وقال: السير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن متى ما غمض عن الدنيا أبصر الآخرة، ومن أبصر الآخرة هان عليه ترك الدنيا، وهجران الخلق في جنب الحق مرٌّ شديد، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله تعالى أشد وأصعب. وأنشد لنفسه:

وجدي عليك على أني مجمجمه ... وجد السقيم لبرء بعد أدناف[1]
أو وجد ثكلى إذا غاب واحدها ... أو وجد مختلس من بين آلاف

وقال الخلدي، قال لي الجنيد: إذا صدقت الله تعالى فاصدقه في سرك، فإن الله عز وجل جعل على كل شيء لإبليس طريقاً إلا صدق الأسرار.

وقيل له: متى تصفو المعاملة لله عز وجل؟ فقال: إذا لم تمازجها الأدناس، ولم تخالطها ملاحظة الناس، قيل له: فمتى تصح الوحدة؟ قال: إذا اعتزلت عن نفسك ودخلت في حبسك، و أخذت في درسك، وما جنيت في أمسك، قيل له: فمتى تطلب الخلوة؟ فقال: إذا كان لك جليساً، وكان الجليس في الحبوس أنيساً.

وقال: إن للعلم ثمناً فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه، قيل له: وما ثمنه؟ قال تضعونه عند من يحسن حمله ولا يضيعه.

---

(1) في الأصل أدناق بالقاف وكذلك قافية البيت الثاني.

وقيل له: ما بال أصحابك يأكلون كثيراً؟ فقال: لأنهم يجوعون كثيراً، قيل له: فما بالهم لا تهمهم قوة شهوة، فقال: لأنهم لا يزنون ولا يدخلون تحت محظور، قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟ قال: وأي شيء من القرآن مما يطرب في الدنيا؟ القرآن حق، نزل من عند حق، لا يليق بصفات الخلق تحت كل حرف منه على الخلق واجب لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله عز وجل بها، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم، قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القصائد لا يطربون؟ قال: هي مما عملت أيديهم، قيل له: فما بالهم إذا سمعوا الغناء يطربون؟ قال: هو كلام المحبين، قيل له: فما بالهم محرومين من الناس؟ فقال: قال أستاذنا أبو حفص القصاب قدّس سره في هذا شيئاً حين سئل: ما بال أصحابك محرومين من الناس، فقال لثلاث خلال، أحدها، إن الله تعالى لا يرضى لهم ما في أيديهم، ولو رضي لهم ما لهم لترك ما لأنفسهم عليهم، والثانية، إن الله تعالى لا يرضى أن يجعل حسناتهم في صحائفهم، ولو رضي لخلطهم بهم، والثالثة، إنهم قوم لم يشيروا إلا إلى الله عز وجل، فمنعهم كل شيء سواه، وأفردهم به.

وقال له رجل: يا أبى القاسم العناية قبل البداية؟ فقال له: نعم قبل الماء والطين.

وقال: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل، ثم قال: يا له من مجلس، ما أجله ومن شراب [ما] ألذّه، طوبى لمن رزقه

وقال: لو علم منك التحقيق لوسع عليك الطريق، ولو أشرت إليه في أول المصائب لا برز إليك من لطائف العجائب، وسئل عن الفقر فأنشد يقول:

لا الفقر عار ولا الغنى شرف   ولا سخاءٌ في طاعةٍ سرف

وكان قدس سره يوماً جالساً متفكراً حزيناً، فقيل له: ما الذي أحزنك يا أبا القاسم؟ فقال: فقدت أنسي في الخلوة، وفقدت الأخوال الذين كنت آنس بهم، ودون هذا مما يهد البدن ويشغل القلب، ثم أنشد:

ذم المنازلَ بعد منزلةِ النوى   والعيش بعد أولئك الأقوام

وقال يوماً لأصحابه: أتدرون أين يذهب بكم؟ أتدرون لماذا خلقتم وإلى ماذا تصيرون؟ فاتقوا الله عز وجل واحفظوا ساعاتكم وأوقاتكم فإنها زائلة عنكم غير راجعة إليكم، والحسرة في فوتها على الغفلة، فلو بذل أحدكم ما بذل لم يرد وقتاً من أوقاته، فأوصلوا أورادكم وأحزابكم تجدوا منفعتها في دار الإقامة، ولا يشغلنكم عن الله تعالى قليل الدنيا، فقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة.

وقال أبو محمد الجريري: كان في جوار الجنيد رجل مصاب في خربة، ولما مات الجنيد ودفناه ورجعنا من جنازته تقدمنا ذلك المصاب وصعد موضعاً رفيعاً وقال لي: يا أبا محمد أتراني أرجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ثم أنشأ يقول:

وا أسفي من فراق قومٍ   هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسي   والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالي   حتى توفتهم المنون
فكلُّ حجر لنا قلوب   وكل ماء لنا عيون

وغاب عنا فكان ذلك آخر العهد به.

وقال جعفر الخلدي: رأيت الجنيد في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وخابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفذت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار، هذا ولنقتصر على هذا المقدار من مناقبه الجليلة الآثار حامدين لله ومصلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

74 ـ الحلاج الحسين بن منصور[1]

ومنهم الحسين بن منصور الحلاج روَّح الله روحه، هو أبو الغيث حسين بن منصور من أهل بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق، صحب الجنيد والنوري وعمر والمكي والفوطي وغيرهم قدس الله أسرارهم، قال المؤلف ناقلاً عن تذكرة الأولياء ما معناه أن حالاته العجيبة ومقالاته الغريبة مما تخصه لا غير وكان ذا فصاحة وبلاغة وفطانة وفراسة، واختلف المشايخ في أمره وشأنه فأنكر عليه أكثرهم وأبوا أن يكون له قدم في التصوف واعترف بفضله آخرون، قلت منهم أبو العباس بن عطاء وأبو عبد الله محمد بن خفيف، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصرآبادي وأبو بكر الشبلي فإنهم حكوا عنه كلاماً وقبلوا مقامه وأثنوا عليه وصححوا حاله حتى قال محمد بن خفيف: الحسين بن منصور عالم رباني وقال الشبلي: اعتراني أيضاً ما اعترا الحسين من تلك الحال فتسترت بالجنون وسلمت، وأما الحسين فلم يتستر فوقع فيما وقع، وقال الشيخ فريد الدين العطار في الكتاب المذكور: ان ما ظهر من الشجرة في الوادي الأيمن من كلمة أني

(1) ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان 2/ 140 والفهرست 190 وطبقات السلمي 307 ولسان الميزان 2/ 314 وميزان الاعتدال 1/ 548 وتاريخ بغداد 8/ 112 ومرآة الجنان لليافعي 2/ 253 وكامل ابن الأثير 8/ 126 والمنتظم 6/ 160، وانظر أخبار الحلاج من جمع ماسينون باريس 957 وديوانه جمع ماسينون وحققه أيضاً الدكتور كامل مصطفى الشيبي ونشره ببغداد سنة 1974.

أنا الله رب العالمين إذ اظهر من شجرة وجود الحسين لا يقتضي ان ينسب إلى الإلحاد أو دعوى الحلول كما قيل:

سزا بوده أنا الحق ازدرختي   جرانبود سزا ازنيك بنحتي

وتعريبه:

صحت أنا الله العزيز من الشجر   لم لا تصبح من النبيل من البشر

على ان متابعة للكتاب والسنة وكمال معارفه مع اعتراف اكابر المشايخ بفضله وعلو شأنه من أقوى البراهين على صلاح حاله وعلو مكانه وكان روح الله روحه في ابتداء أمره في تستر في خدمة سهل بن عبد الله التستري، ثم قدم إلى البصرة وهو ابن ثمانية عشر سنة، وصحب عمرو بن عثمان المكي، ثم قدم إلى بغداد وتشرف بصحبة الجنيد، وأمره الجنيد بالخلوة مدة، ثم توجه إلى بيت الله الحرام، وسأله عن بعض المسائل فقال له الجنيد: حان أن تصبغ رأس الخشبة بدمك، فقال الحسين: وأنت يومئذ تتلبس بلباس أهل الظاهر، فكان الأمر كما قاله يوم قتله، حيث تزيّى الجنيد بزي علماء الرسوم وقعد في المدرسة حين استفتى في أمره وأفتى بقتله، وقال: نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ثم لما لم يجبه الجنيد عن مسائله، خرج من بغداد وذهب إلى تستر وانتشر صيته في الأنام واشتهر أمره بين الخاص والعام فجعل عمرو بن عثمان المكي يكتب رسائل مشتملة على ذمه والطعن فيه ويحذر الناس من متابعته، وأرسلها إلى خوزستان، فلما سمع الحسين بذلك خلع ملابس الصوفية ولبس ما تلبسه العامة، وتستر بذلك خمس سنين وجعل يسيح في بلاد خراسان وما وراء النهر وسبستان ثم رجع إلى أهواز وصار له القبول عند أهلها وجعل يعلن بالأسرار والمعارف والإشارات واللطائف فاشتهر بينهم بحلاج الأسرار، ثم عاد إلى لبس المرقع ورجع إلى مكة المكرمة فأقام فيها ما شاء الله إلى أن نسبه رجل من مشايخ الحرم يدعى يعقوب إلى السحر، فخرج منها وأتى البصرة ثم ذهب إلى الهند وإلى ما وراء النهر وإلى الصين، ودار جميع بلاد الشرق، وهو يدعو أهل كل بلدة يدخلها إلى طريقة معرفة الحق ويصنف

لهم تصانيف ويعلمهم العلوم والمعارف ولم يزل تأتيه المراسلات من الأمصار والبلدان وكل مراسلة منها معنونة بعنوان فالمراسلة التي من الهند معنونة بأبي الغيث، والتي من الصين معنونة بأبي المعين، والتي من الفارس معنونة بأبي عبد الله والتي من الخوزستان معنونة بحلاج الأسرار [فقضيته] هذا أنه في كل بلدة لقب نفسه بلقب، وكنّاه بكنية، ثم أتى مكة المشرفة، وبعد أن جاورها سنتين رجع إلى بغداد، ولما لم يكن على حاله الأولى، وجعل ينطق بما لا تفهمه العوام، ويتحرك بما يخالف الطباع، أخرجوه من بغداد ومن خمسين بلدة مما يليها.

ويروى أنه مر على بيت مملوء من القطن، فأشار إلى قطن فصار محلوجاً بإشارته، فسمي لذلك بالحلاج، قلت: وذكر في حياة الحيوان[1] في وجه تسميته: الحلاج أنه جلس يوماً على حانوت حلاج، واستقضاه حاجة، فقال له الحلاج: أنا مشتغل بالحلج فقال له، أمضي في حاجتي حتى أحلج عنك، فمضى الحلاج في حاجته، فلما عاد وجد قطنه محلوجاً، وقد كان لا يحلجه عشرة رجال، فمن ثم قيل له الحلاج، وقيل أنه كان يتكلم عن الأسرار ويخبر عنها فسمي حلاج الأسرار- انتهى.

ويروى أنه في أوان ابتداء رياضته لم ينزع ثوبه عشرين سنة ولم يغسله، وبعد عشرين سنة نزعه وهو مملوء من القمل، فوزنت واحدة منها فإذا هي نصف ثمن مثقال.

ونقل أن بعض الفقراء طلب منه التين في طريق الحج فنزل من الجو طبق مملوء من التين ثم طلب منه الحلوى فلم يلبث إلا وماعون فيه حلوى السكر قد حضر بين يديه، فقال بعضهم أن هذه الحلوى لشبيهة بحلوى باب الطاق[2] في بغداد، فقال: باب الطاق والصحراء عند الحسين على حد سواء.

---

(1) حياة الحيوان 1/ 425.

(2) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي، تعرف بطاق أسماء معجم البلدان 1/ 308.

ونقل: أنه قام على قدميه سنة كاملة في مكة يستقبل الحرم، فصار يجري دهنه من جسده جريان العرق من حرارة الشمس، ثم صعد على عرفات وهو ينادي: يا دليل المتميزين، فلما تفرقت الناس رفع يديه وجعل يدعو ويقول: إلهي أعرفك أنك أجلّ مما يسبح المسبحون وأعظم مما يهلل به المهللون، إلهي أنت تعلم عجزي عن مواضع شكرك، فاشكر نفسك عني فإنه الشكر لا غير انتهى ما نقله المؤلف ثم نقل من حياة الحيوان كلاماً لم يخلُ من النقصان، فلننقله نحن على الكمال والله المستعان فنقول:

قال الكمال الدميري في الكتاب المذكور[1]، وفي تاريخ ابن خلكان[2]، إن بعض أصحاب الحلاج ادعى أنه رآه يوم قتله وهو راكب على حمار في طريق النهروان، قال له: لعلكم تظنون أني هو المضروب والمقتول، وكان سبب قتله أنه جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر بالله فأفتى القضاة و العلماء بإباحة دمه ، فرسم المقتدر بتسليمه إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، فتسلمه بعد العشاء خوفاً من العامة أن تنتزعه من يده ثم أخرجه يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند باب الطاق، واجتمع خلق كثير، وأمر به فضربه الجلاد ألف سوط، فما استعفى ولا تأوّه، ثم قطع أطرافه الأربعة، وهو ساكت لا يضطرب، ثم حزّ رأسه وأحرقت جثته وألقي رمادها في دجلة. ونصب الرأس ببغداد ثم حمل وطيف به في النواحي والبلاد وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً. واتفق أن زادت دجلة تلك السنة زيادة وافرة، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها، وادعى بعض أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه عند قتله على عدوٍّ له، ولما خرج ليقتل أنشد قائلاً[3]:

---

(1) حياة الحيوان 1/ 423ـ425.

(2) وفيات الأعيان 2/ 141.

(3) البيتان في الوفيات 2/ 144 وفيت قال أبو بكر الحفري: سمعت الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول.

طلبتُ المستقرَّ بكل أرضٍ فلم أرَ لي بأرضٍ مستقرّا
أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حُرّا

ويحكى أنه أنشد عند قتله[1]:

لم أسلم النفس للأسقام تتلفها إلا لعلمي بأن الموت[2] يشفيها
ونظرةٌ منك يا سئولي ويا أملي أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها
نفس المحب على الآلام صابرة لعلَّ متلفها[3] يوماً يداويها

وكان الحلاج قد صحب الجنيد ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية. انتهى قال الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام المقدسي في "مفاتيح الكنوز"[4]: أنه لما أتي به ليصلب ورأى الخشب والمسامير ضحك ضحكاً كثيراً، ثم نظر في الجماعة فرأى الشبلي فقال: يا أبا بكر أما معك سجادة، قال: بلى، قال: فافرشها لي ففرشها فتقدم وصلى ركعتين، فقرأ في الأولى فاتحة الكتاب و لنبلونَّكم بشيء من الخوف والجوع الآية، ثم قرأ في الثانية بفاتحة الكتاب وكل نفس ذائقة الموت الآية، ثم ذكر كلاماً طويلاً، ثم تقدم أبو الحارث السياف فلطمه لطمة هشَّم بها وجهه وأنفه فصاح الشبلي ومزق ثيابه وغشي على علي بن الحسن الواسطي وعلى جماعة من المشايخ المشهورين، كان الحلاج يقول: اعلموا أن الله قد أباح لكم دمي فاقتلوني أليس للمسلمين اليوم شغل أهم من قتلي، وقال، إن قتلي قيام بالحدود.

قلت: وقد اضطربت الناس في أمره اضطراباً كثيراً متبايناً، فمنهم من يعظّمه، ومنهم من يكفّره، وقد ذكر الإمام قطب الوجود حجة الإسلام في

(1) الأبيات في الديوان 398.
(2) في الديوان "الوصل" بدل "الموت".
(3) في الديوان "مسقمها".
(4) نقل ما ورد في مفتاح الكنوز عن حياة الحيوان 1/ 424.

كتاب مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار[1] فصلاً طويلاً في أمره واعتذر عن إطلاقاته ، كقوله: أنا الحق، وما في جبتي غير الله، وحملها كلها على محامل حسنه، وقال: هذا من فرط المحبة وشدّة الوجد، وهو مثل قول القائل:

أنا مَنْ أهْوى وَمَنْ أهوى أنا فإذا أبْصَرتَهُ أبْصرتنا

وحسبك هذا مدحة وتزكية له، وكان ابن سريج إذا سئل عنه يقول: هذا رجل قد خفي عليّ حاله وما أقول فيه شيئاً، وهذا شبيه بكلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد سئل عن علي كرَّم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه فقال: دماء طهر الله منها سيوفنا، أفلا نُطهر من الخوض فيهم ألسنتنا، وهكذا ينبغي لمن يخاف الله أن لا يكفِّر أحداً من أهل القبلة بكلام يصدر منه يحتمل التأويل على الحق و الباطل فإن الإخراج من الإسلام عظيم ولا يسارع به إلا جاهل، ويحكى عن شيخ العارفين قطب الزمان عبد القادر الكيلاني قدس سرّه أنه قال: عثر الحلاج ولم يكن له من يأخذ بيده، ولو أدركته لأخذت بيده، وهذا وما سبق من الإمام الغزالي كافٍ لمن له أدنى فهم وبصيرة. انتهى ما في حياة الحيوان.

قلت: إن للأولياء مقامات منها الفناء وهو إما عن الأفعال أو عن الصفات أو عن الذات، فقضيته الأولى أن السالك لا يرى لنفسه ولا لأحد فعلاً اصلاً، وقضيته الثانية أنه لا يرى لنفسه بل يرى الكل هالكاً مضمحلاً لا وجود له ولا أثر ولا عن نفسه له خبر، فهنالك يصدر من الأولياء: أنا الحق وأنا الله وسبحاني ما أعظم شأني وأمثالها، وهو طور وراء طور العقل، لا تدركه العقول والفهوم ولا تعرفه أهل الآثار والرسوم، ولا شك أن المترجم ممن وصل إلى ذلك المشهد والمقام على ما أقرّه بفضله المشايخ الكرام ويشهد له ما ننقله مما حكى عنه من الكلام فنقول: قال

(1) انظر: كشف الظنون 2/ 1694 مما يؤيد نسبة هذا الكتاب لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة 505هـ/ 1111م (الاعلام 7/ 22).

روّح الله روحه: حجبهم بالاسم فعاشوا ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهم عن الحقيقة لماتوا.

وقال: أسماء الله تعالى من حيث الإدراك اسم، ومن حيث الحق حقيقة، وخاطر الحق هو الذي لا يعارضه شيء، وقال: إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحي إليه بخاطره وخرس سرّه أن يسنح فيه غير خاطر الحق، وعلامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة، وقيل له: لما طمع موسى عليه السلام في الرؤية وسألها؟ فقال: لأنه انفرد للحق، فانفرد الحق به في جميع معانيه، وصار الحق مواجههُ في كل منظور إليه ومقابلة دون كل محظور لديه، على الكشف الظاهر عليه لا على التغيب، فذلك الذي حمله على سؤال الرؤية لا غير.

وسئل عن المريد فقال: هو الرامي بأول قصده إلى الله تعالى، فلا يُعرج حتى يصل، وسئل عن التصوف وهو مصلوب فقال: هو ما ترى، وقال: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سلطوا على الأحوال فملكوها، فهم يصرفونها لا لأحوال تصرفهم، وغيرهم سلطت عليهم الأحوال، فالأحوال تصرفهم لا هم يصرفون الأحوال.

وقال: من لاحظ الأعمال حجب عن المعمول له، ومن لاحظ المعمول له حجب عن رؤية الأعمال، وقال: حياء الرب أزال عن قلوب أوليائه سرور المنّة بل حياء الطاعة أزال عن قلوب أوليائه سرور الطاعة، وأنشد لنفسه[1]:

مواجيد حق أوجد الحق كلها	وإن حجزت عنها فهوم الأكابر
وما الوجد إلا خطرةٌ ثم نظرةٌ	تنشي لهيباً بين تلك السرائر
إذا سكن الحق السريرة ضوعفت	ثلاثة أحوال، لأهل البصائر
فحال يبيد السرّ عن كنه وجده[2]	ويحضره للوجد في حال حاضر

(1) الأبيات في ديوانه تحقيق د.كامل الشيبي ص199.

(2) في الديوان وصفه.

وحال به زمّت ذرى السرّ فانثنت إلى منظرٍ أفناه عن كل ناظر

وقال: ليس من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار التوحيد نطق عن حقائق التجريد، لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم.

وقال: من التمس الحق بنور الإيمان كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب.، وقال لرجل من أصحاب الجبّائي المعتزلي: لما كان الله تعالى أوجد الأجسام بلا علّة، كذلك أوجد فيها صفاتها بلا علّة، وكما لا يملك العبد أصل فعله كذلك لا يملك فعله، وقال ما انفصلت البشرية عنه ولا اتصلت به، وسئل عن التوكل فقال: المتوكل الحق لا يأكل وفي البلد من هو أولى به منه، وقال: من أراد الحريّة فليصل العبودية، فإذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حراً من نعت العبودية، فيتوسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة ، وذلك مقام الأنبياء والصديقين وأنشدوا في المعنى لمنصور الفقيه[1]:

ما بقى في الناس حرٌّ لا ولا في الجن حر
قد مضى حرّ الفريقين فحلو العيش مرُّ

وسئل عن الصوفي فقال: وحدانيُّ الذات، لا يقبله أحدٌ ولا يقبل أحداً، والصوفي هو المشير عند الله تعالى، فإن الخلق أشاروا إلى الله تعالى، ووقف عليه رجل فقال: من الحق الذي تشيرون إليه فقال: معلّ الأنام ولا يعتل.

وقال: حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك، وسئل عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال: بدا له بادٍ من الحق فلم يبق لموسى أثراً، وفني موسى عن موسى، ولم يبق لموسى خبر من

(1) منصور الفقيه: هو منصور بن إسماعيل بن عمرالتميمي، فقيه من الشعراء ضرير من أهل الجزيرة سافر إلى بغداد وسكن مصر وتوفى بها سنة 306، نكت الهميان 297 ومعجم الأدباء 7/ 185.

موسى، ثم كلّم، فكان المكلِّم هو المكلَّم بحصول موسى في حال الجمع وفنائه عنه، ومتى كان يطيق موسى حمل الخطاب لو بأياه كان، ولكنه بالله عز وجل قام، وبه سمع ثم أنشد على أثر هذا الكلام أبياتاً وقال: فيه معنى جواب سؤالك[1]:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى   برق تألّق موهناً لمعانُهُ
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى متمنّعٌ أركانه
فأتى لينظر كيف لاح فلم يطق   نظراً إليه وصدّه سبحانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سمحت به أجفانه

وقال: إذا دام البلاء بالعبد ألِفَه وأنشد[2]:

تعوَّدتَ مسّ الضر حتى ألفته   وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

وقال أبو العباس الرازي: كان أخي خادماً للحسين بن منصور فسمعته يقول: لما كانت الليلة التي وعد من الغد لقتله قلتُ له: يا سيدي أوصني، فقال لي: عليك بنفسك فإن لم تشغلها شغلتك، فلما كان من الغد وأخرج للقتل قال: حسب الواحد أفراد الواحد له ثم خرج يتبختر في قيده ويقول[3]:

نديمي غير منسوبٍ   إلى شيء من الحيف
سقاني مثلما يشرب   كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاسات بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف

---

(1) الأبيات لمحمد بن صالح العلوي، الخارج على المتوكل سنة 240، والمتوفي سنة 255، أنظر: الأغاني 16/ 361 ومقاتل الطالبيين 398 والوافي بالوفيات 3/ 155 ومجموع شعره نشره مهدي عبد الحسين النجم (البلاغ ع 5 و 6 لسنة 1976).

(2) البيت للدريد بن الصمة.

(3) ديوانه باب الشعر المنسوب.

ثم قال: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا يشفقون منها ويعلمون إنها الحق، ثم ما نطق بعد ذلك حتى فُعل به ما فعل.

وقال القتاد: لقيت الحلاج يوماً في حالة رثة، فقلت له كيف حالك: فأنشأ يقول [1]:

لئن أمسيت في ثوبي عديم	لقد بليا على حرٍّ كريم
فلا يحزنك إن أبصرت حالي	مغيّرة عن الحال القديم
فلي نفس ستتلف أو سترقى	لعمرك بي إلى أمرٍ جسيم

وقال: لو لم يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم لم تكمل الحجة، وكان يرجى للكفار النجاة من النار، وأنشد لنفسه [2]:

لم يبق بيني وبين الحق تبيان	ولا دلائل آيات وبرهان[3]
كان الدليل له منه إليه به	حقاً وجدناه في علم وفرقان[4]
هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي	هذا توحّد توحيدي وإيماني
هذا تجلّي طلوع الحق: نائرةٌ	قد أزهرت في تلاليها بسلطان
لا يستدل على الباري بصنعته	رأيتم[5] حدث ينبي عن أزمان
هذا وجود وجود الواجدين له	بين التجانس: أصحابي وخلاني

وروي أنه كتب إلى أبي العباس بن عطاء[6]: أطال الله لي حياتك، وأعدمني وفاتك على أحسن ما جرى به قدر أو نطق به خبر، مع ما أن لك

---

(1) الديوان، وقسم الشعر المنسوب 6 ص380 وتنسب أيضاً إلى الرفاعي، أنظر التجريح في الديوان ص380.

(2) الأبيات في الديوان ص288.

(3) في الديوان تبياني ولا دليل بآيات وبرهان.

(4) في الأصل حق وفي الديوان: حقاً وجدناه به علماً بتبيان.

(5) في الأصل وأنتم.

(6) هو أبو العباس أحمد بن عطاء، صديق الحلاج وتلميذه، ضرب ضرب تلف، حتى توفي سنة 309هـ، انظر: مرآة الجنان 2/ 258.

في قلبي من لواعج أسرار محبتك وأفانين ذخائر مودتك، ما لا يترجمه كتاب، ولا يحصيه حساب، ولا يغنيه عتاب وفي ذلك أقول:[1]

كتبتُ لم أكتب إليك، وإنما كتبتُ إلى روحي بغير كتاب
وذلك أن الروح لا فرق بينها وبين محبيها بفصل خطاب
فكل كتاب صادر منك واردٌ إليك، بلا ردّ الجواب، جوابي

وانشد ابن فاتك للحسين بن منصور:[2]

أنت بين الشغاف والقلب تجري مثل جري الدموع من أجفاني
وتحلُّ الضمير جوف فؤادي كحلول الأرواح في الأبدان
ليس من ساكن تحرّك إلاّ أنت حركته خفيّ المكان
يا هلالاً بدا لأربع عشر فثمانٍ[3] وأربع واثنتان

(1) الديوان ص154.
(2) الديوان ص290.
(3) في الأصل لثمان والتصويب عن الديوان.

75 ـ أحمد بن مسروق[1]

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد قدس سره، ولم يكن ما ذكره المؤلف في ترجمته مستوفياً ولا خالياً من الغلط والتحريف، فأعرضنا عن عبارته إلى ما هو الصحيح والأوفى فنقول: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق، طوسي الوطن، بغدادي المسكن، صاحب الحارث[2] المحاسبي والسري[3]، ومحمد بن منصور الطوسي[4]، ومحمد بن الحسين البُرْجُلاني[5]، وهو من أجلة المشايخ وعلماء القوم.

قال الجريري: دعانا أبو العباس بن مسروق ليلة إلى بيته، فاستقبلنا صديق له، فقلنا له ارجع معنا فنحن في ضيافة الشيخ، فقال: إنه لم يدعني، فقلنا نحن نستثني كما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي

---

(1) ترجمته في: حلية الأولياء 10/ 213 وطبقات السلمي ص237، وصفة الصفوة 4/ 104 وطبقات الشعراني 1/ 104 والرسالة القشيرية ص20 وتاريخ بغداد 5/ 100 وميزان الاعتدال 1/ 71 ونتائج الأفكار القدسية 1/ 169 والمنتظم 6/ 98 ومرآة الجنان 2/ 231 وشذرات الذهب 2/ 227 والعبر للذهبي 2/ 110 وفيه أنه مات سنة 298هـ.

(2) الحارث المحاسبي، مضت ترجمته.

(3) السري بن المفلس السقطي، سيترجمه المؤلف فيما بعد

(4) محمد بن منصور بن داود، أبو جعفر العابد، الطوسي، توفي سنة 254 أو 256، وتاريخ بغداد 3/ 247.

(5) في الأصل: الترجلاني، وهو محمد بن الحسين، البرجلاني، نسبه إلى محلة البرجلانية ببغداد، أو إلى برجلان ـ من قرى واسط ـ توفي سنة 238هـ، تاريخ بغداد 2/ 222 واللباب 1/ 108.

الله عنها، فرددناه، فلما بلغنا إلى باب الشيخ إبي العباس أخبرناه بما قال وقلنا له، فقال: جعلت موضعي في قلبك بحيث تجيء إلى منزلي من غير دعوة، عليّ كذا وكذا إن مشيت على الموضع الذي تقعد فيه إلاّ على خدي، وألح فوضع خده على الأرض وحمل الرجل فوضع قدمه على خده من غير أن يوجعه، وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أن بلغ إلى موضع جلوسه، وقال له قدس الله سره، دخلت على شيخ من أصحاب المودة فوجدته على حال رثّة، فقلت في نفسي، من أين يرتفق هذا الشيخ؟ فقال: يا أبا العباس دع عنك الخواطر الدنيّة فإن لله ألطافاً خفيّة.

وقال: قدم علينا شيخ فكان يتكلم في هذا الشأن بكلام حسن، وكان عذب المنطق جيد الخاطر، فقال لنا في بعض كلامه، كلما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي، فوقع في قلبي أنه يهوديّ، وكان الخاطر يقوى ولا يزول، فذكرت ذلك للجريري، فكبر ذلك عليه، فقلت له لابد من أن أخبر الرجل بذلك، فقلت له: تقول لنا قولوا لي عما يقع في خاطركم، وإنه يقع لي أنك يهودي، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وقال: صدقت، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ، وقال: مارست جميع المذاهب، وكنت أقول: إن كان مع قوم شيء فمع هؤلاء، فداخلتكم لأختبركم، فأنتم على الحق، وحسن إسلامه.

وقال: رأيت ليلة في المنام كأن القيامة قد قامت، والخلق مجتمعون إذ نادى منادٍ: الصلاة جامعة، فاصطف الناس صفوفاً، فتلقاني ملك عرض وجهه قدر جبل في طول مثل ذلك فقال لي: تقدم وصل بالناس، فتأملت وجهه فإذا مكتوب بين عينيه جبريل أمين الله، فقلت له: فأين النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: هو مشغول بنصب الموائد لإخوانه الصوفية، فقلت له: فأنا من الصوفية، قال: نعم ولكن شغلك كثرة الحديث، فكدت أبكي، فإذا أنا بالجنيد قدس سره يشير إليّ أن لا تخف لا نأكل حتى تجيء، فانتبهت، فيا ليتني كنت صليت وأكلت.

وقال: كنت ألبس المسوح والليف، وكان والدي في يوم الجمعة

يبكي عليّ لما يعلم مني أني لا أنصرف من الجمعة إلا عليلاً لما أسمعه من الشيوخ، فكنت أنظر إلى شيوخي فتكون رؤيتي لهم قوتي من الجمعة إلى الجمعة.

وقال الخلدي: أنشدني ابن مسروق:

إنّي يهجرني الصديق تجنّباً	فأريه أن لهجره أسبابا[1]
وأريه إن عاتبته أغريته	فيكون تركي للعتاب عتابا
فإذا بليت بجاهل متحكم	يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت وربما	كان السكوت من الجواب جوابا

وقال: كنت آوي إلى مسجد فيه سدرة يأوي إليها بلبلان، ففقد أحدهما صاحبه، وبقي الآخر على غصن ثلاثة أيام لا ينزل يرعى ولا يلقط من الأرض شيئاً، فلما كان في اليوم الثالث مر به بلبل آخر النهار فصاح فذكّره صاحبه فوقع من فوق الغصن ميتاً،

وسئل عن التوكل فقال: خلوّ الأسرار مما منه بدّ، وتعلقها بما ليس منه بدّ.

وسئل عن سماع الرباعيات فقال: إن قلوبنا لم تألف الطاعات طبعاً وإنما ألفتها تكلّفاً فأخشى إن أبحنا لها رخصة تتخطى إلى رخص، ولا أرى سماع الرباعيات إلا لمستقيم الظاهر والباطن، قوي الحال، تام العلم، وقال: جعفر الخلدي: سألت أبا العباس بن مسروق مسألة في العقل، فقال لي: يا أبا محمد، من يحترز من عقله لعقله هلك بعقله.

وسئل عن الزاهد فقال: الذي لا يملكه مع الله تعالى سبب.

وقال: كثرة النظر في الباطن بمعرفة الحق من القلب، وقال: علم الحال أقرب إلى علم اليقين من علم القيام، وعلم القيام أعلى وأشرف، وقال: من كان مؤدبه ربّه عزَّ وجلّ لا يغلبه أحد.

---

(1) الأبيات في وفيات الأعيان 3/ 370 للناشي الأصغر.

وقال: من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله تعالى في حركات جوانحه وقال: إن الله تعالى وَسَمَ الدنيا بالوحشة لئلا يكون أنس المطيعين بها.

وقال: أنت في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك، وقال: المؤمن يقوى بذكر الله تعالى، والمنافق يقوى بالأكل.

وقال: من تحقق بالتقوى هون عليه الإعراض عن الدنيا.

وقال: تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمة الله تعالى وبه يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى، وقال: التقوى أن لا تمد عينك إلى زهرة الدنيا ولا تتفكر بقلبك فيها، وقال: أكثر ما يخاف منه العارفون فوت الحق.

وقال: شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والموافقة والإيثار.

وقال: من يكون سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم، ومن لم يكن أنسه في خدمة ربه عز وجل فهو من أنسه في وحشة.

وقال: متى طمعت في المعرفة ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة فأنت في جهل ومتى ما طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت في غفلة مما تطلبه.

وقال ابن مخلَّد أنشدني أبو العباس بن مسروق:

وإني لأهواه مسيئاً ومحسناً وأقضي على قلبي له بالذي يقضي

فحتى متى روح الرضى لا ينالني وحتى متى أيام سخطك لا تمضي

هذا وقد مات قدس الله روحه ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين، وقيل في صفر سنة ثمان وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى.

76 ـ أبو بكر الشبلي[1]

ومنهم أبو بكر الشبلي[2] قدس الله روحه، ولما فات المؤلف رحمه الله في ترجمته وبيانه كثير من مناقبه وكلماته الدالة على علو شأنه أعرضنا عن كلامه وترجمناه فوق مرامه ناقلاً عن بعض كتب القوم فقلت مستعيناً بمن لا تأخذه سنة ولا نوم.

هو أبو بكر واسمه دلف بن جحدر، وقيل بن جعفر، ويقال اسمه جعفر بن يونس، خراساني الأصل، بغدادي المولد والنشأة، وقيل أصله من أشروسنة[3] ومولده سر من رأى، تاب في مجلس خير النساج[4]

---

(1) ترجمته في حلية الأولياء 10/ 366 وصفة الصفوة 2/ 258 والعبر 2/ 240 وتاريخ بغداد 14/ 389 والرسالة القشيرية ص33 ونتائج الأفكار القدسية 1/ 187 وطبقات الشعراني 1/ 121 وشذرات الذهب 2/ 338 واللباب 2/ 10 والأنساب 329 ومعجم البلدان 3/ 322 والديباج المذهب 116 وهدية الأحباب 140 ومرآة الجنان 2/ 317 نشوار المحاضرة 172 والكامل لابن الأثير 8/ 350 والبداية والنهاية 11/ 215 والمنتظم 6/ 347 وطبقات السلمي ص337 والنجوم الزاهرة 3/ 289 ووفيات الأعيان 2/ 273 وبروكمان 4/ 74 جمع ديوانه وحققه الدكتور كامل الشيبي وطبع ببغداد سنة 1967.

(2) الشبلي: نسبة إلى الشبلية، قرية من قرى أشْرُوسنة، 3/ 322.

(3) أشروسنة في الأصل: أسروسنة بلدة كبيرة بما وراء النهر من البلاد الهباطلة بين سيحون وسمرقند معجم البلدان 1/ 197.

(4) خير النساج، محمد بن إسماعيل، خرج للحج فأخذه رجل وجعله عبداً له واستخدمه في نسج الخز وكان يناديه خير، فسمي خير النساج، وكان أسود مات سنة 322 عن 120 سنة، ترجمته في العبر 2/ 193 وطبقات السلمي ص322 وحلية الأولياء 10/ 307 وصفة الصفوة 2/ 255 وطبقات الشعراني 1/ 120.

وصحب أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من المشايخ وصار واحد الوقت علماً وحالاً، وكان فقيهاً عالماً على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وكتب الحديث الكثير، وروي أنه لما تاب في مجلس خير النساج، أتى نهاوند وقال: كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل، ومجاهدته في بدايته فوق الحد، ومن جملة ذلك انه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر، ولا يأخذه النوم، نقل عنه أنه قال: فلما زاد علي الأمر حميت الميل فاكتحلت به وفي رواية أخرى أنه قال: اطلع الحق تعالى علي فقال: من نام غفل ومن غفل حجب، فكان الشبلي يكتحل بالملح بعد ذلك حتى لا ينام وأنشد في المعنى:

عجباً للمحب كيف ينام   كل نوم على المحب حرام

وقال عبد الله بن محمد الدمشقي، كنت يوماً واقفاً على حلقة الشبلي فجعل يبكي ولا يتكلم فقال له رجل، ما هذا البكاء كله، فأنشأ يقول:

إذا عاتبته أو عاتبوه   شكى فعلي وعدَّدَ سيئاتي[1]
أيا من دهره غَضَبٌ وسخط   أما أحسنت يوماً في حياتي

وقال عبد الله بن محمد الدمشقي أيضاً: كنت واقفاً على حلقة الشبلي في جامع المدينة فوقف سائل على حلقته وجعل يقول: يا الله يا جواد، فتأوه الشبلي وصاح وقال: كيف يمكنني أن أصف الحق بالجود ومخلوق يقال في حقه:

[تعوَّد][2] بسط الكف حتى لو أنه   ثناها بقبض لم تجبه أنامله
تراه إذا ما جئته متهللاً   كأنّك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه   لجاد بها فليتق الله سائله

---

(1) البيتان في ديوانه ص92، وهما والخبر في طبقات السلمي ص341.

(2) في الأصل: تعوّدت، والأبيات لأبي تمّام: ديوان 2/ 203، والثاني منها ينسب إلى زينب بنت الطثرية وزياد الأعجم الوفيات 6/ 375.

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجّته المعروف والجود ساحله

ثم بكى وقال: بلى يا جواد فإنّك أوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم ثم مننت بعد ذلك على أقوام بالاستغناء عنهم وعما في أيديهم فإنك الجواد كل الجواد لأنهم يعطون عن محدود[1]، وعطاءك لا حدّ له[2]، فيا جواد[3] يعلو كل جوادٍ وبه جاد من جاد.

وقال بعضهم: كنا في بيته فأخَّر العصر ونظر إلى الشمس وقد تدلَّت للغروب فقال: الصلاة يا سادتي، فقام وصلى وأنشأ يقول مداعباً وهو يضحك ويقول ما أحسن من قال:

نسيت اليوم من عشقي صلاتي فلا أدري غداتي من عشائي
فذكرك سيدي أكلي وشربي ووجهك إن رأيت شفاء دائي[4]

وقال خير النساج: كنا في المسجد فجاء الشبلي، وهو في سكرة فنظر إلينا ولم يكلمنا فهجم على الجنيد في بيته وهو جالس مع زوجته وهي مكشوفة الرأس فهمَّت أن تغطّي رأسها فقال لها الجنيد: لا عليك ليس هو ههنا، فوقف بين يدي الجنيد وصفَّق وأنشد يقول[5]

عوَّدوني الوصال والوصل عذبٌ ورموني بالصد والصدُّ صَعْبُ
زعموا حين أزمعوا[6] أن ذنبي فرط وجدي[7] بهم وما ذاك ذنب
لا وحسنٌ والخضوع عند التلاقي ما جزا من يُحِبَ إلا يُحَبُّ

قال: ثم ولى الشبلي خارجاً فضرب الجنيد على الأرض رجليه

---

(1) في الأصل: حدود، والتصويب عن طبقات السلمي 346.
(2) بعده في طبقات السلمي: ولا صفة.
(3) في أصل: فيا جواداً.
(4) الأبيات والخبر في طبقات السلمي 344.
(5) الأبيات في ديوانه ص85 مع اختلاف في النص.
(6) في ديوانه: حين عاتبوا.
(7) في ديوانه: فرط حبي لهم.

وقال: هو ذاك يا أبا بكر هو ذاك، وخرَّ مغشياً عليه، وكان له خطفات وسكرات وغرقات توجب تلك السكرات، شطحات كان يقام عن العارفين عذره فيها، وينسب إلى الجنون عند عارفيها وكان كثيراً ما يتستر بالجنون عن غير أهل هذا الشأن حتى حبس مرات عديدة في البيمارستان، وروي أنه حبس في البيمارستان مرة فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم؟ فقالوا: أحبابك، جئناك زائرين، فأخذ يرميهم بالحجارة وهم يهربون منه، فقال: لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي.

قال أبو عبد الله الرازي[1] نزيل نيسابور: كساني ابن الأنباري صوفاً ورأيت على رأس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف، فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعاً لي، فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إليّ فتبعته وكانت عادته إذا أراد أن ابتعد التفت إليّ، فلما دخل داره ودخلت معه قال لي: انزع الصوف، فنزعته وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فأحرقهما.

وقال أحمد بن مقاتل المكيّ: كنت مع الشبلي ليلة في مسجد من شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام وأنا جنبه فقرأ الإمام: ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك فزعق زعقة قلت طارت بها روحه، وهو يرتعد ويقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب ويردد ذلك كثيراً.

وقال عبد الله بن علي[2]: اجتمعت ليلة مع الشبلي فقال القوال شيئاً فصاح الشبلي وتواجد فقيل له يا أبا بكر ما لك من بين الجماعة فقام وتواجد وقال:

---

(1) كذا في الأصل وإنما هو أبو سعيد، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي النيسابوري، المتوفى سنة 353ه الحلية 10/ 370.

(2) عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج، أبو نصر طاووس الفقراء، من طوس اتصل بالصوفية، وطاف البلاد حتى وصل مصر توفى سنة 378ه له اللمع في التصوُّف، نشره نيكولسون في سلسلة جب التذكارية سنة 1914 وشذرات الذهب 3/ 91 والعبر 3/ 7 وبروكمان 4/ 78.

لـي سـكـرتـان ولـلـنـدمـان واحـدة   شيء خصصت به من بينهم وحدي[1]

ووقع منه مرة أخرى مثل ذلك فقيل له يا أبا بكر أليس هؤلاء يستمعون معك فما لك من بينهم، فقام وتواجد وأنشد يقول:

لو يسمعون كما سمعت حديثها   خـرّوا لـعـزةٍ ركّـعـاً وسـجـوداً

ونقل عنه أنه قال: اعتقدت وقتاً أن لا آكل إلا من الحلال، فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل منها فنادتني الشجرة احفظ عليك عقدك ولا تأكل مني فإني ليهودي.

وحكي أن فقيهاً من أكابر الفقهاء يكنّى بأبي عمران، كانت حلقته بجنب حلقة الشبلي في جامع المنصور، وكان كلام الشبلي يعطل على أبي عمران وأصحابه، فسأله أصحابه يوماً عن مسألة الحيض، وقصدوا إخجاله، فأجاب الشبلي عنها وذكر مقالات الناس في تلك المسألة والخلاف فيها، فقام أبو عمران وقبّل رأس الشبلي وقال يا أبا بكر: قد استفدت في هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاث أقاويل.

وروي أن ابن بشار لقي الشبلي يوماً، وكان ابن بشار ينهي الناس عن الذهاب إليه والاستماع لكلامه فجعل الشبلي يكلمه وابن بشار يقول له: كم في خمس من الإبل، فلما أكثر قال له الشبلي: واجب الشرع شاة، وفيما يلزمنا كلها، فقال له ابن بشار: ألك في هذا القول إمام؟ قال: نعم أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث أخرج ماله كلّه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلفت لعيالك؟ قال: الله عز وجل ورسوله، فذهب [ابن] بشار ولم ينه بعد ذلك عن مجلسه.

وقال إبراهيم الحذّاء: كنت يوماً عند الشبلي جالساً وقد انصرف أكثر الناس عنه وبقي حوله جماعة فسألوه أن يدعوا لهم، فسكت ساعة ثم قال:

---

(1) لم يُذكرْ في ديوانه.

اللهم اضربهم بسياط الخوف واقتلهم بأزمة الشوق، وقلب نقمهم نعماً، وافتهم عن مؤلفات الرسوم، وأغنهم عن ملاحظات الفهوم، اغفر لهم إن انصرفوا عنك، ووفقهم إن أقبلوا عليك، خرّب منازل فنائهم، وعمّر منازل بقائهم، كن لهم كما لم تزل، أشغل اللهم الكل بمفارقة ثم أنشد يقول:

الناس كلهم بالعيد قد فرحوا ... وما فرحت به والواحد الصمد[1]
لما تبيَّن أني لا أعاينكم ... غضضت طرفي فلم أنظر إلى أحد[2]

ثم قال: إلهي طموح الآمال قد خابت إلا لديك، وعكوف الهمم قد تعطلت إلا عليك، ومذاهب المعارف قد قصرت إلا إليك.

وقال عبد الله بن إبراهيم: حضرت يوماً عند الشبلي فوقف عليه رجل أعرفه وتكلم وطوّل وادعى دعاوى عظيمة والشيخ ينظر إليه حتر فرغ من كلامه فأنشد الشبلي يقول:

أما الخيام فإنها كخيامكم ... وأرى نساء الحي غير نسائها[3]

وقال عبد الله بن إبراهيم: كنت عند الشبلي[4] في جامع الرصافة فأقبل إليه ناس كثير فلما قربوا منه تبادروا وقبّلوا رأسه، وجلسوا بين يديه وهم سكوت، ليس فيهم من يسأل ولا يتكلَّم ساعة طويلة، فأنشأ الشبلي يقول:

كفى خزناً بالوالد الصب أن يرى ... منازل من يهوى معطَّلة صفرا[5]

---

(1) رواية في الديوان ص97:
الناس في العيد قد سروا وقد فرحوا ... وما سررت به والواحد الصمد
(2) رواية الديوان ص97:
لما تيقنت أني لا أعاينكم ... غمضت طرفي فلم انظر إلى أحد
(3) ورد في البيت تلبي إبليس ص183 وإيقاظ الهمم 2/ 37 بدون عزو ولم يرد البيت في ديوانه.
(4) في الأصل: (إبراهيم).
(5) لم يذكر البيت في الديوان.

وكان كثيراً ما إذا جلس في حلقته ولا يسألونه يقول: ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون.

وروي: أنه خرج من بيته يوماً وعليه أطمار رثة فقيل له ما هذا يا أبا بكر فقال[1].

فيوماً[2] من ترانا بالخزوز نجرّها ... ويوماً ترانا بالحديد عوابسا
ويوماً ترانا بالثريد نبسّه ... ويوماً ترانا نأكل الخبز يابسا

وروي أنه لبس يوم عيد ثوبين جديدين، فرأى الناس يسلم بعضهم على بعض بقدر ثيابهم، فذهب وطرح ثيابه في تنور فقيل له: لم فعلت ذلك؟ قال: أردت أن أحرق ما يعبد هؤلاء، ثم لبس الثياب الزرق والسود وأنشأ يقول:

تزيَّن الناس يوم العيد للعيد ... وقد لبست ثياب الزرق والسود[3]
وأصبح الكل مسروراً بعيدهم ... ورحت فيكم إلى نوحي وتعديدي[4]

وأنشد:

عيدي مقيم وعيد الناس منصرف ... والقلب مني عن اللذات منحرف
ولي قرينان ما لي منهما خلَفٌ ... طول الحنين وعين دمعها يكفُ[5]

وَرُئِيَ في عيد آخر خارجاً من المسجد وهو يقول:[6]

إذا ما كنت لي عيداً ... فما أصنع بالعيد

---

(1) البيتان لم يذكرهما الديوان.

(2) في الأصل فيامن.

(3) البيتان في ديوانه ص98 من مقطعة.

(4) في الديوان ص98: وأصبح الكلُّ.

(5) في الأصل: فريقان، والتصويب عن الديوان ص111، وفي الديوان: طول الحميم وهو تحريف.

(6) هي في الديوان ص96.

جرى حبك في قلبي كجري الماء في العود

وحكي أنه فرق يوما ثيابه وقد دنا العيد فقيل له مزّقت كل ملبوسك، والعيد قد أقبل فالناس يتزينون وأنت هكذا فأنشأ يقول:

قالوا: أتى العيد ماذا أنت لابسه؟ فقلت خلعة ساقٍ حبه جرعا
فقرٌ وصبرٌ هما ثوباي تحتهما قلبٌ يرى إلفه الأعياد والجمعا
الدهر لي مأتمٌ - إن غبت يا أملي - والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا
أحرى الملابس ما تلقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب الذي خلعا

قال محمد بن عبد الله: كنت واقفاً على حلقة الشبلي فقام إليه رجلٌ فقال: يا أبا بكر ارفق بي حتى أسألك عن مسألة، فقال له: سل يا شيخ، فقال: أي الأعمال أرفع ثواباً؟ فقال متمثلاً:

إذا محاسني اللاتي دللت بها كانت ذنوباً فقل لي كيف أعتذر

قال أحمد بن الحسين البغدادي: كان الشبلي يقول لمن يدخل عليه: أعندك أثر أو عنك إثم ثم ينشد:

أسائِلُ عن سلمى فهل من مُخبِّرٍ بأنّ له عِلمٌ بها أين تَنْزِلُ[1]

ثم يقول: لا وعزتك ما في الدارين عنك مخبر.

وقال: أحمد بن الخياط: كثيراً ما كان الشبلي ينشد:[2]

ولي فيك يا حسرتي حسرة تقضي حياتي وما تنقضي

قال أبو علي الأعرج: كنت في حلقة الشبلي فبكى رجل حتى علا صوته، وبكا الشبلي وأهل الحلقة ببكائه فأنشأ الشبلي يقول:[3]

---

(1) الأبيات لم تذكر في ديوانه.
(2) الأبيات لم تذكر في ديوانه.
(3) الأبيات لم تذكر في ديوانه.

أنافعي دمعي فأبكيكا هيهات ما لي مطمع فيكا
لو كنت ترثي للذي نالني أقصرت عن بعض تجنّيكا

وقال التميمي: وقفت على الشبلي فرأيته يبكي وهو يقول: لا أشك أني قد وصلت ولا أشك أن الموصول درى ولكنني أبكي ثم أنشد متمثلاً[1]:

فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ويبكي إن دنو خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي وتبرد عينه عند التلاقي

ونقل عنه أنه قال: ضاقت علي أوقاتي وتقسمت أفكاري ببغداد فوقع في خاطري أن انحدر إلى البصرة فاستكريت سمارية وركبتها، فلما بلغت البصرة وخرجت من السمارية زاد عليّ ما كنت أجدهُ في بغداد أضعاف ذلك فعدت وركبت تلك السمارية ورجعت إلى بغداد، فلما بلغت دار أمير المؤمنين سمعت جارية تغني له في التاج وتقول:

أيا قادماً من سفرة الهجر مرحبا أنا ذاك ما أنساك ما هبّت الصبا

قدمت على قلبي كما قد تركته كئيباً حزيناً بالصبابة متعبا

فلما سمعت غناها طرحت نفسي في دجلة، فقيل: أدركوا الرجل فأخذوني إلى الشاطيء، فقال المقتدر من هذا؟ قالوا: أبو بكر الشبلي، فحملت إليه، وأوقفت بين يديه، فقال: يا أبا بكر، يبغلنا عنك في كل وقت أعاجيب، فما هذا؟ فقصصت عليه القصة وخرجت، وقال أبو العباس البغدادي: كنا جماعة من الأحداث نصحب أبا الحسين بن أبي بكر الشبلي وهو حدث يكتب الحديث ، فأضافنا ليلة أبو الحسين فقلنا له بشرط أن لا يدخل علينا أبوك فقال: لا يدخل، فدخلنا داره فأكلنا، وإذا نحن بالشبلي وبين كل إصبعين من أصابعه شمعة فكانت في [كلتا] يديه ثمان شموع، فجاء وقعد في وسطنا فاحتشمنا منه فقال لنا: يا سادتي عدوني فيما بينكم

---

(1) البيتان مما تمثل بهما الشبلي ولم يذكرها المحقق في ديوانه (قسم ما تمثل به الشبلي).

طست شمع، ثم قال: أين غلامي أبا العباس، فتقدمت إليه فقال لي: غني الصوت الذي كنت تغني، فغنيت فقلت:

ولـمـا بـلـغ الـحـيـرة حـادي جـمـلـي حـارا
فـقـلـت أحـطـط بـهـا رجـلـي ولا تـعـبـأ بـمـن سـارا

فتغير وجهه، وألقى الشموع من بين يديه وخرج.

وحكي عنه أنه قال: كنت أسير في البادية، فإذا برجل جالس في الهواء، فقلت له: بحق الذي أعلاك على ما أرى، بم وصلت إلى هذا الموضع؟ فقال: أنا رجل انتهيت عن الهوى، فأجلسني في الهوا كما ترى.

وروي أن رجلاً صاح في مجلس الشبلي فرمي به في دجلة وقال: إن كان صادقاً فإن الله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام، وإن كان كاذباً فإن الله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون، وأنشد يقول:[1]

جـور الـهـوى أحـسـن مـن عـدلـه ... وبـخـلـه اصـرف مـن بـذلـه
لـو أنـصـف الـحـبُّ لأهـل الـهـوى ... لـمـات كـل الـنـاس مـن عـدلـه

وقيل له: إن أبا تراب النخشبي[2] جاع في البادية فرأى البادية كلها طعاماً، فقال: عبد رفق به ولو بلغ إلى حمل التحقيق لكان كمن قال: إني أظلّ عند ربي يطعمني ويسقيني.

وقيل له: نراك جسيماً سميناً والمحبة تضني، فأنشأ يقول:[3]

أحـبَّ قـلـبـي ومـا درى بـدنـي ... ولـو درى مـا أقـام فـي الـسـمْـنِ

وسئل عن الزهد فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء.

---

(1) البيتان لم يذكرهما الديوان.

(2) أبو تراب النخشبي، عسكر بن حصين، من الزهاد من أهل خراسان، صحب أبا حاتم العطار وحاتماً الأصم، توفي في البادية سنة 245، طبقات السلمي 146 وحلية الأولياء 10/ 45 وصفة الصفوة 4/ 145 والرسالة القشيرية ص28.

(3) البيت لم يذكر في الديوان.

وقيل له: ما الدنيا؟ فقال: قدر يغلي، وكنيف يملي.

وسئل عن الوفاء فقال: هو الإخلاص بالنطق واستغراق السرائر بالصدق.

وقيل له: بم يُقْمع الهوى؟ فقال: برياضات الطباع وكشف القناع.

وروي: أن الجنيد قال له يوماً: لو رددت أمرك إلى الله لاسترحت، فقال له الشبلي: يا أبا القاسم: لو ردّ الله أمرك لاسترحت، فقال الجنيد: سيوف الشبلي تقطر الدماء.

وقال له رجل: ادع الله لي، فأنشد متمثلاً:

مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع[1]

وقيل له: هل يتحقق العارف بما يبدو له؟ فقال: كيف يتحقق بما لا يثبت؟ وكيف يطمئن بمن لا يظهر؟ وكيف يأنس بمن لا يخفى؟ فهو الباطن الظاهر والظاهر الباطن[2]، ثم أنشد يقول:

فمن كان في طول الهوى ذاقَ سلوةً فإني من ليلى لها غير ذائقِ

وأكثر شيء نلته من نوالها أمانيّ لم تصدق كلمحة بارقِ

وقال عبد الله البصري[3]: سئل الشبلي وأنا حاضر، إلى ماذا تحنّ قلوب أهل المعارف؟ فقال: إلى بدايات ما جرى في الغيب من حسن العناية في الحضرة بغيبتهم عنها وأنشد يقول:

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة معهدا[4]

---

(1) الديوان ص163.

(2) في طبقات السلمي 247: وكيف يطمئن إلى ما لا يظهر؟ وكيف يأنس ما يخفى؟ فهو الظاهر الباطن، الباطن الظاهر، والبيتان للمجنون كما في الأغاني 2/ 34.

(3) هو أبو العباس عبد الله بن علي البصري، والخبر في طبقات الصوفية ص348.

(4) البيت في طبقات السلمي ص348 بدن نسبه وهو لأبي تمام الديوان 1/ 479.

وقال عبد الله بن علي البصري:[1]

أظلّت علينا اليوم منك سحابةٌ أضاءت لنا برقاً وأبطا رشاشها[2]
فلا غيمها يجلو فيأيسُ طامع ولا غيثها يأتي فيروى عطاشها

وقال: ليس للمريد فترة ولا للعارف علاقة، ولا للمحب سكون، ولا للصادق دعوى، ولا للخائف قرار ولا للخلق من الله تعالى فرار.

وسئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا ربكم عز وجل العافية، فقال: أهل البلاء أهل الغفلة عن الله عز وجل.

وسئل عن قول بعضهم: لا تغرنكم هذه القبور، وهدّوها فكم فيها من فرح مسرور وداعٍ بالويل مثبور فقال للسائل: أيما هي عندك القبور؟ قال: قبور الأموات، فقال: لا بل أنتم القبور، لأن كل واحد منكم مدفون، والمعرض عن الله تعالى داعٍ بالويل والثبور والمقبل على الله هو الفرح المسرور، ثم أنشأ يقول:

قبور الورى تحت التراب وللهوى رجال لهم تحت الثياب قبور[3]

فقال له السائل: يا سيدي أو تعدّ في الموتى، فقال:

يحبك قلبي ما حييت فإن أمُت يحبك عظم في التراب رميم[4]

وقيل له: يا أبا بكر، ما علامة الإفلاس؟ فقال: الإستيناس بالناس.

وقال أبو العباس الدامغاني: أوصاني الشبلي فقال: الزم الوحدة وامح نفسك عن القوم، واستقبل الجدار حتى تموت، وقيل له: لم تصفر

---

(1) في الأصل علي بن عبد الله البصري، والتصويب عن طبقات السلمي، كما سبق ذكره.

(2) البيتان لبشار بن برد كما في الأغاني 3/ 185 والعقد الفريد 1/ 386 والمختار من شعر بشار ص65 ولعبد الصمد بن الفضل الرقاشي كما في عيون الأخبار 3/ 125

(3) الديوان ص102 وفي الأصل المخطوط: الهوى... فوق الثياب.

(4) الديوان ص123.

الشمس عند الغروب؟ فقال: لأنها عزلت عن مكان التمام فاصفرّت لخوف المقام، وهكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه لأنه يخاف المقام فإذا طلعت الشمس طلعت مضيئة، وكذلك المؤمن إذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق، وقال له رجل: إلى ماذا تستريح قلوب المشتاقين؟ فقال: إلى سرور من اشتاقوا إليه وموافقته وأنشد:

أسرّ بمهلكي فيه لأنّي ... أسرّ بما يَسُرُّ الالف جدّا[1]

ولو سألت عظامي عن بلاها ... لأنكرت البلى وسمعت مجدا

ولو أخرجت من سقي لنادى ... لهيب الشوق بي يسأله ردا

وقال أبو بكر الرازي[2]: سمعت الشبلي يقول: ما أخرج الناس إلى سكرة، فقلت: يا سيدي أي سكرة؟ فقال: سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم، وأنشأ:ـ

ويحسبني حياً وإني لميت ... وبعضي من الهجران يبكي على بعضِ[3]

وأنشد أيضاً:

وإني وإياه لفي الحب صادق ... نموت بمن نهوى جميعاً ولا نبدي[4]

وأنشد أيضاً:

ومن أين لي أين وإني كما ترى أعيش بلا قلب وأسعى بلا قصد[5]

---

(1) في الأصل: وليس بمهلكي.... أسرّ بما يسؤ، ولا يستقيم المعنى، والتصويب عن طبقات السلمي ص348. والأبيات أخل بها ديوانه.

(2) أبو بكر الرازي، محمد بن عبد الله بن عبد العزيز، كان جوالاً كثير الأسفار، صحب المتصوفين، توفي بنيسابور سنة 386هـ، تاريخ بغداد 5/ 464 وميزان الاعتدال 3/ 85.

(3) الخبر والبيت في طبقات السلمي ص345، وهو له في الديوان ص108، ورواية الصدر: وتحسبني.

(4) في الأصل: ولا ندري، والتصويب عن الديوان ص97.

(5) الديوان ص95.

وقال له لرجل: هل شاهده أحد بحقيقته؟ فقال: الحقيقة بعيدة، ولكن ظنون وأمانٍ وحسبان، وأنشأ يقول:

وكذبت طرفي فيك والطرف صادق ... وأسمعت أذني منك ما ليس تسمع
ولم أسكن الأرض التي تسكنونها ... لئلا يقولوا: إنني بك مولع
فلا كبدي تهدا ولا لك رحمةٌ ... ولا عنك إقصاء ولا فيك مطمع[1]

فإذا تراءى له تحقيق حال، شوَّشه بالتلبيس والإشكال.

وروى أن رجلاً وقف عليه فقال له: أي صبر أشد على الصابرين؟ فقال: الصبر مع الله تعالى، فقال: لا، قال: الصبر في الله، فقال: لا، قال: الصبر لله، فقال: لا، فقال: فايش؟ قال الصبر عن الله، فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف معها.

وسئل عن الفقر فقال: للفقراء أربعمائة درجة أدناها لو كانت الدنيا كلها لك فأنفقتها في يوم واحد، ثم خطر ببالك إن لو أمسكت قوت يوم لم تصدق في فقرك.

وسئل عن قوله تعالى: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين، فبكى وقال: إملأها من الشبلي، وأعف عن عبيدك.

وسئل عن القلب السليم فقال: هو قلب إبراهيم عليه السلام، كان يسير بقلبه من تحته إلى الوفاء ومن فوقه إلى الرضا ومن يمينه إلى العطاء ومن شماله إلى المنى ومن أمامه إلى اللقاء، ومن وراءه إلى البقاء.

وسئل عن المحبة فقال: إن المحبة كأس لها وهج وإذا استقرت في الحواس فنيت وإذا تمكنت في النفوس تلاشت ثم أنشأ يقول:

إن المحبة للرحمن تسكرني وهل رأيت محباً غير سكران[2]

---

(1) الخبر والأبيات في طبقات السلمي ص347، وهي في ملحق ديوانه ص143، وورواية صدر الثالث في الديوان: تهدأ (بالهمزة) وهو خطأ تم تصحيحه.

(2) في الأصل أسكرني والتصويب عن الديوان ص129.

وقال: سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب، وقال أيضاً: المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك، وقال: المحب إذا سكت هلك والعارف إن لم يسكت هلك وأنشد:

يا أيها السيد الكريمُ حبك بين الحشا مقيمُ
يا دافع النوم عن جفوني أنت بما حلّ بي عليم[1]

وقال طاهر بن محمد البغدادي: قيل للشبلي: هل يقنع المحب بشيء دون مشاهدة محبوبه فأنشأ يقول:

والله لو أنّك توّجتني بتاج كسرى ملك المشرق
ولو بأموال الورى جدّت لي أموال من باد ومن قد بقي
وقلت لي لا نلتقي ساعة أجبت يا مولاي أن نلتقي[2]

وقال محمد بن عبد الله الرازي: دخلت على الشبلي وعنده رجال يسألونه عن حال المحب في مشاهدة محبوبه فقال: لا أدري غير أن رجلاً من أهل البصرة كان ينشد ما يقرب منه فيقول:

إن لو ترانا والأحبة بيننا لرأيت غزلاناً تصيد سباعا
بل لو ترى تلك البقاع وحسنها لحسبتهن من الجنان بقاعا
شوقي طباع واصطباري كلفةٌ وأرى التكلف لا يزيل طباعا

وقال الخلدي: ما استهنت من الشبلي إلا يوماً واحداً، كان جالساً في حلقته بمسجد الجامع فجاءه رجل فقال له: يا أبا بكر هل يعرف المحب أنه محب؟ قال نعم، إذا كتم حبه فظهر عليه مع كتمانه وأنشد[3]:

قد سَحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفَرَّقَ الناسُ فينا قولَهم فِرَقا

---

(1) البيتان في الديوان ص122رواية عجز الأول: حبك في الحشا مقيم والصحيح ما اثبتنا، ورواية عجز الثاني: أنت بما مر بي عليم.
(2) المقطعة لم تذكر في الديوان.
(3) البيتان لم يذكرا في الديوان.

فكاذب قد رمى بالظن عبدكم وصادق ليس يدري أنه صدقا

وقال منصور بن عبد الله، سئل الشبلي وأنا حاضر، هل يبلغ الإنسان بجهده إلى شيء من طريق الحقيقة؟ فقال: لابد من الاجتهاد والمجاهدة لكنهما لا يوصلان إلى شيء من الحقيقة لأن الحقيقة ممتنعة عن أن تدرك بجد واجتهاد، وإنما هي مواهب يصل العبد إليها بإيصال الحق إياهم لا غير، وأنشد على أثره:

أسائلكم عنها فهل من مُخَبِّرٍ فما لي بنعم بعد مَكّتنا علم
فلو كنت أدري أين خيّم أهلها وأي بلاد الله إذ ظعنوا أمّوا
إذا ما سلكنا مسلكَ الريحِ خلفها ولو أصبحت نُعم ومن دونها النجمُ

وقيل له يوماً: بأي عمل يصل العبد إلى سيده ومولاه؟ فقال: بالغيبوبة عن رؤية علمه والاعتماد على سابق فضله، فمن طلبه بالمجاهدات فهو بعيد في عين مطالبته عن مطلوبه وأنشد:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شاميّة إذا ما استقلّت وسهيلٌ إذا ما استقل يماني[1]

وقيل له: متى تستريح؟ فقال: إذا لم أر له ذاكراً، وقيل أنه إذّن مرة فلما بلغ الشهادتين قال: لولا أنّك آمري ما ذكرت معك غيرك.

قلت: هذه قضية الغيرة الحبيّة، وقد مرّ أنه قال: المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبّه مثلك وسئل عن السماع فقال: ظاهره فتنة، وباطنه غيره، فمن عرف الإشارة حلّ له استماع العبرة وإلا فقد تعرض للفتنة.

وقال: قدس الله روحه: التصوف الجلوس مع الله تعالى بلاهم، والصوفي منقطع من الخلق متصل بالحق، كقوله تعالى: واصطنعتك لنفسي، قطعه عن كل غير ثم قال: لن تراني.

(1) البيتان لعمر بن أبي ربيعة الأغاني 1/ 127.

وقال: الصوفية أطفال في حجر الحق، وقال: الصوفي بكلّ عهد الله موفي، وقيل له: لم تسمّون الصوفية بهذا الاسم؟ قال: لبقية بقيت عليهم من نفوسهم، ولولا ذلك ما تعلقت بهم تسمية. وقال مرة أخرى: الصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك، وقال مرة أخرى: التصوف التعطف والتألّف، وقال: من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقّة لثقل ما حمل.

وقيل له: أخبرنا عن توحيد مجرّد، بلسان حق مفرد، فقال: ويحك من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن أومى إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن وهم إنه واصل فليس له حاصل، ومن ادعى إنه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد، وكلّما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتمّ معانيكم فهو مصووف مردود إليكم، محدث مصنوع مثلكم.

وقال لرجل: لم لا يصح توحيدك، فقال: لا قال: لأنك تطلبه بك، وقال: ما شم رائحة التوحيد من تصور عنده التوحيد.

وقال: كيف يصح لك التوحيد، وكلما ملكت شيئاً ملكك، وكلما أبصرت شيئاً أشرك، وقال: من عرف الله تعالى لا يكون له غم أبداً، وقال: قلوب أهل الحق طائرة إليه بأجنحة المعرفة ويستبشرون إليه بموالاة المحبة، وقال: من كان بالحق تلفه، كان الحق خلفه، وقال: رفع الله قدر الوسائط بعلو همتهم، فلو جرى على الأولياء ذرّة مما كشف للأنبياء صلواة الله وسلامه عليهم أجمعين لبطلوا وتقطعوا.

وقال: ربي حظل[1] ذل اليهود وقال: ما ظنك بمعنى هي شموس بل الشموس فيه ظلمة ثم قال:

إذا ما دجانا الليل كنا كواكباً جلوساً حواليها وكانت هي البدر

(1) حظل... حجر، والحظل: لمنع من التصرف والحركة لسان العرب 1/ 666.

وقال علي بن إبراهيم: سمعت الشبلي يقول: ليس في الوقت مزح، الوقت جد كله، وأنشأ:

ودادكم هجر وحبكم قلى ... ووصلكم صرم وسلمكم حرب[1]
وأنتم بحمد الله فيكم فضاضة ... كل ذلول من أموركم صعب

وقال أبو سهل محمد بن سليمان: سمعت الشبلي يقول: أحبّك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك وأنشأ يقول:

وكل مآربي قد نلت منها ... سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

وقال قدس سره: ذكر الغفلة يكون جوابه اللعن وأنشد[2]:

ما أن ذكرتك إلا هم يلعنني ... ذكري وسري وفكري عند ذكراكا
حتى كان رقيباً منك يهتف بي ... إياك ويحك والتذكار إياكا[3]

وقال أبو سهل محمد بن سليمان: سمعت الشبلي يقول: من فني عن نفسه وقام الحق بتوليه لا ينكر له تقليب الأعيان وإيجاد المفقود وأنشد:[4]

له راحة لو مسّت الصخر أينعت ... جوانبه ماء وأورق يابسُهُ
إذا وجهه أو نابه أو نعاله ... تبلّجن في ليل تجلّت حنادسه

وقال علي بن عبد الله: سمعت الشيخ الشبلي يقول: الوجد اصطلام ثم أنشد:[5]

الوجد عندي جحود ... ما لم يكن عن شهودي
وشاهد الحق عندي ... يُغني شهود الوجود

---

(1) البيتان من قصيدة للعباس بن الأحنف من قصيدة ديوانه ص270.
(2) البيتان لم يذكرا في الديوان.
(3) البيتان في الرسالة القشيرية ص174 بدون عزو ولم يذكرا في الديوان.
(4) البيتان لم يذكرا في الديوان.
(5) البيتان له في ديوانه ص100 برواية عجز الثاني ينفي شهود....

وقال: ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور.

قال أبو محمد الهروي: مكثت عند الشبلي الليلة التي مات فيها فكان ينشد ليلته هذين البيتين:

كل بيتٍ أنت ساكنة ... غير محتاجٍ إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم تأتي الناس بالحجج
لا أتاح الله لي فرجاً ... يوم أدعو منك بالفرج[1]

وقيل له عند وفاته: قل لا إله إلا الله فقال:

قال سلطان حبّه ... أنا لا أقبل الرشا
فسلوه - فديته - لم بقتلي تحرشا[2]

وقال جعفر الخلدي: سئلت بكران الدنيوري وكان يخدم الشبلي فقلت له: ما الذي رأيت منه؟ فقال: قال لي عليّ درهم واحد مظلمة، وقد تصدقت عن صاحبه ألوف فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: أوضئني للصلاة، ففعلت، فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسك على لسانه، فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات، فبكى جعفر الخلدي وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة.

ورآه بعض الصالحين في المنام بعد موته، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي إلا على شيء واحد، وذلك إني قلت يوماً: لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار، فقال لي:

---

(1) رويت هذه الأبيات للشبلي في اللمع ص28 وتاريخ بغداد 14/ 396 والكواكب الدرية 2/ 33 والرسالة القشيرية ص235 ومعجم البلدان وكشكول العاملي 1/ 273، وهي لعبد الصمد بن المعذل تمثل بها الشبلي كما في المدهش 216 وديوان الصبابة على هامش تزيين الأسواق 2/ 69، وهي لديك الجن في ديوانه ص161، فهي من الشعر المتدافع (أي نسب لأكثر من واحد).

(2) الديوان ص107 وقد وردت في الأصل، متصلة الصدر بالعجز، والخبر والبيت في الرسالة القشيرية ص237.

وأي خسارة أعظم من خسران لقائي، ورآه غيره في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: ناقشني حتى أيست، فلما رأى أياسي تغمدني برحمته.

وقال عمر بن يحيى: رأيت في المنام كأني جالس في مسجد الرصافة فإذا أنا بالشبلي يقبل، فقمت إليه وقضيت من حقه حتى جلس، فقلت: يا سيدي من أقرب أصحابك إليك؟ فقال لي مسرعاً ألهجهم بذكر الله، أقومهم بحق الله تعالى، وأسرعهم مبادرة في مرضات الله تعالى،

وعاش روح الله روحه سبعاً وثمانين سنة، ومات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، ودفن في بغداد، في مقبرة الخيزران المعروفة الآن بالقصبة الأعظمية، يتبرك به ويزار.

77 ـ أبو الحسين محمد بن أحمد النوري[1]

ومنهم أبو الحسين محمد النوري قدس سره، هو أبو الحسين محمد بن محمد بن أحمد النوري، ورأيت في بعض الكتب، ولكن الأول في بعض الكتب إنه أحمد بن محمد النوري ولكن الأول أصح كذا قيل.

قال المؤلف ما حاصله: واشتهر بابن البغوي، بغدادي المولد والمنشأ.

قلت: وأصله من قرية بين هراة ومرو الروذ[2] تسمى بغشور[3] ولذلك اشتهر بابن البغوي، لأن النسبة إلى بغشور بغوي. كان أوحد زمانه علماً وعملاً وقدوة أهل الطريقة قالا وحالا، وكان يقال له أمين القلوب، وقمر الصوفية، وفي تذكرة الأولياء أنه تتلمذ على السري السقطي قدس سره، وكان من أقران الجنيد، وكان إذا تكلم لمعت الأنوار من فيه، وإذا جلس في رباطه منفرداً ظهرت الأنوار فيه، ولذلك عرف بالنوري،

قلت: ورأيت في كلام بعض الأكابر ما نصه: قال التفليسي: كان أبو

---

(1) ترجمته في: طبقات الصوفية 164، وحلية الأولياء 10/ 249، وصفة الصفوة 2/ 294 وطبقات الشعراني 1/ 26 والمنتظم 6/ 77 وتاريخ بغداد 5/ 130 والبداية والنهاية 11/ 106 والرسالة القشيرية ص133.

(2) معجم البلدان 5/ 112.

(3) ويقال لها بغ أيضاً أنظر معجم البلدان بغشور وبغ معجم البلدان 1/ 468.

الحسين النوري إذا دخل مسجد الشونيزي انقطع ضوء السراج، وإذا حضر معنا لا يؤذوننا البراغيث.

روي: أنه كان في بدء أمره مكث عشرين سنة يخرج من بيته ويحمل معه الخبز ثم يتصدق به في الطريق ويدخل مسجداً يصلي فيه إلى قريب من الظهر، ثم يدخل السوق ويفتح باب حانوته ويصوم فكان أهله يظنون أنه يأكل في السوق وأهل السوق يظنون أنه يأكل في بيته فبقي كذلك إلى مضي عشرين سنة.

ونقل عنه أنه حدث عما جرى عليه من الأحوال في سلوك الطريق فقال: اشتغلت بالرياضة والعبادة عدة من السنين فلم يفتح عليّ، ولم يزل طائر الروح مسجوناً في قفص مكائد النفس الأمارة، فبالغت في الرياضة والعبادة والمجاهدة، فلم أزل كما كنت، فقلت: لأعدمن وجودي أولا بلغنّ مقصودي، وحدثت نفسي وعاتبتها، فقلت: أما كفاك أن تتبعي الهوى، وتسلكي سبيل الردى، وترفلي في ثياب الغفلات، وتجولي في ميادين المشتهيات، إلى متى أنت في رذائل الأوصاف، فقد سبقك الأرذال والأشراف، أما لك إنقاء، أما لك إنصاف، ثم اعتزلت عن الناس، وتجنبت عن المخالطة بهم والاستئناس، ولازمت الخلوة أربعين سنة، لا أذوق طعم النوم ولا سِنة، فلما رجعت إلى أحوالي، وتبينت بعد ذلك مالي، رأيت نفسي خالية عن الأحوال، عارية عن لباس أهل الكمال، فتفكرت في ذلك وتفحصت عن علّة ضيق المسالك، فوجدت ذلك بسبب موافقة النفس والقلب في تسويل الأعمال وحب المقاصد والرغبة في الآمال، فسلكت سبيل اليأس والحرمان، وقطعت الرجاء عن كل ما سوى الرحمن، فنلت بقطع الرجاء المرتجى، وجئت إلى شاطئ دجلة للاختبار عن حالي وتحقيق بلوغ آمالي، وأرسلت إليها شبكة فقلت: إن كنت من المقبولين فتخرج الشبكة بسمكة، فخرجت وفيها سمكة كبيرة، فحمدت الله تعالى بمحامد كثيرة، وأتيت الجنيد وقصصت عليه القصة فقال: يا أبا الحسين ليست هذه كرامة، وإنما هي أفعى الندامة وإنما الكرامة ما كانت،

ولم تكن في البين، وظهرت من دون وجود الاثنين.

قلت: ورأيت حكاية أمر السمكة بوجه آخر، قال أبو العباس بن عطاء، سمعت أبا الحسين النوري يقول: كان في نفسي من هذه الآيات شيء، فأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت، وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لحم لأغرقنّ نفسي، قال فخرجت سمكة فيها ثلاثة أرطال، فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان من حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه، انتهى.

وروى أن أحد خواص الخليفة كان يعادي الصوفية، وينكر عليهم ويكفرهم، فسعى بهم إلى الخليفة، فأمر بإحضارهم وضرب أعناقهم، وفيهم الجنيد والرقام والشبلي والنوري وأبو خمرة وغيرهم، فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم، فتقدم النوري فقال له السياف: أتدري لماذا تبادر؟ قال: نعم، قال: فما الذي أعجلك؟ قال: أوثر أصحابي بحياة ساعة فتحير السياف وأنهى الخبر إلى الخليفة، فردّ أمرهم إلى القاضي ليتعرّف حالهم، فنظر القاضي إليهم وخاطب الشبلي أولاً لما ظنّ به من الجنون، وقال له: كم زكاة عشرين درهماً؟ فقال: عشرون درهماً ونصف درهم، فقال: من أعطى الزكاة هكذا؟ قال: الصديق رضي الله عنه حيث بذل لله ولرسوله ما كان يملكه، فقال: أحسنت فما معنى نصف الدرهم؟ قال: كفارة تلك الدراهم.

قلت: قد مرّ في ترجمة الشبلي قدس سره هذا السؤال والجواب بغير هذا الوجه في غير هذا المعرض، ويحتمل تعدد لوقوع والله أعلم، ثم ألقى القاضي على الجنيد مسائل فقيه فأجاب عنها، ثم إلى النوري فأجاب عن الكل، ثم قال: إن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله، ثم سرد ألفاظاً أبكى القاضي، فأرسل القاضي إلى الخليفة وقال: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم، فأكرمهم الخليفة بعد ذلك وبالغ في إكرامهم، وقال: سلوني حوائجكم، فقالوا: حوائجنا أن تنسانا، فبكى الخليفة وأمرهم بالرجوع إلى منازلهم

وقيل عنه أنه قال: حيل بيني وبين قلبي أربعين سنة، وما اشتهيت شيئاً ولا تمنيت شيئاً، ولا استحسنت شيئاً منذ عرفت ربي

قلت، وأنشد لنفسه:

ذكرت ولم أذكر حقيقة ذكره ... ولكن بداوي الحق تبدوا فانطق
إذا ما بدى ذكر لذكرٍ ذكرته ... يغيبني عن ذكر ذكري فأغرق
واغرق بالذكر الذي قد ذكرته ... عن الذكر بالذكر الذي هو أسبق

وحكي عنه أيضاً أنه قال: طلبت من الله تعالى حالاً دائماً فهتف بي هاتف وقال: لا يقدر أن يحتمل الدوام إلا الدائم.

روت الثقات أن أهل القادسية سمعوا في ليلة صوتاً ينادي عليهم ويهتف بهم ويقول: إن في وادي السباع ولياً من أولياء الله تعالى قد حبسه الأسد فعليكم به، فمضوا جميعاً إلى ذلك الوادي فرأوا النوري بين يدي أسد كاد أن يهلكه، فخلصوه منه وسألوه عن حاله فقال: إن الجوع قد بلغ مني الجهد في هذه البيداء، فجعلت أسير وأدور، وإذا أنا بالخبز والتمر فاشتهتهما نفسي، وطلبت أن أطعمها، فلما رأيت الشهوة باقية في نفسي فقلت: لان أجعلها طعمةً للأسد أولى من أن تكون أسيرة الشهوات.

وحكي: أنه وقعت النار في سوق بغداد فاحترقت أموال كثيرة وناس كثيرون وكان في حانوت من الحوانيت غلامان روميان من أحسن الغلمان لبعض التجار، فأحاطت بهما النار، فأتى مولاهما واستغاث بالناس وقال: من يخلصهما من هذه النار فله ألف دينار، وكان أبو الحسين النوري من جملة من حضر هناك، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ودخل النار في الحانوت وأخذ بأيدي الغلامين وأخرجهما وسلّمهما بيد سيدهما، فأتى المولى بألف دينار ووضعها بين يدي النوري فلم يقبلها وقال: عليك بشكر الله تعالى فإني ما حزت هذه المنزلة إلا بزهدي عن الدينار والدرهم.

وذكر مولانا الجامي قدس سره السامي في نفحات الأنس إن أبا الحسين النوري صحب ذا النون المصري ومحمد بن علي القصاب وأحمد

بن أبي الحواري والجنيد قدس الله أسرارهم وأفاض علينا أنوارهم ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائتين.

قلت نقل عن أبي نصر السراج أنه قال: كان سبب موت أبي الحسين النوري أنه سمع هذا البيت:

لازلــت أنــزل مــن ودادك مــنــزلا تـتـحـيَّـر الألـبـاب عـنـد نـزولـه

فتواجد وهام في الصحراء فوقع في أجمة قصب قطعت وبقيت أصولها حادة مثل السيوف فكان يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم وقع مثل السكران وقد ورمت قدماه ومات، وقيل له عند النزاع قل لا إله إلا الله فقال: أليس إليه أعود[1]، ودفن ببغداد في قصبة سيدنا الإمام الأعظم في موقف معروف يزار ويتبرك به، انتهى ما ذكره المؤلف مع ما زدنا عليه، ولنذكر ما فاته من بعض مناقبه وكلماته والله الموفق فنقول:

ذكر في طبقات الأولياء لبعض الأصفياء قال أحمد بن إبراهيم المقري: كان أبو الحسين النوري لا يسأل أبداً عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، غير أنه كان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه، فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين ليتوضأ للصلاة إذ رأى زورقاً فيه ثلاثون دناً مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف شيئاً يعبر عنه بلطف، فقال للملاح: أيش هذا الدنان؟ قال: وأيش عليك أمض لشانك؟ فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشاً إلى معرفته فقال له: أحب أن تخبرني أيش في هذا الدنان فقال له الملاح: أنت والله صوفي فضولي، هذا خمر للمعتضد بالله، يريد أن يتم مجلسه، فقال النوري: أوهذا خمر؟ قال: نعم، قال: أحب أن تعطيني ذلك المردي، فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه: أعطه المردي حتى أنظر ما

(1) الخبر في الرسالة القشيرية ص238 وفي الأصل ألبس أعود إليه هذا والتصويب عن القشيرية.

يصنع؟ فلما صار المردي بيده صعد إلى الزورق فلم يزل يكسر الدنان دناً دناً حتى أتى على آخرها إلا دناً واحداً والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ مونس أفلح[1] ، فقبض على النوري وأشخصه بين يدي المعتضد، وكان المعتضد سيفه قبل كلامه، ولم يشك الناس أنه سيقتله، قال: فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي من حديد وبيده عمود يقلبه، فلما رآني قال لي: من أنت؟ قلت: محتسب. فقال: من ولاك الحسبة؟ قلت: الذي ولاك الخلافة ولاني الحسبة، قال: فأطرق رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إليه وقال: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقلت: شفقة مني عليك، فبسطت يدي إلى صرف مكروه عنك، فأطرق مفكراً من كلامي ثم رفع رأسه إلي وقال لي: كيف تخلّص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ فقلت: في خلاصة سرٍّ خفي، أخبر به أمير المؤمنين إن أذن لي، فقال: أخبرني، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إني أقدمت على الدنان كلها بمطالبة الحق لي بذلك، فلما غمر قلبي من مشاهدة الإجلال للحق عز وجلّ، وخوف المطالبة، غابت هيبة الخلق عني فأقبلت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن، فامتلأت نفسي كبراً وفخراً حيث أقدمت على مثلك يا أمير المؤمنين، فامتنعت لذلك من الدن الباقي، فلو بقيت على الخاطر الأول لكسرت ملأ الدنيا ولم أبال، فقال المعتضد: اذهب فقد أطلقنا يدك فغير ما أحببت تغييره من المنكر، فقلت: يا أمير المؤمنين بغّض إلي التغيير لأني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن صرت أغير شرطياً، ثم قال لي: ما حاجتك؟ قلت: حاجتي أن تأذن لي بالخروج فأذن له فانحدر إلى البصرة، فأقام بها إلى أن مات[2] المعتضد خوفاً أن يُسأل الشفاعة إليه في حاجة، ثم عاد إلى بغداد.

وروي أن جماعة من الشيوخ اجتمعوا في منزل يونس بن أبي حليمة ببغداد على سماع وفيهم الجنيد والنوري ورويم وابن وهب وغيرهم إلى أن

---

(1) كذا في الأصل ولعله مؤنس العجلي صاحب الحرس أيام المعتضد.

(2) مات المعتضد سنة 289، مروج الذهب 2/ 525.

مضى بعض الليل أو أكثره فلم يتحرك منهم أحد ولا أثر فيه القول، فقال الجنيد: يا أبا الحسين، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب، فأنت يا أبا الحسين ما اثر عليك، فقال النوري: ما بلغت مقامي في السماع، فقال له الجنيد: وما مقامك في السماع، قال: الرمز إليه بالإشارة دون الإفصاح، والكناية دون الإيضاح، ثم وثب وصفق بيده فأنشأ يقول:

ربّ ورقاء هتوف في الضحى	ذات شجو صدمت في فننِ
فبكائي ربما أرّقها	وبكاها ربّما أرّقني
ولقد أشكو فما أفهمها	ولقد تشكو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها	وهي أيضاً بالجوى تعرفني

فقام جميع من حضر بقيامه ساعة من الليل.

وروي أنه وقف على رجلٍ يضرب بالسياط، فعدّ عليه ألفاً وهو ساكت، فاستحسن صبره على كبر سنه، فلما أدخل الرجل الحبس دخل عليه فسأله عن صبره مع علو سنّه، فقال: يا أخي، الهمم تحمل البلاء لا الأجسام، قال فقلت له: ما الصبر عندكم فقال: الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه وقال إبراهيم القصار الرقي: جاءني فقير من أهل بغداد فسألني عن أبي الحسين النوري، فقلت له: تسألني عن رجل قد أدهشنا حاله، هو عندنا منذ ثلاث سنين، سنة لم يكلم أحداً من الناس، وسنة دار حول البلد، وسنة أكترى بيتاً لم يخرج منه إلا لصلاة الجماعة، فقال: نعم إياه أريد فدللته عليه، فلقيه النوري، فقال له: من صحبت؟ قال صحبت أبا حمزة، فقال له النوري: الذي يشير إلى القرب؟ فقال: نعم، فقال له النوري: إذا لقيته فأقرأه مني السلام، وقل له يقول لك أبو الحسين، قرب القرب فيما أشير إليه بعد البعد.

وروى أنه خرج ليلة من بيته فوجد حارساً وقد تعلّق برجل وامرأة خلف الدرب وهو يقول لهما: لا بد أن أرفعكما إلى الوالي، فدنا منهم

النوري وقال للحارس: خلِّ عنهما، فأبى، فضمن له شيئاً فأبى، فأخرج له من كمه منديلاً فيه دراهم ونزع ردائه ودفع الجميع إليه وقال: خلِّ عنهما وخذ هذا كله لك، وأنا أجيء معك إلى الوالي فسلمني إليه بما شئت، فقال الحارس: بشرط أنك لا تنكر ما أقول فيك، فقال النوري: نعم، فأخذ ذلك منه وخلّى عنهما وكتف النوري وهو يقوده حتى بلغ باب دار صاحب الشرطة، فأدخله عليه وقال: إني رأيت هذا البارحة مع امرأة خلف الدرب، فقال الوالي لأبي الحسين، ماذا يقول الحارس؟ فقال: صدق كنت أنا وهو وامرأة، فقال الوالي: ليس وجهك وجه من يفعل هذا، ثم قال للحارس: أصدقني وإلا عاقبتك، فحدثه الحديث وصدقه، فتاب الوالي وتنسك الحارس، ومضى النوري إلى المسجد.

وقال أحمد المغازلي: صحبت الجنيد قدس سره ثلاثين سنة، ما سمعت منه لفظة غلطاً وصحبت أبا الحسين النوري ثلاثين سنة ما سمعت منه لفظة غلطاً.

وقال المغازلي أيضاً: ما رأيت قط أعبد من النوري، قيل له ولا الجنيد قال ولا الجنيد.

قال الفرغاني: كان الجنيد وأبا الحسين النوري يسمّيان ببغداد طاووس العباد، وروي أنه كانت خادمه لأبي الحسين، وكانت تخدم الجنيد وأبا حمزة أيضاً تسمى زيتونة فقالت: قلت للنوري يوماً وكان يوماً بارداً: أحمل إليك شيئاً، قال: نعم، فقلت: ما تريد؟ فقال: خبزاً ولبناً، فحملتها إليه وكان بين يديه فحم يقلّبه بيديه وهو يشتغل، فأخذ يأكل الخبز باللبن، وهو يسيل على يده وفيها سواد الفحم، فقلت في نفسي، يا رب. ما أقذر أولياءك ما فيهم أحدٌ نظيف، قلت: ثم خرجت من عنده فتعلقت بي امرأة وقالت: سرقت لي رزمة ثياب، وجرّوني إلى الشرطي، فأخبر النوري بذلك فخرج وقال للشرطي لا تتعرض لها فإنها ولية من أولياء الله تعالى، فقال الشرطي: كيف أصنع والمرأة تدعي ذلك فبينما هم كذلك وإذا جارية جائت ومعها الرزمة المطلوبة، فاستطلق النوري زيتونة وقال لها: تقولين

بعد هذا يا رب ما أقذر أوليائك، قالت: قد تبت.

وحكى أبو جعفر بن الزبير الهاشمي: إن أبا الحسين النوري دخل الماء يوماً للاغتسال فجاء لص وأخذ ثيابه، فبقي في وسط الماء، فلم يلبث أن جاء اللص ومعه ثيابه فوضعها بين يديه، وقد جفت يمينه، فقال النوري: رب قد ردّ لي ثيابي، فردّ عليه يده، فردّ الله تعالى عليه يمينه ومضى.

وقال علي بن عبد الرحيم: دخلت على النوري فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره، فقال: طالبتني نفسي لأكل التمر، فجعلت أمنعها، فأبت، فاشتريت لها تمراً، فلما أكلت قلت لها: قومي حتى تصلّي فأبت، فقلت: لله عليّ أن لا أقعد أربعين يوماً على الأرض، فما قعدت.

وروي أنه أصابته علة وأصابت الجنيد أيضاً علة فالجنيد أخبر عن حاله، والنوري كتم، فقيل له لم لا تخبر كما أخبر صاحبك؟ فقال: ما كنا نبتلي ببلوى ونوقع عليها اسم شكوى ثم أنشأ يقول:

كنت للسقم أهلاً ... فكنت للشكر أهلاً
عذب لم يبق قلب ... يقول للسقم مهلاً

فأعيد ذلك على الجنيد فقال: ما كنا شاكين ولكن اردنا ان نكشف عين القدر فينا، ثم قال:

اجل ما منك يبدو ... لأنه عنك حل
وأنت يا أنس قلبي ... أجل من أن تحل
افنيتني عن جميعي ... فكيف يرعى المحل

فبلغ ذلك الشبلي فأنشأ يقول:

محنتي فيك أنني لا أبالي بمحنتي ... يا شفائي من السقام وان كنت علتي
تبت دهراً فمذ عرفتك ضيعت توبتي ... قربكم مثل بعدكم فمتى وقت راحتي

وقال الجنيد: منذ مات النوري لم يخبر عن حقيقة الصدق أحد.

ونقل عنه قدس سره: أنه سئل عن التصوف فقال: ليس التصوف رسوم ولا علوم، ولكنه أخلاق، وقال مرة أخرى، التصوف كلّه أخلاق.[1]

وقال: نعت الفقير السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود، وسئل عن آداب المعرفة فقال: لا تصل إلى أوائل مبتدأ حواشي المعرفة حتى تخوض إلى الله عز وجل سبع بحار من نيران، بحراً بعد بحر، فعسى بعد ذلك تقع على أوائل بدء علم المعرفة، ثم أنشد لنفسه:

إلى الله أشكو طول شوقي وحيرتي	ووجدي بما طالت عليّ مطالبه
ومن قد برى جسمي وكدّر عيشتي	ويمنعني الماء الذي أنا شاربه
فيا ليت شعري ما الذي فيه راحتي	وما آخر الأمر الذي أنا طالبه

وسئل عن الإشارة فقال: تغني عن العبارة ووجد أن الإشارة إلى الحق استغراق السرائر بالصدق.

وسئل عن الحبيب والخليل فقال: ليس من طولب بالتسليم كمن بادر بالتسليم[2].

وقال: أعز الأشياء في زماننا شيئان، عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حكمه[3].

وقال: كانت المرقعات غطاء على الدر، فصارت مثل المزابل على الجيف.

وقال: الجمع بالحق تفرقة عن غيره، والتفرقة من غيره جمع به.

وقال: من لم يعرف الله في الدنيا، لم يعرف الله في الآخرة.

وقال: من عقل الأشياء بالله تعالى، فرجوعه في كل شيء إلى الله تعالى.

---

(1) في طبقات السلمي ص167: ليس التصوف رسوماً ولا علوماً، ولكنها أخلاق.

(2) الكلمة في طبقات السلمي ص166.

(3) في طبقات الصوفية ص169 وعارف ينطق عن حقيقته.

وقال أبو محمد المرتعش: سمعت أبا الحسين النوري يوصي بعض أصحابه ويقول عشرة وأي عشرة، أحتفظهنّ وأعمل بهنّ، فأولها: من رأيته يدعي مع الله تعالى حالة تخرجه عن حدّ علم الشريعة فلا تقربنّ منه، والثانية: من رأيته يركن إلى غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربن منه، ولا ترج فلاحه، والثالثة: من رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم، فلا تقربنّ منه، والرابعة: فقير رجع إلى الدنيا، إن مت جوعاً فلا ترتفق منه وإن أرفقك فإن رفقه يقسي قلبك أربعين صباحاً، والخامسة: من رأيته مستغنياً بعلمه خلافاً من جهله والسادسة: من رأيته مدعياً حالة باطنة لا يدل عليها ولا يشهد لها حفظ ظاهرة فاتهمه في دينه، والسابعة: من رأيته يرضى عن نفسه ويسكن إلى وقته فهو مخدوع فاحذره، والثامنة: من يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره، والتاسعة: فقير لا تراه حاضراً عند السماع فاتهمه واعلم أنه منع بركات ذلك لتشويش سره وتبديده، والعاشرة: من رأيته مطمئناً إلى أصدقائه وإخوانه مدعياً لكمال الخلق بذلك فاشهد بسخافة عقله ووهن ديانته، وقال: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل.

وقال: الخائف يهرب من ربه إلى ربه عز وجل.

وقال: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر.

وقال: المحبة هتك الأستار وكشف الأسرار.

وروى أن سائلاً سأله فقال له:

إذا كان مني الكل بالكل فانياً ... أبِنْ لي عن أي الوجودين أخبر

فأجابه النوري بقوله:

إذا كنت فيما لست بالوصف فانياً ... وقوفك في الأوطان عندي تحيّر

وقال علي بن عبد الرحيم: رأيت النوري قائماً تجاه الكعبة يحرك شفتيه كأنه يسأل شيئاً، ثم أنشأ يقول:

كفى حزناً إني أناديك دائباً كأني بعيد أو كأنك غائب
وأسأل منك الفضل من غير رغبة فلم أر مثلي زاهداً وهو راغب

وقال: إذا امتزجت نار التعظيم مع نور الهيبة في السرّ هاجت ريح المحبة من حجب العطف على النار والنور، فيظهر فيه الاشتياق وتتلاشى البشرية، فيتوله من ذلك المشاهدة، وأنشد لنفسه:

أشار قلبي إليك كيما يرى الذي لا تراه عيني
وأنت تلقي على ضميري حلاوة السؤال والتمني
تريد مني اختبار سري وقد علمت المراد مني
وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني

وأنشد الفرغاني رحمه الله لأبي الحسين النوري:

كم حسرة لي قد غصّت مرارتُها جعلت قلبي بها وقفاً لعلياكا[1]
وَحَقِّ ما منك يُبليني ويتلفني لأبلينك أو أحظى بلقياكا

---

(1) البيتان في طبقات السلمي ص166 وفيه لبلواكا.

78 ـ بشر بن الحارث الحافي[1]

ومنهم بشر بن الحارث الحافي، قدس سرّه، قلت ذكر المصنف في ترجمته ما لم نره في كتاب فأعرضنا عنه، وذكرنا ما رأيناه في كتب أولي الألباب والله ولي التوفيق واليه المآب، فنقول:

هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المعروف بالحافي وكان اسم عبد الله يعبور واسلم على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في تأريخ ابن خلكان. وإنما لقب بالحافي لأنه جاء إلى اسكاف يطلب منه شسعاً لأحد نعليه وكان قد انقطع، فقال له الاسكاف: ما أكثر كلفكم على الناس، فألقى النعل من بين يديه والآخر من رجله وحلف أن لا يلبس نعلاً، انتهى.

وكان ممن فاق أهل عصره بالزهد والورع والعبادة وكثرة الفضل وحسن الطريقة، لقي كثيراً من العلماء والمشايخ كإبراهيم بن سعد الزهري وحماد بن زيد وشريك بن عبد الله والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأقرانهم، وأخذ عنه جماعة من الأعيان كسري السقطي وإبراهيم

---

(1) ترجمته في: روضات الجنان 1/ 123 طبقات الشعراني 1/ 62 وتاريخ بغداد 7/ 67 وابن عساكر 3/ 228 وصفة الصفوة 2/ 183 وحلية الأولياء 8/ 336، ووفيات الأعيان 1/ 274 وطبقات السلمي ص39 والبداية والنهاية 10/ 297 شذرات 2/ 60 والرسالة القشيرية ص18 ومروج الذهب 2/ 373 والعبر 1/ 399.

ولابن الجوزي: فضائل بشر الحافي أنظر بروكلمان 4/ 57 وفيه أنه من مخطوطات بريل.

بن هانيء وكان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية.

وروى محمد بن يوسف الباقلاني عن أبيه قال سمعت رجلاً يسأل بشر بن الحارث أن يحدثه فأبى عليه فجعل يتضرع إليه ويلح عليه فلم يجبه فلما ايس منه قال له الرجل: يا أبا نصر ما تقول لله غداً إذا لقيته وسئلك لم لم تحدث؟ فقال له بشر: أقول يا رب كانت نفسي تشتهي الحديث فخالفتها ولم أعطها شهوتها.

ونقل عنه أنه حدث عن بدء أمره فقال: بينما أنا أمشي في الطريق رأيت قرطاساً ملقى على الأرض مكتوباً فيه بسم الله تعالى، وقد وطئتها الأقدام فأخذته وقبلته واشتريت بدرهم كان معي غاليةً وماء ورد فطيّبته وجعلته في موضع طاهر، ثم لما رجعت إلى منزلي ونمت رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا بشر كما طيبت أسمي لأطيبنّ ذكرك، وكما طهرته لأطهّرنّ قلبك، وفي رواية: لأطيبنّ اسمك في الدنيا والآخرة.

روي أنه تاب إلى الله تعالى وأناب إليه بعد ذلك واختار طريق الزهد ولم يلبس نعلاً ولا مداساً، ولذلك سمي الحافي ، فقيل له في ذلك، فقال: قال الله تعالى وجعلت لكم الأرض بساطاً والمشي على بساط الحق بالنعل والمداس لا يكون أدباً.

ويروى أنه ما دام بشر في بغداد حياً ما راثت دابة في أزقتها إكراماً لبشر حيث كان حافياً، واتفق أن رجلاً راثت دابته يوماً في الطريق فصاح وبكى، وقال: انظروا هل مات بشر، فنظروا فإذا هو قد مات،

ونقل أنه قيل لأحمد بن حنبل: ما تقول في هذا الرجل؟ فقال: أي رجل؟ فقيل: بشر بن الحارث، فقال: سألتني عن رابع سبعة من الابدال، ما مثله عندي إلا مثل رجل ركز رمحاً في الأرض ثم قعد على السنان فهل ترك لأحد موضعاً يقعد فيه، ولقد ضيق بشر بن الحارث على أهل هذه المدينة مسالك أقدامهم بورعه، ولقد رأوا من ورعه شامة لا ينبت عليها شعر أبداً.

وروي أن أخت بشر قصدت أحمد بن حنبل فقالت: إنا نغزل بالليل ومعاشنا منه وربما يمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضونها الطاقة والطاقتين فيحل لنا أو يحرم؟ فقال لها أحمد: من أنت؟ فقالت: أنا أخت بشر، فقال: آه يا آل بشر، لا عدمتكم، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم.

وروى أن رجلاً جاءه وقال: يا أبا نصر، رأيت في هذه الليلة وكانت ليلة عيد فطر أو أضحى كأن القيامة قد قامت والناس في كرب وشدة، حتى رأيت دموع الناس تجري دماً، وخرج منادٍ ينادي أين بشر وأين أحمد بن حنبل، فأخذوكما وأدخلوكما على الله تعالى، فقال أهل الموقف: إن حوسب هؤلاء هلكنا، وإذا قد خرج علينا ملك من الملائكة، فقلنا له: ما فعل بشر وأحمد، فقال: يحاسبان بقيام الشكر بما من الله عليهما، فقال بشر، أما أحد الاثنين فالتقصير قرينه، وأما الآخر فتشهد الحقائق بقيامه بالشكر، ثم بكى وقال: ويحك يا بشر، شدّ حيازيمك. فإنك مطلوب.

وقال بلال الخواص: كنت في تيه بني إسرائيل وإذا برجل يماشيني، فتعجبت منه ثم ألهمت أنه الخضر، فقلت له: بحق الحق من أنت؟ فقال: أخوك الخضر، فقلت: أريد أن أسألك، فقال: سل، قلت: ما تقول في الشافعي، فقال: هو أحد الأوتاد، قلت: ما تقول في أحمد بن حنبل، قال: رجل صديق، قلت: ما تقول في بشر بن الحارث؟ فقال: لم يخلف بعد مثله، قلت له: فبأي وسيلة رأيتك؟ فقال: ببرّك لأمك.(1)

وروي أنه اشتهى الباقلاء سنين فلم يأكله، فرأى في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وقال: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وقال أبو بكر بن عفان: سمعت بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهي الشواء مقدار أربعين سنة، ما صفا لي ثمنه، فقيل له: بأي شيء تأكل الخبز؟ فقال: أذكر العافية وأجعلها أداماً، وقال حسن

---

(1) الرسالة القشيرية ص19.

المسوحي، رآني بشر بن الحارث يوماً بارداً وأنا أرتعد من البرد فنظر إلي وأنشد يقول:

قطعُ الليالي مع الأيام في خَلق	والنوم تحت رواق الهمّ والقلق
أحرى وأعذب[1] من أن يقال غداً	إني التمست الغنى من كف مختلق
قالوا رضيت بذا؟ قلت القنوع غني	ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري	فلست أسلك إلا واضح الطرق

ونقل عنه أنه قال: دخلت الدار يوماً فإذا أنا برجل، فقلت له: من أنت؟ دخلت بغير أذني، فقال: أخوك الخضر، فقلت: أدع الله تعالى، فقال: هون الله عليك طاعته، فقلت: زدني، فقال: وسترها عليك.

وحكي عنه أيضاً أنه قال: كان لي حجرة أغلقها إذا خرجت، وآخذ المفتاح معي، فجئت ذات يوم وفتحت الباب، ودخلت الحجرة، فإذا شخص طويل قائم يصلي، فراعني لأن المفتاح كان معي فسلم من صلاته ثم قال: يا بشر لا تفزع أنا أخوك الخضر، قال بشر: فقلت له علمني إذن شيئاً ينفعني الله تعالى به، فقال: قل أستغفر الله عز وجل من كل سبب تبت منه ثم عدت فيه، واسأله التوبة واستغفر الله العظيم من كل عقد عقدته لله تعالى على نفسي ففسخته ولم أوف به، واسأله التوبة، واستغفر الله العظيم من كل نعمة أنعمت بها علي في طول عمري واستعنت بها على معاصيك ومخالفتك. وأسألك العصمة والحمية من ذلك.

وقال عباس بن دهقان: كنت عند بشر بن الحارث وهو يتكلم في الرضا والتسليم فقال له رجل من المتصوفة يا أبا نصر امتنعت من أخذ البر من أيدي الخلق لإقامة الجاه، فإن كنت متحققاً بالزهد منصرفاً عن الدنيا فخذ من أيديهم لينمحي جاهك عندهم واخرج بما يعطونك إلى الفقراء، وفرق عليهم وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب، فاشتدّ ذلك على

---

(1) الخبر والأبيات في طبقات السلمي ص44 وفيه أحرى وأجدر وفي الأصل أن يقال لي غداً.

أصحاب بشر فقال له بشر: إسمع إيها الرجل الجواب، اعلم أن الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فذلك من الروحانيين، إذا سأل الله أعطاه وإن أقسم عليه أبرّ قسمه وفقير لا يسأل وإن أعطي قبل فذاك من أوسط القوم، عَقْدُهُ التوكل والسكون إلى الله تعالى وهو ممن توضع له الموائد في حضيرة القدس، وفقيرٌ اعتقد الصبر ومدافعة الوقت، فإذا طرقته الحاجة خرج إلى عبيد الله وقلبه متوجه إلى الله تعالى بالسؤال، فكفارة مسألته صدقه في السؤال، فقال الرجل: رضيت رضي الله عنك[1].

وروى أنه تعلق رجل بامرأة في باب الشام وهو معترض لها بيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره، وكان الرجل شديد البدن، فبينما الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحكّ كتفه بكتف الرجل، فوقع الرجل على الأرض ومضى بشر ومضت المرأة لشأنها، فدنوا من الرجل وهو يرشح عرقاً كثيراً فسألوه، ما حالك؟ فقال: ما أدري ولكني حاكني شيخ وقال لي: إن الله تعالى ناظر إليك وإلى ما تعمل، فضعفت لقوله قدمي، وهبته هيبة شديدة، فلا أدري من ذلك الرجل، فقالوا: ذلك بشر بن الحارث الحافي، فقال: واموتاه كيف ينظر إلي بعد اليوم، وحمّ الرجل من وقته ومات في اليوم السابع.

وقال القاضي أبو عبد الله المحاملي: حدثني أبي قال: كان عندنا ببغداد رجل من التجار وكان صديقاً لي، وكان يقع في الصوفية كثيراً، قال رأيته بعد ذلك يصحبهم وينفق عليهم ماله، فقلت له: ألست كنت تبغضهم؟ فقال لي: ليس الأمر على ما كنت أتوهمه، فقلت له: كيف؟ قال: صليت يوماً الجمعة وخرجت فرأيت بشر بن الحارث يخرج من المسجد مسرعاً، فقلت في نفسي لأنظرنّ إلى هذا الرجل الموصوف بالزهد، فرأيته تقدم إلى الخباز واشترى الخبز بدرهم، وتقدّم إلى الشوّاء فأعطاه درهماً وأخذ منه الشواء، قال فزادني غيضاً، قال: ثم تقدم إلى الحلاوي فأعطاه درهماً

---

(1) الخبر في طبقات السلمي ص47.

فأخذ به فالوذجاً، فقلت في نفسي: والله لأنغّصنّ عليه حين يجلس ويأكل، فخرج إلى الصحراء وأنا أقول: يريد الخضرة والماء، فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه، فدخل مسجداً في قرية وفيه مريض فجلس عند رأسه وجعل يلقمه، قال: فقمت أنظر إلى القرية، فبقيت ساعة ثم عدت إلى المسجد فلم أر بشراً، فقلت للمريض، أين بشر؟ قال: ذهب إلى بغداد، فقلت كم بيني وبين بغداد؟ قال: أربعون فرسخاً، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إيش عملت بنفسي وليس معي ما أكتري به ولا أقدر على المشي، فقال: أجلس حتى يرجع، فجلست إلى الجمعة القابلة فجاء بشر في ذلك الوقت ومعه شيء يطعم الفقير، فلما فرغ قال له المريض: يا أبا نصر هذا رجل صحبك من بغداد وهو عندي منذ جمعة، قال: فنظر إلي كالمغضب وقال: لمَ صحبتني، قلت: أخطأت، فقال: قم وامش، قال: فمشيت إلى المغرب فلما قربنا من بغداد، قال لي: أين محلتك من المدينة، قلت في موضع كذا، قال: اذهب ولا تعد. قال: فتبت إلى الله تعالى مما كنت أعتقده فيهم، ثم اخترت صحبتهم وأنا على ذلك.

وقال محمد بن الهيثم[1]: كنت أدخل على أخت بشر وأنا صغير فأعطتني كبة من غزل فقالت: بع هذا واشتر خبزاً وسمكاً، ففعلت، فدخل بشر والخبز والسمك موضوعان فقال بشر، ما هذا الطعام؟ فقالت له: رأيت في المنام أمك فقالت: إن أردت فرحي فبيعي من غزلك واشتري خبزاً وسمكاً، فإن أخاك بشر يشتهيهما، فبكى بشر وقال: رحمها الله تعالى، تغتمّ لي وتشفق علي حية وميتة، ثم قال: إني لأشتهيه منذ خمس وعشرين سنة، وما كان الله تعالى ليراني أرجع في شيء تركته خالصاً لوجهه، ثم لم يأكله.

وروي أنه قدس الله روحه دعي إلى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ففعل ثلاث مرات فقال رجل يعرف منه ذلك: إن

---

(1) محمد بن الهيثم بن حماد بن واقد، الثقفي، مولاهم، يكنى أبا الأحوص العكبدي، قاضي بمكة من رواة الحديث، توفي سنة279ه، خلاصة تذهيب الكمال ص309.

يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعوه.

وقال بعضهم: دخلت على بشر بن الحارث في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب وهو ينتفض فقلت له: يا أبا نصر، الناس يزيدون من الثياب في مثل هذا اليوم وأنت عريان؟ فقال: تذكرت الفقراء وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به فأردت أن أوافقهم بنفسي في مقاسات البرد.

وروي: أنه أتاه قوم وسلموا عليه، فقال من أنتم؟ قالوا: نحن من الشام، جئنا إليك نسلم عليك ونريد الحج، فقال: شكر الله لكم، فقالوا: تخرج معنا، فقال: بثلاثة شروط: لا نحمل معنا شيئاً، ولا نسأل أحداً شيئاً، وإن أعطانا أحدٌ شيئاً لا نقبله، فقالوا: أما لا نحمل فنعم وأما لا نسأل فنعم، وأما لا نقبل إن أعطانا أحدٌ شيئاً فلا نستطيع، فقال: أراكم خرجتم متوكلين على زاد الحجيج فلم يصحبهم.

وقال أبو نصر التمار: أتاني بشر ليلة، فقلت: الحمد لله الذي جاء بك، فتفطر الليلة عندنا، فقد جاءنا قطن من خراسان وغزلت منه البنت وباعته واشتريت منه لحماً، فقال: لو أكلت عند أحد لأكلت عندكم، ثم قال: إني لأشتهي الباذنجان منذ سنين، فلم يتفق، فقلت فهذا الباذنجان من الحلال، قال: حتى يصفو لي حب الباذنجان.

ونقل عنه أنه قال: خرجت يوماً إلى الصحراء فاستقبلني رجل على رأسه حزمة حطب فسلّمت عليه فردّ علي السلام، فقلت: من أين أقبلت رحمك الله؟ فقال من عنده، فقلت وأين تريد؟ فقال: إليه، قلت: رحمك الله فيم التجارة؟ فقال: في التقوى والمراقبة لمن أنت متّقيه، قلت عظني بموعظة أحفظها عنك، قال: أو تفعل؟ قلت: أرجو ذلك إن شاء الله، قال: فرّ منهم، ولا تستأنس بهم، و أحذر الدنيا فإنها تعرضك المعاطب ثم قال: من عرف الدنيا لم يطمئن إليها، ومن أبصرها عرف ضررها أعدّ لها دوائها، ومن عرف الآخرة سارع في طلبها، ومن توهمها اشتاق إلى ما فيها، ثم تنفس وقال: الاشتياق إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين، وأطيب لعيش المستأنسين، ثم قال: إذا كان الحال بينه وبينهم سليماً صافوه

بالمعاملة فسقاهم من كأس محبته شربة، فظلّوا في عطشهم ربانيين، وفي ريهم عطاشا قال بشر: ثم تركني ومضى، فلقيت عيسى بن يونس[1] فحدثته بحديثه، فقال لي: هذا رجل لا ينزل من موضعه إلا يوماً واحداً في الجمعة، يجمع حطباً ويبيعه ويكفيه من الجمعة إلى الجمعة الأخرى لا يكلم أحداً ولا يكلمه أحد، وإني لأعجب منه كيف كلمك، ولقد سمعت كلاماً حسناً.

وقال عمرو بن أخت بشر: سمعت خالي بشراً يقول لأمي جوفي وَجِع، وخواصري تضرب عليّ، فقالت له أمي: يا أخي ائذن لي حتى أصلح لك قليل حساءٍ بكفٍّ من دقيق عندي يتحسّاه برم جوفك، فقال لها: ويحك: أخاف أن يقول لي من أين لك هذا الدقيق ولا أدري أيش أقول له، فبكى وبكت أمي معه، وبكيت معهما، قال عمرو: فلما رأت أمي ما بحالي من شدة الوجع وهو يتنفس نفساً ضعيفاً قالت له: يا أخي، ليت أمك لم تلدني، فقد والله كاد قلبي يتقطع عليك مما أرى بك، فقال: وأنا ليت أمك لم تلدني، وإذ ولدتني لم يدر لها ثدي عليّ، قال عمرو، فكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار.

وقال أبو بكر بن أبي داود: دخلت قرية بشر بن الحارث وهي من مرو ستة أميال يقال لها مابَر سام[2]، وأقمت بها ستة أشهر، وكنت عند علي بن خشرم بها فقال لي: هذه دار عبد الرحمن جدي وجد بشر، أنا علي بن خشرم بن عبد الرحمن[3]، وبشر بن الحارث بن عبد الرحمن، وجهت إليه بثمن حصة أبيه منها وأخرج إلي كتاباً وقال: هذه رسالة بشر إليّ، وإذا فيه: من أبي نصر بشر إلى الحسين علي أبن خشرم، بسم الله

---

(1) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو عمرو الكوفي، من الثقات الأعلام، توفى سنة 191هـ وقيل 87هـ ترجمته في خلاصة تذهيب الكمال ص258.

(2) مابر سام، وفي الأصل ماتر سام، قرية من قرى مرو، ويقال لها ميم سام معجم البلدان 5/ 32.

(3) في الأصل علي بن عبد الرحمن.

الرحمن الرحيم، سلام عليك، أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله عز وجل أن يتم ما بنا وبكم من نعمة وأن يرزقنا وإياكم الشكر على إحسانه، وأن يحيينا وإياكم ويميتنا وإياكم على الإسلام، ففيه أن سلم لنا ولكم خلف من كل تلف، وعوض من كل رزية، وأوصيك يا علي بتقوى الله عز وجل ولزوم أمره، والتمسك بكتابه، واتباع آثار القوم الذين سبقونا بالإيمان، وسهّلوا لنا السبيل، فاجعلهم نصب عينيك، وأكثر عرض حالاتهم عليك فالأنس بهم بالخلاء يغنيك عن مشاهدة الملأ، ويعزيك في البلاء، تمثل حالاتهم كأنك تشاهدهم، فجالسه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفق من مجالسة الموتى الذين ينظرون في عيوب الناس، ويتبعون عوراتهم، واعلمـعلّمك الله الخير وجعلك من أهلهـأن أكثر عمرك فيما أرى قد انقضى، ومن ترضى حاله قد مضى، وأنت لاحق بهم ومطلوب وأن لك رباً قادراً وأنت أسير بين يديه، وكل الخلائق في كبريائه صغير، وجميعهم إليه فقير، فلا يشغلك كثرة من يحيط بك، وتضرع إليه تضرع ذليل إلى عزيز، وفقير إلى غني، وضعيف إلى قوي، وأسير لا يجد منه ملجأً ولا عنه محيصاً، مقرّ بخطاياه خائف لما قدمت يداه، لا تقطع الرجاء ولا تدع الدعاء، ولا تأمن من الفقر والبلاء، فلعله إذا رآك كذلك عطف عليك بعطفه وفضله، وأمدّك بمعونته، وبلغ بك ما تؤمله من عفوه ورحمته، فأفرغ إلى الله تعالى نوائبك، واستعنه على ما ضعفت فيه من قوتك، فإنك إذا فعلت ذلك قربك ووجدته أسرع إليك من أبويك، وأقرب إليك من نفسك، وبالله التوفيق، وإياه اسأل خيراً المواهب لنا ولك، واعلم يا علي أن من ابتلى بالشهرة ومعرفة الناس فمصيبته جليلة، فجبرها الله لنا ولك بالخضوع والاستكانة والذل لعظمته، وكفانا وإياك فتنتها وسوء عاقبتها، فإنه تولى ذلك من أوليائه، ومن أراد توفيقه، إرجع يا علي إلى أقرب الأمرين إلى رضا ربك، ولا ترجع إلى محمدة أهل زمانك ولا ذمهم، فإنه من كان يتقي ذلك قد مات، إنما أنت في محل الموتى ومقابر أحياء ماتوا عن الآخرة ودرست عن طريقها آثارهم، فبيوت أهل زمانك قبور، لا يستضاء فيها بنور الله، ولا يستعمل كتابه إلى من عصمه

الله، واعلم أن حظك في بعدهم أقرب من حظك في قربهم، فلا تأس على بعدهم وحسبك الله تعالى فاتخذه أنيساً ففيه الخلف منهم وليس فيهم الخلف من خلوة ساعة، فاحذر أهل زمانك فما في العيش مع من تظن في زمانك الخير، ولا مع من يُساء به الظن خير لأنك منه على شرف عيبه إن جالسته فلا تأمن بلاءً من بلائه، وإن جانبته فالموت في العزلة خير من الحياة، فالسلامة والعافية في العزلة، وكفى بالسلامة فضلاً، اجعل أذنك عما يؤثمه صمّاء، وعينك عنه عمياء، وإحذر سوء الظن فقد حذرك الله ذلك والسلام.

وروي أن رجلاً سأله أن يوصيه بوصية فقال له: عليك بلزوم بيتك[1] وترك ملاقاة الناس، فقال الرجل: بلغني عن الحسن أنه قال: لولا الليل وملاقاة الأخوان ما كنت أبالي متى مت، فقال بشر: رحم الله الحسن، لقد كان الظن به خلاف هذا، ثم أنشد:

يا من يسر برؤية الأخوان	مهلاً أمنت مكائد الشيطان
خَلَتْ القلوب من المعاد وذكره	وتشاغلوا بالحرص والخسران
صارت مجالس من ترى وحديثهم	في هتك مستور وخلق قران

وقال: غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم.

ونقل عنه أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له: يا بشر أتدري لم رفعك الله تعالى من بين أقرانك؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: باتباعك لسنتي وحرمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار[2].

وقال أيضاً: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه في المنام فقلت: عِظني يا أمير المؤمنين، فقال: ما أحسن

---

(1) في الأصل تبيك.

(2) الرسالة القشيرية ص18.

عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله تعالى وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء تقرّباً لله تعالى فقلت: زدني، فقال:

قد كنت ميتاً فصرت حيا ... وعن قريب تصير ميتا
عز بدار الفناء بيتٌ ... فابن بدار البقاء بيتا

وقال: النظر إلى الأحمق سخنة عين، والنظر إلى البخيل يقسي القلب، وقال: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الناس.

وقال: لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك؟

وقال: لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد ثم قال: الدعاء ترك الذنوب.

وقال حسن المسوحي: رآني بشر قدس الله روحه يوماً بارداً وأنا أرتعد من البرد فنظر إلي وأنشد:

قطع الليالي مع الأيام في خلق ... والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأجدر بي من أن يقال غداً ... إني التمست الغنا من كف ممتلق
قالوا رضيت بذا قلت القنوع غنى ... ليس الغنى كثرة الأموال والورق

رضيت بالله في عسري وفي يسري فلست أسلك الا واضح الطرق

وقال قدس الله سرّه: أربع وفقهم الله عز وجل بطيب المطعم، وهيب بن الورد[1]، وإبراهيم ابن أدهم، ويوسف بن أسباط[2]، وإبراهيم الخواص[3]،

---

(1) وهيب بن الورد القرشي، أبو عثمان المكي، من المحدثين الزهاد، توفى سنة 153هـ، ترجمته في خلاصة تذهيب الكمال ص350.

(2) يوسف بن أسباط الشيباني، زاهد واعظ ثقة ميزان الاعتدال 2/ 328.

(3) كذا في الأصل، وفي طبقات السلمي سالم الخواص وهو سالم بن ميمون، من عباد أهل الشام ترجمته في اللباب 1/ 391.

وقال: كان العلماء يقتدون في ثلاثة أشياء، صدق اللسان، ومطعم طيب، وسكن صالح، وأنا اليوم لا أعرف في هؤلاء أحداً فيه من هذه الخصال واحدة، فكيف أعبأ بهم، يتغايرون على الدنيا، ويتحاسدون عليها، ويمشون إلى أصحاب الدنيا فيغتاب بعضهم بعضاً عندهم ويقولون لصاحب الدنيا أدخلني وأخرج فلاناً، ويحكم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يتركوا ديناراً ولا درهماً، إنما أورثوكم العلم، فأنتم زعمتم إنكم حملة العلم، وحملة القرآن، وما على أحدكم أن لا يستكثر من الدنيا، فإنما هو فيها كعابر سبيل، وكأنه بالرسول وقد أتاه وأخذ نفسه، وبقي الحساب وجاءت الحسرة والندامة، وما ظنك بملك الموت عليه السلام والدنيا بين يديه كالطبق يمدّ يده من المشرق فيتناول روح من [في] المغرب، فليطلب أحدكم من الدنيا معاشاً يبلغه وقلّة العيال، فما في الدنيا شيء أبغض إلى ممن يسأل الناس ويجعله كسباً ولا يكاد يسلم منه في هذا الزمان خاصة.

وقال: إني لأذكر المعافي بن عمران[1] رحمه الله فانتفع بذكره، وقد ذهب الذين كان لا يسقط كلامهم ولا حديثهم ولا أعلم بقي اليوم في شرق الأرض وغربها أحد مثل أولئك، إنما بقي شيخ له حسن سَمْت لا ينظر في مطعم، أو شاب يؤلف الناس لنفسه، فمتى يصلح هؤلاء، ان ذكر هؤلاء لدنس فعليكم بالمطعم، فانظروا فيه فإنه أنفع لكم من نوافل الصلاة، وعليكم بالفروض فأدوها، وقال الحسن بن عمرو: سمعت بشراً ينشد:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليدفع معورٌ عن معورِ

وقال: يا طالب العلم، إنما أنت متلذّذ تسمع وتحكي، إنما يراد من العلم العمل، فاسمع وتعلم واعمل، واهرب، ألا ترى إلى سفيان الثوري

(1) المعافى بن عمران الأزدي الموصلي، المتوفى سنة 185هـ، شيخ الجزيرة في الحديث، صنف كتباً في السنن والزهد والأدب وغير ذلك، ترجمته في تذكرة الحفاظ 1/ 264 وتاريخ بغداد 13/ 226 والنجوم الزاهرة 2/ 117.

كيف طلب العلم، فتعلم وعلم وهرب، فطلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا لا على حبّها.

وقال: أردت مرة أن أكتب كتاباً، فعرض لي كلام إن تكلمت به وكتبته حسن الكتاب وكان كذباً، وإن تركته سمج الكتاب وهو صدق، فعزمت على تركه، فناداني مناد من جانب البيت، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.

وقال: أمس قد مات، واليوم في النزع، والغد لم يولد.

وقال: من أراد أن يلقن الحكمة فلا يعصي الله تعالى.

وقال: بحسبك أن قوماً موتى تحيي القلوب بذكرهم، وإن قوماً أحياء تقسوا القلوب برؤيتهم، وقال قدس الله سره، من سأل الله الدنيا فإنما سأله طول الوقوف ثم قال: الصدقة سراً أفضل من الجهاد والحج والعمرة لأن ذاك يركب ويرجع فيراه الناس، وهذا يعطي سرّاً فلا يراه إلاّ الله عز وجل.

قيل له: ألا تخوف السلطان بالله عز وجل؟ فقال: إني لأجل الله عز وجل إن أذكره عند من لا يعرفه وقال قدس سره: قال موسى عليه السلام: يا رب أرني من أوليائك: فأوحى الله تعالى إليه، أطلب في خربة كذا وكذا، فطلبه، فرأى فيها عظام رجل أكلته السباع، فقال: يا رب ما أرى غير العظام، فقال: هي عظام ولي قال يا رب أفأرسلت إليه السباع؟ قال: نعم وعزتي ما أخرجته من الدنيا مع ذلك إلا جائعاً ضمآناً. قال: ولم ذلك يا رب؟ قال: لمنزلته عندي، ولو رأيت منزلته لزهقت نفسك شوقاً إليها إني لا أرضى الدنيا لولي من أوليائي.

وقال المازني له روح الله روحه: ما التوكل؟ فقال: اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب، فقال المازني: ما نفقه، فقال نعم ليس هذا من أبزاركم، قال: ففسره لنا حتى نفهمه، فقال: اضطراب بلا سكون، اضطراب رجل تضطرب جوارحه وقلبه ساكن إلى الله تعالى لا إلى عمله،

وسكون بلا اضطراب، سكون رجل سكن إلى الله بلا حركة، وهذا عزيز وهو من صفات الأبدال.

وقال قدس سره، يقول أحدهم توكلت على الله تعالى ويكذب، فإنه لو توكل عليه صادقاً لرضي بما يفعل به

وقال: بلغني إنه ما اغرورقت عينا عبد بمائها إلا حرّم الله تعالى سائر جسده على النار، وإن فاضتا على وجهه لم يرهق وجهه قتراً ولا ذلة، فإنها تطفئ النيران، ولو أن عبداً بكى في أمة من الأمم من خشية الله عز وجلّ، لرحم الله عز وجل تلك الأمة ببكائه وقال: سكون النفس إلى المدح لها أشد عليها من ذل المعاصي.

وقال: لا يضر الثناء على من عرف نفسه

وقال: رأيت على جبل عرفة رجلاً وقد ولع به الوَلَه وهو يقول:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على شبا الشوك والمحمي من الإبر
لم نبلغ من العشر من معشار نعمته ... ولا العشير ولا عشراً من العشر
هو الرفيع فلا الأبصار تدركه ... هو العليّ على العلياء بالقدر
سبحان من هو أنسي إذ خلوت به ... في جوف ليلي وفي الظلماء والسحر
أنت الحبيب وأنت الحب يا أملي ... من لي سواك ومن أرجوك يا ذخري

وقال أيضاً:

كم قد زللت فلم أذكرك في زللي ... وأنت يا واحدي بالغيب تذكرني
كم أكشف السر جهلاً عند معصيتي ... وأنت تلطف بي جوداً وتسترني
لأبكين بدمع العين من أسفي ... وأبكينّ بكاء الدائم الحزن

قال: ثم غاص في خلال الناس فلم أره بعد ذلك، فسألت عنه فقيل لي هذا أبو عبيد سليم الخواص[1] منذ سبعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء حياءً من الله عز وجلّ.

(1) لعله سالم بن ميمون الخواص.

وقال: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار.

وقال عبد الله بن أحمد الساجي [سمعت] بشر بن الحارث ينشد:

أقسم بالله لرضخ النوى — وشرب ماء القلب المالحة
أعز للإنسان من حرصه — ومن سؤال الأوجه الكالحة
فاستغن بالله تكن ذا غنى — مغتبطاً بالصفقة الرابحة
فاليأس عزّ والتقى سؤدد — ورغبة النفس لها فاضحة
من كانت الدنيا به برّة — فإنها يوماً له ذابحة

وروي عنه أنه قال قبل موته: إلهي رفعتني فوق قدري، ونوّهت باسمي، وشهرتني بين الناس، فأسألك بوجهك الكريم أن لا تفضحني غداً يوم القيامة.

ورآه بعض الصالحين في المنام بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وقال: ما استحييت مني يا بشر كنت تخافني ذلك الخوف، ثم قال لي مرحّباً يا بشر لقد توفيتك وما على الأرض أحبّ إليّ منك.

ورآه بعض آخر في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأباح لي نصف جنته، وقال لي: يا بشر لو سجدت لي على الجمر ما أديت شكر ما جعلته لك في قلوب عبادي [1].

توفي ببغداد يم الأربعاء عاشر المحرم الحرام سنة سبع وعشرين ومائتين ودفن في قصبة إمامنا الأعظم بقربٍ من تربة الإمام، يزور قبره ويتبرك به الخاص والعام، روّح الله روحه وأعاد علينا فتوحه آمين.

---

(1) الرسالة القشيرية ص20.

79 ـ السري بن المغلس السقطي[1]

ومنهم أبو الحسين السري بن المغلّس السقطي قدّس سره، فنقول فيه والله الموفق وهو المستعان من غير تعرض لكلام المؤلف.

هو السري بن المغلّس السقطي خال الجنيد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي، وكان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد، وهو أول من تكلم فيها ببغداد، وإليه ينتمي أكثر المشايخ الأمجاد، وسبب زهده أنه كان في السوق يبيع الأسقاط ويتردد إلى معروف الكرخي ومعه صبي يتيم، فقال له: أكس هذا اليتيم، قال السري: فكسوته، ففرح معروف بذلك وقال لي: بغّض الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه، فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إلي من الدنيا وكلما أنا فيه من بركات معروف[2].

قال الجنيد قدّس سره: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وسبعون[3] سنة ما رؤي مضطجعاً إلى في علة الموت.

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 2/ 357 وتهذيب ابن عساكر 6/ 71 وحلية الأولياء 10/ 116 وطبقات السلمي ص48 وطبقات الشعراني 1/ 86 والرسالة القشيرية ص16 وصفة الصفوة 2/ 209 وشذرات الذهب 2/ 127 وتاريخ بغداد 9/ 187 ومرآة الجنان 2/ 158 والبداية والنهاية 11/ 13 ولسان الميزان 3/ 13 والعبر 2/ 4.

(2) الخبر في الوفيات 2/ 357 والقشيرية ص17، وفي الأصل: وكل ما فيه من بركات معروف، والتصويب عن الوفيات.

(3) في الأصل: سبعين وفي القشيرية تسعون.

وقال الجنيد أيضاً: دخلت على السري وهو يبكي، فقلت ما يبكيك؟ فقال: جائني البارحة الصبية فقالت: يا أبتِ هذه الليلة حارة فاعلق هذا الكوز لعله يبرد فتفطر عليه ثم غلبتني[1] عيناي فنمت فرأيت في المنام جارية من أحسن الخلق قد نزلت فقلت لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكوز، وتناولت الكوز فضربت به الأرض قال الجنيد: فرأيت الخزف مكسور، لم يمسه ولم يرفعه حتى عفا عليه التراب.

وقال أيضاً: جاء رجل فقال له: كيف أنت؟ فأنشأ يقول:

من لم يَبِتْ والحُبُّ حَشْوُ فُؤادِهِ   لم يدْرِ كيف تَفَتَّتَ الأكبادُ[2]

وقال أيضاً: سمعت السري يقول: خفيت عليّ علّة ثلاثين سنة، وذلك إنا كنا جماعة نُبكر إلى الجمعة ولنا أماكن قد عرفت بنا لا تكاد تخلو عنا فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيّع جنازته فشيعتها ثم جئت أريد الجمعة فلما قربت من الجامع قالت لي نفسي: الآن يراك الناس وقد تخلّفت عن وقتك، فشقّ عليّ ذلك فقلت في نفسي أراكِ مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري فتركت ذلك المكان الذي كنت أصلي فيه، وجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يُعرَف مكاني، وقضيت صلاة الجمعة منذ ثلاثين سنة،

ونقل عنه قدس سره: أنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة عن قولي مرة الحمد لله. قيل: وكيف ذاك؟ فقال: وقع الحريق ببغداد فاستقبلني رجل فقال: نجا حانوتك فقلت: الحمد لله، فأنا منذ ذلك الأوان نادم على قولي، حيث أردت لنفسي خيراً دون المسلمين[3].

وقال الجنيد: سمعت سري يقول: إن نفسي تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها وقال الجنيد: دخلت على السري قدس سره، فرأيته

---

(1) في الأصل: غلبت، وفي وفيات الأعيان 2/ 357 والقشيرية ص15 حملتني.

(2) الخبر والبيت في طبقات السلمي ص55.

(3) الخبر في وفيات الأعيان 2/ 357 والقشيرية ص17.

متغيّراً، فقلت: ما لك؟ فقال: دخل عليّ شاب فسألني عن التوبة، فقلت له: التوبة أن لا تنسى ذنبك، فعارضني وقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك، فقال الجنيد: فقلت: إن الأمر عندي على ما قاله الشاب، فقال: لمَ قلت لأني إذا كنت في حال الجفا فنقلني إلى حال الصفا فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء قال فسكت.

وقال الجنيد أيضاً: دفع إليّ السري رقعة وقال: هذه الخيرٌ لك من سبعمائة قصة أو حديث تعلقه، وإذا فيها مكتوب:

إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا[1]

فلا حُبَّ حتى يلصق الجلد بالحشا وتّذهل حتى لا تجيب المناديا[2]

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى سوى فعلةً تبكي بها وتناجيا

ثم قال: لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر: يا أنا.

وقال أيضاً: دخلت يوماً على السري فأمرني بحاجة فقضيتها ثم رجعت إليه فناولني رقعة وإذا فيها: سمعت حادياً يحدو في البادية ويقول:

أبكي وما يدريك ما يبكيني أبكي حذاري أن تفارقيني

وتقطعي وصلي وتهجريني

وقال علان الخياط: كنت يوماً جالساً مع السري قدس سره، فوافته امرأة، فقالت له: يا أبا الحسين أنا في جيرانك وقد أخذ الطائف ابني البارحة، وأنا أخشى أن يؤذيه فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه، فقال علان: فالتمست أن يبعث إليه، فقام وكبّر وطول في صلاته، فقالت المرأة: الله الله، فأخشى أن يؤذيه السلطان، فسلم وقال لها أنا في حاجتك، قال علان، فما برحت حتى جاءت امرأة إليها فقالت: الحقي فقد خلّوا سبيل ابنك، قال علان، ورأيت منه أعجب من هذا، وهو أنه

(1) في الأصل: ولما دعيت الحب...والتصويب عن الوفيات 2/ 359.

(2) في الأصل: فما الحب...وتذبل حتى، والتصويب عن الوفيات.

اشترى كرّ لوز بستين ديناراً وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه، فصار اللوز بتسعين دينار، فأتاه الدلال وقال: أريد ذلك اللوز، فقال: خذه، قال: بكم؟ فقال: بثلاثة وستين ديناراً، فقال له الدلال: إن اللوز قد صار بتسعين ديناراً، قال له: قد عقدت بيني وبين الله تعالى عقداً لا أحلّه، ليس أبيعه إلا بثلاثة وستين دينار، فقال له الدلال: إني قد عقدت بيني وبين الله عز وجل أن لا أغش مسلماً، لست آخذه منك إلا بتسعين ديناراً، فلا الدلال اشترى منه ولا هو باعه، قال علان: وكيف لا يستجاب دعاء من هذا عمله وشأنه؟

وروى أن السري قدس سره لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها فأبطأت يوماً، فقال لها: لم أبطأت؟ قالت: إن غزلي ما أشتري، وذكرت أنه مخلّط، فامتنع عن أكل طعامها، ودخلت عليه أخته يوماً فرأت عجوزاً تخدمه وتكنس بيته، وقد حملت له رغيفين فحزنت وشكت إلى أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقال أحمد ذلك للسري، فقال: لما امتنعت من أكل طعام أختي قيض الله تعالى ليَّ الدنيا لتنفق عليّ وتخدمني.

ونقل عنه أنه قال: اعتللت بطرسوس فدخل علي ثقلاء القراء يعودونني، وجلسوا فأطالوا فآذاني جلوسهم، ثم قالوا: أرأيت إنا ندعوا الله تعالى لك، فمددت [يدي] وقلت اللهم علمنا كيف نعود المرضى.

وقال الحسن بن محمد: كنت يوماً عند السري قدس سره أعوده من علّة اعتلّها، فقلت له: كيف نجدتك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي قد أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة أروّحه بها فقال: كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من داخل ثم قال:

القلب محترقٌ والدمع مستبق والكرب مجتمعٌ والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق

يا رب إن كان شيءٌ فيه لي فرحٌ فامنن عليّ به ما دام بي رَمَقُ

وقال أحمد بن خلف[1]: دخلت يوماً على السري فقال لي: أعجبك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق، فأجعل أفتت له لقمة خبز في كفي فيهوي على أطراف أناملي فيأكل وينصرف فلما كان في وقت من الأوقات نزل على الرواق ففتتّ الخبز في يدي فلم يهو كما كان، ففكرت في سرّي ما العلة في وحشته مني؟ فوجدتني قد أكلت ملحاً مطيّباً، فقلت، اللهم إني تائب من الملح المطيّب، فهوى على يدي فأكل وذهب.

ونقل عنه أنه قال قدس سره: كنت أطلب رجلاً صديقاً مدة من الزمان، فمررت ببعض الجبال، وإذا أنا بجماعة زمنى وعُميان ومرضى، فسألت عن حالهم، فقالوا: ههنا رجلٌ صديق يخرج في السنة مرة واحدة يدعو لهم فيجدون الشفاء، فصبرت حتى خرج ودعا لهم، فوجدوا الشفاء، فقفوت أثرهم وتعلقت به وقلت له: بي علّة باطنة فما دواؤها؟ فقال: يا سرّي خلّ عني فإنه غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه.

ونقل عنه أنه قال: صحبت رجلاً من أهل سُرّ من رأى يعرف بالواله سنة، فلم أسأله عن مسألة، ثم قلت له يوماً: أيش المعرفة التي ليس فوقها معرفة؟ فقال: أن تجد الله أقرب إليك من كل شيء، وأحب إليك من كل شيء، وأن يمحي من سرائرك وظواهرك كل شيء غيره فقلت له: بأي شيء يوصل إلى هذا؟ فقال: بزهدك فيك، وبرغبتك فيه، قال السري: فكان كلامه سبب انتفاعي بهذا الأمر.

وقال الجنيد قدس سره: سمعت سرّياً يقول: بدوت يوماً من الأيام وأنا حدث فطاب وقتي وجنّ عليّ الليل وأنا بقفاء جبل لا أنيس فيه، فناداني في جوف الليل منادٍ: لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب، قال: فتعجبت وقلت جنّيٌّ يناديني أم إنسيّ فقال: بل جنّي مؤمن بالله تعالى، ومعي أخواني، فقلت: فهل

---

(1) أحمد بن خلف البرساني، نسبه إلى برسان، قرية من نواحي سمرقند اللباب 1/ 112.

عندهم ما عندك: قال: نعم وزيادة، قال: فناداني الثاني منهم، لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الغربة، قال: فقلت في نفسي، ما أبلغ كلامهم؟ فناداني الثالث منهم وقال: من أنس به في الظلام نُشِرَ له غداً الأعلام، قال: فصُعِقْت فما أفقت إلا برائحة الطيب، فرأيت نرجسة على صدري، فشممتها فكملت إفاقتي، فقلت: وصية رحمكم الله، فقالوا جميعاً: أبى الله عز وجل أن يحيي به إلا قلوب المتقين، فمن طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع ومن اتبع طبيباً مريضاً دامت عليه، ومن اتبع الدليل الحائر أرجع وهو كليل وفّقنا الله تعالى وإياك ودعوني ومضوا وقد أتى عليّ حين فلا أزال أرى بركة كلامهم موجودة في خاطري

وسئل عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدبّ على رجله عقرب وهي تضرب بإبرتها ضربات كثيرة وهو ساكن، فقيل له: لمَ لم تنحِّها عنك؟ فقال: استحيت من الله التكلم في الصبر ولا صبر لي.

ويحكى عنه أنه قال: صليت وردي ليلة من الليالي، ثم مددت رجلي في المحراب فنوديت: يا سرّي، كذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت رجلي، ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي أبداً، ومن عذيب كلامه الدال على سموّ مقامه قدس سره، وأفيض علينا برّه، أنه قال: كل الدنيا فضول إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يسكنه، وعلم يستعمله[1].

وقال: التوكل: الانخلاع عن الحول والقوة[2]، وأربع من أخلاق الأبدال. استقصاء الورع وتصحيح الإرادة، وسلامة الصدر للخلق والنصيحة لهم[3]، وأربع خصال يرفع الله تعالى بها العبد: العلم والأدب والدين والأمانة[4].

---

(1) طبقات السلمي ص50.

(2) طبقات السلمي ص50.

(3) طبقات السلمي ص 51.

(4) في طبقات السلمي ص51: العلم والأدب والأمانة والعفة.

وقال: من لا يعرف قدر النعم، سلبها الله من حيث لا يعلم[1]، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها[2]، وقليل في سنّة خير من كثير في بدعة، وكيف يقلّ عمل مع تقوى[3]؟

وقال: لسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، فيتبين على الوجه ما يضمر القلب[4]، والقلوب ثلاثة، قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميّلها، وقلب كالريشة يميل مع الريح يميناً وشمالاً[5]،

وقال: تدعى الأمم بأنبيائها يوم القيامة، فيقال: يا أمة موسى، ويا أمة عيسى ويا أمة محمد، إلا المحبين فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله عز وجلّ، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً.

وقال: من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه، ويقلّ غمه فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة[6]،

وقال: أقوى القوة غلبتك على نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه، ومن خاف الله تعالى خافه كل شيء.

وقال: لا تحرم أخاك على ارتياب، ولا تدعه دون استعتاب[7]، وإن غممت على ما ينقص من مالك، فابك على ما ينقص من عمرك،

وقال: التصوف اسم لثلاث معانٍ، وهو أن لا يطفي نور معرفته نور

---

(1) طبقات السلمي ص52.

(2) طبقات السلمي ص52.

(3) طبقات السلمي ص52.

(4) في طبقات السلمي ص53: يتبين على الوجه ما تضمر القلوب.

(5) طبقات السلمي ص53.

(6) في طبقات السلمي ص50 ويستريح قلبه وبدنه.

(7) طبقات السلمي ص53.

ورعه ولا يتكلم في علم باطن ينقضه عليه كتاب ولا سنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.

وقال: من علامة المعرفة بالله تعالى القيام بحقوقه، وإيثاره فيما أمكنت فيه القدرة[1] وحسن الخلق وكفّ الأذى عن الناس، واحتمال الأذى بلا حقد ولا مكافأة. ومن علامات الاستدراج العمى عن عيوب النفس.

وقال: خير الرزق ما سلم من الآثام في الاكتساب والمذلة والخضوع في السؤال والغش في الصناعة آلة المعاصي، ومعاملة الظلمة، وأحسن الأشياء خمسة، البكاء على الذنوب وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلو الرين من القلوب، وأن لا تكون لما تهوى ركوب.

وقال: خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها، الخوف من الله تعالى وحده والرجاء لله وحده والحب لله وحده، والحياء من الله وحده، والأنس بالله وحده، وقال: لن يؤمن الرجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه

وقال: المغبون من فنيت أيامه في التسويف، والمغبوط من تمنى الصالحون مقامه.

وقال: قلوب المقربين معلّقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، هؤلاء يقولون بماذا يختم لنا، وأولئك يقولون بماذا سبق لنا؟ ومن استعمل التسويف طال حزنه يوم القيامة.

وقال: لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار يخاطبه كل طير فيها بلغة ويقول السلام عليك يا وليّ الله ثم سكنت نفسه إلى ذلك لكان في يد نفسه أسيراً.

---

(1) في طبقات السلمي ص53: القيام بحقوق الله، وإيثاره على النفس، فيما أمكنت فيه القدرة، وما بعدها مني ص53 ـ 54.

وقال: لا تركن إلى الدنيا فينقطع من الله حبلك، ولا تمش في الأرض مرحاً فإنها عن قليل قبرك، وينبغي أن تكون أخوف ما تكون من الله آمن ما تكون منه.

وقال: ثلاث من أخلاق المؤمنين، القيام بالفرائض، والاجتناب عن المعاصي وترك الغفلة، وثلاث من أخلاق الأبرار يبلغن العبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار، وخفض الجناح، ومداومة الصدقات، وثلاث من أبواب سخط الله تعالى: اللعب والاستهزاء والغيبة. وأما عمود الدين وذروته وسنامه فحسن الظن بالله.

وقال: إن الحياء والأنس يطوقان القلب، فإن وجدوا فيه الزهد والورع حطّا وإلا رحلا.

وقيل: أنه قرىء بين يديه: (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) فقال لأصحابه: أتدرون ما هذا الحجاب؟ هذا حجاب الغيرة ولا أحد أغير من الله تعالى، ومعنى حجاب الغيرة أنه لم يجعل الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدين.

وقال: رأس الأعمال كلها الرضا عن الله عز وجل والورع عمود الدين والجوع مخ العبادة والحصن الحصين ضبط اللسان، ومن شكر الله تعالى جرى في ميدان الزيادة.

وقال: ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان، من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له،

وقال: التوكل والتعفّف يمنعان من الذلّة، والإحسان والكرم يمنعان من دناءة الأخلاق والزهد يمنع من التعب.

وقال: الدنيا أفاعي قلوب العلماء، وسحارة تلعب بقلوب القراء كما يلعب الصبيان بالكرة وقال: أربع خصال تقرب العبد من الله وخصلتان تبعدان من الله، فالتي تقرب من الله تعالى النظر في الكسرة، والتشمير في

العبادة وصيانة الكرامة وترك اشتغال بغير الله، والخصلتان اللتان تبعداه من الله تعالى، أداء نافلة بتضييع فريضة، وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلوب.

وقال الجنيد قدس سره: دخلت يوماً على اسري، فقال لي: ما أوائل أحوال الصديقين؟ قلت: لا أدري، فقال: ثلاثة من أحوال الصديقين إن يكونوا بما في أيديهم وإخوانهم سواء، وأن يطالبوا نفوسهم بما للناس عليهم، وأن يكونوا بحيث إذا عرض أمران فيهما لله عز وجل رضا تحملوا على نفوسهم أصعبها وأشدهما، وإن كان فيه تلف نفوسهم.

وقال لبعض من استوصاه من المسترشدين، اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، والتمس وجود الفكر في مواطن الخوف، وألح في المسألة عند وجل القلوب، وتزيّن لله تعالى بالصدق وتحبّب إليه سبحانه بتعجيل الانتقال، وإياك والتسويف، ونافس الأبرار في إقامة الفرض، ونافس المقربين في إخلاص النوافل، وترك فضول الحلال واطلب حلاوة المناجاة بفراغ القلب وجمع الهم، واستجلب زيادة النعم بتعظيم الشكر. وأكثر الحسنات الحديثات للسيئات القديمات، واستبق الحسنات بقلّة التبعات، وسارع في الخيرات وأحذر ما يوجب العقوبات.

وقال: تطرب قلوب المحبين عند السماع وتخاف قلوب المذنبين وتتلهّب قلوب المشتاقين، وروي أنه أنشد:

لا في النهار ولا في الليل لي فرح فما أبالي أطال الليل أم قصرا
لأنني طول ليلي هائم دنفٌ وبالنهار أقاسي الهمّ والفكرا

ثم قال: لولا خوف الشفاعة لصحت، ثم قال: أين شاهد هذا؟ قلنا: لا نعلم، فقال: حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، فمن كان عند ربه فليس في ليل ولا نهار.

وقال: لم أر شيئاً أحبط للأعمال ولا أفسد للقلوب الجافية، ولا

أضر بالحكمة ولا أنجع في هلك العبد، ولا أدوم للأضرار ولا أبعد من الاتصال، ولا أقرب من المقت، ولا ألزم لحجة الرياء والعجب والرياسة من قلة معرفة العبد بنفسه ونظره في عيوب غيره، ولا سيما إذا كان مشهوراً معروفاً بالعبادة وامتدّ له الصيت حتى بلغ من الثناء ما لم يكن يؤمله وتربض بنفسه في الأماكن الخفية وسراديب الهوى، وقبل تجريحه في الناس ومدحه فيهم، وقوله فلان لا تجالسوه وفلان احذروه، يأمر وينهي ويثني عن من تهواه نفسه، فإن أغتيب عنده من لا يهواه قال: اهتكوا ستر الفجرة، وأن أغتيب من يهواه غضب ونهى، وروى أحاديث النهي عن الغيبة، كل ذلك لجهله بنفسه، وعماه عن عيوبها، فيهلك مع الهالكين.

وقال: من تزين بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى، وقال: إياكم ومجاورة الأغنياء، وقراء الأسواق، وعلماء الأمراء، وقال ابن أبي الورد: كان السري قدس سره يأمرنا بالعزلة والوحدة وترك مجالسة الناس، فاعتلّ فعدته، وكنت أعوده عيادة السنة، يعني كل ثلاث أيام، فنظرت في وجهه، فهملت عيناي، وسقط من دموعي على وجهه، ففتح عينيه ونظر الي فقلت له رحمك الله أوصي بشيء أحفظه عنك، فقال: أحذر ثم أحذر أن تعرف الأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار، وكان ذلك آخر كلامه.

توفي روح الله روحه في بغداد سنة إحدى وخمسين ومائتين، وقيل سبع وخمسين، ودفن بالشونيزية، وقبره بها ظاهر يزار ويتبرك به الصغار والكبار.

80 ـ أبو سليمان داود بن نصير الطائي(1)

ومنهم أبو سليمان داود بن نصير الطائي قدس سره، نقول طاوين للكشح عما ذكره المؤلف فيه، ونقل إلى ما هو الأصح في ترجمته وعليه المعوّل.

هو أبو سليمان داود بن نصير بالتصغير، وقيل بن نصر مكبّراً من عباد الكوفة وعلمائها وزهادها، كان كبير الشأن في الزهد والورع، أخذ عن جماعة من التابعين(2)، وكان في مبدأ أمره يلازم حلقة أبي حنيفة رضي الله عنه، وكان كثير الاشتغال بالعلم، ثم انقطع وتخلّى وتزهد وأقبل على العبادة، قيل أنه ورث عن أبيه عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة، وقيل كان لداود ثلثماية درهم فعاش بها عشرين سنة ينفقها على نفسه ولم يكن في بيته إلا بارية ولبنة يضع عليها رأسه واجّانة فيها خبز، ومطهرة يتوضأ ويشرب منها وروي أنه ورث من أمه داراً فكان ينتقل في بيوت الدار كلما خرب بيت منها انتقل إلى آخر ولم يعمره حتى خرب جميع بيوت الدار، ومكث أربعاً وستين سنة أعزب فقيل له: كيف صبرت عن النساء، فقال:

---

(1) ترجمته في العبر 1/ 238 وتاريخ بغداد 8/ 347 وتهذيب التهذيب 3/ 203 والجواهر المضيئة 2/ 536 وحلية الأولياء 7/ 335 ووفيات الأعيان 2/ 259 وطبقات ابن سعد 2/ 255 والأعلام 2/ 335 والبيان والتبيين 3/ 170 والرسالة القشيرية ص21.

(2) منهم عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الوفيات 2/ 259 .

فاسيت شهوتهنّ عن إدراكي سنةً، ثم ذهبت شهوتهن من قلبي، وعوتب مرة أخرى على ترك التزويج فقال: فكيف بقلب ضعيف لا يقوم بهمه يجتمع عليه همان.

وسبب زهده: أنه كان يمر ببغداد يوماً فنحاه المطرقون بين يدي حميد الطوسي[1]، فالتفت داود فرأى حميداً فقال لنفسه: أفٍّ لدنيا سبقك بها حميد، فلزم البيت وأخذ العبادة وقيل سبب زهده أنه سمع نائحة تندب وتقول:

بـأي خـديـك تـبـدي الـبـلا وأي عـيـنـيـك إذا سـالا[2]

فتغير حاله وتشوش باله، وقال في نفسه: كيف لا يزهد في دنيا من كان إلى الموت والقبر مآله، وقيل سبب زهده أن أبا حنيفة رضي الله عنه قال له لما كان يجالسه ويتفقه عليه: يا أبا سليمان أما الآلة فقد أحكمناها، قال داود: فما بقي، قال: العمل، قال: فنازعتني نفسي إلى العزلة والوحدة، فقلت لنفسي حتى أجالسهم سنة ولا أتكلم في مسألة، قال روح الله روحه فجالستهم سنة لا أتكلم في شيء، وكانت المسألة تمرّ بي وأنا إلى الكلام فيها أشدّ نزاعاً من العطشان إلى الماء، ولا أتكلم، ثم صار أمره إلى ما صار[3] من الإقبال على الله وعبادته في الليل والنهار والانفراد عن الناس والفرار.

وروى أنه كان يسكن في بيته وحده، فقيل له: أنت وحدك ههنا، قال: فهل الأنس اليوم إلا في الوحدة والانفراد؟ وقال له آخر: أما تستوحش؟ فقال: حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا، ودخل عليه بعضهم فرآه وهو قاعد على التراب، فقال لصاحبه هذا رجلٌ زاهد، فقال له داود: إنما الزهد من قدر فترك.

---

(1) حميد الطوسي: من كبار قواد المأمون العباس، توفى سنة 210ه النجوم الزاهرة 2/ 190.

(2) الرسالة القشيرية وفيه: وراء عينيك إذن سالا.

(3) الخبر في القشيرية ص21.

وعن عمير بن صدقة، أنه قال: كان داود الطائي لي صديقاً، وكنا نجلس جميعاً في حلقة أبي حنيفة رضي الله عنه حتى اعتزل وتزهد، فأتيته وقلت: يا أبا سليمان، جفوتنا، فقال: ليس مجلسكم ذاك من الآخرة بشيء، ثم قال: أستغفر الله، أستغفر الله، ثم قام وتركني

وقيل له أخرى: لو جالست الناس؟ فقال: إنما أنت بين اثنين: صغير لا يوقرك وكبير يحصي عليك عيوبك.

وعن القاسم بن معين قال: لما اعتزل داود الطائي، فقلت: يا أبا سليمان، تركت إخوانك ومجلس من يذاكرك العلم، فسكت طويلاً ثم قال: رحمك الله إني رأيت قلوباً لاهية مؤتلفة وهمماً مختلفة، وأهواءً متعبة، ودنيا مؤثرة، فكان في اعتزالي أكثر العافية.

وأتاه الفضيل بن عياض يزوره فقال له: أقلل من زيارتي فقد قليت الناس، ثم قال ما أخرج الله عبداً من ذل المعصية إلى عز الطاعة إلا أغناه الله عز وجلّ بلا مال وأعزّه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس.

وعن حبّان بن علي قال: احتاج الحسن بن قحطبة[1] أن يسأل داود الطائي عن مسألة فهابه أن يأتيه وحده، فقال لرجل من وجوه طيء وشيوخها إني احتجت إلى لقاء داود فكن معي، فأتياه فدخلا فسلما عليه، فردّ السلام، فلما رأى ابن قحطبة، انقبض وجعل لا ينظر إليهم، فابتدأ ابن قحطبة يسأله عن المسألة، فلم يجب ولم يكلمه، فأعاد عليه، فأعرض عنه بوجهه، فلما رأى ذلك ابن قحطبة خرج وتوقف الشيخ عنده، فقال له: يا أبا سليمان يجيئك ابن عم لك يسألك عن مسألة من أمر دينه فلم تجبه، فنظر داود نظراً منكراً ثم قال: وإذا نفخ في الصور، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، فقام الشيخ مبادراً فأصاب ابن قحطبة ينتظره، فأخبره، فقال

(1) الحسن بن قحطبة الطائي، قائد شجاع من قواد الدولة العباسية، توفي سنة 181هـ الكامل لابن الأثير 6/ 53.

ابن قحطبة، لقد هان الخلق على داود طوبى له، ثم ذهبا.

وعن أبي الهدى الطائي، قال: مر داود الطائي على زقاق عمرو فرأى الرطب مصففاً فدعته نفسه إليه، فجاء إلى البياع فقال: أتنسأني بدرهم؟ فقال: هات الدرهم، فقال: غداً أعطيك، قال: اذهب إلى عملك، فرآه رجل يعرف داود فجاء إلى البياع فأعطاه كيساً فيه مائة درهم، فقال: اذهب، فإن أخذ منك بدرهم فهي لك، فلحقه فقال له: ارجع فخذ، فقال: لا حاجة، إنما أردنا أن نجرب هذه النفس. فذهب وهو يقول لنفسه، لم تساوي من هذه الدنيا درهماً وأنت تريدين الجنة؟

وروي عن مليح بن وكيع قال: حدثني أبي قال: سمعت حماد بن أبي حنيفة يقول: بعثني أبي إلى داود الطائي بمال فقال: يستعين به على أيامه، فإن كان به استغناء فليفرقه على من شاء، فأتيت بابه، فسمعته يقول لنفسه: اشتهيت جوزاً مشوياً فقلت، نعم وجعلته إدامك ثم طلبت معه الليلة تمراً والله لا ذقت التمر أبداً حتى ألقى الله، قال فدخلت عليه، فأعلمته بما جئت به، فقال: إن ملك أبي حنيفة عندي مما أرضاه، ولو كنت أقبل من أحد شيئاً لقبلته والله تعالى يعلم كثرة دعائي لأبي حنيفة في صلاتي، فمنه تعلمت، وبه تأدّبت ولم يأخذ من المال شيئاً،

وروي أنه كان يخبز لداود في الشهر ستون رغيفاً، ثم يعلقها بشريطة يفطر في كل ليلة على رغيفين بماء وملح، قال: فأخذ ليلة فطوره فجعل ينظر إليه، فقامت مولاة له سوداء فجائته بشيء من التمر على طبق، فأفطر عليه، ثم أحيى الليلة إلى الصباح، واصبح صائماً، فلما كان وقت إفطاره أخذ رغيفيه وملحاً وماءً، وكان في بعض الليالي يفطر على رغيف يابس، فقيل له: ولو أخذت من ملح؟ فسكت ثم قال: إن نفسي تنازعني ملحاً، فلا ذاق داود ملحاً ما دام في الدنيا، فما ذاقه حتى مات.

وروي أن مولاته قالت له يوماً، لو صنعت لك دسماً، فقال: وددت، فطبخت له دسماً وجاءت به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟

قالت: على حالهم، قال: اذهبي به إليهم، قالت: فديتك إنك لم تأكل منذ كذا إداماً، قال: إن هذا إذا أكلوه كان عند الله مذخوراً، وإذا أكلناه كان في الحسّ[1]، الحس، بضم الحاء وفتحها وبالسين المشددة البستان ويجمع على حسّان مثل ضيف وضيفان، والحسّ أيضاً المخرج لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، والجمع حسوس.

وروي أنه كان له داية تشفق عليه، فقالت له يوماً: أما تشتهي الخبز؟ قال لها: اعلمي أن بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قرابة خمسين آية.

وحكى أبو الربيع الواسطي قال: دخلت على داود الطائي بعد المغرب فقرّب إليّ كسرات يابسة، فعطشت، فقمت إلى دنّ فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله، لو اتخذت إناءً غير هذا يكون فيه الماء [بارداً][2] فقال: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا آكل إلا طيباً، ولا ألبس إلا ليّناً، فما أبقيت لآخرتي؟ فقلت أوصني، قال صِم الدنيا واجعل فطرك الموت فيها، وفرّ من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أقلّ مؤونة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به.

وقال الحسن بن مجاهد، مرض داود الطائي، فلما خفّ عنه المرض قيل له: لو خرجت من الدار لانفرج عن قلبك، وكان أروح عليك، فقال: إني لأستحي أن أنقل قدمي إلى ما فيه راحة بدني.

ودخل عليه رجل فجعل ينظر إليه فقال له: أما علمت أنهم يكرهون فضول النظر، كما يكرهون فضول الكلام.

وقال اسحق السلولي: حدثتني أم سعيد بن علقمة، وكان سعيد من نساك النخع، وكانت أمه طائية، قالت: كان بيننا وبين داود الطائي جدار

---

(1) وفي الوفيات 2/ 261 إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلنه صار إلى الحُش بالشين.

(2) ليست في الأصل، والتصويب عن الوفيات 2/ 261.

قصير، فكنت أسمعه عامة ليله لا يهدأ، قالت: وربما تنغم بشيء من القرآن وقت السحر فأرى كأن جميع الدنيا جمع في نغمته تلك الساعة

وقيل كان لا يسرج في داره، وإذا غلبته عيناه احتبى قاعداً.

وكان قدّس سرّه يقول في ليله من جملة دعائه: إلهي همك عطّل عليّ الهموم، وحال بيني وبين الرقاد، وشوقي إلى النظر إليك حال بيني وبين اللذات، وأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب.

وقال عبد العزيز بن محمد: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول من يحضر، من يحضر؟ فأتيته فقال: ما تريد؟ فقلت: سمعتك تقول: من يحضر؟ من يحظر؟ فأتيتك أسألك عن معنى كلامك، فقال: أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبر عن أعلى مراتب الأولياء، فادرك فلعلك تدركه وتسمع كلامه، فأتيته وإذا الناس حوله وهو يقول:

ما نال قوم من الرحمن منزلة   أعلى من الشوق إن الشوق محمود

قال ثم سلم ونزل، فقلت [إلى] رجل جنبي من هذا؟ قال: أما تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا داود الطائي، فعجبت منه في منامي، فقال: أتعجب مما رأيت؟ والله إن لداود من الزلفى أكثر من هذا وأكثر.

وروي أنه قدس سرّه ذهب يوماً إلى جعفر الصادق رضي الله عنه وقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عظني، فإن قلبي قد اسودّ، فقال رضي الله عنه: يا أبا سليمان أنت زاهد زمانك، أي حاجة لك إلى موعظتي، فقال داود: يا ابن رسول الله لكم على جميع الخلائق فضل، وعظتك إياهم واجبة، فقال: يا أبا سليمان، إني أخاف أن يقول لي جدي يوم القيامة، لمَ ما أدّيت حق متابعتي؟ وهذا الشغل لا يصح بالنسب، والنسب القوي لهذا الشغل هو المعاملة اللائقة لحضرة الحقّ تعالى، فبكى داود، وقال: إلهي إن الذي عجنت طينته بماء النبوة، وركبت طبيعته من أصل البرهان والحجة، وجدّه الرسول وأمّه البتول، وهو بهذه الحيرة، فمن يكون داود حتى يكون بمعاملته معجباً.

وكان لا يسأل الجنة حياءً منه، ويقول: وددت أن أنجو من النار، فأصير رماداً وكان يقول: قد مللنا الحياة لكثرة ما نفعل من الذنوب.

وروي أنه قال له رجل من عشيرته: أوصني، فدمعت عيناه، ثم قال له: يا أخي إن الليل والنهار مراحل ينزلها الناس حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم فإن استطعت في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر قريب والأمر أعجل من ذلك، فتزود لنفسك واقض ما أنت قاض من أمرك فكأنك بالأمر قد بغتك، وإني لأقول لك وما أحد أشدّ تضييعاً لذلك مني ثم قام.

وقال له آخر: أوصني، فقال له: عسكر الموت ينتظرونك.

وقال أبو بكر بن محمد قلت لداود، دلني على رجل أجلس إليه فأربح، فقال: تلك ضالة لا توجد.

وروي، أنه رحمه الله خرج مع جنازة بالكوفة، فجلس في ناحية والميت يدفن، فجاء ناس فقعدوا قريباً منه، فقال: من خاف الوعيد قَصُر عليه البعيد، ومن طال أمله، ضَعف عَمَلُه، وكل ما هو آت قريب، وكل ما أشغلك عن ربك فهو عليك شؤم، إلا أن أهل القبور يفرحون بما يقدّمون، ويندمون على ما يخلّفون.

ولما مات رآه بعض الصالحين في المنام وهو يعدو، فقال له: ما لك؟ قال: الآن خرجت من السجن، فاستيقظ الرجل، فإذا الصياح قد ارتفع.

وروي أن داود قدس سره اشتكى أياماً، وكان سبب علّته أنه مرّ بآية فيها ذكر النار فكررها مراراً في ليلته، فأصبح مريضاً، ففتحوا باب الدار، ودخل عليه ناس من إخوانه وجيرانه ومعهم ابن السماك فوجدوه قد مات، ورأسه على لبنة، فلما نظر ابن السماك إلى رأسه قال: يا داود فضحت القراء، ولما حملوه إلى قبره خرج في جنازته خلق كثير، ولما دفنوه قام ابن السماك على قبره فقال:

يا داود، كنت تسهر ليلك إذ الناس نائمون، وكنت تربح إذ الناس يخسرون، وكنت تسلم إذ الناس يخوضون، حتى عدّ جميع فضائله والناس يصدقونه على ذلك، فلما فرغ قام أبو بكر النهشلي[1]، فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموه من حاله اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله.

توفى روح الله روحه في بغداد سنة خمس وستين، وقيل سنة ست وستين بعد المائة[2] ودفن في الجانب الغربي بين تربة الجنيد ومعروف الكرخي، يتبرك بقبره ويزار، ويستفيض من الزوار.

أقول رأيت في بعض مجامع شيخنا شهاب الآلوسي حفظه الله تعالى نقلاً عن لسان الميزان أن مدفنه في الكوفة وإن المرقد المشهور ببغداد هو مرقد داود الظاهري خلاف ما شاع بين الناس.

---

(1) أبو بكر النهشلي، ابن عبد الله بن قطاف، زاهد محدث ترجمته في طبقات ابن سعد 6/ 263.

(2) وفي العبر سنة 162، أو 160.

81 ـ بهلول المجنون[1]

ومنهم بهلول المجنون رحمه الله تعالى، قال المؤلف ما ترجمته حقق في جامع السير أنه كان متحلّياً بحلية الزهد والتقوى، ومتردّياً بالورع والصلاح، ومع كونه ابن عم هارون الرشيد[2] الخليفة العباسي زهد في الدنيا وما فيها، ورفضها لأهاليها، وسعى بتحصيل النعيم الباقي والفوز بأعلى المراقي.

حكي أن هارون بنى داراً رفيعة القصور والبنيان، جديدة الأساس والأركان، فلما بناها ذهب إليها ليراها، فحضر أيضاً فيها بهلول، فقال له هارون: إن الأدباء والشعراء قد مدحوا هذه الدار، وقال فيها كل ما يناسبها من الأشعار، فهلا تقول فيها شيئاً كما قالوا؟ فأخذ بهلول القلم وجعل يكتب في جدران الدار المذكورة هذه الكلمات المنثورة: رفعت الطين، ووضعت الدين، ورفعت الجص ووضعت النص، إن كان من مالك فقد أسرفت، إن الله لا يحب المسرفين، وإن كان من مال غيرك فقد ظلمت، إن الله لا يحب الظالمين.

---

(1) بهلول بن عمرو، أو وهيب الصيرفي الكوفي، من عقلاء المجانين، ومن رواد التصوف، توفي في حدود سنة 190هـ، ترجمته في الوافي للصفدي 10/ 309، والبيان والتبيين 2/ 230، ومقامات العلماء بين يدي الخلفاء ص95 وطبقات الصوفية للشعراني 1/ 58 وبروكلمان 4/ 55 والأعلام 2/ 77.

(2) لم يرد في المصادر ما يؤيد هذا الزعم.

هذا ومناقبه في ألسنة الأنام كثيرة، وحكاياته شهيرة، ولكن لما لم نرها بتفاصيلها في الكتب التي رأيناها، اكتفينا منها بهذا القدر.

وقبره في بغداد في الجانب الغربي في موضع يزار[1] ويتبرك به الآن.

قلت، وكذا الفقير، لم أر له ترجمة حافلة لبيان نسبه وحسبه وأحواله وكلامه وزمن ولادته ووفاته فيما وصلت إليه يدي من كتب التاريخ، نعم، رأيت في طبقات الإمام الشعراني في ترجمته ما نصه، اجتمع به هارون الرشيد، فقال له الرشيد كنت أشتهي رؤيتك من زمان، فقال: لكني لم أشتق إليك قط، فقال له: عظني، فقال: بم أعظك؟ هذه قصورهم، وهذه قبورهم، ثم قال: كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق بين يديه فسألك عن النقير والفتيل والقطمير، وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون عليك، فخنقته العبرة، وكان بهلول مجاب الدعوة وأمر له الرشيد بصلة فردّها عليه وقال: ردّها على من أخذتها منه قبل أن يطالبك بها أصحابها في الآخرة فلا تجد شيئاً ترضيهم به، فبكى الرشيد، وكان رحمه الله تعالى ينشد:

دع الحرص على الدنيا	وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال	فما تدري لمن تجمع
فإن الرزق مقسومٌ	وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذي حرصٍ	غنيٌّ كل من يقنع

انتهى: قيل أن هارون الرشيد خرج يوم العيد راكباً وعليه ثياب غالية جديدة، فقال له بهلول: ليس العيد لمن لبس الجديد، وإنما العيد لمن آمن بالوعيد، وليس العيد لمن يتبختر بالعود، وليس العيد لمن ركب المطايا، وإنما العيد لمن جاوز السراط، وليس العيد لمن بنى القصور، إنما العيد لمن تجهَّز للقبور.

---

(1) قبره قرب القبر المنسوب إلى السيدة زبيدة مراقد المعارف 1/ 200.

82 ـ حماد بن مسلم الدباس[1]

ومنهم الشيخ حماد الدباس، قدس سره، هو حماد بن مسلم الدباس، قال المؤلف ما معناه، هو من مشائخ قطب الأولياء محي الدين عبد القادر الكيلاني، ومع كونه أمّياً، انتهت إليه بتوفيق الله تعالى تربية المريدين، وانتمت إليه أجلاء مشايخ بغداد الكاملين وذكر في نفحات الأنس إن الشيخ عبد القادر الكيلاني كان يوماً جالساً عنده بعدما قام من مجلسه وذهب قال: إن لهذا الفتى العجمي قدم تعلو، وسيجيء زمن يؤمر فيه أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فيقول، وتوضع له رقاب الأولياء في زمانه، وقد وقع ما أخبر به، فإن الشيخ عبد القادر قدس سره بعد الكمال وبلوغه أقصى مراتب الرجال، قالها وهو في رباطه على الكرسي، وكان في مجلسه عامة مشايخ العراق منهم: الشيخ علي الهيتي والشيخ بقاء بن بطو، والشيخ أبو سعيد القيلولي، والشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي، والشيخ جاكير، والشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر

---

(1) حماد بن مسلم الرحبي الدباس المتوفى ببغداد سنة 525هـ، سمع الحديث من أبي الفضل وغيره، إلا أنه كان على طريقة الصوفية يدعي المعرفة والمكاشفة وعلوم الباطن، وكان عادياً من علوم الشريعة، هكذا ذكره ابن الجوزي في المنتظم 10/ 22.

وأثنى عليه آخرون، وكان له معمل للدبس ببغداد، وزاول مهناً كثيرة.

بهجة الأسرار ص144 والترجمة هنا منقولة عنه. انظر: طبقات الشعراني. شذرات الذهب 4/ 73. العبر 3/ 64.

الحريمي العطار، والشيخ قضيب ألبان الموصلي، فلما قالها صعد الشيخ علي الهيتي فوق الكرسي وأخذ قدمه وجعلها على عنقه، ثم حنى الباقون أعناقهم وذكر مناقبه في البهجة.

قلت: صححت ما ذكر فيه ونقلته ملخصاً، وهو: أنه من أجلاء مشايخ بغداد، وأعلام عارفيها الزهاد، وصاحب خوارق العادات والأحوال النفيسة والكرامات، والقرب التام من الحق، والقبول العام عند الخلق، أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق، والفضلاء الكاشفين عن أسرار الطرائق، انتمى إليه معظم مشايخ بغداد، وصوفيتها الأمجاد وهو أحد من صحبه الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني، وانتمى إليه، وروى كراماته وكان تاج العارفين، يعظم شأنه، وسائر المشايخ يعظمونه إذا أتوه، ويتأدبون في حضرته، وينصتون لسماع كلمته، ويحكمونه فيما يختلفون فيه، وكان الشيخ أبو النجيب السهروردي يقول: لو رآه أبو القاسم القشيري لقدمه في رسالته على كثير من المشايخ، وكان شديد المناقشة لنفسه.

روي عنه أنه خرج يوماً يزور مقبرة معروف الكرخي، فسمع جارية تغني في دار مولاها فرجع إلى منزله فقال: أي ذنب جنينا حتى عوقبنا اليوم، فلم يذكروا شيئاً إلا أنهم قالوا اشترينا بالأمس إناء فيه صورة، فقال: من هنا أُتي عليّ، وقام فمحا الصورة من الإناء.

وله كلام عال منه: القلوب ثلاثة، قلبٌ يطوف في الدنيا، وقلب يطوف في الآخرة، وقلب يطوف بالمولى لا في المولى، فمن طاف في المولى تزندق.

طهر قلبك باليقين لتجري عليه الأقدار.

ومنه: أقرب الطرق إلى الله تعالى حبُّهُ، وما يصفو حبه حتى يبقى المحب روحاً بلا نفس وما دام له نفس، فلا بد أن يحب في الله، وعند فقد النفس تجيء محبة الله الصادقة.

وعن الشيخ عبد القاهر السهروردي قال: كان الشيخ حماد الدباس

من أجل من لقيت من مشايخ بغداد وهو أول شيخ فتح الله علي ببركته، وكانت دباسته لا يدخلها زنبور ولا ذباب، وكان بعض مماليك المسترشد يتردد إليه فقال له: إني أرى لك في السابقة نصيباً من القرب إلى الله تعالى، فاترك دنياك وانقطع إلى الله عز وجل، فلم يفعل، وكان بمنزله عند الخليفة فدخل عليه يوماً وأنا عنده، فأعاد عليه القول، فامتنع، فقال له: إن الله تعالى قد حكمني فيك لأجذبك إليه بما شئت، وإني أمرت البرص أن يغشاك، قال: فوالله ما تم كلامه حتى عمم البرص جميع جسد المملوك، فبهت الحاضرون، وقام ودخل على الخليفة، فأحضر له الخليفة الأطباء فأجمعوا على أن لا دواء له، فأشار عليه وجوه دولته بإخراجه من القصر فأخرج وأتى الشيخ حماد وقبّل رجليه وشكى حاله إليه، والتزم موافقته فيما يأمره به، فقام الشيخ ونزع عنه قميصه الذي كان عليه، وقال: اذهب أيها البرص، فإذا جسده كالفضة البيضاء، فخطر له أن يرجع إلى الخليفة من الغد، فضرب الشيخ على جبهته بإصبعه، فخط في غرته خطاً فإذا هو خط برص وقال: هذا يمنعك من الدخول على الخلفاء فلزم خدمة الشيخ إلى أن مات.

وروي عنه أيضاً أنه قال: أتيت في بدايتي إلى الشيخ حماد الدباس وشكوت إليه كثر مجاهداتي وبطء الفتح عليّ، فقال: ائتني غداً بسد من لبن بعد قيامك من الدرس ولا تغير زيّك، فلما كان من الغد خرجت من المدرسة وما غيّرت لباسي، فجئت إلى السوق واشتريت سدّ لبن وحملته على رأسي ومشيت في سوق بغداد، واتفق أن لقيني كل من يعرفني، وصار الناس يقفون ينضرون اليّ، وكنت كلما خطوت خطوة تذوب نفسي كما يذوب الدهن على النار، فلما قاربت دباس الشيخ رأيته واقفاً في الباب كالمنتظر لي فنظر إلي نظرةً ملأني بها وغاب عقلي ووقعت على وجهي، وتبدد اللبن على الأرض وأنا إلى الآن في بركات تلك النظرة،

وعنه أيضاً أنه قال: سمعته يقول: أنا لا آكل إلا من طعام الفضل، وكان يرى الشخص في المنام أن احمل إلى حماد شيئاً، وكان يعين للرائي

أن احمل إليه كذا وكذا وكان يقول: كل جسد ربّي بطعام الفضل لا يتسلّط عليه البلاء، ويعني بطعام الفضل ما يشهد له صحة الحال من فتوح الحق سبحانه وتعالى.

حكي أنه قدس سره مر ببعض قرى بغداد فرأى بعض أمراء الدولة المستظهرية راكباً سكران فأنكر عليه، فسطا عليه الأمير فقال: يا فرس الله خذيه، فغدت به فرسه كالبرق الخاطف وفقد ولم يعلم أين ذهب، وبعث الخليفة الخيل ورائه فلم تعلم له بأثر ولم تقف له على خبر، فقال الشيخ: وعزة من له العزة لم تستقر به الفرس دون بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل حتى ذهبت به إلى جبل قاف، ومن ثمة يبعث.

وأصله من رحبة الشام، وسكن بغداد بالمظفرية إلى أن مات بها سنة خمس وعشرين وخمسمائة وقد علت سنه ودفن بالمقبرة الشونيزيه انتهى.

قال المؤلف وإن ذكر في البهجة أن مدفنه في الشونيزيه إلا أنه اتفقت كلمة أهل العراق الآن أن مدفنه في القصبة الأعظمية المعروفة بمقبرة الخيزران انتهى. والله أعلم.

83 ـ الشيخ أبو الوفاء[1]

ومنهم الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء قدس سره، قلت: لما كان المؤلف نقل ترجمته ومناقبه من كتاب البهجة، ولم يستوفها رأيت أن أنقلها برمتها وأقول:

قال في البهجة هذا الشيخ من أعيان مشايخ العراق مثل الشيخ علي الهيتي والشيخ بقاء ابن بطو، والشيخ عبد الرحمن الطفونجي، والشيخ مطر البادرائي، والشيخ ماجد الكردي والشيخ أحمد البقلي وغيرهم، وتلمذ عليه خلق كثير، وكان له أربعة وأربعون خادماً من أصحاب الأحوال، وكان المشايخ بالعراق يذكرون أن تحت علمه من مريديه سبعة عشر سلطاناً، وكانوا يقولون: عجباً لمن يذكر أبا الوفاء ولا يمر يده على وجهه، ويسمي الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله، كيف لا يسقط وجهه من هيبته، وهو أول من سمي بتاج العارفين بالعراق، وهو الذي قال: لا يكون الشيخ شيخاً حتى يعرف من كاف إلى قاف، فقيل له وما قاف؟ قال: يطلعه الله عز وجل على جميع ما في الكون[2] من ابتداء خلقه يكن إلى مقام وقوفهم انهم مسؤلون، وهو أحد من يذكر عنه القطبية، وقد جمع في كراماته ومناقبه كتاب، وله كلام [عال][3] على لسان أهل الحقائق منه: من

---

(1) بهجة الأسرار ص142 وفيه أن اسمه كاكيس، وإنما كناه بأبي الوفاء شيخه أبو محمد الشنبكي.

(2) في البهجة: الكونين.

(3) عال: ليست في الأصل، والتصويب عن البهجة ص143.

هيمه النظر[1] وأقلقه سماع الخبر، انقطع[2] في مقاوز الأشواق، فلم يلتفت إلى الآفاق، ويقول في هيامه كيف السبيل إلى وصل أعيش به ومنه: الذكر ما غيبك عنك [بوجوده] وأخذك منه بشهوده، والذكر شهود الحقيقة، وخمود الخليقة ومنه: من أخلص لله في معاملته، تخلص من الدعوى الكاذبة، ومن ضيّع حكم وقته فهو جاهل، ومن قصر منه فهو غافل، ومن أهمله فهو عاجز، والتسليم إرسال النفس في ميادين الأحكام، وترك الشفقة عليها من الطوارق، وروي عن الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي أنه قال: قلت في وقت غلبتي[3]، ما بقيت أذهب إلى قلمينيا[4]، ولا لي حاجة بمن فيها، أعني شيخنا تاج العارفين أبا الوفاء، ثم استغفرت الله تعالى بعد ذلك وأتيت إليه فلما رآني قال لي: يا عبد الرحمن، أنت قلت كذا وكذا؟ قلت: نعم، قال: أي وقت هذا من النهار؟ فقلت: وقت الظهر، فرفع إصبعه الوسطى على المسبحة، فقال: أنظر أي وقت هذا، فإذا أنا انظر الليل الأليل، فقلت: يا سيدي، الوقت الآن ليل، فنزع خاتمه من يده، ورفع طرف سجادته، وأفلته من يده وقال لي: أدن مني وأنظر أين ذهب الخاتم، فنظرت، فإذا هو هاوٍ في نار في هوّة من الأرض، فهالني منظره، فقال لي: يا عبد الرحمن، وعزة العزيز لولا شفقة الأبوّة على البنوّة لكنت مكان هذا الخاتم

وروي عن الشيخ علي الهيتي أنه قال: طرقت منازلة من منازلات الغيب عشرة من الأولياء على زمان شيخنا الشيخ تاج العارفين أبي الوفاء، واشتركت فيها أسرارها، وأشكل من أمرها شيء عليهم،. فاجتمعوا وأتوا إلى تاج العارفين ليسألوه عنها، فوجدوه نائماً، وسمعوا كل عضو منه ينطق بالتسبيح والتهليل فجلسوا ينتظرون يقظته، فنطقت لهم أعضاؤه وخاطبتهم

---

(1) في البهجة: من هيمه أثر النظر.

(2) في البهجة يقطع في مفاوز الأشواق.

(3) في البهجة: في وقت غلبة مني.

(4) قلمينيا: سيأتي إنها من قرى العراق.

بمنازلتهم وكشفت لهم منها ما أشكل عليهم وانصرفوا قبل أن يستيقظ.

وكان رضي الله عنه برجسي[1] الأصل قبيلته من الأكراد، وهو الذي يقول: أمسيت عجمياً وأصبحت عربياً، وسكن قلمينيا قرية من قرى العراق واستوطنها إلى أن توفي بها بعد سنة خمسمائة وقد تجاوز الثمانين. روي أنه مرّ قبل وفاته بشجرة بالقرب من زاويته فوضع يده عليها وقال: بؤس ودؤس[2] ولم يفهم منه ذلك، فلما مات قطعت تلك الشجرة، وجعل منها ضريحاً له وعتبة لباب تربته[3]، ففهم مرادهـانتهى.

---

(1) في الأصل: نرجسي، والتصويب عن البهجة ص143

(2) في الأصل: يوش ودوش، والتصويب عن البهجة ص143

(3) في الأصل: وجعل منها ضريح له عتبة الباب وتربة: والتصويب عن البهجة

84 ـ عبد القاهر السهروردي[1]

ومنهم أبو النجيب عبد القاهر السهروردي قدس الله سره، ولقب بضياء الدين، قلت وبنجيب الدين أيضاً، كما ذكر الإمام الشعراني في طبقاته، ونسبته إلى سهرورد، محلة من محلات بغداد، قلت: ليس الأمر كما ذكره، بل هي على ما قاله ابن خلكان بعد ضبطها بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الراء الأولى والواو وسكون الراء الثانية، ودال مهملة في آخرها، بلدة عند زنجان من عراق العجم، وتنتهي نسبته نسباً باثني عشر ظهراً إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قلت: وساق نسبه ابن خلكان بأنه عبد القاهر ابن عبد الله بن محمد بن عمّويه واسمه عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن علقمة بن النضر بن معاذ بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم قال محب الدين بن النجار في (تاريخ بغداد) نقلت نسب الشيخ أبي النجيب من خطه، هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمّويه واسمه عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر ابن القاسم بن عبد الرحمن بن القاسم بن

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 204 وطبقات السبكي 4/ 256 ومعجم البلدان سهرورد 3/ 289، والعبر للذهبي 4/ 181 وشذرات الذهب 4/ 208 وتاريخ أربل 1/ 107 وبهجة الأسرار ص233 وابن الدبيثي.
والمنتظم 10/ 147 و 255 وكامل ابن الأثير 11/ 219 وأنساب السمعاني سهروردي وتاريخ ابن كثير 12/ 254 والنجوم الزاهرة 5/ 68، ومرآة اليافعي 3/ 372 وتاريخ ابن السلمي ص297 وتكملة ابن الصابوني ص75 والروضتين 1/ 11 و 192 و2/ 219.

محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإذا كان بخطه هكذا فهو أصحانتهى.

وعمّويه بفتح العين المهملة وتشديد الميم المضمومة، وفتح الباء المثناة من تحت هذا وقال مولانا الجامي قدس سره السامي في نفحات الأنس بنقل المؤلف أن أبا النجيب قدس سره، مرّ يوماً بالسوق في بغداد فنظر إلى شاة مسلوخة معلّقة في حانوت جزار، فوقف عنده وقال له: إن هذه الشاة تقول إني ميتة، فغشي على الرجل الجزار، ثم لما أفاق، أقرّ بصحة قول الشيخ وتاب على يده من أن يعود إلى مثله، قلت ورأيت هذه الحكاية مذكورة في البهجة[1] كما نقلها المؤلف مع حكايات أخرى ولا بأس بنقلها، وهي: أنه قدس سره رأى رجلاً يحمل فاكهة كثيرة فقال له: بعني هذه الفاكهة، قال: لم؟ قال: إنها تقول: أنقذني من يد هذا، فإنه اشتراني ليشرب علي خمراً، فأغمي على الرجل وسقط على وجهه ثم أتى إلى الشيخ وتاب على يده، وقال: والله ما علم بهذه الحالة التي أخبرها الشيخ سوى الله تعالى وأنا.

وروي عن الشيخ أبي عبد الله شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي[2] بن أخي الشيخ أبي النجيب المذكور أنه قال: ما لاحظ عمي ضياء الدين أبي النجيب مريداً بعين الرعاية إلا نتج وبرع وكان إذا جلس فقير في خلوته دخل عليه في كل يوم يتفقد أحواله ويقول له: يرد عليك الليلة كذا ويكشف لك عن كذا، وتنال حال كذا، وسيأتي لك شخص في صورة كذا ويقول لك كذا، فأحذره فإنه شيطان، فيجد الفقير جميع ما أخبر به الشيخ كما أخبر وكنت عنده مرة، فأتاه سوادي بعجل، وقال له يا سيدي، نذرنا لك هذا، وانصرف فجاء العجل حتى وقف بين يديه فقال

---

(1) بهجة الأسرار ص234.

(2) عمر بن محمد السهروردي، فقيه شافعي واعظ، أخذ التصوف عن عمه أبي النجيب وغيره، له مؤلفات أشهرها عوارف المعارف ولد سنة 539ﻫ بسهرورد، وتوفي ببغداد سنة 632ﻫ، وفيات الأعيان 3/ 446 وذيل وضيبتين 163 والحوادث الجامعة 74.

الشيخ لنا، إن هذا العجل يقول لي أني لست العجل الذي نذر لك، وإنما نذر لك أخي وأنا نذرت للشيخ علي الهيتي، فلم يلبث أن جاء السوادي وبيده عجل يشبه الأول، فقال للشيخ: يا سيدي أني نذرت هذا العجل لك، والعجل الأول نذرته للشيخ علي الهيتي، فاشتبها عليّ، فأخذ الأول وانصرف وحضر عنده مرة ثلاثة من اليهود وثلاثة من النصارى[1]، فعرض عليهم الإسلام، فأبوا إباءً عظيماً، فوضع في فم كل واحد منهم لقمة من لبن فلم يتم أكلهم لها حتى أسلموا عن آخرهم وقالوا: لما خالط اللبن بواطننا نسخ منا كل دين غير الإسلام، فقال الشيخ: وعزة المعبود ما أسلمتم حتى أسلمت شياطينكم على يدي، وإني استوهبتكم من الله عز وجل فوهبكم لي ثم مسح على عيونهم فكشف لهم قرناؤهم وخاطبوهم بالإسلامانتهى بأدنى تغيير.

ولم يذكر المؤلف تأريخ ولادته بل ذكر تأريخ وفاته ومكان تربته، وذكر ابن خلكان جميع ذلك ذلك مع بيان حالاته المغرية للسالك، فرأيت أن أنقله ثم أختم ترجمته ببعض كلماته الحسنة، ومقالته المستحسنة، ناقلاً لها من طبقات الإمام الشعراني فأقول والله ميسر الآمال والأماني:

قال ابن خلكان[2]، كان شيخ وقته بالعراق، ولد بسهرورد سنة تسعين وأربعمائة تقريباً، وقدم بغداد، وتفقه بالمدرسة النظامية على أسعد الميهني المقدم ذكره وغيره، ثم سلك طريق الصوفية، وحبب إليه الانقطاع والعزلة، فانقطع عن الناس مدة مديدة، وأقبل على الاشتغال بالعمل لله تعالى، وبذل الجهد في ذلك ثم رجع ودعا جماعة إلى الله تعالى، وكان يعظ ويذكر، فرجع بسببه خلق كثير إلى الله تعالى، وبنى رباطاً على الشط في الجانب الغربي ببغداد، ثم ندب إلى التدريس في المدرسة النظامية فأجاب ودرس بها مدة وظهرت بركته على تلامذته، وروى عنه الحافظ أبو سعيد

---

(1) في الأصل: ثلثه يهودي وثلثه نصارى، والتصويب عن البهجة ص235.

(2) وفيات الأعيان 3/ 204 ـ 205.

السمعاني، وقدم الموصل مجتازاً إلى الشام لزيارة بيت المقدس سنة سبع وخمسين وخمسمائة وعقد بها مجلس الوعظ بالجامع العتيق، ثم توجه إلى الشام فوصل إلى دمشق ولم تتفق له الزيارة لانفساخ الهدنة بين المسلمين والفرنج، فأكرم الملك العادل نور الدين محمود صاحب الشام مورده، فأقام في دمشق مدة يسيرة وعقد بها مجلس الوعظ، وعاد إلى بغداد، وتوفي بها يوم الجمعة، وقت العصر سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ودفن بكرةً الغد في رباطه، انتهى.

قلت المشهور أن رباطه الذي دفن فيه، هو في الجانب الشرقي من بغداد في جنب المدرسة السليمانية التي بناها الوزير سليمان باشا الكبير بقرب حرم دار الإمارة، وأشتهر في ألسن الناس غلطاً برباط الشيخ نجم الدين، فما ذكر ابن خلكان من أنه في الجانب العربي من بغداد على خلاف ما اشتهر والله أعلم.

هذا وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: كان قدس سره يتطيلس ويلبس لباس العلماء ويركب البغلة، وترفع الغاشية[1] بين يديه، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالاحترام وتخرج بصحبته جماعة من الأكابر مثل الشيخ شهاب الدين السهروردي، والشيخ عبد الله بن مسعود بن مطر البادرائي وغيرهما.

ومن كلامه: الأحوال معاملات القلوب، وهي ما يحل بها من صفاء الأذكار وفوائد الحضور ومعاني المشاهدة، ومنه: أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ غاية الأمل، وأهله على ثلاث طبقات، مريد طالب، ومتوسط طائر، ومنته واصل، فالمريد صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال، والمنتهي صاحب يقين، وأفضل الأشياء عندهم عد

---

(1) الغاشية: قطعة قماش مزركش ترفع منشورة بين يدي الفارس إذا سار، وربما وضعت على صدره.

الأنفاس، فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات، ومجانبة الحظوظ، وكل ما للنفس فيه منفعة ومقام المتوسط ركوب الأهوال في طلب المراد، ومراعاة الصدق في الأحوال، واستعمال الأدب في المقامات، وهو مطالب بأدب المنازل، وهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وهو في الزيادة ومقام المنتهي الصحو والثبات وإجابة الحق من حيث دعاه، وقد جاوز المقامات، وهو في محل التمكين لا تغيره الأحوال ولا تؤثر فيه الأهوال، قد استوى في حال الشدة والرخاء والمنع والعطاء والجفاء والوفاء أكلُهُ كجوعه، ونومه كسهره، قد فنيت حظوظه، وبقيت حقوقه ظاهرة مع الخلق، وباطنه مع الحق، وكل ذلك منقول من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم... انتهى ملخصاً.

85 ـ مكارم النهرملكي[1]

ومنهم الشيخ مكارم النهرملكي قدس سره، قال المؤلف ما ترجمته، هو من كُمَّل المشايخ المشهورين، ومن عظماء الأكابر الأساطين، توفى في زمن الناصر لدين الله[2] الخليفة العباسي سنة اثنين وتسعين وخمسمائة، ودفن في نهاية ناحية الخالص في الجانب الغربي على بعد أربع فراسخ من بغداد على ما ذكر في جامع السير، ولم يوجد تفاصيل مناقبه في الكتب المعتبرة، فاكتفى بذكره بهذا القدر من الترجمة في هذا العصر.

قلت: ورأيت له ترجمة في البهجة، ونقل بعض كلمات للروح فيها بهجة، وبعض خوارق تكون على كمال فضله برهاناً وحجة، وهي: أنه صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، له اليد البيضاء في علوم المنازلات، والباع الطويل في معاني المشاهدات، والقدم الراسخ في كشف المشكلات، وهو أحد من أظهره الله للوجود، وصرّفه في العالم، ومكّنه من الأحوال، وأظهر على يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وهو أحد

---

(1) ذكره في بهجة الأسرار باسم مكارم النهرملكي ص16، ومكارم النهر خالصي ص198 والأول نسبه إلى نهر الملك، وهو كما في معجم البلدان: لوره واسعة ببغداد بعد نهر عيسى.

(2) الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء، ولد سنة 553ه وولي الخلافة سنة 575ه، وأقام فيها سبعة وأربعين سنة وتوفي سنة 622ه، أنظر تأريخ الخلفاء ص448، وابن الكازروني ص242، وأخباره كثيرة جداً في كتب التاريخ.

أركان هذا الشأن، وصدور ساداته علماً وعملاً وتحقيقاً، ورعاً وزهداً، واشتهر عنه أنه لقي من المشايخ ما لم يلق غيره من أهل زمانه، ويقال أنه رأى جميع أصحاب تاج العارفين أبي الوفاء وانتفع بصحبتهم، ونال ببركات خدمتهم وكان شيخه الشيخ علي الهيتي يكرمه ويقدمه على غيره، وينبّه على فضيلته، وهو أول من خدمه، وكان يقول قدس سره أخي الشيخ علي [بن إدريس] رجل مكمل، لكن ما يظهر إلا بعد موتي قيل ولما مات الشيخ مكارم اشتهر أمر الشيخ علي بن إدريس وانتهت إليه تربية المريدين بنهر الخالص وما يليه.

وله كلام رقيق على لسان أهل التحقيق منه: من طلب الله عز وجل وجده بأول خطوة يقصده بها، وأول وصال العبد الحق هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد للحق، مواصلته لنفسه وأول درجات القرب محو شواهد النفس وإثبات شواهد الحق في القلب، ومنه: المريد الصادق من وجد في نفسه حلاوة العدم، ونفى عن نفسه الألم، ولكن إلى ما جرى به القلم، والفقير من صبر فقل طمعه، وتأدب فحسن خلقه، وراقب ربه فكتم سره[1]، ووثق بمولاه فلم يشك لأجد ضرّه، ولجأ إلى الله تعالى فتضرّع إليه بكل أحواله، والزاهد من خلع الراحة وترك الرئاسة وأمسك نفسه[2] عن الشهوات، وزجر الهوى عن الإرادات، والوَرِع من نظر إلى الدنيا بعين الإهانة، ورجع إلى مولاه بالإنابة، وأدى ما عليه من الأمانة، وأمسك لسانه عن الدنيا وعقل قلبه عن الهوى، وفرّ بسرّه إلى المولى، والمجاهد في الله تعالى من تجنّب أهل الفترة، وعانق العبرة والفكرة، ولازم الخشوع والأسقام والحسرة، واستعمل[3] الحقيقة وأمات الهوى[4]، واستحى من

(1) في بهجة الأسرار ص99 فكتم سره وخاف مقام ربه عز وجل وستر حاله ووثق بمولاه.

(2) في البهجة وأنس النفس.

(3) في الأصل: وامتحمد والتصويب عن البهجة.

(4) في البهجة: وأمات الهوى، وأحيا الصفا، وسكن إلى مجاري القضا، وجانب الأذى واستحى من الملك الأعلى.

الملك الأعلى، والمراقب: من أطال حزنه وأدام حسنه وكظم غيظه، وخاف ربّه، والمخلص: من نجا بهمته عن المخلوقات، وعلا بسره عن الكائنات، وامتثل أمر سيد البريات، والشاكر: من صبر عند الحاجة مع الملك العلام، ولم يرجع إلى أحد من الخاص والعام، وخلا قلبه من التدبير والاهتمام.

وسئل عن المتوكل فقال: هو من أعرض بالقلب عن الخلق، وأخذ الرزق من الحق، وقام بمهمته على باب المولى.

وسئل عن المحب فقال: هو من ألف الخلوة وأنس بالوحدة، وتوحدت له الهمة، المحبُّ من استحى من ربه، وقام ببابه وسارع إلى طاعته، وأكثر من ذكره وأسبل دمعه، والتمس قربه وخاف فراقه، وصفا قلبه من الأكدار، وطهر سرّه من الأغيار وعفّر خدّيه بالأسحار بين يدي الملك الجبار.

وكان يتمثل بهذه الأبيات:

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد ... لها مثلاً في سائر الناس تعرف

فمنهنّ حبّ للمحب ورحمة ... لمعرفتي منه الذي يتكلف

ومنهنّ أن لا يخطر الشوق ذكركم ... على القلب إلا كادت النفس تتلف

وحب بدا للجسم والشوق ظاهرٌ ... وحب لدى نفسي من الروح ألطف

وحبٌّ هو الداء العضال بعينه ... له قدم يعدو على فأدنف

فلا أنا منه مستريح فميتٌ ... ولا أما منه ما حييت مخفّفُ

وروي عن الشيخ أبي الحسن الجوسقي قدس سره أنه قال: حضرت الشيخ مكارم بمسجد وكان يتكلم عن أصحابه في الشوق والمحبة، فقال في كلامه، أسرار المحبين إذا طاشت عند ظهور سلطان الهيبة والجلال خَمَدَ لأنوارها كل نور قابلته أنفاسها، ثم تنفس فانطفأت مصابيح المسجد، وكان به نيّف وثلاثون قنديلاً، فسكت ساعة ثم قال: وإذا عاشت أسرارهم بتجلي أنوار الأُنس والجمال أضاء لأنوارها كل ظلمة قابلته أنفاسها، ثم

تنفس فاشتعلت المصابيح وأضاء المسجد كحاله أوّلاً.

سكن قدس سره بلدة مشهورة على نهر الخالص من أرض العراق واستوطنها وبها مات مسنّاً وقبره ثمة ظاهرٌ يُزار

انتهى ملخصاً ورأيت في بعض نسخ البهجة في عنوان ترجمته أنه نسب إلى نهر ملك وفي بعضها كتب نهر الخالصي، ولم يتبين عندي أنهما متساويان أو لا.

86 ـ الشيخ سكران[1]

ومنهم الشيخ سكران قدس سره، قال المؤلف ما ترجمته:

هو أحد العارفين في زمانه، وهو أحد المحققين في أوانه، ولما قصد هولاكو مع جنوده المعروفين بالمغول بغداد وتوجهوا إليها زمن الدولة العباسية رأى في منامه ملكاً وبيده عمود يشتعل ناراً، يصيح ويقول: أيها الكفرة اضربوا على رؤوس الفجرة، فاستيقظ من منامه، فجعل يخبر بما يفعل هولاكو بأهل بغداد

توفى سنة ثمان وستمائة ودفن قرب قبر الشيخ مكارم المذكور آنفاً.

---

(1) هو الشيخ الزاهد محيي الدين محمد بن سكران بن عبد العزيز بن أبي السعادات بن المعمر المتوفى ببغداد سنة 667هـ/ 1268م ودفن في الجانب الغربي من بغداد. وقد شيدت على قبره قبة وإلى جانب قبره قبر الشيخ خميس خادم الشيخ محمد بن سكران. (انظر مرقد محمد بن سكران ـ لناصر النقشبندي، مجلة سومر مجلد 18 لسنة 1962 ص197 ـ 200).

87 ـ أحمد بن سريج[1]

ومنهم: أبو العباس أحمد بن سريج قدس سره.

هو أحمد بن محمد[2] بن سريج، الفقيه الشافعي، وسريج جدّه، وهو بضم السين المهملة وفتح الراء، وسكون المثناة تحت الجيم، قال ابن خلكان في وفيات الأعيان[3] قال الشيخ أبو اسحق الشيرازي في كتاب الطبقات في حقه:

كان من عظماء الشافعيين وأئمة المسلمين، وكان يقال له الباز الأشهب وولي القضاء بشيراز، وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني[4]، وإن فهرست كتبه كانت تشتمل على أربعمائة مصنف، وقام بنصرة مذهب الإمام الشافعي ورد على المخالفين وفرع على كتب

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 66 والعبر 2/ 132 وتاريخ بغداد 4/ 287 وطبقات السبكي 2/ 87 وتذكرة الحفاظ 1/ 8 وشذرات الذهب 2/ 247 والبداية والنهاية 11/ 129 والشريشي 1/ 166 والأعلام 1/ 179.

(2) كذا في الأصل وفي المصادر المذكورة أحمد بن عمر.

(3) وفيات الأعيان من 1/ 66.

(4) المزني: هو إسماعيل بن يحيى فقيه المذهب الشافعي بمصر ولد سنة 264، وكان أقدر أصحاب الشافعي على الجدل والغوص على المعاني الدقيقة، وربما خالف الشافعي في بعض أحكامه، أنظر طبقات الشافعية 1/ 243 ووفيات الأعيان 1/ 217 وضحى الإسلام 2/ 233.

محمد بن الحسن الحنفي[1]، وكان الشيخ أبو حامد الاسفراييني يقول: نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون وقائعه، وأخذ الفقه عن أبي القاسم الأنماطي[2]، وعنه أخذ فقهاء الإسلام، ومنه انتشر مذهب الشافعي في أكثر الأوقات وكان يناظر أبا بكر محمد بن داود الظاهري[3]، وحكي أنه قال له أبو بكر يوماً أبلعني ريقي[4]، فقال له: أبلعتك دجلة، وقال له: أمهلني ساعة، فقال له: أمهلتك من الساعة إلى مقام الساعة، وقال له يوماً: أكلمك من الرجل فتجيبني من الرأس، فقال له: هكذا البقر، إذا حفيت أظلافها دُهِنت[5] قرونها.

وكان يقال له في عصره: إن الله بعث عمر بن عبد العزيز على رأس المائة من الهجرة فأظهر كل سنة وأمات كل بدعة، ومن الله على رأس المائتين بالإمام الشافعي حتى أظهر السنة وأخفى البدعة، ومن الله تعالى على رأس الثلثمائة بك حتى قويت السنة، وأضعفت البدعة،

وكان له مع فضائله نظم حسن وتوفي لخمس بقين من جمادي الأولى لسنة ست وثلثمائة، وقيل يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول ببغداد ودفن في حجرته بسويقة غالب بالجانب الغربي بالقرب من محلة

---

(1) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ولاء، ولد بالكوفة سنة 132هـ وأخذ العلم عن أبي حنيفة، وتتلمذ لأبي يوسف القاضي توفي بالري وهو مع الرشيد سنة 189هـ، وفيات الأعيان 10/ 184 تاريخ بغداد 2/ 130.

(2) الأنماطي، إبراهيم بن إسحاق النيسابوري، نسبته إلى بيع الأنماط، حافظ للحديث، له تفسير، توفي سنة 303هـ ترجمته في تذكرة الحفاظ 2/ 243 واللباب 1/ 73.

(3) محمد بن داود الظاهري، ولد سنة 255هـ ببغداد، وكان من الأذكياء، عالم بالأدب شاعر أديب مناظر، له الزهرة مطبوع وغيره توفي سنة 297هـ أخباره كثيرة في النجوم الزاهرة 3/ 171 والوفيات 4/ 295 وتاريخ بغداد 5/ 256.

(4) في وفيات الأعيان: وحكي أنه قال له أبو بكر يوماً [أنت تقول بالظاهر، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فمن يعمل نصف مثقال؟ فسكت محمد طويلاً، فقال له أبو العباس، لم لا تجيب؟ فقال: أبلعني ريقي..الخ.

(5) في الأصل: وهنت، والتصويب عن الوفيات.

الكرخ وعمره سبع وخمسون سنة وستة أشهر، وقبره ظاهر في موضعه يزار، ولم يبق عنده عمارة ولا قبر، بل منفرد هناك، انتهى والله تعالى أعلم.



88 ـ داود الظاهري[1]

ومنهم داود الظاهري، نقل المؤلف ترجمته من تاريخ ابن خلكان ملخصه وهي: أنه أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري، كان زاهداً كثير الورع، اخذ العلم عن اسحق بن راهويه[2] وأبي ثور[3]، وكان ولده أبو بكر محمد[4] على مذهبه، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد / وقيل أنه كان يحضر مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر، وكان داود من عقلاء الناس، قال أبو العباس ثعلب في حقه، كان عقل داود أكبر من علمه، ومولده بالكوفة سنة اثنتين ومائتين، وقيل إحدى ومائتين وتوفى ببغداد سنة سبعين في ذي القعدة نقل على ما نقله المؤلف.

---

(1) ترجمة داود الظاهري في: وفيات الأعيان 2/ 255 والترجمة هنا منقولة عنه باختصار والجواهر المضيئة 2/ 419 وطبقات السبكي 2/ 42 وتذكرة الحفاظ 572 وميزان الاعتدال 2/ 14 وتاريخ بغداد 8/ 369 والعبر 2/ 45.

(2) اسحق بن إبراهيم بن مخلد التميمي، أبو يعقوب بن راهويه، أحد كبار الحفاظ طاف البلاد لجمع الحديث، توفى بنيسابور سنة 238هـ، ترجمته في الوفيات 1/ 199 وحلية الأولياء 9/ 234 وتاريخ بغداد 6/ 345.

(3) أبو ثور هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، من أصحاب الإمام الشافعي، ومصنفاته كثيرة، توفى سنة 240هـ، ترجمته في تاريخ بغداد 6/ 65 وتذكرة الحفاظ 2/ 87 وميزان الاعتدال 1/ 15.

(4) محمد بن داود الظاهري، ترجمته في هامش سابق.

89 ـ رويم بن أحمد[1]

ومنهم أبو محمد رويم بن أحمد، قدس سره، قلت، هو أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد [ابن يزيد][2] بن رويم بن يزيد البغدادي الأصل، من أجلّة مشايخها، وكان فقيهاً على مذهب داود الظاهري،[3] مقرءاً، قرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد[4]، وجده رويم حدث عن الليث بن سعد[5] وكان يكنى بأبي بكر.

روي عن رويم المترجم أنه قال: اجتزت في بغداد وقت الهاجرة ببعض السكك وأنا عطشان، فاستقيت من دار ففتحت صبية الباب ومعها كوز فلما رأتني قالت: الصوفي يشرب بالنهار؟ قال: فما أفطرت بعد ذلك قط.

---

(1) ترجمته في: طبقات الصوفية ص180 وحلية الأولياء 10/ 296 وصفة الصفوة 2/ 249، والرسالة القشيرية ص34 وطبقات الشعراني 1/ 103 والمنتظم 6/ 136 وتاريخ بغداد 8/ 430 والبداية والنهاية 11/ 125.

(2) كذا في الأصل، وهو في مصادر ترجمته رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم

(3) داود الظاهري، تقدمت ترجمته.

(4) إدريس بن عبد الكريم الحداد، أبو الحسن المقريء ولد سنة 199هـ، وكان فقيه، وتوفى سنة 292هـ، ترجمته في تاريخ بغداد 7/ 14.

(5) الليث بن سعد بن عبد الرحمن القهمي، إمام أهل مصر في الحديث والفقه، ولد في قلقشندة سنة 94هـ، ومات بالقاهرة سنة 175هـ، وأخباره كثيرة وله تصانيف أنظر: وفيات الأعيان 4/ 127 وحلية الأولياء 7/ 318 وتاريخ بغداد 13/ 3.

وروي عنه أيضاً أنه قال: خرجت يوماً من منزلي ببغداد وقت الهاجرة وأنا في زي رث، فاستقبلني بعض إخواني وكان من أهل القرآن والعلم، فسار معي إلى أن أتينا مسجداً، فدخل ودخلت معه وعليه كسوة سنيّة قيمتها دنانير كثيرة، فنزع جميع ما كان عليه ووضعه وأومى إليّ أن إنزع ما عليك، فأنزعت فألبسني ثيابه ولبس الخلقان، التي كانت عليّ ثم قال لي: يا أخي، أحلني بتخلفي على افتقارك،

ونقل عنه أنه قال: منذ عشرين سنة لا يخطر ببالي ذكر الطعام حتى يحضر ومنذ عشرين سنة أصلي صلاة الغداة بوضوء عشاء الآخرة.

ومن كلامه أنه قال: من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه [في الأحكام][1] ويضيق على نفسه [فيها]2 فإن التوسعة عليهم اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع.

وقال: قعودك مع كل طبقة [من الناس] [2] اسلم من قعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالبوا هؤلاء أنفسهم بحقائق الورع ومداومة الصدق، وخالفهم في تبني ما يتحققون به على نزع الله تعالى إلى نور الإيمان من قلبه.

وقال: إذا رزقك المقال والفعال، فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة وإذا أخذ منك الفعال وأبقى عليك المقال فإنها مصيبة، وإذا أخذ منك كلاهما فإنها نقمة، وقال: الإخلاص ارتفاع رؤيتك من الفعل، وقال: قف على البساط وإياك والانبساط واصبر على ضرب السياط حتى تجوز الصراط، وأنشد للمعنى للإمام الشافعي:

صبراً جميلاً ما أسرع الفرجا   من صدق الله في الأمور نجا

---

(1) [في الأحكام] و [فيها] ليست في الأصل، والتكملة عن القشيرية ص80 وطبقات السلمي ص186.

(2) [من الناس] ليست في الأصل، والتكملة عن القشيرية ص34 وطبقات السلمي ص181.

من خشي الله لم ينل أذى ومن رجا الله كان حيث رجا

وقال: إن الله غيَّب أشياءً في أشياء، غيّب مكره في حلمه، وغيَّب خداعه في لطفه، وغيَّب عقوباته في كراماته.

وقال: الصبر ترك الشكوى، والرضا استلذاذ البلوى، واليقين هو المشاهدة، وقال أيضاً: الرضا أن لو جعل جهنم على يمينه ما سأل أن تحوّل إلى يساره، وهو أيضاً استقبال الأحكام بالفرح، وقال: يعاتب الخلق بالرفاق ويعاتب المحبين بالغلظة، وقال: التوكل إسقاط رؤية الوسائط والتعلق بأعلى العلائق، وقال: التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار.

وقال: التوحيد تجريد الألهية، ومحو آثار البشرية.

وقال: للعارف مرآة، إذا نظر فيها تجلى له مولاه، وقال: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

وسئل عن وجد الصوفية عند السماع فقال: يشهدون المعاني التي تغرب عن غيرهم فتشير إليهم إليّ، فيسمعون بذلك من الفرح، ثم يقع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي، وكل إنسان على قدره.

وقال: بلغني أن علياً ابن أبي طالب رضي الله عنه سمع صوت ناقوس فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، فقال: يقول سبحان الله حقّاً حقّا، إن المولى حمد يبقى.

وسئل عن المشايخ الذين لقيهم في السماع، فقال: كالقطيع وقع فيهم الذئب.

وسئل عن نفث الفقير فقال: إرسال النفس في أحكام الله.

وسئل عن الشكر فقال: استغراق الطاقة، وسئل عن الشوق فقال: أن تشوقه آثار محبوبه، وتغيّبه مشاهدته، وقيل له: كيف حالك؟ فقال: كيف

حال من دينه هواه وهجرته شقاه، ليس بصالح تقي، ولا عارف نقي.

وسئل عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال، وأنشد:

ولو قلت لي مُتْ، مُتُّ سمعاً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً

وسئل عن الفتوة فقال: أن تعذر إخوانك في زلاتهم، ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منهم. وقال أبو عبد الله محمد بن خفيف، قلت لرويم، أوصني، فقال: لا ينال هذا الأمر إلا ببذل الروح، فإن أمكنك الدخول فيه على هذا وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية.

هذا وتوفي ببغداد سنة ثلاث وثلثمائة، ودفن في الشونيزية، كذا في بعض كتب التاريخ وفي طبقات الشعراني.

90 ـ أبو طالب المكي محمد بن علي[1]

ومنهم أبو طالب محمد بن علي المكي قدس سره العزيز، وهو على ما ذكره ابن خلكان[2] ونقله المؤلف ملخصاً: أبو طالب بن علي بن عطية الحارثي الواعظ المكي صاحب قوت القلوب[3] كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة ويتكلم في الجامع وله مصنفات في التوحيد، ولم يكن من أهل مكة، إنما كان من أهل الجبل، فسكن مكة ونسب إليها، وكان يستعمل الرياضة كثيراً، حتى قيل أنه هجر الطعام زماناً، واقتصر على أكل الحشائش المباحة، فاخضرّ جلده من كثر تناولها، ولقي جماعة من مشائخ الحديث وعلم الطريقة، وأخذ عنهم، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم فانتهى إلى مقالته، ودخل بغداد فوعظ الناس فخلط في كلامه وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضرّ من الخالق. فبَدَّعَهُ الناس وهجروه وامتنع عن الكلام بعد ذلك.

---

(1) أبو طالب المكي ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 303 وتاريخ بغداد 3/ 89 والوافي 14/ 116 وميزان الاعتدال 3/ 655، والعبر 3/ 33 وشذرات الذهب 3/ 120 ولسان الميزان 5/ 30 وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص175 ومرآة الجنان 2/ 430 وبركلمان 4/ 79.

(2) وفيات الأعيان 4/ 303 والترجمة منقولة عنه نصاً.

(3) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، طبع في القاهرة سنة 1310هـ في مجلدين وانظر بروكلمان 4/ 79.

توفى في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد، ودفن بمقبرة المالكية في الجانب الشرقي وقبره مشهور هناك.

والحارثي/ بالحاء المهملة وبعد الألف راء مكسورة ثم تاء مثلثة هذه النسبة إلى عدة قبائل منها: الحارثة ومنها الحارث ولا أدري إلى أيها نسب أبو طالب المذكور ـ انتهى.

91 ـ ابن سمعون محمد بن أحمد[1]

ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون، ذكر في تاريخ ابن خلكان وعنه نقل المؤلف أنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن إسماعيل الواعظ البغدادي المعروف بابن سمعون، كان وحيد عصره في الكلام على الخواطر وحسن الوعظ وحلاوة الإشارة ولطف العبارة، وأدرك جماعة من المشايخ وروى عنهم، منهم أبو بكر الشبلي وأنظاره.

ومن كلامه ما رواه الصاحب بن عباد قال سمعت ابن سمعون يوماً وهو على الكرسي في مجلس وعظه يقول: سبحان من أنطق باللحم وأبصر بالشحم وأسمع بالعظم إشارة إلى اللسان والعين والسمع، وهذه من لطائف الإشارات.

ومن كلامه أيضاً: رأيت المعاصي نزاله فتركتها مروءةً فاستحالت ديانة[2] ولم يأت في الوعظ مثله، وتوفي في شهر ذي الحجة سنة سبع وثمانين وثلثمائة، وقيل يوم الجمعة منتصف ذي القعدة من السنة المذكورة

---

(1) ابن سمعون الواعظ، ترجمته في، وفيات الأعيان 4/ 304 وتاريخ بغداد 1/ 74، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ص200، والمنتظم 7/ 198 وصفة الصفوة 2/ 66، والشريشي 1/ 322 وطبقات الحنابلة 2/ 155 والوافي 2/ 51 والعبر 2/ 36 وشذرات الذهب 3/ 124 وبروكلمان 4/ 80.

(2) في الأصل: نزاله، فتركتها مرة، والتصويب عن الوفيات.

ببغداد ودفن في داره بشارع العباسيين، ثم نقل يوم الخميس، حادي عشر رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة.

وسمعون بفتح السين المهملة وسكون الميم وضم العين المهملة وسكون الواو بعدها نون، قيل أن جده غيّر اسمه فقيل سمعون، وعنبس بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة، وبعدها سين مهملة، وهي في الأصل اسم الأسد وبه سمي الرجل، وهو فعل من العبوس، والنون زائدة انتهى بأدنى تغيير

92 ـ المطرز الباوردي
محمد بن عبد الواحد[1]

ومنهم أبو عمرو محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز الباوردي رحمه الله، وهو على ما ذكره ابن خلكان[2] وعنه نقل المؤلف، أبو عمرو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المعروف بالمطرز الباوردي، أحد أئمة اللغة المشاهير المكثرين، صحب أبا العباس ثعلب زماناً فعرف به ونسب إليه وأكثر من الأخذ عنه، واستدرك على كتابه الفصيح جزءاً لطيفاً سماه فائت الفصيح وشرحه أيضاً في جزء آخر، وله كتاب اليواقيت وكتاب شرح الفصيح وكتاب الجرجاني وكتاب الموضح وكتاب الساعات وكتاب يوم وليلة وكتاب المستحسن وكتاب العشرات وكتاب تفسير أسماء الشعراء وكتاب القبائل وكتاب المكنون والمكتوم وكتاب التفّاحة وكتاب المداخل وكتاب النوادر وغيرها وروى عنه محمد بن الحسن بن زرقوية[3]، وأبو علي بن بشاذان وغيرهما، وكان اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد منعه من اكتساب الرزق والتحيّل له، فلم يزل مضيّقا عليه وكان لسعة روايته وغزارة حفظه يكذبه أدباء زمانه في أكثر نقل اللغة ويقولون: لو طار طائر لقال أبو

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 329 وأنباه الرواة 3/ 171 والعبر للذهبي 2/ 268 والباوردي نسبه إلى باورد، بليدة بخراسان، يقال لها باورد واباورد وابيورد.

(2) وفيات الأعيان 4/ 329 والترجمة منقولة عنه أيضاً.

(3) في الوفيات أبو الحسن محمد بن زرقوية.

عمرو: حدثنا ثعلب عن ابن الإعرابي، ويذكر في ذلك شيئاً، فأما رواية الحديث فإن المحدثين يصدقونه ويوثقونه، وكان أكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه بلسانه من غير صحيفة يراجعها حتى قيل أنه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة من اللغة، فلهذا من الإكثار نسب إلى الكذب، وكان يُسأل عن شيء قد تواطأت الجماعة على وصفه فيجيب عنه، ثم يترك سنة ويُسأل عنه فيجيب بذلك الجواب بعينه.

ولد رحمه الله سنة إحدى وستين ومائتين، وتوفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وقيل أربع وأربعين وثلثمائة في بغداد ودفن في الضفة التي تقابل معروف الكرخي وبينهما عرض الطريق، انتهى بغير تلخيص.

93 ـ أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم[1]

ومنهم أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم الأنباري رحمه الله، ذكر في تاريخ ابن خلكان وعنه نقل المؤلف أنه أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار[2] بن سماعة بن فروة بن قطر بن دعامة الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب وكان علامة وقته وأكثر الناس حفظاً له وكان صدوقاً ثقة ديناً خيراً من أهل السنة، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة، وقد بلغني[3] أنه كتب عنه وأبو ه حي، وكان يملي في ناحية المسجد وأبوه في ناحية أخرى، وكان أبوه عالماً بالأدب موثقاً في الرواية، صدوقاً، أميناً، سكن بغداد وروى عنه جماعة من العلماء، وروى عنه ولده المذكور وله تصانيف، قال أبو علي القالي كان أبو بكر الأنباري يحفظ ثلثمائة ألف بيت شاهداً في القرآن الكريم، وقيل له قد أكثر الناس في محفوظاتك، فقال: احفظ ثلاثة عشر صندوقاً، وقيل أنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسير للقرآن الكريم بأسانيدها ومن جملة تصانيفه

---

(1) ترجمته في أنباه الرواة 3/ 210 ووفيات الأعيان 4/ 341 ونور القبس 345 والعبر 2/ 214 وبغية الوعاه 91 وتذكرة الحفاظ 3/ 57 وغاية النهاية 2/ 230 وطبقات الحنابلة 2/ 69 وتاريخ بغداد 3/ 181 وبروكلمان 2/ 214.

(2) في الأصل: يسار، والتصويب عن الوفيات، وبعده بن الحسن بن بيان بن سماعة.

(3) في الأصل: هذه العبارة عن الخطيب في تاريخ بغداد 3/ 181.

غريب الحديث قيل أنه خمس وأربعون ألف صفحة، وكتاب شرح الكافي وهو نحو ألف ورقة وكتاب الهاءات نحو ألف ورقة، وكتاب الأضداد وكتاب الجاهلية والمذكر والمؤنث ما عمل أحد أتم منه، ورسالة المشكل رد فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم[1].

وكانت ولادته يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين وتوفي ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين وثلثمائة، وتوفي أبوه سنة أربع وثلثمائة ببغداد، انتهى ملخصاً، والأنباري[2] بفتح الهمزة وسكون النون وبعدها باء موحدة وبعد الألف راء نسبةً إلى الأنبار بلدة قديمة على الفرات، بينها وبين العراق عشرة فراسخ، وسميت بالأنبار لأن كسرى كان يتخذ فيها أنابير الطعام والأنابير جمع أنبار، جمع نبر بكسر الباء الموحدة، البيت الذي يجعل فيه الغلّة ومتاع التاجر.

(1) وأورد له الزركلي الأمالي قال: أطلعت على قطعة منها كتبت في المدرسة النظامية الأعلام 7/ 227

(2) معجم البلدان 1/ 257 ـ 258.

94 ـ نجم الدين الرازي[1]

ومنهم الشيخ نجم الدين الرازي رحمه الله.

قال المؤلف ناقلاً من نفحات الأنس لمولانا عبد الرحمن الجامي، أنه أحد العارفين المقربين وكان من أصحاب الشيخ نجم الدين الكبرى، فوض تربيته وإرشاده إلى الشيخ مجد الدين وله مصنفات منها بحر الحقائق في تفسير القرآن و مرصاد العباد وله أشعار رقيقة أتى فيها بمعاني دقيقة بالفارسية منها هذا الدو بيت:

شمع أرجه جو من دانح جداي دارد   بـاكـونـه وشـوزا شـتـاي دارد

سرر شتة شمع بدز سور شتهُ من   كـان رشـتـة سـرى بـرو شـاد دارد

خرج من خوارزم في وقعة جنكيز وتوجه إلى بلاد الروم فدخل قوينه واجتمع فيها بمولانا جلال الدين الرومي وصدر الدين القونوي، واتفق يوماً أن قدماه وأتما به في صلاة المغرب فقرأ في كلتا الركعتين بعد الفاتحة سورة قل يا أيها الكافرون سهواً، فلما فرغوا من الصلاة قال مولانا جلال الدين لصدر الدين ملاطفاً: أظن أن الشيخ، يعني نجم الدين قرأها في إحدى الركعتين لنا وفي الأخرى لكم، ثم بعد المكث هناك ما شاء الله

(1) نجم الدين الرازي، هو أبو بكر عبد الله بن شاهاور الأسدي الصوفي، ولد سنة 573هـ وأكثر التطواف والأسفار، وصحب الشيخ نجم الدين الكبرى الخيوقي، وسمع من منصور القراري وأبي بكر عبد الله بن إبراهيم الشحاذي وغيرهما، ترجمته في العبر 5/ 218.

أتى بغداد فدخلها وأقام بها ما شاء الله، ثو توفى بها سنة أربع وخمسين وستمائة، ودفن في الشونيزية قرب مرقدي السري والجنيد قدس الله أرواحهم.

95 ـ ابن السماك محمد بن صبيح[1]

ومنهم العباس المعروف بابن السماك رحمه الله.

ذكر في تاريخ ابن خلكان وعنه نقل المؤلف، هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجل المعروف بابن السماك، كان زاهداً عابداً حسن الكلام، صاحب المواعظ المستحسنة، لقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما، وروي عنه الإمام أحمد بن حنبل وأنظاره، وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ثم رجع إلى الكوفة.

ومن كلامه: خف الله كأنك لم تطعه، وارج الله كأنك لم تعصه، ومنه: من جرعته الدنيا حلاوتها لميله إليها، جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها.

ودخل إلى بعض الرؤساء يشفع إليه في رجل فقال له: إني أتيتك في حاجة، وإن الطالب والمطلوب عزيزان إن قضيت الحاجة، ذليلان إن لم تقض، فاختر لنفسك، عز البذل على ذل المنع، واختر لي عز النجح على ذل الرد، فقضى حاجته.

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 301 والترجمة هنا منقولة عنه، وحلية الأولياء 8/ 203 وصفة الصفوة 3/ 105 واللباب السماك وطبقات المعتزلة 42 والوافي 3/ 158 والعبر 1/ 287 والشذرات 1/ 303 وتاريخ بغداد 5/ 365.

وكان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة، فاستفتى العلماء، فلم يفته أحد بأنه من أهلها، فقيل له عن ابن السماك، فاستحضره وسأله فقال له: هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفاً من الله تعالى؟ قال: نعم كان لبعض ألزامي[1] جارية فهويتها وأنا يومئذ شاب، فظفرت بها مرة وعزمت على الفاحشة معها، ثم إني فكرت في النار وهولها، وإن الزنا من الكبائر، فأشفقت من ذاك وكففت عن الجارية مخافة من الله عز وجل، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين فإنك من أهل الجنة، فقال هارون: من أين لك هذا؟ قال: من قوله تعالى: وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى[2]، فسرّ هارون بذلك.

وأخباره كثيرة، وتوفي سنة ثلاث وثمانين بالكوفة، والسماك بفتح السين المهملة والميم المشدّدة، وبعد الألف كاف نسبةً إلى بيع السمك، انتهى ملخصاً بأدنى تغيير.

(1) ليست في الأصل، ونقلت عن الوفيات

(2) سورة النازعات الآية 41.

96 ـ أحمد القدوري بن محمد بن أحمد[1]

ومنهم أبو الحسين أحمد القدوري عليه الرحمة.

هو على ما ذكره في تاريخ ابن خلكان، ونقله المؤلف، أبو الحسين أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه الحنفي المعروف بالقدوري، انتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق، وكان حسن العبارة في النظر، وسمع الحديث، وروى عنه أبو بكر الخطيب[2] صاحب التاريخ، وصنف في مذهبه المختصر المشهور وغيره، وكان يناظر الشيخ أبا حامد الاسفرائيني[3]، وكانت ولادته سنة اثنين وستين وثلثمائة، وتوفى يوم الأحد الخامس من رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ببغداد ودفن من يومه بداره في درب أبي خلف، ثم نقل إلى تربته في شارع المنصور ودفن هناك بجنب أبي بكر الخوارزمي الفقيه الحنفي.

ونسبته: بضم القاف والدال المهملة وسكون الواو، وبعدها راء إلى القدور التي هي جمع قدر، ولا أعلم سبب نسبته إليها، بل هكذا ذكره السمعاني في الأنساب، قلت ومدفنه يومئذ كان مشهوراً بشارع المنصور

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 78 وتاريخ بغداد 4/ 377 وتاج التراجم 7 والعبر للذهبي 3/ 164 والشذرات 3/ 233.

(2) أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر الخطيب، سيترجمه المؤلف..

(3) أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الاسفرائيني، ولد سنة 344هـ وقدم بغداد وبها توفى سنة 406هـ. ترجمته في الوفيات 1/ 72.

وفي عصر المؤلف حدثت بجنبه سوق للسراجين، فلذلك قال مدفنه في سوق السراجين والآن ذلك السوق هو سوق الهرج الذي تباع فيه الأمتعة والعروض بقرب الجسر وقبره في الجامع الشهير بالقبلاني الواقع في السوق المذكور، نباه أحد الوزراء المنعوتين.

97 ـ أبو بكر الخطيب[1]

ومنهم أبو بكر أحمد الحافظ المعروف بالخطيب، ذكر ابن خلكان في تاريخه، وعنه نقل المؤلف أنه أبو بكر أحمد بن علي ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات، كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه، وأخذ الفقه عن أبي الحسن المحاملي والقاضي أبي الخطيب وغيرهما وكان فقيها فغلب عليه الحديث والتاريخ.

ولد في جمادي الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة يوم الخميس لست بقين من الشهر وتوفى يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد، وسمعتُ أن الشيخ أبا اسحق الشيرازي كان من جملة من حمل نعشه لأنه انتفع به كثيراً، ثم قال بعيد هذا وذكر محب الدين النجار في تاريخ بغداد أن أبا البركات إسماعيل بن [أبي سعد][2] الصوفي [قال][3]: إن أبا بكر بن زهراء الصوفي كان قد أعد لنفسه قبراً إلى جانب

---

(1) ترجمه الخطيب في: وفيات الأعيان 1/ 92 وتهذيب ابن عساكر 1/ 398 وطبقات السبكي 3/ 12 والمنتظم 8/ 265 ومعجم الأدباء 1/ 248 وتذكرة الحفاظ 5 113 والعبر 3/ 153 والشذرات 3/ 311 والنجوم الزاهرة 5/ 87 وابن الوردي 1/ 274 واللباب 1/ 380 وليوسف العش كتاب (الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها) أورد فيه أسماء 79 كتاباً من مصنفاته.

(2) في الأصل: إسماعيل بن سعيد، والتصويب عن الوفيات.

(3) قال ليست في الأصل.

قبر بشر الحافي، وكان يمضي إليه في كل أسبوع مرة، وينام فيه، ويقرأ القرآن كله. فلما مات أبو بكر الخطيب، وكان قد أوصى أن يدفن إلى جانب قبر بشر. جاء أصحاب الحديث إلى أبي بكر بن زهراء، وسألوه أن يدفن الخطيب في القبر الذي أعده لنفسه وأن يؤثره به، فامتنع من ذلك امتناعاً / شديداً، وقال: موضع قد أعددته لنفسي منذ سنين، يؤخذ مني، فلما رأوا ذلك جاءوا إلى والدي الشيخ [أبي سعد] وذكروا له ذلك، فاحضر الشيخ أبا بكر بن زهراء، وقال له: أنا لا أقول لك أعطهم القبر ولكن أقول: لو أن بشر الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه فجاء أبو بكر الخطيب يقعد دونك [أكان][1] يحسن بك أن تقعد [أعلى منه][2]؟ قال: لا، بل كنت أقوم وأجلسه في موضعي قال: فهكذا ينبغي أن يكون الساعة، فطاب قلب الشيخ أبا بكر وأذن لهم في دفنه، فدفنوه إلى جانبه بباب حرب، وكان قد تصدق بجميع ماله، وهو مائتا دينار وفرقها على أرباب الحديث والفقهاء في مرضه، وأوصى أن يتصدق عنه بجميع ما عليه من الثياب ووقف جميع كتبه على المسلمين، ولم يكن له عقب، وصنف أكثر من ستين كتاباً، وكان الشيخ أبو اسحق الشيرازي أحد من حمل جنازته، وقيل أنه ولد سنة إحدى وتسعين وثلثمائة والله أعلم، ورأيت له منامات صالحة بعد موته، وكان قد انتهى إليه علم الحديث وحفظه في وقته.

هذا آخر ما نقلته من تاريخ ابن النجار انتهى.

قلت ما سبق في ترجمة بشر ما نقلته وكذا ما نقله المؤلف من أنه دفن بشر بقصبة إمامنا الأعظم الشهيرة بمقبرة الخيزران ينافيه ما نقله ابن خلكان عن محب الدين ابن النجار من أن بشر دفن بباب حرب والله تبارك وتعالى أعلم.

---

(1) في الأصل: كان والتصويب عن الوفيات.

(2) في الأصل: تقعد فوقه والتصويب عن الوفيات.

98 ـ أبو الحسين الراوندي[1]

ومنهم أبو الحسين أحمد بن يحيى الراوندي، هو على ما ذكره ابن خلكان في تاريخه ونقله المؤلف: أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندي، العالم المشهور، له مقالة في علم الكلام، وكان من الفضلاء في عصره، وله من الكتب المصنفة نحو مائة وأربعة عشر كتاباً منها فضيحة المعتزلة وكتاب الزمرد وكتاب القصب[2] وغير ذلك، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق التغلبي[3]، وقيل ببغداد، تقدير عمره أربعين سنة، وذكر في البستان أنه توفى سنة خمسين.

ونسبته إلى راوند بفتح الراء والواو وبينهما ألف وسكون النون

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 94 والفهرست 108 والمنتظم 6/ 99 وذكره المعري في رسالة الغفران 461 وتاريخ ابن الوردي 1/ 248 وفيه أن وفاته سنة 293ه، وقد صلب بتهمة الإلحاد، ومروج الذهب 2/ والبداية والنهاية 11/ 112 وفيه وهم ابن خلكان وهماً فاحشاً في تاريخ وفاته سنة 245 والتصحيح أنه توفى سنة 298ه والملل والعمل 1/ 81.

(2) كذا في وفيات الأعيان ولعله (لبقضيب) فقد ذكره المعري، فقال:

رأما القضيب فمن عمله كان آخر صفقة من قضيب، وخير له من إنشائه، لو ركب قضيباً عند إنشائه).

(3) رحبة مالك بن طوق: بين بغداد والرقة على شاطئ الفرات، احدثها مالك بن طوق التغلبي أيام المأمون (معجم البلدان 3/ 34).

وبعدها دال مهملة، وهي قرية من قرى قاسان بنواحي أصبهان، وراوند أيضاً ناحية ظاهر نيسابور وقاسان بالسين المهملة هي غير قاشان التي بالشين المعجمة المجاورة لقم ـ انتهى.

99 ـ ابن برهان أحمد بن علي[1]

ومنهم أبو الفتوح أحمد بن علي المعروف بابن برهان، هو على ما ذكر في تاريخ ابن خلكان، أبو الفتوح أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان، بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعد الهاء ألف ونون، الفقيه الشافعي، كان متبحراً في الأصول والفروع والمتفق والمختلف، تفقه على أبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي، والكيا أبي الحسن الهراسي، وصار ماهراً في فنونه وصنف كتاب الوجيز في أصول الفقه، وولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد دون الشهر، ومات سنة عشرين وخمسمائة ببغداد ـ انتهى.

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 99 والترجمة هنا منقولة عنه، وشذرات الذهب 4/ 61.

100 ـ ثعلب أحمد بن يحي[1]

ومنهم أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب عليه الرحمة.

هو أحمد بن يحيى بن يزيد بن سياد النحوي الشيباني بالولاء، المعروف بثعلب، وولاؤه لمعن بن زائدة، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، سمع ابن الأعرابي[2] والزبير بن بكار، وروى عنه الأخفش الأصغر،[3] وأبو بكر بن الأنباري[4] وأبو عمرو الزاهد وغيرهم وكان ثقة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم، مقدماً عند الشيوخ منذ هو حدث، وكان يقول: ابتدأت بطلب العلم والعربية اللغة سنة ست عشرة ومائتين، ونظرت في حدود الفراء[5]

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 102 وتاريخ بغداد 5/ 204 والفهرست 74 ومعجم الأدباء 5/ 102 ونزهة الألباء 157 وأنباه الرواة 1/ 138 وبغية الوعاة 172 وغاية النهاية 11/ 98 والنجوم الزاهرة 3/ 133 ونور القبس 334 وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى 48 ومرآة الجنان لليافعي 2/ 218 وشذرات الذهب 2/ 207 والعبر وبروكمان 2/ 210.

(2) ابن الأعرابي، أبو عبد الله بن محمد بن زياد، ولد بالكوفة سنة 155هـ، أخذ العلم عن المفضل الضبي زوج أمه، وكان ابن الأعرابي من أعلم الناس للغات والأعلام والأنساب، توفي سنة 231هـ، الفهرست لابن النديم 69 ونزهة الألباء 207 وتاريخ بغداد 5/ 282 والوفيات.

(3) الأخفش الأصغر: علي بن سليمان بن المفضل، رحل إلى مصر، وحلب ورجع إلى بغداد، وتوفي سنة 315هـ ترجمته في بغية الوعاة 338 وبروكمان 2/ 239.

(4) أبو بكر الأنباري، مضت ترجمته.

(5) في الأصل: حدود الفراء، وعن الوفيات: حدود الفراء وهو كتاب في الإعراب جمع فيه ستة واربعين حداً.

وسني ثماني عشرة سنة، وبلغت خمساً وعشرين سنة وما بقيت عليّ مسألة للفراء إلا وأنا أحفظها.

وقال أبو بكر بن مجاهد المقريء، قال لي ثعلب: يا أبا بكر اشتغل أهل القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الحديث بالحديث ففازوا، وأهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمر، فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة؟ فانصرفت من عنده، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام تلك الليلة فقال لي: اقرأ أبا لعباس السلام وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل، قال أبو عبد الله الروزباري العبد الصالح: أراد أن الكرم به ـ أي بالنحو ـ يكمل، والخطاب به يجمل، وإن جميع العلوم مفتقرة إليه

وقال أبو عمر المعروف بالمطرز [1]، كنت في مجلس أبي العباس ثعلب، فسأله عن شيء فقال له: لا أدري، فقال: أتقول لا أدري واليك تضرب أكباد الإبل، واليك الرحلة من كل بلد؟ فقال له أبو العباس: لو كان لأمك بعدد ما لا أدري بَعْرٌ [2] لاستغنت.

وصنف كتاب الفصيح [3] وهو صغير الحجم كثير الفائدة، وكان له شعر.

ولد في سنة مائتين، قال ابن القراب [4] في تاريخه، وقيل سنة أربع ومائتين، وقيل إحدى ومائتين، والذي يدل على أنه ولد سنة + مائتين أنه قال: رأيت المأمون لما قدم من خراسان في سنة أربع ومائتين، وقد خرج من باب الحديد يريد الرصافة. فحملني أبي على يده وقال: هذا المأمون،

---

(1) عمر الزاهد، المعروف بالمطرز، مضت ترجمته.

(2) في الأصل: ما أدري يصل، والتصويب عن الوفيات 1/ 103.

(3) الفصيح من أشهر كتب ثعلب شرحه كثيرون ونقده كثيرون طبع في بيروت سنة 1321 ولبيسك سنة 1876 بعناية المستشرق الألماني فون بارت.

(4) في الأصل: ابن الغراب، والتصويب عن الوفيات، وهو اسحق بن إبراهيم بن محمد، أبو يعقوب كان محدثاً، ألّف كتاب تاريخ وفيات العلماء وتوفى سنة 429، الأعلام 1/ 293 وانظر وفيات الاعيان 1/ 103.

وهذه سنة أربع، فحفظت ذلك منه إلى هذه الساعة، وكان سني تقديراً أربع سنين، وتوفى يوم السبت لثلاث عشرة بقين من جمادي الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد، ودفن بمقبرة باب الشام، وكان سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان قد لحقه صمم، لا يسمع إلا بعد تعب وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق، فصدمته فرس فألقته في هوة، فأخرج منها وهو كالمختلط، فحمل إلى منزله، وهو على تلك الحالة، وهو يتأوه من رأسه، فمات ثاني يوم.

وجدّه سيّار بفتح السين المهملة، وتشديد الياء المثناة تحت، وبعد الألف راء، والشيباني بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف نون، نسبة إلى شيبان، حي من بكر بن وائل، وهما شيبانان، شيبان ابن ثعلبة من عكابة، وشيبان بن ذهل.

ومن تصانيفه: كتاب المصون وكتاب اختلاف النحويين وكتاب معاني القرآن وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب القراءات وكتاب معاني الشعر وكتاب التصغير وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف وكتاب ما يُجرى وما لا يجري وكتاب الشواذ وكتاب الأمثال[1] وكتاب الوقف والابتداء وكتاب الألفاظ وكتاب الهجاء[2] وكتاب إعراب القرآن وكتاب المسائل وكتاب حد النحو وغير ذلك[3] كذا في تاريخ ابن خلكان وعنه نقل المؤلف.

---

(1) في الوفيات: و الإيمان وفيات الاعيان 1/ 103.

(2) بعده في الوفيات و المجالس و الأوسط.

(3) أنظر أسماء كتبه في مقدمة كتابه مجالس ثعلب تحقيق عبد السلام محمد هارون.

101 ـ أبو عمرو إسحاق بن مراد الشيباني[1]

ومنهم أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني عليه الرحمة.

هو النحوي اللغوي، كان في الكوفة، ونزل إلى بغداد، وجاور شيبان للتأدب فيها، فنسب إليها، وكان من الأئمة الأعلام في اللغة والشعر، وكان كثير الحديث، ثقة وأخذ عنه جماعة كبار منهم الإمام أحمد وأبو عبيد القاسم بن سلام ويعقوب بن السكيت وله من التصانيف عدة مصنفات، منها كتاب اللغات وكتاب النوادر الكبير ثلاث نسخ، وكتاب غريب الحديث وكتاب خلق الإنسان وكان الغالب عليه النوادر، وحفظ الغريب وأراجير العرب، قال ولده عمرو: لما جمع أبي أشعار العرب ودونها وكانت نيفاً وثمانين قبيلة فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه، وتوفى ببغداد سنة ست ومائتين[2] وعمرّ مائة وعشر سنين وهو الأصح.

وأبوه مرار بكسر الميم وبعدها راءان بينهما ألف، كذا في تاريخ ابن خلكان.

---

(1) ترجمته في: تاريخ بغداد 6/ 329 ووفيات الأعيان 1/ 201 ومعجم الأدباء 6/ 77 ونزهة الألباء: 61 وأنباه الرواة 1/ 221 وبغية الوعاة ص192 ونور القبس 277

(2) في وفيات الأعيان 1/ 201 قال ابن كامل: مات إسحاق سنة 213، وقال غيره بل توفى سنة 206، وهو الأصح، وقيل توفي سنة 210و الله أعلم وفي ميزان الاعتدال 3/ 373 وتاريخ بغداد 6/ 329 وفاته سنة 210ه، وفي الاعلام وفاته سنة 206هـ/ 821م.

102 ـ محسن بن الصباح الزعفراني[1]

ومنهم أبو علي محسن بن الصباح الزعفراني عليه الرحمة.

هو المشهور بالزعفراني، صاحب الإمام الشافعي، برع في العلم والفقه والحديث وصنف كتباً، وسار ذكره في الآفاق، لزم الإمام الشافعي حتى تبحر، وسمع من سفيان ابن عيينة، ومن في طبقته مثل: وكيع بن الجراح، وعمرو بن الهيتم، ويزيد بن هارون، وغيرهم، وهو أحد رواة الأقوال القديمة[2] عن الشافعي ورواتها أربعة: هو وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسي[3] ورواة الأقوال الجديدة ستة: المزني والربيع بن سليمان الجيزي، والربيع بن سليمان المرادي والبويطي، وحرملة ويونس بن عبد الأعلى، وروى عنه البخاري في صحيحه، وأبو داود والترمذي وغيرهم.

توفي شهر شعبان وقيل في شهر رمضان سنة ستين ومائتين، وذكر السمعاني في الأنساب[4] أنه توفي شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين ومائتين، كذا في تاريخ ابن خلكان والزعفراني، نسبة إلى الزعفرانية، قرية

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 2/ 73 والفهرست: 211 وتاريخ بغداد 7/ 407 وتهذيب التهذيب 2/ 318 وطبقات السبكي 1/ 250 وتذكرة الحفاظ 525.

(2) يعني أراءه الفقهية في العراق قبل رحيله إلى مصر التي أصبحت له فيها أقوال جديدة.

(3) في الأصل: وأحمد الكرابيسي، والتصويب عن الوفيات.

(4) الأنساب 6/ 298.

بقرب بغداد تسمى درب الزعفران منسوبة[1] إلى هذا العالم لأنه أقام بها.

قلت، ولم يبق من الزعفرانية في عصرنا هذا إلا هذا الإسم والمزارع، وهي قرب جسر الديالة.

(1) وقد أخطأ الذهبي في التذكرة بقوله أنه منسوب إلى درب الزعفران، إذ الدرب منسوب إليه وقد أشير إلى ذلك في هامش وفيات الاعيان 2/ 73.

103 ـ الحسن بن الحسين ابن أبي هريرة[1]

ومنهم: أبو علي الحسن[2] بن الحسين بن أبي هريرة.

ولم يذكره المؤلف، ولعله لم يقف على انه من المدفونين ببغداد، ولا بأس لي بذكره، فأقول:

هو على ما ذكره ابن خلكان من أجلاء الفقهاء الشافعية، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج وأبي إسحاق المروزي وشرح مختصر المزني ودرس ببغداد وتخرج به خلق كثير، وانتهت إليه إمامة العراقيين، وكان معظماً عند السلاطين والرعايا إلى أن توفي في رجب سنة خمس وأربعين وثلثمائة ـ انتهى.

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 2/ 75 وطبقات السلمي 2/ 206 والفهرست 215 وتاريخ بغداد 7/ 298.

(2) في الأصل: الحسين.

104 ـ أبو علي الحسين بن القاسم الطبري[1]

ومنهم أبو علي الحسين بن القاسم الطبري، هذا هو الفقيه الشافعي، أخذ الفقه من ابن أبي هريرة وعلق منه التعليقة المنسوبة إليه وسكن بغداد ودرس بها بعد أستاذه المذكور، وصنف كتاب المحرر في النظر وهو أول من صنف في الخلاف، وصنف أيضاً كتاب الإفصاح في الفقه والعدة وهو كبير[2]، وصنف كتاباً في الجدل وكتاباً في أصول الفقه وتوفي في بغداد سنة ثلثمائة وخمسين والطبري بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء نسبة إلى طبرستان بفتح الطاء والباء والراء سكون السين المهملة، والتاء المثناة من فوقها، وبعد الألف نون وهو ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة والنسبة إلى طبرية الشام طبراني كذا في تاريخ ابن خلكان

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 2/ 76 وطبقات السبكي 2/ 217 وفيه الحسين والفهرست 214 وتاريخ بغداد 8/ 87 باسم الحسين أيضاً.

(2) في الوفيات: يدخل في عشرة أجزاء.

105 ـ أبو علي الفارقي الحسن بن إبراهيم[1]

ومنهم أبو علي الحسن بن إبراهيم عليه الرحمة:

هو أبو الحين بن إبراهيم بن برفون[2]، بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وضم الفاء وبعد الواو الساكن نون، وفي بعض نسخ تاريخ ابن خلكان ضبطها بالهاء بدل الفاء، الفقيه الشافعي، كان مبدأ اشتغاله بميا فارقين على أبي عبد الله محمد الكازروني، فلما توفى انتقل إلى بغداد واشتغل على أبي إسحاق الشيرازي وأبي نصر بن الصباغ وتولى القضاء بمدينة واسط،

حكى الحافظ أبو طاهر السلفي، فقال: سألت الحافظ أبا الكرم خميس ين علي بن أحمد الحوزي[3] بواسط عن جماعة منهم القاضي أبو علي المذكور فقال: هو متقدم في الفقه، وقضى بواسط بعد أبي تغلب فظهر من عقله وعدله وحسن سيرته ما زاد على الظن به، وسمع الحديث على الخطيب أبي بكر ومن في طبقته، وكان زاهداً متورعاً وله كتاب الفوائد على التهذيب.

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 2/ 77 وطبقات السبكي 4/ 209 والمنتظم 9/ 205 و10/ 37 وكامل ابن الأثير 11/ 6 وتاريخ ابن كثير 12/ 206 وطبقات الجزري 2/ 339 ومرآة السبط 8/ 78 ومرآة اليافعي 3/ 253 والعبر للذهبي 4/ 74 وطبقات الأسنوي 2/ 56.

(2) في الوفيات: برهون، وسيشير المؤلف إلى ذلك، وقد تصرف في بعض المصادر إلى مرهون وفرهون.

(3) محدث واسط، توفى سنة 510، والحوز قرية بواسط تذكرة الحفاظ 1262.

ولد بميا فارقين سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وتوفى يوم الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بواسط.

كذا في تاريخ ابن خلكان.

106 ـ أبو سعيد الحسن السيرافي[1]

ومنهم: أبو سعيد بن عبد الله السيرافي.

قلت وقد أهمله المؤلف، وهو الإمام المرزياني، كان من أعلم الناس بنحو البصريين، وشرح كتاب سيبويه فأجاد، وكتاب الغات الموصل والقطع وكتاب أخبار النحويين[2] البصريين وكتاب الوقف والابتدا وكتاب صنعة الشعر والبلاغة و شرح مقصورة ابن دريد وقرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد، والفقه على ابن دريد والنحو على أبي بكر بن السراج النحوي، وكان الناس يشتغلون عليه بعدة فنون: القرآن الكريم والقراءات، وعلوم القرآن والنحو اللغة والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض والقوافي، وكان نزهاً عفيفاً، حسن الأخلاق، وكان معتزلياً ولم يظهر منه شيء، وكان لا يأكل إلا من كسب يده، ينسخ ويأكل منه، وكان أبوه مجوسياً، اسمه بهزاد فأسلم فسماه ابنه عبد الله، وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه:

---

(1) أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزيان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي، ترجمته في: وفيات الأعيان 2/ 78 والفهرست 62 وتاريخ بغداد 7/ 341 والجواهر المعينة 1/ 196 وطبقات الزبيدي 129 والأبناه 363 ومعجم الأدباء 8/ 145 ومعجم البلدان سيراف ونزهة الألباء 211 وبروقلمان 2/ 188

(2) أخبار النحويين: طبع في بيروت سنة 1336 وفي القاهرة سنة 1955 بعناية الزيني وخفاجي.

اسكن إلى سكن تسرّ به ذهب الزمان وأنت منفرد
ترجو غداً وغدٌ كحاملة في الحي لا يدرون ما يلد

وكانت بينه وبين أبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني ما جرت العادة بمثله بين الفضلاء منن التنافس، فعمل فيه أبو فرج:[1]

لست صدراً ولا قرأت على صد رٍ ولا علمك البكيُّ بشافِ[2]
لعن الله كل نحوٍ وشعرٍ و عروض يجيء من سيراف

توفي يوم الاثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلثمائة ببغداد وعمره أربع وثمانون سنة ودفن بمقبرة الخيزران.

قال ولده أبو محمد يوسف[3]: أصل أبي من سيراف وبها ولد وبها ابتدأ يطلب العلم، وخرج منها قبل العشرين، ومضى إلى عمان، وتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى عسكر مكرم وأقام عند أبي محمد بن عمر المتكلم، وكان يقدمه على جميع أصحابه ودخل بغداد، وخلف القاضي أبا محمد بن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين.

والسيرافي بكسر السين المهملة ثم الياء المثناة من تحت، وبعد الراء والألف فاء نسبة إلى مدينة سيراف، وهي من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان، وخرج منها جماعة من العلماء، كذا في تاريخ ابن خلكان.

---

(1) البيتان في معجم الأدباء 8/ 149.

(2) في الأصل: الذكي بشافي، والتصويب عن معجم الأدباء، والوفيات، ومعنى البكي: القليل.

(3) في معجم البلدان: وذكره محمد بن إسحاق النديم قال: قال لي أبو أحمد، وأبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله، كان رأساً في العربية، أخذ عن أبيه وصنف وشرح أبيات سيبويه، وشرح أبيات إصلاح المنطق وغيرهما، مات سنة 385ه ترجمته في معجم الأدباء 20/ 60.

107 ـ أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد[1]

ومنهم: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي.

قلت: وقد ترك المؤلف ذكره أيضاً.

هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ولد في فسا، بفتح الفاء والسين المهملة ثم ألف مقصورة على وزن فتى، بلدة من أعمال فارس سنة ثمان وثمانين ومائتين، وأتى بغداد، ودخلها سنة سبع وثلثمائة، واشتغل بها وكان إمام وقته في النحو، وقدم حلب سنة إحدى وأربعين وثلثمائة، وأقام بها عند سيف الدولة بن حمدان مدة، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ثم انتقل إلى بلاد فارس، وصحب عضد الدولة بن بويه، وتقدم عنده، وعلت منزلته، حتى قال عضد الدولة: أنا علام أبي علي الفسويّ في النحو، وصنف له كتاب الإيضاح و التكملة ويحكى أنه كان يوماً في ميدان شيراز يساير عضد الدولة، فقال له: لم انتصب المستثنى بقولنا: قام القوم إلا زيداً؟ فقال الشيخ: بفعل مقدر، فقال له كيف تقديره؟ فقال: استثني زيداً،

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 2/ 80 والفهرست 64 وتاريخ بغداد 7/ 275، وغاية النهاية 1/ 206 ولسان الميزان 2/ 195 ومعجم الأدباء 7/ 232 ونزهة الأدباء 217 وأنباء الرواة 1/ 273 والإمتاع والمؤانسة 1/ 131 وفهرست ابن خليفة 318، والكامل لابن الأثير 9/ 36 وفيه أن وفاته سنة 376ه والنجوم الزاهدة 533 وشذرات الذهب 4/ 88 وبروكلمان 2/ 191.

فقال له عضد الدولة: هلا رفعته وقلت امتنع زيدٌ؟ فانقطع الشيخ، وقال: هذا جوابٌ ميداني ثم أنه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً وحمله إليه فاستحسنه، وذكر في كتاب الإيضاح أنه بالفعل المتقدم بتقوية إلا.

وحكى أبو القاسم بن أحمد الأندلسي، قال: جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر، فقال: إني لأغبطكم على ذكر الشعر، فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقق العلوم التي هي من موادّه، فقال له الرجل: فما قلت قط شيئاً منه؟ قال: ما أعلم أن لي شعراً إلا ثلاثة أبيت في الشيب وهي قولي[1]:

خضبت الشيب لما كان عيباً ... وخضبُ الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خِلٍّ ... ولا عَيْبَاً خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميماً ... فصيّرت الخضاب له عِقابا

ومن تصانيفه: كتاب التذكرة وكتاب المقصور والممدود وكتاب الحجة في القراءات وكتاب الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني وكتاب العوامل المائة وكتاب المسائل البغداديات وكتاب المسائل الحلبيات[2] وغير ذلك، وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله، وكان مهتماً بالاعتزال، وتوفى يوم الأحد لسبع عشر ليلة خلت من شهر ربيع الآخر وقيل ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاث مائة ببغداد، ودفن بالشونيزية، كذا في تاريخ ابن خلكان.

---

(1) الخبر والأبيات في معجم الأدباء 7/ 252 والوفيات 2/ 81.

(2) في هامش المخطوطة: وكتاب المسائل الشيرازيات وكتاب المسائل البصرية وكتاب المسائل المجلسيات وانظر: مزيداً منها في معجم الأدباء.

108 ـ أبو إسحاق الزجاج[1]

ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج، هو على ما في تاريخ ابن خلكان أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل المعروف بالزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين، وكان في بدء أمره يصنع الزجاج، ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه، وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب، وأخذ عنه أبو علي الفارسي، وأبو القاسم عبد الرحمن[2] الزجاجي، صاحب كتاب الجمل في النحو، والزجاجي نسبة إليه، واختص بصحبة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب[3]، وعلّم ولده القاسم[4]

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 1/ 49، وأنباه الرواة 1/ 159 وبغية الوعاء 179 وتاريخ بغداد 6/ 89 والفهرست 60 ومراتب النحويين 136 ومعجم الأدباء 1/ 130 ونزهة الألباء: 167 ونور القبس 342.

(2) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، النهاوندي، الصيمري، النحوي، ولد بنهاوند، وانتقل إلى بغداد وفيها، التقى بشيخه الزجاج، وانتقل إلى الشام فأقام بحلب ثم إلى دمشق، توفي سنة 337هـ، ترجمته في أنباه الرواة 2/ 160 وبغية الوعاة 2/ 77، وللدكتور عبد الحسين المبارك الزجاجي ومذهبه في اللغة والنحو.

(3) عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي، وزير من الكتاب، استوزره المعتمد العباسي ثم المعتضد واستمر وزيراً إلى وفاته سنة 288هـ، انظر: ابن الأثير 7/ 168 والفوات 2/ 27 والوزراء والكتاب 252 والأعلام 4/ 194.

(4) القاسم بن عبيد الله، استوزره المعتضد بعد وفاة أبيه، وكان كاتباً أديباً شاعراً، وهو الذي عقد البيعة للمكتفي بعد وفاة أبيه المعتضد، وتوفي سنة 291هـ معجم المرزباني 337 والأعلام 5/ 177.

الأدب، ولما استوزر القاسم أفاده مالاً جزيلاً، وحكى الشيخ أبو علي الفارسي النحوي، قال: دخلت مع شيخنا أبي اسحق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير، فورد إليه خادم فسارّه بسرّ، فاستبشر ثم نهض، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم، فسأله شيخنا عن ذلك لأنسٍ كان بينهما فقال له: كانت تختلف إلينا جارية لإحدى القينات فسمتها أن تبيعني إياها، فامتنعت من ذلك، ثم أشار إليها أحد من ينصحها بأن تهيها إليّ رجاء أن أضاعف لها ثمنها، فلما جاءت أعلمني الخادم بذلك، فنهضت مستبشراً لافتضاضها، فوجدتها قد حاضت، فكان[1] مني ما ترى فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب[2]:

فارس ماضٍ بحربته حاذق بالطعن في الظلم
رام أن يدمي فريسته فاتقته من دمٍ بدم

هذا: وله من التصانيف كتاب في معاني القرآن الكريم، وكتاب الأمالي في النحو وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الفرق وكتاب خلق الإنسان وكتاب خلق الفرس وكتاب مختصر في النحو، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف وكتاب شرح أبيات كتاب سيبويه وكتاب النوادر وغير ذلك[3].

توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر، وقيل إحدى عشرة، وقيل ست عشرة وثلثمائة ببغداد، وقد أناف على ثمانين سنة، رحمه الله، انتهى بتلخيص وتغيير والمؤلف رحمه الله كناه بأبي القاسم، ولعله من قلم الناسخ، أو عثر على تكنيه بذلك أيضاً والله أعلم.

---

(1) في الأصل: فكانت.

(2) البيتان في الوفيات 1/ 289 للمأمون الخليفة العباسي، فيما جرى له مع بوران بنت الحسن بن سهل قال ابن خلكان: ويحتمل أن تكون قضية المأمون مع بوران هي الأصل، وإن الزجاج تمثل بالبيتين لما جرى للوزير هذه القضية.

(3) ومن مصنفاته ما فسّر من جامع المنطق وكتاب الأنواء كتاب المقصور والممدود وكتاب الوقف والأبتدا أنظر: الوفيات 1/ 49 ومعجم الأدباء 1/ 151 هدية العارفين 1/ 5.

109 ـ أبو حامد الاسفراييني[1]

ومنهم أبو حامد، أحمد الاسفراييني عليه الرحمة، هو أبو حامد، أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الاسفراييني، الفقيه الشافعي، انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين ببغداد، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلثمائة فقيه، وأخذ الفقه عن أبي الحسن بن مرزبان وعن أبي القاسم الداركي واتفق أهل عصره على تفضيله وتقديمه في جودة النظر، وعلق على مختصر المزني تعاليق وله في مذهب الشافعية التعليقة الكبرى وكتاب البستان وهو صغير ذكر فيه غرائب وقال الخطيب في تاريخ بغداد: إن أبا حامد حدث بشيء كثير عن عبد الله عن حديّ وأبي بكر الإسماعيلي وإبراهيم بن محمد بن عبدك الاسفرائيني، وكان ثقة وحضرت تدريسه، ورأيته غير مرة في مسجد عبد الله بن المبارك، وسمعت أنه كان يحضر درسه سبعمائة متفقه وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به، وحكى الشيخ أبو إسحاق في الطبقات أن أبا الحسن القدوري الحنفي كان يعظمه على كل أحد، وروى عنه أنه قال: ما قمت من مجلس النظر قط فندمت على معنى ينبغي أن يذكر فلم أذكره، وروي أنه قابله بعض الفقهاء في مجلس المناظرة بما لا يليق، ثم أتاه بالليل معتذراً إليه فأنشد يقول:

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 1/ 72 وتاريخ بغداد 4/ 368 وطبقات السبكي 3/ 24 والعبر 3/ 92 والشذرات 3/ 178.

جفاء جرى جهراً لدى الناس وانبسط　　وعُـذرٌ أتـى سـراً فـأكّـد مـا فـرط
ومن ظـن أن يـمـحـو جـليّ جـفـائـه　　خفيُّ اعتذارٍ فهو في أعظم الغلط

وكانت ولادته سنة أربع وأربعين وثلثمائة وقدم بغداد في سنة ثلاث وستين وثلثمائة، وقال الخطيب سنة أربع وستين، ودرس الفقه بها سنة سبعين وتوفى بها ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وأربعمائة ببغداد ودفن من الغد في داره، ثم نقل إلى باب حرب سنة عشر وأربعمائة، قال الخطيب، وصليت على جنازته في الصحراء وراء جسر أبي الدن، وكان الإمام في الصلاة عليه أبا عبد الله بن المهتدي خطيب جامع المنصور، وكان يوماً مشهوداً بكثرة الناس وعظم الحزن.

ونسبته إلى إسفراين بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء والراء وكسر الياء المثناة من تحت، وبعد نون، بلدة بخراسان بنواحي نيسابور على منتصف الطريق إلى جرجان كذا ذكره ابن خلكان، قلت ومنهم من يقلب الياء همزة ويقول: إسفرائين.

110 ـ عامر بن شراحيل الشعبي [1]

ومنهم أبو عمرو، عامر الشعبي رضي الله عنه، هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، (وذو كبار قيل، من أقيال اليمن)، الشعبي، وهو كوفي تابعي، جليل القدر، وافر العلم، روي ان ابن عمر[2] رضي الله عنه مرّ به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال: شهدت القوم وانه اعلم بها مني، وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول[3] بالشام، ويقال انه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكلم الشعبي عمرو بن هبيرة[4] أمير العراقين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى، فقال له: أيها الأمير، إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم، وان حبستهم بحق فالعفو يخرجهم، فاطلقهم.

قيل: ولد الشعبي لأربع سنين بقين من خلافة عمر رضي الله عنه،

---

(1) ترجمته في طبقات ابن سعد 6/ 171 ووفيات الاعيان 3/ 12 والترجمة هنا منقولة عنه، وتهذيب ابن عساكر 7/ 138 وتاريخ بغداد 12/ 227 وتهذيب التهذيب 5/ 65 وحلية الأولياء 4/ 310 والعبر 1/ 127 وسمط اللآلي 751 والمعارف 449.

(2) في الأصل: عمر، والتصويب عن الوفيات.

(3) مكحول: مكحول الشامي، كان سندياً، من كابل، توفي سنة 113هـ (المعارف ص453).

(4) عمرو بن هبيرة الفزاري، ولي (العراقيين) ليزيد بن عبد الملك ست سنين، وكان شريفاً كريماً (المعارف ص408).

وقيل ولد الشعبي والحسن البصري في سنة إحدى وعشرين، وقال الأصمعي: سنة سبع عشرة بالكوفة. وروي أنه قال ولدت سنة جلولاء، وهي سنة تسع عشر، كان ضئيلاً، فقال: زوحمت في الرحم، وكان قد ولد هو وأخ آخر في بطن، وأقام في البطن سنتين[1]، وذكر في كتاب (المعارف)[2] ويقال ان الحجاج بن يوسف الثقفي قال له يوما: كم عطائك؟ قال: ألفين، فقال: ويحك كم! كم عطائك؟ فقال: ألفان، قال: كيف لحنت أولا؟ فقال: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت، وما أمكن أن يلحن الأمير فأعرب أنا، فاستحسن ذلك منه وأجازه وكان يتمثل كثيرا بقول الدارمي[3]:

ليست الأحلام في حال الرضى إنما الأحلام في حال الغضب

وكان مزاحاً، يحكى إن رجلاً دخل عليه ومعه امرأة في البيت فقال: أيكم الشعبي؟ فقال: هذه.

وتوفي في الكوفة سنة أربع، وقيل سنة ثلاث، وقيل سنة ست وقيل سبع وقيل خمس ومائة، وكانت وفاته فجأة، وكانت أمه من سبي جلولاء، قلت بنافيه ما روي عنه انه ولد سنة جلولاء وما سبق من إقامته في البطن سنتين.

وشراحيل بفتح الشين المعجمة والراء وبعد الألف حاء مهملة، مكسورة، ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها، وبعدها لام، والشعبي بفتح الشين المثلثة، وسكون العين، وهو بطن من همدان، كذا في وفيات الأعيان لأبن خلكان.

---

(1) وفي المعارف، ص595، انه ولد لسبعة أشهر توأماً.

(2) المعارف ص595.

(3) الدارمي: هو ربيعة بن عامر بن انيف بن شريح الدارمي التميمي، شاعر شريف من سادات قومه، هاجى الفرزدق وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وكان يزيد بن معاوية يؤثره ويقدمه، ترجمته في الأغاني 20/ 205 الاعلام للزركلي 3/ 16.

111 ـ شريح القاضي[1]

ومنهم ابو أمية شريح القاضي رضي الله عنه، ذكر في تاريخ ابن خلكان، وعنه نقل المؤلف انه شريح بن الحرث بن قيس بن الجهم[2] بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحرث بن معاوية أبن ثور بن مرتع بتشديد التاء المثناة من فوق المكسورة، الكندي، وثور بن مرتع هو كنده، وفي نسبه اختلاف كثير، وهذه الطريق اصحها، كان من كبار التابعين، وأدرك الجاهلية واستقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة، فأقام خمسا وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين، امتنع فيها من القضاء[3]، ولم يقض بين اثنين حتى مات وكان اعلم الناس بالقضاء. ذا فطنة ومعرفة وذكاء وعقل واصابة، قال ابن عبد البر، وكان شاعراً مجيداً، وهو أحد السادات الطلس[4]، وهم أربعة: عبد الله بن الزبير، وقيس بن سعد بن عبادة[5]، والاحنف بن قيس[6]، الذي يضرب به المثل في الحلم.

---

(1) ترجمته في: طبقات ابن سعد 6/ 90 ووفيات الأعيان 2/ 460 وحلية الأولياء 4/ 172 وشذرات الذهب 1/ 85 والمعارف 433 وتذكرة الحفاظ 59 والعقد الفريد 1/ 89 و5/ 10.

(2) في الأصل: الجهيم، والتصويب عن الوفيات وطبقات ابن سعد.

(3) الخبر منقول عن الوفيات 3/ 460.

(4) الأطلس: الذي لا شعر في وجهه.

(5) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، من كبار الصحابة، توفي بالمدينة في آخر أيام معاوية وأخباره كثيرة، المعارف ص259.

(6) الأحنف بن قيس، سيترجمه المؤلف فيما بعد.

وكان مزاحاً، دخل عليه عدي بن ارطأة[1]، فقال له: أين انت اصحك الله؟ فقال: بينك وبين الحائط، فقال: استمع مني، فقال: اني رجل من أهل الشام، قال: مكان سحيق قال: وتزوجت عندكم، قال: بالرفاه والبنين، قال: وأردت ان ارحلها، قال: الرجل أحق بأهله، قال: وشرطت لها دارها، قال: الشرط لها، قال: فاحكم الآن بيننا، قال قد فعلت، قال: فعلى من حكمت، قال: على ابن أمك، قال: بشهادة من؟ قال: قال بشهادة ابن اخت خالتك.

وروي ان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه دخل مع خصم ذمي إلى القاضي شريح، فقام له: فقال: هذا أول جورك. ثم اسند ظهره إلى الجدار، قال: ان خصمي لو كان مسلماً لجلست بجنبه.

وروي ان علياً رضي الله عنه قال: اجمعوا لي الفقراء، فاجتمعوا في رحبة المسجد، فقال: اني اوشك ان افارقكم، فجعل يسائلهم، ما تقولون في كذا، ما تقولون في كذا، وشريح ساكت فلما فرغ منهم، قال: اذهب فأنت من أفضل الناس، ومن أفضل العرب.

ويروى ان زياد بن أبيه كتب إلى معاوية: يا أمير المؤمنين ظبطت لك العراق بشمالي، وفرغت يميني لطاعتك، فولني الحجاز، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وكان مقيماً بمكة، فقال: اللهم اشغل عنا يمين زياد فاصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطباء واستشارهم، فاشاروا عليه بقطعها، فاستدعى القاضي شريحاً، وعرض عليه ما أشار به الاطباء، فقال: لك رزق مقسوم، واجل معلوم، واني اكره ان كانت لك مدة ان تعيش في الدنيا بلا يمين، وان كان قد دنا أجلك ان تلقى ربك مقطوع اليد، فإذا سألك لما قطعتها؟ قلت: بغضاً في لقائك، وفراراً من قضائك، فمات زياد من يومه، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع لبغضهم له،

---

(1) عدي بن أرطأة الفزاري، أمير من الشجعان، ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة سنة 599 واستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب سنة 102هـ (الأعلام 5/ 8).

فقال انه استشارني والمستشار مؤتمن ولو لا الأمانة في المشورة، لوددت انه قطع يده يوماً ورجله يوماً، وسائر جسده يوماً.

وكانت وفاة القاضي شريح سنة سبع وثمانين وقيل اثنتين وثمانين وقيل ثمانين، وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل مائة وثمانين سنة، و+.

والكندي بكسر الكاف وسكون النون وبعدها دال مهملة نسبة إلى كنده كذلك، وهو ثور بن مرتّع بن مالك بن زيد بن كهلان وقيل ثور بن عفير ابن الحارث بن مرة بن أدد وسمي كنده لأنه كند أباه نعمته، أي كفرها، انتهى ملخصا.

112 ـ الاحنف بن قيس التابعي[1]

ومنهم الاحنف بن قيس التابعي، رضي الله عنه.

قال ابن خلكان، هو أبو بحر ضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، المعروف بالأحنف وقيل اسمه صخر وهو يضرب به المثل في الحلم، كان من سادات التابعين رضي الله عنهم، أدرك عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصحبه، وشهد بعض الفتوحات منها قاشان، وذكر الحافظ أبو نعيم في تاريخ اصفهان[2]، وقال: ابن قتيبة في كتاب المعارف[3]، ما صورته ولما اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بني تميم يدعوهم إلى الإسلام، كان الأحنف فيهم فلم يجيبوا (إلى اتباعه) فقال لهم الأحنف: انه ليدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملائمها، فاسلموا، وأسلم الأحنف، ولم يفد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما كان زمن «عمر» رضي الله عنه، وفد عليه، وكان من جملة التابعين

---

(1) ترجمته في: المعارف 423 ووفيات الأعيان 2/ 499 تاريخ أصبهان 1/ 224 وجمهرة الأنساب 206 وتهذيب ابن عساكر 7/ 10 وطبقات ابن سعد 7/ 16 وتاريخ الخميس 2/ 309 وتاريخ الإسلام للذهبي 3/ 129، وسرح العيون 54 وفي مواضع متفرقة من البيان والتبين، ومشاهير علماء الأمصار من 87.

(2) تاريخ أصبهان 1/ 224.

(3) المعارف ص 423.

واكابرهم، وكان سيد قومه، موصوفاً بالعقل والدهاء، والعلم والحلم، روي عن عمر وعن عثمان وعن علي رضي الله عنهم وروي عن الحسن البصري، وأهل البصرة، وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقعة صفين ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد من الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوماً فقال له: والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين الا كانت حرارة في قلبي إلى يوم القيامة، فقال له الاحنف: والله يا معاوية ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا، وان السيوف التي قاتلناك بها لفي اغمادها، وان تدنُ من الحرب فتراً ندنُ منها شبراً، وان تمشي لها نهرول إليها، ثم قام وخرج، وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه، فقالت: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي يتهدد ويتوعد؟ فقال: هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف سيف من بني تميم، لا يدرون فيم غضب[1].

وروي[2] ان معاوية لما نصب ولده يزيد لولاية العهد وأَقْعَدَهُ في قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها، والأحنف جالس، فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر؟ فقال: أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت، فقال له معاوية: جزاك الله عن الطاعة خيراً، وأمر له بألوف، فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب، فقال: يا أبا بحر، اني لأعلم أن شر خلق الله هذا وأبنه، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأمور بالأبواب والأقفال وليس يطمع في إخراجها إلا بما سمعت، فقال له الأحنف: أمسك عليك فان ذا الوجهين خليق الا يكون عند الله وجيهاً.

ومن كلامه: الا أدلكم على المحمرة، بلا مرزءة، الخلق السجيح

---

(1) الخبر في الوفيات 2/ 500 والعقد الفريد 4/ 28، ومقامات العلماء ص222 باختلاف يسير.

(2) الخبر في الوفيات 2/ 500.

والكف عن القبيح، الا أخبركم بأذوا الداء، الخلق الدنيء واللسان البذيء[1].

ومن كلامه: في ثلاث خصال ما أقولهن الا ليعتبر بها معتبر، ما دخلت بين اثنين قط حتى يدخلاني بينهما، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم ادع إليه، يعني الملوك، ولا حللت حبوتي إلا أن يقوم إليه الناس (إليه)[2].

ومنه: ما خان شريف، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن.

ومنه: ما ادخرت الآباء للأبناء، ولا ابقت الموتى للأحياء، افضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب[3].

ومنه: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شيئاً عرف به[4]، وسمع الأحنف رجلاً يقول: ما أبالي أمدحت أم ذممت، فقال: قد استرحت من حيث تعب الكرام[5].

ومنه: جنبوا مجالسنا ذكر الطعام والنساء، فاني ابغض الرجل ان يكون وصافاً لبطنه وفرجه وان من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه[6].

وقال هشام[7] بن عقبة أخو ذي الرمة الشاعر المشهور: شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم يتكلمون في دم، فقال: احكموا،

---

(1) الكلمة في الوفيات 2/ 501.

(2) كلمة (إليه) ليست في الأصل، أنظر الوفيات 2/ 501.

(3) بعده في الوصيات 2/ 501 (والآداب).

(4) الوفيات 2/ 501.

(5) الوفيات 2/ 501.

(6) الوفيات 2/ 501.

(7) هشام بن عقبة بن مسعود، أخو ذو الرمة الشاعر، كان يقول الشعر، له ذكر في الأغاني في ترجمة ذي الرمة 18/ 1 ـ 47.

فقالوا: نحكم بديتين، فقال: ذلك لكم، فلما اسكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم غير اني قائل لكم شيئا: ان الله عز وجل قضى بدية واحدة، وانتم اليوم طالبون وأخشى غداً ان تكونوا مطلوبين، فلا يرضى الناس منكم الا بمثل ما سننتم لأنفسكم، قالوا: فردها إلى دية واحدة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وركب.

وسئل عن الحكم ما هو فقال: هو الذل مع الصبر، وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه اني لأجد ما تجدون ولكنني صبور.

وكان يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال، وكان يقول: ما تعلمت الحلم الا من قيس بن عاصم المنقري، لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه، فأتى بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى، ثم أقبل إليه وقال: يا بني، بئس ما فعلت، نقصت عددك، وأوْهَنْتَ عضدك، واشمت عدوك، وأسأت بقومك، خلو سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، فأنها غريبة ثم انصرف القاتل، وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه[1].

وكان زياد بن أبيه في مدة ولايته العراقين كثير الرعاية لحارثة بن بدر الغداني[2]، وللأحنف، وكان حارثة مكباً على الشراب، فوقع أهل البصرة فيه عند زياد ولاموا زياداً في تقريبه ومعاشرته، فقال لهم زياد: يا قوم كيف لي باطراح رجل، هو يسايرني منذ دخلت العراق، ولم يصطك ركابي ركابه، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت إليه عنقي ولا أخذ علي الروح في الصيف ولا الشمس في الشتاء قط. ولا سألته عن شيء من العلم الا وظننته لا يحسن سواه، واما الأحنف فلم يكن فيه ما يقال، ولما مات زياد وتولى ولده عبيد الله قال لحارثة، اما ان تترك الشراب أو

(1) الخبر في الوفيات 2/ 502.

(2) حارثة بن بدر بن حصين التميمي، الغداني، من التابعين، له أخبار في معارك الفتوح، وأمر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرى (من نواحي الأهواز) معجم البلدان 5/ 319 فركب سفينة بمن معه فغرقت بهم سنة 64هـ، أخباره في الإصابة 1/ 371 وابن عساكر 3/ 430.

تبعد عني، فقال حارثة: قد علمت حالي عند والدك، فقال عبيد الله: ان والدي قد برع بروعاً لا يلحقه معه عيب، وأنا حدث، وإنما أنسب إلى من يغلب علي، وأنت رجل نديم الشراب، فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم أؤمن ان يظن بي، فدع النبيذ وكن أول داخلي علي وآخر خارج عني، فقال له حارث: أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي، أفادعه للمال عندك، قال: فاختر من عملي ما شأت، قال: توليني سرّق[1] فقد وصف لي شرابها، وتضم إليها رامهرمز[2]، فولاه إياهما، فلما خرج شيعه الناس فقال له أنس بن أبي أنس[3]، وقيل أبو الأسود الدئلي[4]:

أحار بن بدرٍ قد وليت أمارةٍ	فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحتقر يا حار شيئاً وجدته	فحظك من مال العراقين (سرّق)
وباه تميماً بالغنى ان بالغنى	لساناً به المرء الهيوبة ينطق
فانّ جميع الناس إما مكذب	يقول بما يهويّ واما مصدّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها	وان قيل هاتوا حقّقوا ولم يحققوا

واما الأحنف فأنه تغيرت منزلته عند عبيد الله أيضاً، وصار يقدم عليه ما لا يساويه ولا يقاربه، ثم ان عبيد الله جمع أعيان العراق وفيهم الأحنف وتوجه بهم إلى الشام للسلام على معاوية، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية واعلمه بوصول رؤساء العراق، فقال لتدخلنّهم عليّ أوّلاً فأولاً على قدر مراتبهم عندك، فخرج وأدخلهم على الترتيب كما قال معاوية، وآخر من دخل الأحنف، فلما رآه معاوية، وكان يعرف منزلته

---

(1) سرّق: إحدى كور الأهواز، نهر عليه بلاد (معجم البلدان 2/ 224).

(2) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (معجم البلدان 2/ 27).

(3) كذا في الأصل وفي الوفيات، وهو أنس بن أبي أناس زنيم من كنانة من الدؤال رهط أبي الأسود الآتي ذكره، ترجمته في الإصابة 1/ 69 والخزانة 3/ 119 والشعر والشعراء 741.

(4) أبو الأسود الدؤلي، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم ومن الشعراء الفرسان الدهاة، كان كاتباً لابن العباس في البصرة ثم وليها بعده توفي سنة 69هـ بالبصرة ترجمته في الأغاني 12/ 297.

ويبالغ في إكرامه لتقدمه وسيادته، قال له إليّ يا أبا بحر، فتقدم إليه فأجلسه معه على مرتبته وأقبل إليه يسأله عن حاله ويحادثه وأعرض عن بقيّة الجماعة، ثم ان أهل العراق أخذوا في الشكر من عبيد الله والثناء عليه والأحنف ساكت، فقال له معاوية: لم لا تتكلم يا أبا بحر؟ فقال ان تكلمت خالفتهم: فقال لهم معاوية: أشهدوا اني قد عزلت عبيد الله عنكم، قوموا وانظروا إلى أمير أوليه عليكم، وترجعون إليّ بعد ثلاثة أيام، فلما خرجوا من عنده وكان فيهم جماعة يطلبون الأمارة لأنفسهم وفيهم من عيّن غيره، وسعوا في السرّ من خواص معاوية أن يفعل لهم ذلك، ثم اجتمعوا بعد انقضاء الثلاثة كما قال معاوية والأحنف معهم حتى دخلوا عليه، فأجلسهم على ترتيبهم في المجلس الأول، وأخذ الأحنف إليه كما فعله أولاً وحادثه ساعةً ثم قال: ما فعلتم فيما انفصلتم عليه؟ فجعل كل واحدٍ يذكر شخصاً، وطال حديثهم في ذلك وأفضى إلى منازعة وجدال، والأحنف ساكت ولم يكن في الأيام الثلاثة تحدث مع أحد في شيء، فقال له معاوية: لم لا تتكلم يا أبا بحر؟ فقال الأحنف: ان وليت أحداً من أهل بيتك لم تجد من يعدل عدل عبيد الله ولا يسدُّ مَسَدّه، وان وليت من غيرهم فذلك إلى رأيك، ولم يكن في الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الأول في الثناء على عبيد الله من ذكره في هذا المجلس ولا سأل عوده، فلما سمع معاوية مقالة الأحنف قال للجماعة: اشهدوا عليّ اني اعدت عبيد الله إلى ولايته، فكل منهم ندم على (عدم)[1] تعيينه، وعلم معاوية ان شكرهم لعبيد الله (لم يكن)[2] لرغبتهم فيه، بل كما جرت العادة في حق المتولي، فلما فصل الجماعة من مجلس معاوية، خلا بعبيد الله وقال: كيف ضيعت مثل هذا الرجل - يعني الأحنف - فأنه عزلك وأعادك إلى الولاية وهو ساكت، وهؤلاء الذين قدمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عرجوا عليك لما فوضت الأمر إلى نظرهم، فمثل الأحنف من يتخذه

(1) ليست في الأصل، والتكلم عن الوفيات 2/ 504.

(2) ليست في الأصل، والتكملة عن الوفيات 2/ 504.

الإنسان عوناً وذخراً، فلما عادوا العراق، أقبل عليه عبيد الله، وجعله بطانته وصاحب سرّه، وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة، فمات بها سنة سبع وستين للهجرة وقيل سنة إحدى وسبعين، وقيل ثمان وسبعين، عن سبعين سنة والأول أشهر، وقيل أنه قد كبر جداً، ودفن بالثويّة[1] عند قبر زياد، وحكى عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة ابن ابي معيط، قال: حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة، فكنت فيمن نزل قبره فلما سويته رأيته قد فسح له في قبره مدّ بصري، فأخبرت اصحابي بذلك ولم يروا ما رأيت، وهو أحد الطلس، كما تقدم في اخبار القاضي شريح، وولد ملتزق الآليتين حتى شق وكان أحنف الرجل يطأ على وحشيها، أي ظهرها، ولذلك قيل له الأحنف وذهبت عينه عند فتح سمرقند، ويقال: بل ذهبت بالجدري، وقتل عنتره بن شداد الفارس المشهور جدُّه معاوية بن حصين في يوم الفروق، وهو أحد أيام وقائع العرب المشهورة.

وكان له ولد يقال له بحر، وبه يكنى، وكان مضعوفاً، فقيل له: لم لا تتأدب بأخلاق أبيك؟ فقال: للكسل، ومات وانقطع عقبه.

والثويّة: بفتح الثاء المثلثة، وكسر الواو، وتشديد الياء المثناة من تحت وتصغّر أيضاً، اسم موضع بظاهر الكوفة، فيه قبور جماعة من الصحابة، انتهى ملخصاً.

---

(1) الثوية: موضع قريب من الكوفة، وقيل بالكوفة، قال ابن حبان دفن المغيره بن شعبة بالكوفة بموضع يقال له الثوية، وهناك دفن أبو موسى الأشعري في سنة خمسين ، ولما مات زياد بن ابي سفيان دفن بالثوية (معجم البلدان م/ 87).

113 ـ عبد الله بن جعفر النحوي[1]

ومنهم: أبو محمد عبد الله بن جعفر النحوي، ـ عليه الرحمة ـ ذكر في تاريخ ابن خلكان ما خلاصته انه: أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسي والفسوي، النحوي، كان عالماً، فاضلاً، أخذ الأدب عن ابن قتيبة وعن المبرد وغيرهما ببغداد وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطني وغيره. وكان أبوه من اكابر المحدثين، وكانت ولادته سنة ثمان وخمسين ومائتين وتوفي يوم الأثنين لتسع وقيل لست بقين من صفر سنة سبع وأربعين وثلثمائة ببغداد، ودرستويه، بالدال المهمله المضمومه، والراء وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوق، وسكون الواو وفتح الباء المثناة من تحتها، وبعدها هاء ساكنة، هكذا قال السمعاني، وقال غيره: هو بفتح الدال والراء والواو، وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان منها: [(تفسير كتاب الجرمي) و (الإرشاد في النحو)] وكتاب [الهجاء] و [شرح الفصيح] و [الرد على المفضل الضبي] في [الرد على الخليل][2] وكتابه [الهداية] و [المقصور والممدود] وكتاب [غريب الحديث] وكتاب [معاني الشعر] وكتاب [الحي والميت] وكتاب [التوسط

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 44 وانباه الرواه 2/ 113 وبغية الوعاة 279 وابن النديم 1/ 63 وتاريخ بغداد 9/ 428 ونزهة الالباب 356 وبروكمان 2/ 186.

(2) في الأصل: (الرد على المفضل الضبي والرد على الخليل، والتصويب عن الوفيات 3/ 44).

بين الأخفش وثعلب] في تفسير القرآن وكتاب [خبر قيس بن ساعده] وكتاب [الاعداد][1] وكتاب [اخبار النحويين] وكتاب [الرد على الفراء][2] في المعاني، وله عدة كتب شرع فيها ولم يكملها. انتهى.

---

(1) في الأصل: (الاضداد) والتصويب عن الوفيات 3/ 44.

(2) في الأصل: القراء، والتصويب عن الوفيات.

114 ـ أبو البقاء العكبري[1]

ومنهم: أبو البقاء عبد العكبري رحمه الله.

ذكر في تاريخ ابن خلكان، وعنه نقل المؤلف انه: ابو البقاء عبد الله بن ابي عبد الله الحسين بن ابي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الاصل، البغدادي المولد والدار، والفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير الملقب، محب الدين. أخذ النحو عن ابي محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب[2] وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد، وسمع الحديث من ابي الفتح محمد[3] بن عبد الباقي بن احمد المعروف بابن البطي، وعن ابي زرعة[4] طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرهما،

---

(1) ترجمته في: وفيات الاعيان 3/ 100 وعنه نقل المؤلف، وذيل طبقات الحنابلة 3/ 109 ونكت الهيمان 178 وانباه الرواة 2/ 116 وبغية الوعاة 281 والنجوم الزاهرة 6/ 246، وشذرات الذهب 5/ 67 ومعجم البلدان (عكبرا) وذيل الروضتين 119 وابن الوردي 2/ 138 والاعلام 4/ 208.

(2) ابن الخشاب، أبو محمد عبد الله أحمد بن احمد بن أحمد، البغدادي، عالم كبير بالادب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والقراءات، وكان شاعراً وله مصنفات كثيرة، توفي سنة 505هـ ترجمته في الوفيات 3/ 102 ومعجم الادباء 12/ 47 وخريدة القصر ج3 المجلد ١ ص7.

(3) محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، أبو الفتح، يعرف بابن البطي، محدث، من أهل بغداد، توفي سنة 564هـ ترجمته في: ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد للحافظ ابن الدبيثي 2/ 71 المختصر المحتاج إليه 1/ 77 وابن كثير في البداية والنهاية 12/ 260.

(4) طاهر بن محمد المقدسي، أبو زرعة، قدم بغداد، فسمع بها الحديث، وسكن بعد وفاة

ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه، وكان الغالب (عليه)[1] علم النحو وصنف فيه مصنفات صغيرة وشرح كتاب [الايضاح] لابي علي الفارسي، وديوان المتنبي، وله كتاب [اعراب القرآن العظيم] في مجلدين وكتاب [اعراب الحديث] وكتاب [شرح اللمع] لابن جني، وكتاب [اللباب في علل النحو] وكتاب [شرح الحماسة] و[شرح المفصل] للزمخشري شرحاً مستوفياً، [شرح الخطب النباتية] و[المقامات الحريرية] وصنف في النحو والحساب، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا واشتهر اسمه في البلاد، وهو حيّ وبَعُد صيتُهُ، وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وتوفي ليلة الأحد ثامن شهر ربيع الآخر لسنة ست عشرة وستمائة ببغداد، ودفن بباب حرب، والعكبري بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء نسبة إلى عكبرى بلدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ، خرج منها جماعة من العلماء ـ انتهى.

قلت: ولم يبق لها الآن أثر، ورأيت في بعض نسخ التاريخ المذكور حكاية حكاها أبو البقاء المترجم ونقلها المؤلف فأحببت نقلها، وهي هذه[2]:

حكى الشيخ أبو البقاء المذكور في كتاب شرح اللمع عند ذكر العنقاء أن أهل "الرس" كان بأرضهم جبل يقال له "مح" صاعداً في السماء قدر ميل، وكانت به طيور كثيرة، وكانت العنقاء طائرة عظيمة الخلقة طويلة العنق، لها وجه إنسان، وفيها من كل حيوان شبه، من أحسن الطيور، وكانت تأتي مدة هذا الجبل، فلتقط طيره، فجاعت في بعض السنين، واعوزها فانقضت على صبي فذهبت به، فسميت "عنقاء مغْرِبا" لإبعادها بما تذهب به، ثم ذهبت بجارية أخرى، فشكا أهل الرس إلى نبيهم حنظلة

أبيه بهمذان، وكان يقدم بغداد للحج، توفي سنة 566هـ (ترجمته في وفيات الاعيان 4/ 288 والعبر 4/ 192 وطبقات السلمي ص275.

(1) ليست في الاصل، والتصويب عن الوفيات.

(2) الحكاية في الوفيات 3/ 101.

بن صفوان[1] فدعا عليها فأصابتها صاعقة فاحترقت،

ثم قال ابن خلكان: قلت هذا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس وكان في زمن الفترة بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: وجدت في آخر كتاب ربيع الأبرار[2] تأليف العلامة أبي القاسم الزمخشري في باب الطير.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله تعالى خلق في زمن موسى عليه السلام طائراً[3] اسمها العنقاء لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجهها كوجه الإنسان، وأعطاها[4] من كل شيء حسن قسطاً وخلق لها ذكراً مثلها، وأوحى إليه إني خلقت طائرين عجيبين، وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس، وآنستك بهما[5]، وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل فتناسلا وكثر نسلهما.

فلما توفي موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت فوقعت في نجد والحجاز، فلم [تزل][6] تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي[7] بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فشكوهما إليه، فدعا الله تعالى فقطع نسلهما وانقرضت، والله أعلم انتهى.

---

(1) حنظلة بن صفوان، ذكره المسعودي في مروج الذهب ال47، قال (إنه أرسل إلى أصحاب الرس، وكانوا من ولد إسماعيل ابن إبراهيم... فقام فيهم حنظلة بأمر الله فقتلوه).

(2) ربيع الأبرار للزمخشري 4/ 457.

(3) في الصل طائرة، والتصويب عن ربيع الأبرار 4/ 457.

(4) في الأصل: وأعضائها، والتصويب عن ربيع الأبرار 4/ 457.

(5) في الأصل: في الوحشة التي وانستك بها، والتصويب عن ربيع الأبرار 4/ 457.

(6) كلمة (تزل) ليست في الأصل.

(7) هو خالد بن سنان بن غيث، من عبس بن بغيض، روي أن النبي ﷺ قال: ذلك نبي أضاعه قومه، (المعارف ص62).

115 ـ سليمان بن محمد الحامض[1]

(ومنهم: أبو موسى سليمان بن محمد عليه الرحمة).

هو على ما ذكره ابن خلكان وعنه نقل المؤلف، أبو موسى سليمان ابن محمد بن احمد النحوي البغدادي المعروف بالحامض، كان أحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين، أخذ النحو عن أبي العباس ثعلب، وهو المقدم من أصحابه، وحبس موضعه، وخلفه بعد موته، وصنف كتاباً حسناً[2] في الأدب، روى عنه أبو عمرو الزاهد[3]، وأبو جعفر الأصبهاني[4]، وكان ديناً صالحاً، وكان أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر، وكان قد أخذ من البصريين أيضاً، وكان حسن الرواية والضبط، وكان يتعصب على البصريين، وله عدة تصانيف، فمنها كتاب [خلق الإنسان] وكتاب [السبق والنضال][5] وكتاب [النبات] وكتاب [الوحوش] وكتاب في النحو مختصر وغير ذلك.

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 2/ 406 ومعجم الأدباء 11/ 253 وأنباه الرواة 2/ 21 وبغية الوعاة 262 وتاريخ بغداد 9/ 61 ونزهة الألباء (306)، سقطت الترجمة في نسخة (ب) ونقلت على حاشية المخطوط بخط المؤرخ عباس العزاوي وهي مثبتة في نسخة الأصل.

(2) كذا في الأصل، وفي الوفيات: كتباً حساناً.

(3) مضت ترجمته.

(4) أبو جعفر الأصبهاني، المعروف ببرزويه، غلام نفطويه.

(5) في الأصل: (السبق) والتصويب عن الوفيات.

توفي ليلة الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلثمائة ببغداد، ودفن بمقبرة باب التبن[1].

وإنما قيل له الحامض لأنه كانت له أخلاق شرسة، فلقب بالحامض/ لذلك[2]، انتهى.

---

(1) اسم محلة كبيرة ببغداد على الخندق وأصبحت مقبرة فكان فيها قبر أحمد بن حنبل (رض) وبلصقها مقابر قريش - معجم البلدان 2/ 306.

(2) بعده في الوفيات: ولما احتضر أوصى بكتبه لأبي فاتك المقتدري، بخلاً بها أن تصير إلى أحدٍ من أهل العلم. وفيات الأعيان 2/ 406..

116 ـ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي[1]

ومنهم: أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالماوردي عليه الرحمة، ذكر في تاريخ ابن خلكان وعنه نقل المؤلف: أنه أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي كان من وجوه الفقهاء الشافعية، وكبارهم، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة. ثم عن الشيخ أبي حامد الاسفراييني ببغداد، وكان حافظاً للمذهب، وله فيه كتاب "الحاوي" الذي لم يطالعه أحد إلا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة، وفوض إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد في درب الزعفراني، وروي عنه الخطيب صاحب تاريخ بغداد[2]، وقال: كان ثقة وله من التصانيف غير الحاوي [تفسير القرآن الكريم] والنكت والعيون وأدب الدين والدنيا والأحكام السلطانية، وقانون الوزارة، وسياسة الملك والإقناع في المذهب وغير ذلك، وصنف في أصول الفقه والأدب، وانتفع به الناس، وقيل إنه لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وإنما جملها كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق به: الكتب التي في الموضع الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله، لم يشبها كدر، فإذا عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي، فإن

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 282 وطبقات السبكي 3/ 303 واللباب (الماوردي) وميزان الاعتدال 3/ 155 وطبقات المفسرين 25 وشذرات الذهب 3/ 285 والمنتظم 8/ 199.

(2) تاريخ بغداد 2/ 102.

قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنها لم تقبل، فأعمد إلى الكتب وألقها في الدجلة ليلاً، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يديك فاعلم أنها قد قبلت، وإني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة، وقال ذلك الشخص: فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها، ولم يقبض على يدي فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه، وذكر الخطيب في أول تاريخ بغداد[1] عن الماوردي المذكور، قال: كتب إلى أخي وأنا ببغداد من البصرة

طيب الهواء ببغداد يشوّقني	قدماً إليها وان عاقت مقادير
فكيف صبري عنها الآن إذ جمعت	طيب الهوائين: ممدود ومقصور

وتوفي يوم الثلاثاء، سلخ شهر ربيع الأول، سنة خمس وأربعمائة، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب ببغداد وعمره ست وثمانون سنة، والماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد، هكذا قاله السمعاني.

(1) تاريخ بغداد 1/ 54.

117 ـ أبو الحسن الأشعري[1]

ومنهم أبو الحسن، علي الأشعري، عليه الرحمة، هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن عبد الله بن موسى بن هلال بن أبي بردة عامر بن ابي موسى الأشعري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الإمام في أصول الدين، والقائم بنصرة مذهب أهل السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وكان يجلس أيام الجمع في حلقة أبي إسماعيل المروزي الفقيه الشافعي في جامع المنصور، وكان في أول أمره معتزلياً، ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن بالمسجد الجامع بالبصرة، يوم الجمعة رقى كرسياً ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فاني أعرفه بنفسي، أنا فلان ابن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وان الله لا تراه الأبصار، وان أفعال الشر أنا افعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة، مخرج لفضائحهم ومعائبهم، وكان فيه دعابة ومزاح كثير، وله من الكتب كتاب [اللمع] وكتاب [الموجز] وكتاب [ايضاح البرهان] وكتاب [التبيين عن أصول الدين] وكتاب [الشرح والتفضيل في الرد على أهل الإفك والتضليل] وهو صاحب الكتب في الرد

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 3/ 284 والانساب 1/ 266 وتاريخ بغداد 11/ 346 والمنتظم 6/ 332 وطبقات السبكي 2/ 45، والجواهر المضيئة 1/ 353 والديباج المذهب 193 والبداية والنهاية 11/ 187 وخطط المقريزي والعبر 2/ 202 ولابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب للشيخ أبي الحسن الأشعري.

على الملاحدة وعلى غيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة، وقال أبو بكر الصيرفي[1]: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى اظهر الله الأشعري.

ولد سنة سبعين وقيل ستين ومائتين، وتوفي سنة نيف وثلاثين، وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة ببغداد، ودفن بين الكرخ وباب البصرة[2].

والاشعري بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها راء نسبة إلى أشعر، واسمه نبت بن أدد بن زيد بن يجب، وانما قيل له أشعر لأن أمه ولدته والشعر على بدنه كذا في تاريخ ابن خلكان، عن نقل المؤلف.

---

(1) في الأصل: الصوفي، والتصويب عن الوفيات.

(2) في هامش المخطوط بخط مختلف: وهو المحل المشهور الآن بالسيف بكسر السين: المحل الذي يباع فيه التمن الواقع على شاطئ دجلة وعلى قبره قبة صغيرة، كذا سمعته عن لسان العلامة الشهير بالالوسي عليه الرحمة.

118 ـ الكيا الهراسي على بن محمد[1]

ومنهم أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالكيا عليه الرحمة. هو عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي، الفقيه الشافعي، ذكر في تاريخ ابن خلكان أنه كان من أهل طبرستان وخرج إلى نيسابور، وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني[2] إلى أن برع، كان حسن الوجه جهوري الصوت، فصيح العبارة، حلو الكلام، ثم خرج من نيسابور إلى بيهق ودرس بها مدة إلى ان خرج إلى العراق وتولى تدريس النظامية ببغداد إلى أن توفي.

وذكر الحافظ عبد الغافر[3] بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور فقال: كان من رؤوس معيدي إمام الحرمين في الدرس وكان ثاني[4] ابي

---

(1) ترجمته في تبيين كذب المفتري 288. والوفيات 3/ 286 والمنتظم 9/ 167 ومرآة الزمان 37 وكامل ابن الأثير 10/ 484 وطبقات السبكي 4/ 281 والعبر 814.

(2) ابو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، ركن الدين، ولد في جوين ورحل إلى بغداد، فمكة والمدينة ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها، له مصنفات كثيرة، توفي سنة 478هـ ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 167 وطبقات السبكي 3/ 249.

(3) أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن محمد بن عبد الغافر، الحافظ، من أئمة الحديث والعربية، وخرج من نيسابور إلى خوارزم والهند، ورجع إلى نيسابور وبها مات سنة 529هـ ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 225 وطبقات السبكي 4/ 255 وتذكره الحفاظ 1275 والعبر 4/ 79 والشذرات 4/ 93.

(4) في الأصل: وكاين أبي حامد، والتصويب عن الوفيات.

حامد الغزالي، بل أصلح وأطيب في الصوت والنظم ثم اتصل بخدمة مجد الملك بَرْكيارُوق[1] بن ملك شاه السلجوقي، وحظي عنده بالمال والجاه، وتولى القضاء بتلك الدولة، وكان محدثاً يستعمل الحديث في مناظراته ومجالسه.

ومن كلامه: إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح، طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح. وحدث الحافظ أبو الطاهر السلفي قال: استفتيت شيخنا أبا الحسن المعروف بالكيا الهراسي ببغداد في سنة خمس وتسعين وأربعمائة لكلام بيني وبين الفقهاء بالمدرسة النظامية، وصورة الاستفتاء (ما يقول الإمام وفقه الله تعالى في رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء تدخل كَتَبَةُ الحديث في هذه الوصية أم لا؟) فكتب تحت السؤال: نعم كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً).

وسئل الكيا أيضاً عن يزيد بن معاوية، قال: لم يكن من الصحابة، لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأما قول السلف [في لعنه وقيل في فسقه][2] ففيه لأحمد قولان، تلويح، وتصريح، ولمالك قولان: تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان، تلويح وتصريح، ولنا قول واحد، الصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك، وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر، وشعره [في الخمر][3] معلوم، ومنه قوله:

أقول لصحب ضمّت الكأس شملهم	وداعي صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذةٍ	فكلٌ وإن طال المدى يتصرم

---

(1) بركياروق السلجوقي، الملقب ركن الدين بن ملك شاه بن ألب أرسلان، أحد ملوك السلاجقة ولد سنة 474هـ، ملك بعد أبيه، ودخل سمرقند وبخارى وغزا بلاد ما وراء النهر، اشتهر بملازمته للشراب والادمان عليه، توفي سنة 498هـ، الوفيات 1/ 268 وابن خلدون 5/ 22 وما بعدها

(2) ما بين معقوفتين ليست في الوفيات.

(3) في الخمر: ليست في الأصل، ونقلت عن الوفيات.

فكتب فصلاً طويلاً، ثم قلب الورقة وكتب لو مددت ببياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل؛ وكتب فلان بن فلان.

وكانت ولادة الكيا في ذي القعدة سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي يوم الخميس مستهل المحرم سنة أربع وخمسمائة ببغداد، ودفن في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وحضر دفنه الشريف أبو طالب الزينبي[1]، وقاضي القضاة أبو الحسن[2] الدامغاني، وكانا مقدمي الطائفة الحنفية، وكان بينه وبينهما في حال الحياة منافسة[3]، وكان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الدامغاني متمثلاً:

وما تغني النوادب والبواكي وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبي:

عقم النساء فلم يلدن شبيهه إن النساء بمثله عُقُمُ[4]

ثم قال: ولا أعلم لأي معنى قيل له الكيا، وفي اللغة العجمية الكيا هو الكبير القدر المقدم بين الناس، وهو بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحت، وبعدها ألف.

وكان في خدمته بالمدرسة النظامية أبو إسحاق إبراهيم[5] بن عثمان الغزي الشاعر المشهور، فرثاه ارتجالاً بهذه الأبيات على ما حكاه الحافظ

---

(1) أبو طالب الزينبي: الحسين بن محمد بن علي بن الحسن، نقيب النقباء ببغداد، ولي نقابة العلويين والعباسيين، وتوفي ببغداد سنة 512 هـ: ابن الأثير 10/ 192 والبداية والنهاية 12/ 183 والشذرات 4/ 34.

(2) في الأصل: أبي.

(3) في الأصل: مناقشة، والتصويب عن الوفيات.

(4) في الأصل: إن الزمان بمثله عقيم، والتصويب عن الوفيات.

(5) إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي، أبو إسحاق الغزي، شاعر مشهور محسن، دخل دمشق، ورحل إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية، ثم رحل إلى خراسان توفي سنة 524هـ، ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 57 .

ابن عساكر في تاريخه الكبير، وهي هذه:

هي الحوادث لا تبقي ولا تَذرُ ... ما للبرية من محتومها وَزَرُ
لو كان ينجي علوٌّ من بوائقها ... لم تكسف الشمس بل لم يخسف القمر
قلْ للجبان الذي أمسى على حَذَرٍ ... مِنَ الحرام متى ردّ الردى الحذرُ
بكى على شمسِهِ الإسلام إذ أفَلَتْ ... بأدمع قلَّ في تشبيهها المطر
حبرٌ عهدناه طلق الوجه مبتسماً ... والبشرُ أحسنُ ما يُلقى به البَشرُ
لئن طوته المنايا تحت أخمصها ... فعلمُه الجمّ في الآفاق منتشرُ
سقى ثراك عمادَ الدين كل ضحى ... صوب الغمام مُلثِ الودق منهمر

انتهى ملخصاً.

119 ـ علي بن عمر الدار قطني[1]

ومنهم أبو الحسن علي المشهور بالدارقطني عليه الرحمة.

هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدار قطني، الحافظ المشهور قال ابن خلكان: كان عالماً، حافظاً فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي، أخذ الفقه عن أبي سعيد الاصطخري[2]، وقيل أخذه عن صاحب لأبي سعيد، وأخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن محمد بن الحسن النقاش[3] وعلي بن سعيد القزاز ومحمد بن حصين الطبري ومن في طبقتهم، وسمع عن أبي بكر بن مجاهد وهو صغير، وتصدر في آخر أيامه للإقراء ببغداد، وكان عارفاً باختلاف الفقهاء، ويحفظ كثيراً من دواوين العرب، روي عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء وجماعة كثيرة، وقبل القاضي ابن معروف[4] شهادته في سنة ست وسبعين

---

(1) ترجمته في الأنساب 5/ 273 والوفيات 3/ 297 واللباب (الدار قطني) والمنتظم 7/ 183 وتاريخ بغداد 12/ 34 وطبقات السبكي 2/ 310 وتذكرة الحفاظ 991 والعبر 3/ 28 وغاية النهاية 1/ 558 وشذرات الذهب 3/ 116.

(2) أبو سعيد الاصطخري، الحسن بن أحمد بن يزيد الاصطخري، فقيه شافعي، ولي قضاء قم ثم حسبة بغداد صنف كتباً كثيرة، ترجمته في وفيات الأعيان 2/ 74، والمنتظم 6/ 302.

(3) النقاش: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد، أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن وتفسيره، رحالة له مصنفات كثيرة، توفي سنة 351هـ، ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 298 ومعجم الأدباء 6/ 496 وتاريخ بغداد 2/ 201.

(4) ابن معروف، هو عبيد الله بن أحمد بن معروف، أبو محمد، قاض، أديب شاعر،

وثلثمائة، فندم على ذلك وقال: [كان][1] يقبل قولي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بانفرادي فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع آخر.

وصنف كتاب [السنن] و[المختلف والمؤتلف] وغيرهما.

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد[2]: أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة: علي بن المديني[3] في وقته، (وموسى بن هارون[4] في وقته، والدار قطني في وقته).

وسأل الدار قطني بعض أصحابه: هل رأى الشيخ مثل نفسه؟ فامتنع من جوابه وقال: قال الله تعالى: (فلا تزكوا أنفسكم)[5] فألح عليه، فقال: إن كان في فنّ واحد فقد رأيت من هو أفضل مني، وإن كان من اجتمع فيه ما اجتمع فيَّ فلا، وكان مفنناً في علوم كثيرة، إماماً في علوم القرآن.

وكانت ولادته في ذي القعدة سنة ست وثلثمائة، وتوفي يوم الأربعاء لثمان خلوت من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة ببغداد، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الإسفراييني، ودفن قريباً من معروف الكرخي في مقبرة باب الدير.

والدار قطني بفتح الدال المهملة الألف راء مفتوحة، ثم قاف مضمومة، بعدها طاء مهملة ساكنة ثم نون، هذه النسبة إلى دار القطن، وكانت محلة كبيرة ببغداد، انتهى ملخصاً.

ظريف، توفي سنة 381هـ ترجمته في تاريخ بغداد 10/ 365 والنجوم الزاهرة 4/ 162 يتيمة الدهر 2/ 276.

(1) (كان) ليست في الأصل ونقلت من الوفيات.

(2) عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي، الحافظ المصري، توفي سنة 409هـ بمصر، ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 223.

(3) في الأصل (ابن المديني) سقط من الأصل ذكر الباقين، وأكمل النص عن الوفيات، وابن المديني هو علي بن عبد الله بن جعفر، المتوفى بسامراء سنة 234 (تذكرة الحفاظ: 428).

(4) موسى بن هارون، الحمال، الحافظ البغدادي، توفي سنة 294 هـ (تذكرة الحفاظ: 669)

(5) سورة النجم: الآية 32.

120 ـ أبو الخطاب، قتادة السدوسي[1]

ومنهم: أبو الخطاب قتادة بن دعامة.

هو قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس، السدوسي البصري الاكمه، كان تابعياً عالماً كبيراً، قال أبو عبيدة، ما كنا نفقد في كل يوم راكباً ينيخ على باب قتادة من ناحية بني أمية، فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر، وقال معمر: سألت أبا عمرو ابن العلاء عن قول الله تعالى: (وما كنا له مقرنين)[2] فلم يجبني، فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مطبقين، فسكت، قلت: ما تقول؟ يا أبا عمرو؟ قال: حسبك قتادة فلولا قوله في القدر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ذكر القدر فأمسكوا، لما عدلت به أحداً من أهل دهره، قال أبو عمرو: وكان قتادة من أنسب الناس، كان قد أدرك دغفلاً[3] وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البصرة، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواتهم، [فأمهم] وهو يظن إنها حلقة الحسن، فلما صار معهم علم أنها

---

(1) ترجمته في: طبقات ابن سعد 7/ ق2 ص1 والمعارف 462 ووفيات الأعيان 4/ 85 والجرح والتعديل 3/ 133 ومعجم الأدباء 17/ 9 ونكت الهيمان 230 وتذكرة الحفاظ 122 وميزان الاعتدال 3/ 385 والعبر 1/ 146 وتهذيب التهذيب 8/ 351 والشذرات 1/ 153.

(2) سورة الزخرف الآية (13)

(3) دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة، ترجمته في طبقات ابن سعد 7/ ق1 ص102.

ليست هي، فقال، إنما هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم، فمنذ يومئذ سموا (المعتزلة).

وكانت ولادته سنة ستين للهجرة، وتوفي سنة تسع عشرة ومائة بواسط، والسدوسي بفتح السين المهملة وضم الدال المهملة وسكون الواو، وبعدها سين ثانية نسبة إلى سدوس من شيبان وهي قبيلة كبيرة كثيرة العلماء، ودغفل بفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء وبعدها لام هو ابن حنظلة النسابة، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً، قدم على معاوية، وكان أنسب العرب، وقتلته الأزارقه، وقيل أنه غرق في دجيل في وقعة دولاب كذا في تاريخ ابن خلكان.

121 ـ محمد بن جرير الطبري[1]

ومنهم أبو جعفر محمد الطبري عليه الرحمة.

قال ابن خلكان ما حاصله: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فنون كثيرة منها: التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات في فنون عديدة تدل على سعة علمه، وكان من الأئمة المجتهدين ولم يقلد أحداً، وكان أبو الفرج المعافى[2] بن زكريا النهرواني على مذهبه، وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ، ورأيت في بعض المجاميع هذه الأبيات منسوبة إليه:

إذا أعسرت لم يعلم شقيقي	وأسْتَغْني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي	ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحت ببذل وجهي	لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين بطبرستان، وتوفي يوم

---

(1) ترجمته في: تاريخ بغداد 2/ 162 ومعجم الأدباء 18/ 40 ووفيات الأعيان 4/ 191 وتذكرة الحفاظ 710 وميزان الاعتدال 3/ 498 وطبقات السبكي 2/ 135 ولسان الميزان 5/ 100 وغاية النهاية 2/ 106 والشذرات 2/ 260.

(2) أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى المعروف بابن طرارا الجريري النهرواني، كان فقيهاً، أديباً شاعراً، ولي القضاء ببغداد، له عدة تصانيف في الأدب، توفي سنة 390هـ بالنهروان ترجمته في وفيات الأعيان 5/ 220 وطبقات الشيرازي 93 وعبر الذهبي 3/ 47.

السبت آخر النهار في الثالث والعشرين من شوال سنة عشر وثلثمائة ببغداد ودفن في داره يوم الأحد، ورأيتُ في مصر في القَرافة الصغرى قبر يزار وعند رأسه حجر مكتوب عليه هذا قبر ابن جرير الطبري، والناس يقولون هذا صاحب التاريخ وليس بصحيح بل الصحيح أنه ببغداد، انتهى ملخصاً.

122 ـ محمد بن هبة الله السلماسي[1]

ومنهم الفقيه محمد بن هبة الله السلماسي الفقيه الشافعي رحمه الله، هو محمد بن هبة الله ابن عبد الله السلماسي الفقيه الشافعي، كان إماماً في عصره، تولى الإعادة بالمدرسة النظامية ببغداد، وأتقن عدة فنون، قصده الناس من البلاد واشتغلوا عليه وانتفعوا به، وخرجوا علماء مدرسين، وكان مسدداً في الفتيا، وتوفي في بغداد في شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

والسلماسي، بفتح السين المهملة واللام والميم وبعد الألف سين ثانية، نسبة إلى سلماس[2]، مدينة من بلاد أذربيجان، خرج منها جماعة من العلماء المشاهير، كذا ذكره في تاريخ ابن خلكان وعنه نقل المؤلف.

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 4/ 237 وطبقات السبكي 4/ 195.

(2) نسبة إلى (سلماس)، مدينة باذربيجان انظر معجم البلدان 3/ 238.

123 ـ أبو بكر الباقلاني[1]

ومنهم: القاضي أبو بكر الباقلاني عليه الرحمة.

هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم الباقلاني المصري المتكلم المشهور كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيدي اعتقاده، وناصر طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف المشهورة[2] في علم الكلام، وكان في علمه أوحد زمانه وإليه انتهت الرياسة في مذهبه، وغيره، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب وكان كثير التطويل في المناظرة. مشهوراً بذلك عند الجماعة.

توفي آخر يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ودفن يوم الأحد، وصلى عليه ابنه الحسن ودفنه في داره بدرب المجوس، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب، ورثاه بعض شعراء عصره بقوله:

أنظر إلى جبلٍ تمشي الرجال به   وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف

وانظر إلى صارم الإسلام مغتمداً   وانظر إلى درة الإسلام في الصدفِ

---

(1) ترجمته في تاريخ بغداد 5/ 379 وترتيب المدارك 4/ 585 وتبيين كذب المفتري 217 والوافي 3/ 177 ووفيات الأعيان 4/ 269 والديباج المذهب 267 والمنتظم 7/ 265 والعبر 3/ 86 والشذرات 3/ 168 وقضاة الأندلس 37.

(2) طبع منها: (إعجاز القرآن)، و(الإنصاف).

والباقلاني، نسبة إلى الباقلاء وبيعها، وفيه لغتان، من شدد اللام قصر الألف ومن خففها مدّ الألف، وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها، وهي نظير قولهم في النسبة إلى صنعا، صنعاني وإلى بهراء بهراني، كذا ذكره ابن خلكان ملخصاً.

124 ـ محمد بن إسحاق المدني[1]

ومنهم أبو بكر، وقيل أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي، قال ابن خلكان كان ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير، فلا يجهل إمامته فيها قال ابن شهاب الزهري، من اراد المغازي فعليه بابن إسحاق، وذكره البخاري في تاريخه، وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال علي ابن إسحاق، وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت أحداً يتهم ابن إسحاق في حديثه، وقال شعبة بن الحجاج[2]: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين، يعني في الحديث، ويروى عن الزهري أنه خرج إلى قرية له فاتبعه طلاب الحديث فقال لهم: أين أنتم عن الغلام الأحول، يعني ابن إسحاق، أو قد خلفت فيكم الغلام الأحول، وذكر الساجي: إن أصحاب الزهري [كانوا يلجئون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث

---

(1) أخباره وترجمته في وفيات الأعيان 4/ 276 وعنه نقل المؤلف وطبقات ابن سلام في مواضع متفرقة وطبقات ابن سعد م7/ق2 ص67 وتاريخ بغداد 1/ 214 والمعارف 491 والفهرست 92 ومعجم الأدباء 18/ 5 وتذكرة الحفاظ 172 وميزان الاعتدال 3/ 468 وتهذيب التهذيب 9/ 38 وعيون الأثر 1/ 10.

(2) شعبة بن الحجاج بن ورد، أبو بسطام (ثقة) توفي سنة 160هـ (طبقات ابن سعد ج7 ق، ص38.

الزهري][1] ثقةً منهم بحفظه، وحكي عن يحيى بن مصين[2] وأحمد بن حنبل. ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق، واحتجوا بحديثه، وإنما لم يخرج البخاري عنه وقد وثقه، وكذلك مسلم بن الحجاج لم يخرج عنه إلا حديثاً واحداً في الرجم من أجل طعن مالك بن أنس فيه، وإنما طعن فيه لأنه بلغه عنه أنه قال: هاتوا حديث مالك، فأنا طبيب بعلله، فقال مالك، وما ابن إسحاق؟ إنما هو دجال من الدجاجلة، نحن أخرجناه من المدينة، يشير ـ والله أعلم ـ إلى أن الدجال لا يدخل المدينة.

وكان قد أتى أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازي، فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب، وكان يروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير، وهي امرأة هشام بن عروة بن الزبير، فبلغ ذلك هشاماً فأنكره، وقال: أهو كان يدخل على امرأتي؟ وحكى الخطيب في تاريخ بغداد[3] أن محمد بن إسحاق رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وعليه عمامة سوداء والصبيان يشتدون خلفه ويقولون: هذا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلقى الدجال.

توفي محمد بن إسحاق سنة إحدى وخمسين ومائة، ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران بالجانب الشرقي، وهي منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد وأخيه الهادي، وإنما نسبت إليها لأنها مدفونة بها، وهذه المقبرة أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي ـ انتهى ملخصاً.

---

(1) ما بين معقوفتين سقط من الأصل، وأكمل عن الوفيات.

(2) يحيى بن معين بن عون بن زياد المري، من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، توفي سنة 233هـ ترجمته في تذكرة الحفاظ 2/ 11 والوفيات 4/ 139 وطبقات الحنابلة 268.

(3) تاريخ بغداد 1/ 7/ 2.

125 ـ محمد بن أبي نصر الحميدي[1]

ومنهم: محمد بن أبي نصر الحميدي عليه الرحمة، هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبد الله بن حميد بن فضل الحميدي الاندلسي الميّورقي[2] الحافظ المشهور من أهل ميورقة، بفتح الميم وضم الياء وبعدها واو ساكنة ثم راء مفتوحة ثم قاف ثم هاء ساكنة، وهي جزيرة في البحر المغربي قريبة من الاندلس، روي محمد المذكور عن ابي محمد علي بن حزم الظاهري وعن ابي عمر يوسف بن عبد البر صاحب الاستيعاب وعن غيرهما من الأئمة، ورحل إلى المشرق سنة ثمان واربعين واربعمائة، فحج وسمع بمكة وبأفريقية والاندلس ومصر والشام والعراق، واستوطن بغداد وكان موصوفاً بالنباهة والمعرفة والاتقان والدين والورع وكانت له نغمة حسنة في قراءة الحديث، وله من المصنفات كتاب [الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم][3] وهو مشهور، وأخذه الناس عنه [تاريخ علماء الأندلس] سماه جذوة المقتبس في مجلد واحد، وذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه، وحكى أنه أنشد لنفسه:

---

(1) ترجمته في الصلة 530 ووفيات الأعيان 4/ 282 وبغية الملتمس رقم 257 والمنتظم 9/ 96 والوافي 4/ 317 وتذكرة الحفاظ 8/ 12 والعبر 3/ 323 والشذرات 3/ 392 ونفح الطيب 2/ 112 والرسالة المستطرفة 173.

(2) معجم البلدان 5/ 246.

(3) طبع بمصر سنة 1952 بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي.

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناسِ إلا (لأخذ) العلم أو إصلاح حال

وكانت ولادته قبل العشرين وأربعمائة وتوفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ببغداد ونسبته إلى حميد جده، وهذه خلاصة ما ذكره ابن خلكان وعنه نقل المؤلف.

126 ـ أبو الفضل القيسراني[1]

ومنهم: أبو الفضل محمد المعروف بالقيسراني، هو أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الحافظ المعروف بابن القيسراني، كان أحد الرجال في الحديث، سمع الحديث بالحجاز والشام ومصر والثغور والجزيرة والعراق والجبال وخراسان، واستوطن همدان وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة لعلوم الحديث، وله في ذلك مصنفات ومجموعات تدل على غزارة علمه وجودة معرفته، وصنف تصانيف كثيرة منها [أطراف الكتب الستة] وهي صحيح البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة [أطراف الغرائب] تصنيف الدار قطني وكتاب [الأنساب][2] في جزء لطيف، وغير ذلك من الكتب، وله شعر حسن.

وكانت ولادته في السادس من شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ببيت المقدس، وأول سماعه سنة ستين وأربعمائة، ودخل بغداد سنة سبع وستين وأربعمائة، ثم رجع إلى بيت المقدس، فأحرم من ثم إلى مكة، وتوفي عند قدومه من الحج آخر حياته، يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 4/ 287 والمنتظم 9/ 177 والوافي 3/ 166 وتذكرة الحفاظ 1242 وميزان الاعتدال 3/ 587 والعبر 4/ 14 والشذرات 4/ 18.

(2) (الأنساب المتفقة في الخط، المتماثلة في النقاط والضبط) المطبوع في ليدن سنة 1865م ذخائر التراث العربي الاسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن 1/ 219.

ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة ببغداد ودفن بالمقبرة العتيقة بالجانب الغربي.

والقيسراني بفتح القاف والسين المهملة بينهما ياء مثناة من تحتها راء مفتوحة، وبعد الألف نون نسبة إلى قيسارية، وهي بلدة بالشام على ساحل البحر، كذا في تاريخ ابن خلكان وعنه نقل المؤلف.

127 ـ محمد بن ناصر السلامي[1]

ومنهم أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي عليه الرحمة، هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي، الحافظ الأديب المعروف بالسلامي، كان حافظ بغداد في زمانه، أخذ الأدب عن الخطيب أبي زكريا التبريزي، وكان خطه في غاية الصحة والإتقان، وروى عن الأئمة فأكثر، وأخذ عنه علماء عصره، منهم أبو الفرج ابن الجوزي، وأكثر روايته عنه.

وكانت ولادته ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة خمس وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب بجنب أبي منصور (ابن)[2] الأنباري.

والسلامي بفتح السين واللام المخففة وبعد الألف ميم نسبة إلى مدينة السلام بغداد، كذا ذكره ابن خلكان، وعنه نقل المؤلف.

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 4/ 293 وعنه نقل المؤلف والمنتظم 10/ 162 وتذكرة الحفاظ 1289 وعبر الذهبي 4/ 140 والشذرات 4/ 155 والرسالة المستطرفة 160 واللباب (السلامي) والأنساب (السلامي) ومرآة الزمان 225 والبداية والنهاية 12/ 233.

(2) في الأصل: أبي منصور الأنباري.

128 ـ محمد بن أبي عثمان الحازمي[1]

ومنهم أبو بكر محمد بن أبي عثمان عليه الرحمة، هو أبو بكر بن أبي عثمان موسى بن عثمان[2] بن حازم الحازم الهمداني، كان يلقب زين الدين، وكان أحد الحفاظ المتقنين، وعباد الله الصالحين حفظ القرآن الكريم، وحضر بهمدان أبا الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، وتفقه ببغداد على الشيخ جمال الدين واثق بن فضلان وسمع الحديث من أبي الحسين عبد الحق[3] [وأبي نصر عبد الرحمن أبي عبد الخالق بن أحمد بن يوسف] وغيرهما، ثم عني بنفسه فارتحل في طلبه إلى عدة بلاد من العراق إلى الشام وبلاد فارس وأصبهان وهمدان وكثير من بلاد أذربيجان، وكتب عن أكبر شيوخ هذه البلاد، وغلب عليه الحديث واشتهر به وصنف فيه وفي غيره كتباً مفيدة منها [الناسخ والمنسوخ][4] في الحديث [والفيصل في مشتبه

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 294 وتاريخ أربل 1/ 122 والروضتين 2/ 137 وتذكرة الحفاظ 1363 ومختصر ابن الدبيثي 1/ 144 وعبر الذهبي 4/ 254 وطبقات السبكي 4/ 189 والشذرات 4/ 282 والنجوم الزاهرة 6/ 107 وتكملة المنذري 1/ 145 وطبقات الحفاظ للسيوطي ص270 وطبقات الأسنوي 1/ 413.

(2) كذا في الأصل وفي الوفيات، محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان بن حازم.

(3) في الأصل عبد الخالق وما بين معقوفتين سقط من الأصل، والتصويب عن الوفيات.

(4) في تاريخ اربل (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار) وذكره حاجي خليفة (/ 1920) بقوله أنه صنف في ناسخ الحديث ومنسوخه، وفي بروكلمان (/ 356 وملحق 1/

السنة] و[العجالة في النسب][1] وكتاب [ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط][2] وكتاب [سلسلة الذهب] فيما روى الإمام أحمد عن الإمام الشافعي و[شروط الأئمة] وغير ذلك من الكتب النافعة.

ثم استوطن بغداد، وسكن في الجانب الشرقي، ولم يزل ملازماً للخير ومواظباً للاشتغال.

وكانت ولادته سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة بهمدان، ونشأ بها، وتوفي ليلة الاثنين الثانية والعشرين من جمادي الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في المقبرة الشونيزية إلى جانب سحنون المحب[3]، مقابل قبر الجنيد، بعد أن صلى عليه خلق كثير برحبة جامع القصر، وحمل إلى الجانب الغربي، فصلى عليه مرة أخرى، وفرق كتبه على أصحاب الحديث.

والحازمي بفتح الحاء المهملة وبعد الألف زاي مكسورة وبعدها ميم نسبة إلى جده حازم المذكور، كذا في تاريخ ابن خلكان، وعنه نقل المؤلف.

---

605) (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الحديث) وذكر أماكن وجود مخطوطاته في القاهرة والاسكوريال وبريل.

(1) في بروكلمان (/ 356 وملحق 1/ 605) (عجالة النسب في معرفة أنساب العرب) وذكره كمال (/ 46) باسم (عجالة المبتدي في الأنساب) وهو معجم للأحاديث مرتبة حسب الحروف.

(2) في بروكمان (ما اتفق لفظه واختلف مسماه في الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة).

(3) هو أبو القاسم سحنون بن حمزة الصوفي، يعرف بسحنون المحب، توفي سنة 299هـ ترجمته في المنتظم 6/ 108.

129 ـ ابن الأثير نصر الله[1]

ومنهم أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير.

هو أبو الفتح نصر الله ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، كان يلقب ضياء الدين، كان من فضلاء زمانه، ونبلاء عصره وأوانه، ولد بجزيرة ابن عمر[2]، ونشأ بها، ثم انتقل مع والده إلى الموصل في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وبها اشتغل وحصل العلوم، وحفظ كتاب الله الكريم وكثيراً من الأحاديث النبوية، وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان، وشيئاً كثيراً من الأشعار، واستوزره الملك الأفضل نور الدين بن صلاح الدين بمملكة دمشق مدةً، وله في انتقال الملك الأفضل من دمشق إلى مصر ومن مصر إلى غيرها، وفي انفصاله عن الملك الأفضل[3] أحوال

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 5/ 389، والعبرة 5/ 156 ومرآة الجنان 4/ 97 والحوادث الجامعة 136 وذيل الروضتين 169 وشذرات الذهب 5/ 187 وبقية الدعاة 2/ 315 ومرآة الزمان ص436، والحجر المسبوك 499 وذيل مرآة الزمان 1/ 64 وضياء الدين ابن الأثير وجدده في النقد، وبنو الأثير الفرسان الثلاثة لمحمد عبد الله حمدان.

(2) جزيرة ابن عمر، نسبة إلى الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي، بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال، (معجم البلدان 2/ 138).

(3) الملك الأفضل، أبو الحسن علي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، أكبر أولاد أبيه، استقل بمملكة دمشق، واستقل فوق الملك العزيز بالديار المصرية، وأخوهما الملك

وحكايات ذكرها ابن خلكان، فأعرضت عنه خوف الإطالة من دون طائل، ثم اتصل بخدمة الملك الظاهر[1] صاحب حلب، فلم تطل إقامته عنده، فأتى الموصل فلم يستقم حاله، فورد أربل فلم يستقم حاله، فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها دار إقامة.

وله من التصانيف [كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر][2] في مجلدين ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره، وكتاب [الوشي المرقوم في حل المنظوم][3] وكتاب [المعاني المخترعة][4] في صناعة الإنشاء وله في المراسلات[5] معان غريبة ونكات عجيبة.

وكانت ولادته بالجزيرة في العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وتوفي سنة سبع وثلاثين وستمائة لإحدى جمادى الأولى ببغداد وقد توجه إليها رسولاً من جهة صاحب الموصل، وصلي عليه من الغد بجامع القصر، ودفن بمقبرة قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر رضي الله عنهما، انتهى خلاصة ما في تاريخ ابن خلكان.

الظاهر بحلب، ثم حاصره أخوه العزيز وعمه الملك العادل حاصراً دمشق وأخذاها منه وأعطياه صرخد، ثم سار إلى مصر بعد وفاة العزيز، وأخذها منه العادل، وأعطي سمسياط فمضى إليها ومات بها سنة 622هـ أنظر: وفيات الأعيان 3/ 419.

(1) الملك الظاهر، غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، أعطاه أبوه حلب سنة 582هـ فنزل عنها وعوض غيرها، وكان ملكاً عادلاً حازماً مهيباً، توفي سنة 613هـ ترجمته في وفيات الأعيان 4/ 6 وذيل الروضتين 94 ومرآة الزمان 579 ومزج الكروب 2/ 178.

(2) من أهم الكتب المصنفة في البلاغة العربية، طبع طبعات عديدة أجودها طبعة الدكتور أحمد الحوفي وبدوي طبانة (القاهرة ـ 1959) وقد تصدى لنقده ابن أبي الحديد في كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) المطبوع في ذيل طبعة الدكتورين الحوفي وطبانة، وانتصر له عبد العزيز بن عيسى بكتاب سماه [قطع الدابر عن الفلك الدائر] ومحمد بن الحسين الركني السنجاري بكتاب سماه [نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر].

(3) الوشي المرقوم في حل المنظوم، طبع في بيروت بمطبعة (ثمرات الفنون) عام 1298هـ.

(4) من آثاره المفقودة، سماه ابن واصل في مفرج الكروب (/ 10) المعاني المبتدعة.

(5) نشر رسائله الدكتور نوري القيسي وهلال ناجي سنة 982، وهناك نشرةً أخرى (لرسائل ابن الأثير) لأنيس المقدسي (بيروت سنة 1959).

130 ـ أبو البختري وهب بن وهب[1]

ومنهم أبو البختري، وهب بن وهب عليه الرحمة، هو أبو البختري، وهب بن وهب بن بشر بن عبد الله القرشي الأسدي[2]، المدني، حدث عن عبد الله بن عمر العمري[3] وهشام[4] بن عروة بن الزبير، والإمام جعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وروي عنه رجاء بن سهل الصاغاني، وأبو القاسم بن سعيد بن المسيب وغيرهما وكان متروك الحديث، مشهوراً بوضعه، قال الخطيب في تاريخه[5]: قال إبراهيم الحربي، قيل لأحمد بن حنبل: تعلم ان أحداً روى «**لا سبق الا في خف أو حافر أو جناح**»؟ فقال: ما روى هذا الا ذاك الكذاب أبو البختري.

انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 6/ 37 وطبقات ابن سعد 7/ ومعجم الأدباء 19/ 260 ونسب قريش 222 ولسان الميزان 6/ 231 وميزان الاعتدال 4/ 353 ومرآة الجنان 1/ 463 والعبر 1/ 334 والشذرات 1/ 360.

(2) كذا ورد نسبه في الأصل، وفي الوفيات: وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعه أبن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب.

(3) عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، أحد فقهاء المدينة السبعة، توفي بالمدينة سنة 147هـ ترجمته في تزكية الحفاظ 1/ 151 تهذيب التهذيب 7/ 38.

(4) هشام بن عروة بن الزبير سيترجمه المؤلف لاحقاً.

(5) تاريخ بغداد 13/ 455.

وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي، وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحنفي، إنه كان قاضي القضاة ببغداد[1]، فلما مات ولي الرشيد مكانه أبا البختري، وهب بن وهب القرشي، وكان فقيهاً، اخبارياً، ناسباً جواداً سرياً سخياً، يحب المديح ويثيب عليه العطاء الجزيل، وكان إذا أعطى قليلاً أو كثيراً اتبعه عذراً إلى صاحبه، وكان جعفر الصادق قد تزوج بأمه بالمدينة، وله عنه روايات وأسانيد، وله من التصانيف كتاب [صفة النبي صلى الله عليه وسلم] وكتاب [فضائل الأنصار] وكتاب [نسب ولد إسماعيل] وغيرها، توفي سنة مائتين ببغداد في خلافة المأمون.

وأبو البختري، بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء، وهو مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري تاريخ ابن خلكان ملخصاً، قلت في القاموس ـ البختري الحسن المشي والجسم. والمختال. انتهى.

---

(1) تاريخ بغداد 14/ 243.

131 ـ هشام بن عروة[1]

ومنهم: هشام بن عروة عليه الرحمة، هو أبو عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنهم. قال ابن خلكان ما حاصله، كان أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين من الحديث والمعدودين في أكابر العلماء وأجلة التابعين، سمع عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر. ورأي (جابر)[2] ابن عبد الله الأنصاري وأنس بن مالك وسهل بن سعد، وقيل أنه رأى ابن عمرو لم يسمع منه، وروي عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان الثوري ومالك بن أنس ويحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهم، وقدم الكوفة أيام أبي جعفر المنصور، فسمع منه الكوفيون.

وكانت ولادته سنة إحدى وستين للهجرة، ثم قدم بغداد على المنصور وتوفي بها سنة ست وقيل خمس وأربعين ومائة، وصلى عليه المنصور ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقي وقيل بل قبره بالجانب الغربي خارج [السوق][3] نحو باب قطربل[4] وراء الخندق على مقابر باب حرب، وهو

---

(1) ترجمته في: نسب قريش 248 ووفيات الأعيان 6/ 8 وتاريخ بغداد 14/ 47 ومرآة الجنان 1/ 302 وتهذيب التهذيب 11/ 48 وتذكرة الحفاظ 144 وعبر الذهبي 1/ 206 وميزان الاعتدال 4/ 301.

(2) كلمة جابر ليست في الأصل.

(3) كلمة السوق سقطت من الأصل، والتصويب عن الوفيات.

(4) قطربل: اسم قرية بين بغداد وعكبرا، وهي من نواحي بغداد غربي نهر الصراة (معجم البلدان ـ 4/ 371).

ظاهر هناك معروف، وعليه لوح منقوش أنه قبر هشام بن عروة، ومن قال أنه بالجانب الشرقي قال أن الذي بالجانب الغربي هو قبر هشام بن عروة المروزي صاحب عبد الله بن المبارك - انتهى.

132 ـ الماجشون يعقوب بن أبي سلمة[1]

ومنهم: أبو يوسف يعقوب ابن أبي سلمة المعروف بالماجشون، عليه الرحمة.

قال ابن خلكان: إنه أبو يوسف يعقوب بن أبي سلمه دينار وقيل ميمون[2]، من أهل المدينة، سمع ابن عمر، وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر[3] وعبد الرحمن الأعرج[4]، وروى عنه ابناه يوسف[5] وعبد العزيز، وابن أخيه عبد العزيز[6] بن عبد الله بن أبي سلمه، وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز في ولاية عمر المدينة يحدثه ويؤنسه، فلما استخلف عمر، قدم عليه فقال له: يا عمر إنا تركناك حيث تركنا لبس الخز،

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 6/ 376 وطبقات الشيرازي 67 وتهذيب التهذيب 11/ 388 ورجال ابن حبان 80 وتاريخ الإسلام للذهبي 5/ 19 واللباب (الماجشون).

(2) بعده في الوفيات: القرشي التيمي، من موالي آل المنكدر.

(3) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدي، القرشي التيمي المدني، من الزهاد، أدرك بعض الصحابة وروي عنهم، توفي سنة 130هـ (تاريخ الإسلام للذهبي 5/ 155 وتهذيب التهذيب 9/ 473).

(4) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود، مروان محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ثقة كثير الحديث خرج إلى الإسكندرية، فأقام بها حتى توفي بها سنة 117هـ (طبقات ابن سعيد 5/ 209).

(5) يوسف بن يعقوب بن ابي سلمة، له ترجمة في طبقات ابن سعد 5/ 307.

(6) عبد العزيز بن عبد الله، أبو عبد الله مولى لآل الهدير، توفي ببغداد سنة 164هـ في خلافة المهدي ترجمته في (طبقات ابن سعد 5/ 307) الوفيات 6/ 377.

فانصرف عنه، ثم قال بعدما ذكر كلاماً يطول بنقله الكتاب قال ابن الماجشون: عرج بروح الماجشون، فوضعناه على سرير الغسل وقلنا للناس: نروح به، فدخل غاسل إليه يغسله، فرأى عرقاً يتحرك في أسفل قدمه، فأقبل إلينا وقال: أرى عرقاً يتحرك ولا أرى أن أعجل، فاعتذرنا إلى الناس بالأمر الذي كان فمكث ثلاثاً على حاله، ثم أنه استوى جالساً فقال: آتوني بسويق، فأتي به فشربه فقلنا له: أخبرنا بما رأيت، قال: نعم، عرج بروحي (فصعد بي الملك) إلى سماء الدنيا، فاستفتح، ففتح له، ثم هكذا في السموات حتى انتهى بي إلى السماء السابعة فقيل له: من معك؟ قال: الماجشون، فقيل له: بقي من عمره كذا وكذا سنة وكذا وكذا شهراً وكذا وكذا ساعة، ثم هبط بي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره، وعمر بن عبد العزيز قدامه، فقلت للملك الذي معي، من هذا؟ قال: عمر بن عبد العزيز، قلت: إنه لقريب المنزل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال إنه عمل بالحق في زمن الجور، وإنهما عملا بالحق في زمن الحق.

والماجشون ضبطه وفسره ابن خلكان في ترجمة ابن أخيه عبد الملك[1] وقال هناك الماجشون بفتح الميم وبعدها ألف ثم جيم مكسورة، فشين معجمة مضمومة وبعدها واو ونون وهو المورد، ويقال الأبيض والأحمر، انتهى قال المجد في القاموس: الماجشون بضم الجيم، السفينة وثياب مصبغة، ولقب معرب ماه كون، انتهى. ومعناه مثل القمر وقال ابن خلكان، هناك، وهو لقب معرب ماه كون، انتهى. ومعناه مثل القمر وقال ابن خلكان، هناك، وهو لقب أبي يوسف يعقوب بن أبي سلمه، لقبته بذلك سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وجرى هذا اللقب على أهل بيته عن بنيه وبني أخيه، (انتهى) والله أعلم.

---

(1) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله الماجشون، أبو مروان الفقيه المالكي (ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 166).

وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق، إن يعقوب الماجشون مات سنة أربع وستين ومائة، انتهى ملخصاً، وقال المؤلف في ترجمته: توفي يعقوب الماجشون سنة أربع وستين ومائة، ودفن في القصبة الكاظمية، يعني مقابر قريش على ما في تاريخ ابن خلكان. انتهى.

133 ـ أبو عبد الله محمد الواقدي[1]

ومنهم: أبو عبد الله محمد الواقدي عليه الرحمة والرضوان، ذكره ابن خلكان، ونقل عنه المؤلف ملخصاً، ولم يصب في تلخيصه، فأقول ناقلاً من التاريخ المذكور ما قاله برمته إلا ما قلّ هو: أبو عبد الله محمد بن الله[2] بن عمر الواقدي المدني، مولى بني هاشم، وقيل مولى بني سهم، من أسلم، كان إماماً عالماً، له تصانيف في المغازي وغيرها، وله كتاب [الردة] ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاربة الصحابة رضي الله عنه لطليحة بن خويلد الأسدي والأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وما أقصر فيه.

سمع من (ابن)[3] أبي ذؤيب ومعمر بن راشد[4] ومالك بن أنس

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 4/ 348 والفهرست 98 وطبقات ابن سعد 7/ وكتاب بغداد 39 وتاريخ بغداد 3/ 3 ونور القبس: 311 ومعجم الأدباء 18/ 277 وتذكرة الحفاظ: 238 والعبر 1/ 353 وميزان الاعتدال 3/ 662 وتهذيب التهذيب 9/ 363 وعيون الأثر 1/ 17 وشذرات الذهب 2/ 18 ومروج الذهب 2/ 351 والمعارف: 518.

(2) كذا في الأصل، وفي الوفيات محمد بن عمر بن واقد.

(3) في الأصل: من أبي ذؤيب، والتصويب عن الوفيات، وابن أبي ذؤيب، هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن الحارث بن أبي ذؤيب، من بني عامر بن لؤي، تابعي، من رواة الحديث، توفي سنة 158هـ ترجمته في: تهذيب التهذيب 9/ 303 والنجوم الزاهرة 2/ 35 والأعلام 7/ 61.

(4) معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي، أبو عروة، فقيه من حفاظ الحديث، من أهل =

والثوري وغيرهم، وروى عند كاتبه محمد بن سعد وجماعة من الأعيان، وتولى القضاء بشرقي بغداد وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي، وضعفوه في الحديث، وتكلموا فيه، وكان المأمون يكرم جانبه، ويبالغ في رعايته وكتب إليه مرة يشكو ضائقةً لحقته، وركبه بسببها دين وعيّن مقداره في قصته، فوقع المأمون فيها بخطه: سخاء وحياء، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ما ملكت، والحياء حملك أن ذكرت لنا بعض ديونك، وقد أمرت لك بضعف ما سألت، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك، فبجنايتك على نفسك، وإن كنا بلغنا بغيتك، فزر في بسطة يدك، فإن خزائن الله مفتوحة، ويده في الخير مبسوطة، وأنت حدثتني حين كنت على قضاء الرشيد إن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير: يا زبير إن مفاتيح (الرزق) بازاء العرش، فينزل الله سبحانه وتعالى للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل عليه، قال الواقدي: وكنت أنسيت الحديث، فكانت مذاكراته إياي أعجب إليّ من صلته.

وروى عنه بشر الحافي - المقدم ذكره - حكاية واحدة وهي: إنه سمعه يقول: ما يكتب للحمي يؤخذ ثلاث ورقات زيتون، تكتب يوم السبت وأنت على طهارة على واحدة منها (جهنم غرثى) وعلى الأخرى (جهنم عطشى)[1] وعلى الأخرى (جهنم مقرورة) ثم يجعل في خرقة، ويعلق في عضد المحموم الأيسر، قال الواقدي المذكور جربته فوجدته نافعاً، هكذا نقل هذه الحكاية ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر الحافي.

وروي في كتاب مروج الذهب[2] أن الواقدي المذكور قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة، وحضر

= البصرة سكن اليمن، وبها مات سعد 153هـ ترجمته في ميزان الاعتدال 3/ 188 وتذكرة الحفاظ 1/ 178.

(1) في الأصل وعلى الأخرى (عطشي) والتصويب عن الوفيات.

(2) مروج الذهب 2/ 351.

العيد، فقالت امرأتي، أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي، رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت على شيء تصرف في كسوتهم، قال: فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي بما حضر، فوجه كيساً إليّ مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراري حتى كتب إليّ صديقي الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجهت إليه الكيس بحاله وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحياً من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني، ولم تعنفني عليه، فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس بعينه، فقال لي: أصدقني عن فعلك فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه، فقال لي: إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما وجهت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجه إليّ كيسي بخاتمي، قال الواقدي: فتواسينا الألف درهم، فيما بيننا، ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمى الخبر إلى المأمون فدعاني، فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار.

وكانت ولادة الواقدي في أول سنة ثلاثين ومائة، وتوفي عشية الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع ومائتين، وهو يومئذ قاض ببغداد في الجانب الغربي كذا قال ابن قتيبة[1] وقال السمعاني كان قاضياً بالجانب الشرقي كما تقدم، وصلى عليه محمد بن سماعة ودفن في مقبرة الخيزران.

والواقدي بفتح الواو وبعد الألف قاف مكسورة ثم دال مهملة، هذه النسبة إلى واقد، وهو جده المذكور، وعسكر المهدي من المحلة المعروفة الآن بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، وعمرها أبو جعفر المنصور لولده المهدي فنسبت إليه، وهذا يؤيد أن الواقدي كان قاضياً بالجانب الشرقي، انتهى.

---

(1) المعارف ص518.

134 ـ أبو الفرج بن الجوزي[1]

ومنهم: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي عليه الرحمة.

قال ابن خلكان في تاريخه: أنه أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ابن عبد الله بن القاسم بن النضرين القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب بجمال الدين بن الحافظ، كان علامة عصره، وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عديدة منها [زاد المسير في علم التفسير][2] في أربعة أجزاء، أتى فيها بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة، وله [المنتظم][3] في التاريخ وهو كبير وله [الموضوعات] في أربعة أجزاء ذكر

---

(1) ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة 1/ 399 ووفيات الأعيان 3/ 140 ومرآة الزمان 481 وذيل الروضتين 21 والكامل لابن الأثير 12/ 171 وتذكرة الحفاظ 1342 والعبر 4/ 297، والشذرات 4/ 329 وتاريخ أبي الفداء 3/ 106 والنجوم الزاهرة 6/ 174 وطبقات القراء للجزري 1/ 375.

(2) إشارة إلى نسخه المخطوطة كل من الأستاذ عبد الحميد العلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) ص107 والدكتورة ناجية عبد الله إبراهيم في (قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي) ص68 وذكرت نسخة في فهرس مخطوطات علوم القرآن الكريم في خزائن المخطوطات في العراق(قيد الطبع)

(3) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، كتاب كبير طبع منه ستة أجزاء بحيدر آباد سنة 1357 وأنظر (مؤلفات ابن الجوزي) ص183 و(قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي) ص125.

فيها كل حديث موضوع، وله [تلقيح فهوم الأثر][1] على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة، وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعدَّ[2].

وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى قالوا: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسعة كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، ويقال إنه جمعت بُراية أقلامه التي كتبت بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك، فكفت وفضل منها.

وله أشعار لطيفة، أنشدني له بعض الفضلاء يخاطب أهل بغداد.

عذيري من فتيةٍ بالعراق قلوبُهم بالجفا قُلَّبُ.

يرون العجيب كلام الغريب	وقول الغريب فلا يُعجبُ
ميازيبهم إن تندّت بخيرٍ	إلى غير جيرانهم تغلبُ
وعذرهم عند توبيخهم	مُغنية الحي ما تُطربُ

وله أشعار كثيرة. وكانت له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة، فمن أحسن ما يحكى إنه وقع النزاع ببغداد بين السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، فرضي كل منهم بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاما شخصاً يسأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه،

---

(1) طبع باسم (تلقيح فهوم الأثر في فنون المغازي والسير) تحقيق علي حسن، القاهرة، دار الآداب وانظر مضان نسخة المخطوطة في (مؤلفات ابن الجوزي) ص88 و(قراءة جديدة) ص52.

(2) قام الأستاذ عبد الحميد العلوجي بإحصاء مؤلفات ابن الجوزي وتدوينها في كتاب (مؤلفات ابن الجوزي) المطبوع ببغداد سنة 1965، ونشر الأستاذ هلال ناجي نقداً للكتاب في برق المكتبة (عدد 62 لسنة 8/ 968) استدرك فيه ما فات العلوجي من آثاره المخطوطة التي وقف عليها في المغرب العربي. ونشر الأستاذ محمد باقر استدراكاً عن مؤلفات ابن الجوزي في مجلة المورد العدد (ـ 2) 1971، ونشرت الدكتورة ناجية عبد الله مؤلفها القيم (قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي) بغداد 1987.

فقال: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك، فقال السنة: هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الشيعة: هو علي رضي الله عنه لأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحته ثم قال ابن خلكان: وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر لكان في غاية الحسن، فضلاً عن البديهة، وله محاسن كثيرة يطول شرحها.

وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان وقيل عشر وخمسمائة، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد، ودفن بباب حرب.

وحُمادي، بضم الحاء المهملة، وتشديد الميم وبعد الألف دال مهملة مفتوحة وباء مفتوحة، والجوزي بفتح الجيم وسكون الواو بعدها زاي نسبة إلى فرضه[1] الجوز وهو موضع مشهور.

(1) في الأصل (عرضة الجوز).

135 ـ أبو البركات الأنباري[1]

ومنهم أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، ولم يذكره المؤلف فذكرته لأنه كان ممن نحن بصدد ذكرهم فقلت ناقلاً من تاريخ ابن خلكان:

إنه أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي الوفاء بن عبيد الله بن سعد أبي سعيد محمد بن الحسن بن إبراهيم الأنباري[2] الملقب كمال الدين النحوي، كان من الأئمة المشار إليهم في علم النحو، وسكن بغداد من صباه إلى أن مات، وتفقه على مذهب الشافعي بالمدرسة النظامية، وتصدر لإقراء النحو بها وقرأ اللغة على أبي منصور الجواليقي، وصحب الشريف أبا السعادات هبة الله بن الشجري[3] وأخذ عنه وانتفع به بصحبته، واشتغل عليه خلق كثير وصاروا علماء ولقيت جماعة منهم، وصنف في

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 139 وأنباه الرواة 2/ 169 ومرآة الزمان 8/ 368 وكتاب الروضتين 2/ 27 وهدية العارفين 1/ 519، وبروكمان 5/ 170.

(2) كذا ورد نسبه في الأصل وفي الوفيات: عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله ابن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري.

(3) الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحنفي المعروف بابن الشجري البغدادي، كان إماماً في اللغة والنحو وأشعار العرب. له تصانيف كثيرة، وولي نقابة الطالبيين بالكرخ، وله شعر حسن، توفي سنة 542هـ ببغداد، ترجمته في: وفيات الأعيان 6/ 45 والعبر 4/ 116.

النحو كتاب [أسرار العربية][1] وهو سهل المأخذ كثير الفائدة، وله كتاب [الميزان في النحو] أيضاً وله كتاب في [طبقات الأدباء][2] جمع فيه المتقدمين والمتأخرين مع صغر حجمه، وكتبه كلها نافعة، وكان نفسه مباركاً، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع، وانقطع في آخر عمره في بيته مشتغلاً بالعلم والعبادة وترك الدنيا ومجالسة أهلها، ولم يزل على سيرة حميدة إلى أن مات.

وكانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وتوفي ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب ابرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

---

(1) نشره سيبولد في ليدن سنة 1886م ثم نشره محمد بهجة البيطار في دمشق سنة 1957. ذخائر التراث العربي 1/ 355.

(2) في الأصل: أسماء الأولياء، والتصويب عن الوفيات، وهو (نزهة الألباب في طبقات الأدباء المطبوع في مصر سنة 1294هـ)

136 ـ أبو إسحاق الشيرازي[1]

ومنهم أبو إسحاق الشيرازي الفيروزباذي رضي الله عنه، ولم يذكره المؤلف أيضاً وهو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم علي بن يوسف الشيرازي الفيروزاباذي الملقب جمال الدين، وكان من أئمة الشافعية الأعيان، وانتشر فضله في الآفاق، وأناف على أهل زمانه في العلم والزهد فاق، ولد بفيروز أباذ بفارس ونشأ بها ودخل شيراز، وقرأ بها الفقه على أبي عبد الله البيضاوي وعلى أبي أحمد عبد الوهاب بن محمد[2]، ثم دخل البصرة وقرأ على علمائها، ثم دخل في شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة وقرأ على أبي الطيب الطبري كذا قاله محب الدين الطبري بنقل ابن خلكان، وقال هو في تاريخه: سكن بغداد وتفقه على جماعة من الأعيان منهم القاضي أبو الطيب الطبري وصحبه كثيراً، وانتفع به وناب عنه في مجلسه ورتبه معيداً في حلقته، ولما بنى نظام الملك[3] مدرسته[4] ببغداد وسأله أن يتولاها فلم يفعل فولاها لأبي نصر عبد السيد بن الصباغ[5]، مدة يسيرة، ثم أجاب إلى

(1) طبقات السبكي 3/ 89 ووفيات الأعيان 1/ 29 واللباب 2/ 232 والأعلام 1/ 45 العبر 3/ 283 وفيه أنه توفي سنة 476هـ

(2) أبو أحمد، عبد الوهاب بن محمد لعله عبد الوهاب بن علي العبر ص3/ 149.

(3) نظام الملك، الوزير أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق، قوام الدين، أغتيل سنة 485هـ وأخباره كثيرة أنظر العبر 3/ 307.

(4) هي المدرسة النظامية، بناها نظام الملك سنة 459هـ (العبر 3/ 244).

(5) أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد البغدادي الشافعي، أبو نصر بن الصباغ أحد =

ذلك فتولاها ولم يزل بها إلى أن مات، وصنف التصانيف المذكورة المفيدة منها [المهذب] و[التنبيه] في الفقه و[اللمع] وشرحها في أصول الفقه، و[النكت] في الخلاف و[المعونة] في الجدل وله الشعر الحسن، فمنه قوله:

سألت الناس عن خلٍ وفيٍّ فقالوا ما إلى هذا سبيلُ
تمسّك إن ظفرت [بود] حُرٍ[1] فإن الحر في الدنيا قليل

قال الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوسي، كان ببغداد شاعر مفلق، يقال له عاصم، فقال الشيخ أبي إسحاق هذه الأبيات:

تراه من الذكاء نحيف جسم عليه من توقده دليلُ
إذا كان الفتى ضخم المعاليّ فليس يضره الجسم النحيل

وكان في غاية من الورع والتشدد في الدين ومحاسنه (أكثر)[2] من أن تحصر.

ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بفيروز اباذ، وتوفي ليلة الأحد، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، وقيل في جمادي الأولى سنة ست وسبعين وأربعمائة ببغداد، ودفن من الغد بباب ابرز، ورثاه أبو القاسم بن ناقيا[3]، واسمه عبد الله بقوله:

أجرى المدامع بالدم المهراق خطب أقام قيامة الآفاق
ما للّيالي ما يؤلف شملها بعد ابن بجدتها أبي إسحاق
إن قيل مات فلم يمت من ذكره حيٌّ على مرّ الليالي باقي

انتهى.

= الأئمة له (الشامل) توفي سنة 477هـ (العبر 3/ 287).

(1) في الوفيات: بذَيلِ حُرٍ 1/ 29.

(2) كلمة أكثر: سقطت من الأصل.

(3) أبو القاسم عبد الله (أو عبد الباقي) بن محمد بن الحسين بن داود ابن ناقيا، المتوفى ببغداد سنة 485هـ، سيترجم لاحقاً.

137 ـ ابن الخشاب عبد الله بن أحمد[1]

ومنهم: أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب.

وهذا لم يذكره المؤلف أيضاً، وهو على ما في تاريخ ابن خلكان:
أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي، العالم المشهور بالأدب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب وحفظ الكتاب العزيز بالقراءات الكثيرة، وكان متضلعاً في العلوم، وكان خطه في نهاية الحسن، ذكره العماد[2] في الخريدة وعدد فضائله ومحاسنه ثم قال: وكان قليل الشعر، ومن شعره قوله في الشمعة:

صفراء من غير سقام بها [كيف][3] وكانت أمها الشافيه
عارية باطنها مكتسٍ فأعجب بها عارية كاسية

وذكر له لغزاً في كتاب[4]:

---

(1) وفيات الأعيان 3/ 202 ومعجم الأدباء 12/ 47 وأنباء الرواة 2/ 99، وذيل طبقات الحنابلة 1/ 316 وبغية الوعاة 276 والمنتظم 10/ 238 والنجوم الزاهرة 6/ 65 ومرآة الزمان 8/ 88، وتاريخ ابن الأثير 9/ 114، وتاريخ الإسلام للذهبي (وفيات 567هـ) والبداية والنهاية 12/ 269 وتاريخ أبي الفداء 3/ 52 وتاريخ اليافعي 3/ 381 وشذرات الذهب 4/ 250 وخريدة القصر ج3 مجلد 1/ 7.

(2) خريدة القصر ج3 مج1 ص9 ومعجم الأدباء 12/ 52.

(3) سقطت كلمة كيف من الأصل، والبيتان في الخريدة ج3 مج1 ص9 ومعجم الأدباء وأنباء الرواة ووفيات الأعيان.

(4) في الخريدة: وله في اللغز، وهي أيضاً في وفيات الأعيان ومعجم الأدباء وإنباه الرواة.

وذي أوجهٍ لكنه غير بائحٍ بسرّ وذو الوجهين للسرّ مظهرُ
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه فتسمعها بالعين ما دمت تنظر

وشرح كتاب [الجمل] لعبد القاهر الجرجاني وسماه [المرتجل في شرح الجمل] وترك أبواباً من وسط الكتاب ما تكلم عليها، وشرح [اللمع] لابن جني، ولم يكملها، وكان فيه قلة اكتراث بالمأكل والملبس.

وذكر العماد[1] أنه كان بينهما صحبة ومكاتبات، وقال: ولما مات بالشام فرأيته ليلة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: خيراً، فقلت: فهل يرحم الله الأدباء؟ فقال: نعم، فقلت وإن كانوا مقصرين؟ فقال: يجري عتاب كثير ثم يكون النعيم.

ومولده سنة اثنين وتسعين وأربعمائة، وتردد ابن خلكان لما شاهده من خطه[2]، ما يفهم منه إنه ولد قبل هذا التاريخ، فلتراجع، وكانت وفاته عشية الجمعة ثالثة شهر رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة ببغداد بباب الأزج (بدار)[3] أبي القاسم بن الفراء، ودفن بمقبرة أحمد بباب حرب، وصلى عليه بجامع السلطان يوم السبت ـ انتهى.

---

(1) خريدة القصر جـ3 مج1 ص9.

(2) أنظر الوفيات 3/ 103.

(3) في الأصل (بباب) والتصويب عن الوفيات.

138 ـ ابن ناقيا أبو القاسم عبد الله[1]

ومنهم أبو القاسم عبد الله المعروف بابن ناقيا عليه الرحمة، ولم يذكره المؤلف أيضاً وهو على ما ذكره ابن خلكان، أبو القاسم عبد الله وقيل عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا، الأديب الشاعر اللغوي المترسل، من أهل الحرم الظاهري، وهي محلة ببغداد، وكان فاضلاً بارعاً، له مصنفات كثيرة حسنة مفيدة، منها مجموع سماه [ملح الممالحة][2] ومنها كتاب [الجمان في تشبيهات القرآن][3] وله مقامات أدبية مشهورة[4]، وشرح كتاب [الفصيح] وله ديوان شعر كبير وديوان رسائل، وذكره العماد في الخريدة وأثنى عليه وذكر طرفاً من أحواله وأورد له هذين البيتين في بعض الرؤساء، وقد افتصد فكتبهما إليه:

جعل (الله)[5] ذو المواهب عقبا ... ك من الفَصْدِ صحةً وسلامة

قُلْ ليمناك كيف شئتِ استهلي ... لا عدمتِ الندى فأنت غمامة

ولقد أجاد فيهما ومن شعره:

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 3/ 98 وإنباه الرواة 2/ 133 وميزان الاعتدال 2/ 533 ولسان الميزان 3/ 384 والجواهر المضيئة 1/ 283.

(2) في الأصل: ملح الملاحة.

(3) طبع أكثر من مرة، ذخائر التراث 1/ 257.

(4) بعده في الوفيات: واختصر (الأغاني) في مجلد واحد.

(5) سقطت من الأصل.

أخلاي ما صاحبت في العيش لذّةً ولا زال عن قلبي حنين التذكر
ولا طاب لي طعمُ الرقاد ولا اجتنت لحاظي مذ فارقتكم حُسنَ منظر
ولا عبثت كفي بكاسٍ مُدامةٍ يطوف بها ساقٍ ولا جَسُّ مِزهرِ

وكان ينسب إلى التعطيل ومذهب الأوائل، وصنف في ذلك مقالة. وكان كثير المجون، وحكى الذي تولى غسله بعد موته أنه وجده يده اليسرى مضمومة، فاجتهد حتى فتحها، فوجد فيها كتابة، فتمهل حتى قرأها، فإذا فيها مكتوب:

نزلتُ بجار لا يخيّبُ ضيفَهُ أرجي نجاتي من عذاب جهنم

وإني على خوفٍ من الله واثق بإنعامه فالله أكرم منعم

ومولده في منتصف ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة، وتوفي ليلة الأحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ودفن ببغداد بباب الشام[1].

وناقيا، بفتح النون وبعد الألف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف، وقد تقدمت له أبيات في ترجمة أبي إسحاق الشيرازي[2] - انتهى.

(1) باب الشام: محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد، (معجم البلدان 1/ 308).
(2) أنظر الترجمة رقم 136.

139 ـ محمد بن علي البصري[1]

ومنهم: أبو الحسين محمد بن علي البصري[2] عليه الرحمة، وهذا أيضاً لم يذكره المؤلف. وهو على ما في تاريخ ابن خلكان: أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المتكلم على مذهب المعتزلة، وهو أحد أئمتهم الأعلام، المشار إليه في هذا الفن، كان جيد الكلام، مليح العبارة غزير المادة إمام وقته، وله التصانيف الفائقة في أصول الفقه منها [المعتمد] وهو كتاب كبير، ومنه أخذ الفخر الرازي[3] كتاب [المحصول] وله [تصفح الأدلة] في مجلدين و[شرح الأصول الخمسة] وكتاب في [الإمامة] وغير ذلك في أصول الدين، وانتفع الناس بكتبه.

وسكن بغداد، وتوفي بها يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأربعمائة[4] ودفن في الشونيزيه، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري[5].

---

(1) ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 271 وتاريخ بغداد 3/ 100 والمنتظم 8/ 126 وطبقات المعتزلة 8/ 1 ولسان الميزان 5/ 298 وعبر الذهبي وشذرات الذهب 3/ 259.

(2) في الأصل: المصري، والتصويب عن المصادر المذكورة.

(3) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري، الفقيه الشافعي، المتكلم، صاحب التصانيف الكثيرة المتوفى بالري سنة 606هـ وترجمته في وفيات الأعيان 4/ 248 وطبقات السبكي 5/ 33 وذيل الروضتين 68.

(4) كذا في الأصل (خمسمائة) وغيره (أربعمائة).

(5) الصيمري: الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصيمري، أصله من =

ولفظة المتكلم تطلق على من يعرف علم الكلام، وهو أصول الدين، وإنما قيل له [علم الكلام] لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عز وجل: أ مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فتكلم الناس فيه، فسمي هذا النوع من العلم كلاماً، اختص به وإن كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام، هكذا قاله السمعاني.

= (صيمر) من بلاد خوزستان ولي قضاء المدائن، ومات ببغداد سنة 436هـ له (أخبار أبي حنيفة وأصحابه) (الجواهر المضية 1/ 214 وتهذيب ابن عساكر 4/ 344 وتاريخ بغداد 8/ 78).

140 ـ أبو الحسن الحُصري
علي بن إبراهيم[1]

ومنهم أبو الحسن علي بن إبراهيم الحُصْري[2] عليه الرحمة، ذكره المؤلف ولم يخلُ ذكره من الغلط، ووجدت ترجمته في طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني، هي ما نصه: هو بغدادي سكن بغداد ومات بها يوم الجمعة في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وثلثمائة، وكان شيخ العراق في وقته، ولم ير في زمانه من المشايخ مثله، ولا أتمَّ مقاماً منه، ولا أحسن لساناً منه، ولا أعلى مكاناً، كان متوحداً في طريقته، ظريفاً في شمائله وحاله، له لسان في التوحيد يختص به، ومقام في التجريد والتفريد لم يشاركه فيه أحد بعده، وهو أستاذ العراقيين، وبه تأدب منهم، صحب الشبلي وإليه كان ينتمي، وصحب غيره من المشايخ، وكان يقول: مكثت زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيذ بالله وإنما أقول من الشيطان الرجيم حتى يحضر كلام الحق، قلت: ولعل هذا وقع منه قبل الكمال، فإن الكامل يقرأ المراتب ولا يبقي منها شيئاً، وقد أمر الله عز وجل أشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، حتى يحضر كلام الحق،

---

(1) ترجمته في طبقات الشعراني 1/ 145 وطبقات السلمي ص489 والرسالة القشيرية ص51 وتاج الأفكار القدسية 2/ 16 وتاريخ بغداد 11/ 340.

(2) في الأصل (الخضري).

فلو كان عدم شهوده كمالاً، لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك والله أعلم، وكان يقول: عرضوا ولا تصرحوا، التعريض أستر، انتهى بحروفه.

141 ـ محمد بن عبد الله الراسبي[1]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبي، ذكره المؤلف، إلا أنه لم يصب في بعض ما ذكره على ما رأيته في الطبقات للشيخ الشعراني فأعرضت عنه، وذكرت خلاصة ما ذكره الشيخ الشعراني في ترجمته وقلت:

هو بغدادي من أجلة مشايخ ابن عطاء والجريري[2]، ورحل إلى الشام ثم عاد إلى بغداد، ومات بها سنة سبع وستين وثلثمائة، وكان يقول: إذا امتحن القلب بالتقوى ترحل من حب الدنيا وحب الشهوات واطلع على المغيبات، ومن لم يمتحن قلبه بالتقوى لا يبرح عن حب الدنيا، ولا يزال محجوباً عن المغيبات.

وكان يقول: المحبة إذا ظهرت افتضح فيها المحب، وإن كتمت قتلت المحب كمداً، وكان يقول: خلق الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للمجالسة وخلق العارفين للمواصلة، وخلق الصالحين للملازمة، وخلق المؤمنين للمجاهدة والعبادة.

وكان يقول: في قوله تعالى: (تريدون عرض الدنيا، والله يريد

---

(1) ترجمته في طبقات الشعراني 1/ 47 وطبقات السلمي ص513.

(2) الجريري، هو أبو محمد أحمد (أو الحسين) بن محمد بن الحسين، من كبار أصحاب الجنيد، توفي سنة 311هـ ترجمته في (حلية الأولياء ـ 1/ 347) وطبقات السبكي ص259 والرسالة القيشرية ص39.

الآخرة)[1] جمع بين الإرادتين، فمن أراد الدنيا دعاه الله إلى الآخرة، ومن أراد الآخرة دعاه الله إلى قربه، قال الله تعالى: (ومن أراد الآخرة وسعى بها سعيها وهو مؤمن، فأولئك كان سعيهم مشكورا)[2] والسعي المشكور هو البلوغ إلى منتهى الآمال من القرب والدنو، وكان يقول: من البلاء العظيم صحبتك من لا يوافقك، ولا تستطيع تركه، انتهى.

---

(1) سورة الأنفال: الآية 67.

(2) سورة الإسراء، الآية 20.

142 ـ الشيخ أبو محمد القاسم بن عبد البصري

ومنهم الشيخ أبو محمد القاسم بن عبد البصري، قلت لم يذكره المؤلف لكني رأيت أن أذكره ناقلاً لترجمته من البهجة فأقول هو من أجلاء مشايخ العراق، ومن الأعيان الذين انتشر صيتهم في الآفاق، واحد من يذكر عنه القطبية على الإطلاق، انتهت إليه رياسة هذا الشأن في علم الشريعة والحقيقة، وكان من العلماء المبرزين يفتي على مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ويتكلم بالبصرة في أحكام الشرائع والحقائق على كرسي عال ويحضر مجلسه المشائخ والعلماء وتخرج بصحبته جمع كثير من الأولياء وأخذ عنه الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي قدس سره روى عنه أنه قال: انحدرت إلى البصرة لأزور الشيخ أبا محمد بن عبد البصري فمررت في طريقي إليه بمواشي وزروع ونخيل كثيرة وكنت كلما اجتزت بشيء منها سئلت عنه من يقوم به فيقول هذا للشيخ أبي محمد فخطر في نفسي أن هذا حال الملوك فدخلت البصرة وأنا أقرأ في سورة الأنعام فقلت في نفسي آية آية انتهيت إلى دار الشيخ وأنا أقرأها فهي فألي معه فوصلت إلى داره ووضعت رجلي على عتبة بابه وأنا أتلو أولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده فخرج إلي خادمه مسرعاً قبل أن استأذن وقال الشيخ يدعوك فدخلت إليه فقال يا عمر جميع مالي الذي رأيته على الأرض فهو على الأرض وليس على قلب ابن عبد منه شيء قال فاشتد عجبي من علمه بما

لم يعلمه مني سوى الله، وله قدس سره كلام متداول بين الناس مشهور فمنه الوجد جحود ما لم يكن عن شهود، وشاهد الحق يغني شهود الوجود، وينفي عن العين الوسن، وسكره يزيد على سكر الشراب، وأرواح الواجدين عطره لطيفة، وكلامهم يحيي أموات القلوب، ويزيد في العقول، ومنه يسقط التمييز ويجعل الأماكن مكاناً واحداً، والأعيان عيناً واحداً وأوله رفع الحجاب، ومشاهدة الرقيب، وحضور الفهم، وملاحظة الغيب ومحادثة السر، وإيناس المفقود، وشرط صحة الوجد: انقطاع أوصافه عن التعلق بمعنى الوجد حال وجوده، ومن لا فقد له، وأهله على مقامين ناظر، ومنظور إليه، فالناظر مخاطب بشاهد الذي وجده في وجده، والمنظور إليه مغيبٌ قد اختطف الحق بأوّل ما ورد عليه، والوجود نهاية الوجد لأن التواجد يوجب استيعاب العبد، والوجد يوجب استغراق العبد والوجود يوجب استهلاك العبد وترتيب هذا الأمر حضور ثم ورود، ثم شهود، ثم وجود، ثم خمود، فبمقدار الوجد يحصل الخمود، وصاحب الوجود له صحو ومحو، فحال صحوه بقائه بالحق وحال محوه، فنائه بالحق وهاتان الحالتان متعاقبتان عليه أبداً، والوجود أسم لثلاث معان، الأول وجود علم لدني يقطع علم الشواهد في صحبة مكاشفة الحق إياك، الثاني وجود الحق، وجوداً غير منقطع عن مشاع الإشارة، الثالث وجود مقام اضمحلال، رسم الوجود بالاستغراق في الأولية، فإذا كوشف العبد بوصف الجمال، سكر القلب وطرب الروح، وهام السر، وأنشد، وفي بعض نسخ البهجة معنى أنشأ:

فصحوك من لفظي هو السكر كله	وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا
فما مل ساقيها وما ملّ شارب	لحاظ جمال كاسه يسكر اللبا

والصحو، إنما هو بالحق، وكلما كان في غير الحق لم يخل عن حيرة لا حيرة بشبهة، بل حيرة في مشاهدة نور العزة، وكلما كان بالحق لم يغير عليه غلبة، ثم الصحو من أدوية الجمع ولوائح الوجود، ومنازل الحيوة، والحيوة أسم لثلاث معان الأول حيوة العلم من موت الجهل،

ولها ثلاثة أنفاس، نفس الخوف ونفس الرجا، ونفس المحبة، والثاني حيوة الجمع من موت التفرقة، ولها ثلاثة أنفاس، نفس الاضطراب، ونفس الافتقار ونفس الافتخار، والثالث حيوة الوجود من موت الغناء وهي حيوة بالحق، ولها ثلاثة أنفاس نفس الهيبة وهو يميت الاعتدال ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال، ونفس الانفراد، وهو يورث الاتصال، وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة ولا نظاره للإشارة، والمواجيد، ثمرات الأوراد، ونتائج المنازلات ومنه ترك الأحوال قبل وجود الله تعالى محال، وطلب الأحوال بعد وجود الله محال، ومن تهاون بسر الله تعالى، انطق الله لسانه بعيوب نفسه، وانشد هذه الأبيات: ـ

كادت سرائر سرتي أن تسر بما　　أوليتني من جميل لا أسميه
فصاح بالسر سر منك يرقبه　　كيف السرور بسر دون مبديه
فظل يلحظني سري لا لحظه　　والحق يلحظني إلا أراعيه
واقبل الوجد ينفي الكل من صفتي　　واقبل الحق يخفيني وأبديه

هذا وسكن روح الله روحه بالبصرة وبها مات قبل سنة ثمانين وخمسمائة وقد علت سنه ودفن بظاهرها وقبره هناك ظاهر يزار.

143 ـ شهاب الدين السهروردي[1]

ومنهم الشيخ شهاب الدين السهروردي قدس سره.

قلت طاوياً للكشح عن كلام المؤلف، هو أبو حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عمّويه الصديقي السهروردي، وتقدمت تتمة نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ترجمة عمه الشيخ أبي النجيب عبد القاهر السهروردي، قال ابن خلكان: كان فقيهاً شافعي المذهب وشيخاً صالحاً، ورعاً، كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه خلق كثير في المجاهدة والخلوة، ولم يكن في آخر عمره مثله، وصحب عمه أبا النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ والشيخ أبا محمد محي الدين عبد القادر الكيلاني، وانحدر إلى البصرة إلى الشيخ أبي محمد بن عبد البصري وإلى غيره من المشايخ وحصل طرفاً صالحاً من الفقه والخلاف، وقرأ الأدب وعقد مجلس الوعظ سنين وكان شيخ الشيوخ ببغداد، وكان له مجلس وعظ، وعلى وعظه قبول كثير، وله نفس مبارك حكى له من حضر مجلسه أنه أنشد يوماً على الكرسي:

لا تسقني وحدي فما عودتني أني أشحّ بها على جلاسي

---

(1) ترجمته في: ذيل الروضتين 163 ووفيات الأعيان 3/ 446 وطبقات الشافعية 5/ 143 والحوادث الجامعة: 74 ومرآة الزمان 679 والنجوم الزاهرة 6/ 292 والعبر 5/ 129 وشذرات الذهب 5/ 153 والبداية والنهاية 13/ 138 وتاريخ اربل 1/ 192 ومعجم البلدان (سهرورد) معجم البلدان 3/ 289 والمختصر المحتاج إليه 3/ 108.

أنت الكريم ولا يليق تكرُّما أن يعبر الندماء دور الكاس

فتواجد الناس لذلك، وقطعت شعور كثيرة وتاب جمع كثير.

وله تواليف حسنة منها [عوارف المعارف][1] وهو أشهرها، وله شعر فمنه:

تصرمت وحشة الليالي وأقبلت دولةُ الوصال

وصار بالوصل لي حسوداً من كان في هجركم رثى لي

وحقكم بعد أن حصلتم بكل ما فات لا أُبالي[2]

تقاصرت عنكم قلوب فيا له مورداً حلا لي

علي ما للورى حرامُ فحبكم في الحشا حلالي

تشربت أعظمي هواكم فما لغير الهوى وما لي

فما على عادمٍ أجاجا وعنده أعين الزلال

ورأيتُ جماعة ممن حضروا مجلسه وقعدوا في خلوته وتسليكه، كجاري عادة الصوفية، فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيها. وما يجدونه من الأحوال الخارقة، وكان قد وصل رسولاً إلى (أربل) من جهة الديوان العزيز. ولم يتفق لي رؤيته لصغر السن وكان كثير الحج، وربما جاور في بعض حججه، وكان أرباب الطريق من مشايخ عصره يكتبون إليه من البلاد صورة فتاوى يسألون عن شيء من أحوالهم، وسمعت أن بعضهم كتب إليه (يا سيدي إن تركت العمل أخلدت[3] إلى البطالة، وإن عملت داخلني العجب، فأيهما أولى؟) فكتب جوابه اعمل واستغفر الله من العجب). وله من هذا شيء كثير. وذكر في كتابه [العوارف] أبياتاً لطيفة منها:

---

(1) (عوارف المعارف) طبع بمصر سنة 1292هـ، وله ترجمة إنكليزية، ذخائر التراث 1/ 582.

(2) بعده في الوفيات 3/ 447:

أحييتموني وكنت ميتاً وبعتموني بغير غالي

(3) في الأصل: أخذت.

أشمُّ منك نسيماً لست أعرفه أظن لمياء جرَتْ فيك أذيالا

ومولده بسهرورد في أواخر رجب أو أوائل شعبان والشك منه في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ببغداد ودفن من الغد بالوردية[1]، انتهى.

قلت: الوردية مقبرة ببغداد على ما في القاموس، وهي المقبرة التي بقرب الباب المعروف الآن بالأوسط من أبواب بغداد في الجانب الشرقي.

---

(1) الوردية: مقبرة ببغداد بعد باب أبرز، من الجانب الشرقي قريبة من باب الظفرية، (معجم البلدان 5/ 371) وفي كتاب الحوادث (ودفن في الوردية في تربة عملت هناك على جادة سوق الظفرية) ولا يزال معروف الاسم والقبر والتربة بشرقي بغداد العتيقة، ويعرف قبره بقبر الشيخ عمر وإليه تنسب المحلة التي بنيت على قبور المقبرة الوردية، وعلى قبره قبة مخروطية الشكل من الطراز المعروف بالسلجوقي وانظر: دليل خارطة بغداد ص122.

144 ـ الشيخ جاكير[1]

ومنهم الشيخ جاكير قدس سره، أقول غير متعرض لكلام المؤلف ولقوله.

هو من أعيان مشايخ العراق وممن وقع على فضله الاتفاق، وأحد العارفين من أهل الحقيقة والمقربين من أصحاب الطريقة، وكان تاج العارفين أبو الفاء يثني عليه وينوه بذكره، وبعث إليه طاقيته مع الشيخ علي الهيتي، وأمره أن يضعها على رأسه، ولم يكلفه الحضور إليه، قال: سألت الله تعالى أن يكون جاكير من مريدي، فوهبه لي، وكانت المشايخ بالعراق يقولون: انسلخ الشيخ جاكير من نفسه كما انسلخت الحية من جلدها، وكان يقول: ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ إنه من أولادي[2]، وقال أيضاً: أوتيت سيفاً ماضي الحدين أحد طرفيه بالمشرق والآخر بالمغرب، لو أشرت به إلى الجبال لهوت.

وكان جميل الأخلاق، ظريف الشمائل، كامل الآداب، شريف الصفات، لطيف المعاني مع ما أيده الله به من لزوم الشريعة[3]، وحفظ قانون العبودية، وله كلام عال على لسان أهل الحقيقة منه: المشاهدة

(1) الترجمة في بهجة المجالس ص168، والترجمة هنا منقولة عنه.

(2) في بهجة المجالس، (مرقوماً) بدل مكتوباً و(من جملة مريدي) بدل (من أولادي).

(3) في البهجة: من لزوم أدب الشريعة.

ارتفاع الحجب بين العبد والرب[1]، فيطلع بصفاء القلب على ما أخبر من الغيب، فيشاهد الجلال والعظمة، وتتغير عليه الأحوال والمقامات، فتداخله الحيرة والدهشة ثم تخرجه الحيرة والبهتة، فتراه شاخصاً إلى الحق بالحق، وتارة يشاهد الجلال، وتارة يطالع الجمال وتارة ينظر إلى الكمال والبهاء، وتارة يلوح له الكبرياء والعزة وتارة يبدو له الجبروت والعظمة، وتارة يشهد اللطف والبهجة فهذا يبسطه، وهذا يقبضه، وهذا يطويه وهذا ينشره، وهذا يفقده، وهذا يوجده وهذا يبديه، وهذا يبديه وهذا يعيده، وهذا يفنيه وهذا يبقيه، فهو زائل عن نعوت البشرية قائم بصفات العبودية، لا يحس بالأغيار ولا يشهد غير عظمة الجبار.

منه: إذا قدحت نار التعظيم مع نور الهيبة[2]، في زناد السر تولد منهما شعاع المشاهدة، فمن شاهد الحق سبحانه في سرّه، سقط الكون من قلبه، وإذا توالت المشاهدة على القوم تولاهم الحقّ بإسبال التوالي[3]، ثم حجبهم عن رؤية التوالي، فجذبوا من الحيرة في نور المشاهدة إلى الحيرة في نور الأزل، واختطفوا من الدهشة في قدس الأنس إلى الدهشة في عين الجمع، فمن حائر بين الأستار والتجلي، ومن هائم بين البعد والتداني، ومن ساكن بين الوصل والتعالي، وهو محل الاستقامة والتمكين، وذلك صفة الحضرة[4] وليس فيها سوى الذبول تحت موارد الهيبة، قال الله تعالى: فلما حضروه قالوا انصتوا، وقال في قوله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) معناه استقاموا على المشاهدة لأن من عرف الله تعالى لا يهاب غيره، ومن أحب شيئاً لا يطالع سواه، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

فالشوق والوجد في مكانِ قد منعاني من الفرار

(1) في الأصل: من المشاهدة وارتفاع الحجب بين العبد وبين الرب والتصويب عن البهجة.

(2) في الأصل (المحبة) والتصويب عن البهجة.

(3) في الأصل: تولهم الحق بأسباب التولي، والتصويب عن البهجة.

(4) في الأصل (الحق) والتصويب عن البهجة.

همـــا مـعـــي لا يـفـــارقـــانـــي فـــذا شـــعـــاري وذا دثـــاري

وهو قدس سره من الأكراد. سكن صحراء من صحاري العراق بالقرب من قنطرة الرصافة على يوم من سامراء واستوطنها إلى أن مات بها مسناً، ودفن بها وقبره ظاهر يزار وعمر الناس عنده قرية، يطلبون بركته، كذا ذكر في بعض نسخ البهجة، ومثله في الطبقات للشعراني وزاد انه كانت نفقته من الغيب ورأيت في بعض آخر من نسخ البهجة مانصه قال ولد الشيخ مرت به بقرات مع راعيها فأشار الى احداهن وقال هذه حامل بعجل أحمر أغرّ صفته كذا يولد وقت كذا من يوم كذا وهو نذر لي يذبحه الفقراء يوم كذا ويأكله فلان وفلان ثم اشار الى الأخرى وقال هذه حامل بأنثى ومن وصفها كذا وكذا ولكلب أحمر فيها رزق قال فوالله لقد جرت الحال كما وصف الشيخ ولم يخلّ الشيخ بشيء منها ودخل كلب أحمر فاختطف قطعة من لحم الأنثى وذهب بها وقال ولد الشيخ وأتاه وارد قال له يا شيخ جاكير اريدك اليوم تطعمني لحم ظبي فاطرق الشيخ فإذا ظبي قد جاء وجلس بين يدي الشيخ فأمر بذبحه للوارد وقال جاء تاجر من أهل واسط وله فيه اعتقاد استأذنه في ركوب بحر الهند لتجارة له فلما ودّعه قال إذا وقعت في شدّة لا تقدر على دفعها فناد باسمي وسافر ثم بعد ستة أشهر وثب والدي قائماً وصال صوله وصفق بكفيّه وقال سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومشى خطوات يميناً وشمالاً ونحن نشاهد منه ذلك كله ثم سألناه عن سبب ذلك فقال كاد فلان وسمّى التاجر الواسطي يغرق الان لولا أن نجاه الله فأرّخنا ذلك اليوم ثم بعد سبعة أشهر وصل التاجر وأكب على رجل والدي يقبلها ويقول يا سيدي لولا أنت لهلكنا في ذللك اليوم ووالدي تبسّم ولما خلونا بالتاجر سألناه عن أمره فقال إنا اوغلنا في لجّة البحر المحيط لطلب بلاد الصين وتهنا عن الطريق وأيقن الرباني وكلّ من في السفينة بالهلاك ثم لما كان وقت كذا من يوم كذا كما أرّخنا عصفت الريح من جهة الشمال فهاج وتلاطمت أمواج واشتد علينا الأمر وأشرفنا على الوقوع في خسف البحر فذكرت قول الشيخ ونهضت قائماً

وتلاطمت أمواج واشتد علينا الأمر وأشرفنا على الوقوع في خسف البحر فذكرت قول الشيخ ونهضت قائماً واستقبلت العراق وناديت يا شيخ جاكير ادركنا فلم يتم كلامي حتى رأيناه قائماً عندنا في وسط السفينة واستقلّ على متن البحر وصفّق بكفيّه وقال سبحان الذي سُخّرُ لنا هذا وما كنا له مقرنين ومشى على الماء خطوات يميناً وشمالاً وهدأت أمواج ثم أشار بكمّه الى الجنوب فهبت الريح الطيبة فاقتلعنا من ذلك الموضع حتى وصلنا الى طريق السلامة ومشى الشيخ على متن البحر حتى غاب عنّا ونجّانا الله ببركته من الهلاك.

145 ـ الشيخ علي بن الهيتي[1]

ومنهم: الشيخ علي بن الهيتي قدس سره، أقول ذكر في البهجة، وفي طبقات الشعراني مثله، أنه من أكابر مشايخ العراق، وأحد من يذكر عند القطبية، وأحد الأربعة الذين كان مشايخ العراق يسمونهم المبرئة على معنى أنهم يبرئون الأكمه والأبرص وهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ بقاء بن بطو[2]، والشيخ أبو سعيد القيلوي[3] قدس الله أسرارهم، وأمطر علينا أنوارهم، وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبا بكر بن هوار[4] البطائحي في النوم فاستيقظ فوجدهما عليه، وهما ثوب وطاقية وأعطاهما أبو بكر بن هوار لمريده الشيخ محمد الشنبكي[5] وأعطاهما الشنبكي لمريده تاج العارفين أبي الوفاء، وأعطاهما تاج العارفين لمريده الشيخ علي بن الهيتي، وأعطاهما

---

(1) أبو الحسن علي ابن أبي نصر المعروف بابن الهيتي أصله من هيت، وسكن زريوان وهي قرية تبعد عن بغداد سبع فراسخ على دجلة، ترجمته في طبقات القراء 1/ 125 وله ذكر في بهجة المجالس ص153و10 وفي الكواكب الدرية 2/ 95 وذكره ابن الفوطي في معجمه (/ 775).

(2) بقاء بن بطو (الترجمة رقم 145).

(3) أبو سعيد القيلوي (الترجمة رقم 147).

(4) في الأصل أبا بكر بن هوازن، والتصويب عن البهجة، وهو أبو بكر بن هوار البطانحي ترجمة في بهجة المجالس ص131 وفيه إنه كان شاطراً يقطع الطريق بالبطائح.

(5) في الأصل: الشيخ محمد الشنبكي، وهو أبو محمد الشنبكي، من متصوفة العراق، له ترجمة في بهجة المجالس ص134.

الشيخ علي بن الهيتي لمريده الشيخ علي بن إدريس[1]، ثم فقدنا من بعده، وهو الذي أتاه الخطاب: يا نهر ملكي تصرّف في ملكي، واشتهر أنه مكث ثمانين سنة ليس له خلوة ولا معزل، بل ينام مع الفقراء، لأن فتحه أتاه من طريق الوهب. وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره يثني عليه كثيراً ويحترمه، وكان يقول: كل من دخل بغداد من الأولياء من عالم الغيب والشهادة فهو في ضيافتنا ونحن في ضيافة الشيخ علي بن الهيتي، وقال أيضاً: انفتق رتق قلب علي بن الهيتي وعمره سبع سنين، وانتهت إليه رئاسة هذا الشأن في تربية المريدين وكشف مشكلات الأموال ومنازلات الموارد بأعمال نهر الملك، وما يليها، وتخرج بصحبته غير واحد مثل الشيخ أبي محمد علي بن إدريس اليعقوبي، وكان شيخه تاج العارفين يثني عليه كثيراً ويقدمه على غيره، وبعث معه طاقية إلى الشيخ جاكير وأمره أن يضعها على رأسه، فأقامه مقام نفسه، وكان له كلام نفيس على لسان أهل التحقيق منه (الشريعة ما ورد به التكليف، والحقيقة ما حصل به التعريف، فالشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة، والشريعة وجود الأفعال لله عز وجل، والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل، والحقيقة شهود الأحوال بالله والاستلام لطلبات الحكم بتقرير لا بواسطة، ومنه: ما دام التمييز باقياً، كان التكليف متوجهاً.

ومنه: علامة صحة الحال أن يكون صاحبه محفوظاً في حال غلبته، كما كان مغلوباً في أوقات صحوه، والباقي بربه، هو من تحقق بحقوقه وتمخض في دوام شهوده، والأحوال كالبروق لا يمكن استجلابها إذا لم تكن ولا استبقائها إذا حصلت إلا أن يجعل بعض الأحوال غذاء لأحد فيربيه الحق فيه فيصير وطناً له ومثوى.

وكان قدس سره يتمثل كثيراً بهذه الأبيات:

إن رحت أطلبه لا ينقضي سفري   أو جئت أحضره أوحشت في الحضر

---

(1) علي بن إدريس، ستأتي ترجمته فيما بعد.

فلا أراه ولا ينفك عن نظري　　وفي ضميري ولا ألقاه في عمري
فليتني غبت عن حسيّ[1] برؤيته　　وعن فؤادي وعن سمعي وعن بصري

وروي عن الشيخ علي بن إدريس اليعقوبي والشيخ العارف أبي حفص عمر اليزيدي[2] قالا: سمعنا الشيخ علي بن الهيتي يقول: لو دبت نملة دهماء في ليلة ظلماء على صخرة سوداء (وراء)[3] جبل قاف ولم يعلمني بها ربي لتفطرت مرارتي.

وقالا: وركب دابته مرة وأتى إلى بلدة من أعمال نهر الملك ونزل على بعض أهلها، فاحتفل به الرجل احتفالاً عظيماً فقال الشيخ: اذبح هذه الدجاجة وهذه، ويشير إلى دجاج بين يديه، ففعل فخرج من بطونها حبات ذهب، فبهت الرجل، وكانت لأخته عنبرية من ذهب وانصرمت من حيث لم تشعر والتقطها ذلك الدجاج فظن أهلها أنه حدث عليها أمر وهموا بقتلها تلك الليلة، فقال الشيخ: إن الله أطلعني على ما في نفوسكم وعلى أمر أختكم وعلى ما في بطون هذا الدجاج وإني استأذنت ربي أن أكشف أمر هذه القضية وأنقذكم من هذه الهلكة فأذن لي.

وقالا: سرنا معه مرة في قرى نهر الملك فوجدنا أهل قريتين قد شهروا سيوفهم وتوجهوا للقتال وبينهم قتيل مطروح، وكان كل من الفريقين قد أتهم بقتله، فجاء الشيخ على رأس القتيل وأخذ بناصيته وقال: من قتلك يا عبد الله؟ فاستوى جالساً وفتح عينيه ونظر إلى الشيخ وقال بلسان فصيح سمعه كل من حضر: قتلني فلان بن فلان، فطفأت الفتنة، ثم عاد كما هو إلى حاله أولاً.

وقال الجوسقي[4]: رأيته يوماً من حيث لا يشعر بي في ظني جالساً

---

(1) في الأصل: جسمي.

(2) في الأصل: الزبيدي.

(3) سقطت من الأصل.

(4) أبو الحسن الجوسقي، صحب علياً بن الهيتي والشيخ عبد القادر الكيلاني، له ترجمة في بهجة المجالس ص207 وسيترجمه المؤلف فيما بعد.

تحت نخلة في قراح، فرأيت النخلة امتلأت عراجين تمر وتدلت حتى دنت منه، فجعل يتناول من التمر ويأكل قال والله ما كان في العراق تمرة على نخلة، فجئت على أثره إلى مكانه فوجدت تمرة فأكلتها، فوالله ما كنت ذقت مثلها.

قال: ورأيته يوماً على شفير بئر يستقي منها دلوا ليتوضأ فطلع له في الدلو ذهب: فقال: يا رب أريد ماء أتوضأ به فأفرغ الدلو (في البئر واستقى ثانية فطلع له في الدلو فواكه، فقال: يا رب أريد ماء أتوضأ به ثم أفرغ الدلو في البئر)[1] واستقى ثالثة فطلع له الماء فتوضأ ثم أكب رأسه في رأس البئر فطلع الماء إلى رأسها حتى شرب. وكانت بعيدة الرشا.

وكان ممن يعظم الشيخ عبد القادر الجيلاني ويتردد إليه وكان إذا أراد زيارة الشيخ محي الدين عبد القادر خرج من زريران ومعه جماعة، فكانوا إذا قربوا من بغداد أمر أصحابه أن يغتسلوا وربما اغتسل معهم وقال: صفوا خواطركم فإنا ندخل على السلطان، وإذا وصل إلى باب مدرسته خلع نعليه ووقف فيناديه الشيخ: إلي يا أخي، فيدخل فيجلسه إلى جانبه وهو يدعو فيقول له الشيخ محي الدين: مم تخاف وأنت شحنة العراق؟ فيقول له: يا سيدي أنت السلطان آمني من خوفك فيقول: لا خوف عليك.

وروي عن أبي عمر والشيخ عثمان الصريفيني قال: قصد سلطان العجم مرة بغداد بجيش عرمرم عظيم وعجز الخليفة يومئذ عن مبارزته، فظن زوال ملكه، فجاء إلى الشيخ عبد القادر قدس سره يستغيث به في أمرهم فوافاه وعنده الشيخ علي بن الهيتي فقال الشيخ عبد القادر [للشيخ علي بن الهيتي][2]: مر هؤلاء يرحلوا عن بغداد، قال سمعاً وطاعة، ثم قال الشيخ علي لخادمه: اذهب إلى جيش العجم وانته إلى آخره تجد مئزراً مرفوعاً على عصا كالخيمة وتحته ثلاثة رجال، فقل لهم: يقول لكم علي

(1) ما بين معقوفتين سقط من الأصل، وأكمل عن بهجة المجالس.

(2) ما بين معقوفين سقط من الأصل.

بن الهيتي ارحلوا عن بغداد، فان قالوا لك انا ما أتينا الا بأمر فقل لهم: وأنا أيضاً ما جئتكم الا بأمر أيضاً، فانصرف الخادم حتى أتى أولئك النفر الثلاثة فقال لهم ما أمر به، فقالوا له: أنا ما اتينا الا بأمر، فقال لهم: وأنا أيضاً ما أتيتكم إلا بأمر، قال: فمد أحدهم يده إلى تلك العصا فألقاها وهوى المنزر وانصرفوا نحو العجم، فإذا الجيش كله قد ألقى الخيم ورجع على أثره من حيث جاء.

سكن قدس سره زريران[1] على وزن قعيزان بزاي مفتوحة ثم راء مكسورة ثم ياء آخر الحروف ثم راء ثم ألف ونون ـ انتهى ملخصاً. قلت وذكر في القاموس من نواحي بغداد وأظنه نهر الخالص والله اعلم.

---

(1) في جانب الورقة هامش للأستاذ العزاوي نصه:

زريران من أراضي السبسين وأسمها اليوم غير معروف الا ان قبر الشيخ علي الهيتي معروف في تل هناك ولم يتبين مكانه ومنه يعرف محلها، وقد ذكرت ذلك في تاريخ العراق وجاء ذكرها في رحلة ابن جبير، وانظر معجم البلدان 3/ 140.

146 ـ الشيخ بقاء بن بطو[1]

ومنهم: الشيخ بقاء بن بطو قدس سره وأفاضّ علينا برّه.

أقول، ذكر في البهجة وكذا في طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني ملخصاً: إنه من أعيان مشايخ العراق وأكابر الصديقين، وأجلاء العارفين، صاحب الأحوال النفيسة والمقامات الجليلة، والكرامات الظاهرة وهو أحد المسمين بالمبرئة كما تقدم، وكان الشيخ محي الدين عبد القادر قدس سره يثني عليه كثيراً ويعظم شأنه ويقول: كل المشايخ أعطوا بالكيل والشيخ بقاء بن بطو أعطي جزافاً.

انتهى إليه الزهد وعلم الأحوال وكشف المشكلات في نهر الملك وما يليه، وتخرج بصحبته غير واحد من أهل الطريق، وقُصد بالزيارات والنذور وله على لسان أهل الحقائق.

فمن كلامه: الفقر تجرد القلب عن العلائق، واستقلاله بالله والتخلي عن الأملاك. أحد أوصاف الفقر لأنها شواغل وقواطع إذا سكن العبد إليها، فإذا تجرد عنها تغلبه عن الأملاك ولا يتغير عليه الحال بوجود الأسباب وعدمها لا في القوة ولا في الضعف ولا في السكون ولا في الانزعاج، ولا تؤثر فيه المهالك، فقد صح فقره، فصار حراً لا تأسره الأسباب ولا يهزه وجودها، فإن ملك فكأنه لم يملك، وإن لم يملك فكأنه

---

(1) له ترجمة في طبقات الشعراني 1/ 126 والكواكب الدرية 2/ 81 وبهجة الأسرار ص159.

قد ملك، فلا يرى لنفسه في الدنيا ولا في الآخرة مقاماً ولا قدراً، وكما لا يرى لا يطلب، وكما لا يطلب لا يتمنى، فهو مستقل به، واقف بلا طمع، لا يسقط بالردّ ولا ينهض بالقبول من غير أن يعتقد في طريقه فضيلة على غيرها، وهو موقف رفيع والأمر فيه، وما لم يصل العبد إلى ربه عز وجل لا يصل إلى حقيقة هذا الوصف، والفقر وصف كل مستغن عن غيره، وكل مستغن عن غيره مستقل به ولا يكون صادقاً في فقره ما لم يخرج عن فقره بانتفاء شهوره لفقره، ونعت الفقير الصادق ما قاله الله تعالى: (ومن يوق شحّ نفسه فاؤلئك هم المفلحون) وما قال الله تعالى أيضاً (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وعلامته ما قال الله تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم).

ومنه: انصف الناس لنفسك، واقبل النصيحة ممن هو دونك، تدرك شرف المنازل.

ومنه: من لم يجد في قلبه زاجراً، فهو خراب، ومن لم يستعن بالله على نفسه صرعته ومن لم يقم بآداب أهل البداية كيف يستقيم له دعوى مقامات أهل النهاية.

وروي إنه زاره ثلاثة من الفقهاء فصلوا خلفه العشاء، فلم يقوم القراءة كما يريد الفقهاء، فساء ظنهم به، وباتو في زاويته فاجنبوا ثلاثتهم وخرجوا إلى نهر على باب الزاوية، ونزلوا فيه يغتسلون فجاء أسد عظيم الخلقة وربض على ثيابهم وكانت ليلة شديدة البرد، فأيقنوا بالهلاك، فخرج الشيخ من الزاوية، فجاء الأسد وتمرغ على رجليه، فجعل الشيخ يضربه بكمه ويقول له: لم تعارض ضيوفنا وإن أساؤوا بنا الظن؟ فولّى الأسد هارباً. فطلعوا من الماء واستغفروا الله، فقال لهم الشيخ، أنتم أصلحتم ألسنتكم ونحن أصلحنا قلوبنا.

وحكي إنه وقع في قرية حريق واستطار في أرجائها، فقام الشيخ بين النار وبين المواضع التي ما وصلت إليها وقال: إلى هنا يا مباركة، فخمدت مكانها.

وحكى: إنه خرج يوماً يسقي أرضه ولم يكن معه في ذلك الوقت أحد من أصحابه ولم يستطع أن يحول من النهر إلى الأرض لضعفه، فنظر إلى الجو وليس فيه سحاب، فجاءت سحابة تسير من جهة الشرق حتى حاذت رأسه وأمطرت على أرضه خاصة، وكلما تحول إلى أرض من قطره يحتاج إلى ريّ تحولت السحابة معه حتى إذا عمت جميع أرضه وجلس ذهبت السحابة وانقطع المطر.

سكن باب نوس، قرية من قرى نهر الملك، وبها توفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة تقريباً وقد نيف على الثمانين، وقبره بها ظاهر يزار.

وبطو بفتح الباء الموحدة وتشديد الطاء المهملة والمضمومة فواو ساكنة على وزن (مدّوا) و(شدّوا) ونوس بنون مضمومة وواو ساكنة وسين مهملة انتهى.

قلت ولم أقف لهذه القرية على خبر ولا من الناحية على أثر، فكلما تتبعت وصلت إليه يدي من الكتب أو سألت عنها أحداً من ذوي الألباب لم أظفر منها ولا على سراب، والله تعالى أعلم.

147 ـ الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي[1]

ومنهم: الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي قدس سره وأفيض علينا بره، قلت: لم يذكره المؤلف ولا بأس في ذكره، فإنه ممن تشرفت هذه البقاع بقبره فأقول ناقلاً لترجمته من البهجة والطبقات:

هو من أعيان مشائخ العراق وأجلاء العارفين وأكابر المقربين، صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة، له المحل الأعلى في التمكين، والمقر السامي في القرب، والقدم الراسخ في التصرف، وهو على ما قال صاحب البهجة: أسدي، وقال: كان اسمه حبيباً فيما بلغني، لكن قيل في سره مرحباً بعبد الرحمن فتسمى به ـ انتهى.

وكان يكنى أبا محمد، وكان الشيخ محي الدين عبد القادر قدس سره يثني عليه ويوصي باحترامه، وكان فقيهاً فاضلاً، فصيحاً، ظريفاً، شيخاً، زاهداً، محققاً، وكان يتكلم بطفسونج في علمي الشريعة والحقيقة على كرسي عالٍ، ويحضره المشايخ والفقهاء، ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة، وكان يقول: أنا بين الأولياء الكركي بين الطيور أطولهم عنقاً.

تخرج بصحبته وتلمذ عليه غير واحد من الأعيان، وكان يتكلم بكلام رشيق على لسان ذوي التحقيق فمن كلامه: المراقبة لعبد راقب الحق بالحق، وتابع المصطفى صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأخلاقه وآدابه،

---

(1) ترجمته في بهجة المجالس ص 157.

والله عز وجل قد خصّ أحبائه بأن لا يكلمهم في شيء من أحوالهم إلى أنفسهم ولاً إلى غيره، فهم يراقبون الله تعالى ويسألونه أن يرعاهم فيها.

ومنه: من اشتغل بطلب الدنيا ابتلى بالذل فيها، ومن تعالى عن نقائض نفسه طغى، ومن تزين بباطل فهو مغرور، وأنفع العلوم، العلم بأحكام العبودية، وأرفع العلوم معرفة التوحيد، ولا يضرّ مع التوحيد بطالة إذا قام بالواجبات والسنن، ولا ينتج مع الكبر عمل مندوب ولا علم مطلوب[1] ومنه: إذا أقامك ثبت، وإذا قمت بنفسك سقطت، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

حاضر في القلب يعمره	لست أنساه فأذكره
إن يصلني كنت في دعةٍ	أو جفاني ما أغيّره
فهو مولاي أدل به	وكما أرجوه أحذره

وروي أنه عمل[2] بطفسونج سماعاً فأنشد القوال هذه الأبيات، فطرب الحاضرون وعمهم[3] الوجد، ودخلت عليهم الأسد واختلطت بهم، ومات في الوقت رجل.

وروي عن الشيخ أبي طاهر الخليل ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن علي الصرصري قال: سمعت أبي يقول: إن الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي من أجلاء مشايخ العراق، وكان مبارك اليد، فما أمرّها على سقيم الاعوفي ولا على أكمه إلا أبصر، ولا على مقعد إلا مشى، وكان مجاب الدعوة، وكنت عنده بطفسونج يوماً فقيل له أن فلاناً وسمي له أحد مريديه ببلدة أخرى يقول: إنه أعطى مثل ما أعطيت، فقال الذي أعطاني أعطاه[4] لكن لم يعطه ما أعطاني، ثم قال: سأرميه بسهم، وأطرق ساعة

---

(1) بهجة المجالس ص157.
في البهجة بوائل (إني إليهم مستجاب)
(2) في البهجة: عمل في رباطه بطفونج.
(3) في البهجة: وغمرهم.
(4) في الأصل: الذي أعطاه، والتصويب عن البهجة.

ثم قال: قد رميته فتلقاه ورميته بآخر فتلقاه وسأرميه بثالث فإن تلقاه فقد أعطي مثل ما أعطيت، وأطرق ساعة ثم قال: قد مات فأسرعوا إليه، فوجدوه كما قال ميتاً في داره، وأنا ممن صليت عليه.

وروي أنه سمع رجلاً يترنم بالشعر والمؤذن يؤذن. فأمره بالسكوت فلم يسكت، فقال له: أسكت ولا تتكلم حتى آمرك، فاخرس الرجل ولم يستطع نطقاً، ومكث كذلك ثلاثة أيام حتى جاء إلى الشيخ واستغفر، فقال له اذهب وتوضأ، ففعل، فتكلم.

وحكى بعض الصلحاء قال: كنت بين يديه يوماً وبيده مكحلة ومرود يكتحل به، فسألته أن يكحلني بيده فكحلني، فكشف لي عن أمور جليلة، ونظرت من الفرش إلى العرش.

وكان إذا أقعد مريداً في خلوة وينزله كل يوم منزلاً من منازل الطريق ويخبره بها وبجميع أحكامها قبل أن يجدها ذلك المريد، ثم لا يزال يرقيه درجة بعد درجة حتى يقول له غداً تنال مرادك، فإذا انتهى إلى مقام الوصول قال له: ها أنت وربك.

وروي عن ابنه الشيخ أبي جعفر عمر، وكان بعد وفاة أبيه زوجه الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني ببنته كما في البهجة إنه قال خرج والدي يوم الجمعة من داره ليركب بغلته ويذهب إلى صلاة الجمعة، فوضع رجله في الركاب، ثم نزعها منه ووقف على الأرض ساعة، ثم ركب وانصرف، فلما انقضت الجمعة سألته عن سبب ذلك فقال: كان الشيخ عبد القادر يريد أن يركب بغلته في ذلك الوقت ببغداد وينصرف إلى الجامع فأردت أن لا أتقدم عليه في الركوب أدباً معه، فانه قدمه الله تعالى على أهل زمانه.

سكن الشيخ عبد الرحمن المذكور بطفسونج[1] ـ بلدة بأرض العراق ـ

---

(1) كذا في الأصل وفي بهجة الأسرار، وفي معجم البلدان (طسفونج) بتقديم السين على الفاء، قال: قرية كبيرة في شرقي دجلة مقابل النعمانية بين بغداد وواسط، معجم البلدان 4/ 35.

وبها مات مسناً وقبره ظاهر يزار، قلت لم يتبين لي أنها في أي ناحية كانت من نواحي بغداد، نعم قال في القاموس طفسونج بلدة بشاطئ دجلة ـ انتهى.

148 ـ الشيخ أبو سعد القيلوي[1]

ومنهم الشيخ أبو سعد[2] القيلوي قدس سره، قلت ناقلاً من طبقات الشيخ الشعراني ومن كتاب البهجة: هو من أكابر العرافين والأئمة المحققين، صاحب الأنفاس الصادقة، والأفعال الخارقة، والأخلاق الشرائف والكرامات والمعارف، وهو أحد الأربعة المبرئة. وكان من الفقهاء المعتبرين المفتين، أفتى ببلده وما يليه، وكان يتكلم بقيلويه في علوم الشرائع والحقائق على كرسي عال، ويقصد بالزيارات من سائر الأقطار، ويحضر مجلسه العلماء والمشايخ والأخيار، وكان شريف النسب من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وتخرج بصحبته كثير من الأعيان مثل الشيخ أبي الحسن القرشي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد المديني والشيخ خليفة بن موسى والشيخ مبارك بن علي الجميلي وغيرهم.

روي عن ولده أبي الخير سعد[3] أنه قال: تكلم يوماً والدي بقيلويه

---

(1) بهجة الأسرار ص161.

(2) في الأصل (سعيد) وهو أبو سعد سعيد بن عبد العزيز الجامدي القيلوي المتوفى سنة 603هـ / 1206م معجم البلدان 4/ 423.

(3) قربة بنهر الملك ينسب إليها سعيد بن أبي سعيد بن عبد العزيز، أبو سعد الجامدي الأصل. والجامدة من قرى واسط، وسعيد هذا من أهل قيلوية نهر الملك، كان أبوه من الزهاد، سكن قيلوية وولد سعيد بها، وكان واعظ صالحاً.. حدث ببغداد في سنة 596هـ =

على الكرسي فأتى إليه بسلتين مختومتين يحملها جماعة فقطع كلامه وقال للذين أتوا بهما: إنكم رافضة جئتم لتمتحنوني بما في هاتين السلتين، ثم نزل وفتح أحدهما فإذا فيها صبي مقعد، فقال قم فقام يعدو، ثم فتح الأخرى وإذا فيها صبي معافى فنهض ليقوم، فأخذ بناصيته وقال أقعد فتكسح، فتاب أولئك الجماعة على يده من الرفض.

وكان أبو العباس الخضر يأتي في كل وقت ويزوره، وكان يلبس لباس العلماء ويتطيلس، ويركب البغلة، وله كلام رقيق على لسان أهل التحقيق، فمن كلامه:

الفقير من لا يملك شيئاً، ولا يملكه شيء، ويصفو قلبه من كل دنس، ويسلم صدره لكل واحد، وتسمح نفسه بالبذل والإيثار.

ومنه: التصوف التبري عمن[1] دونه، والتخلي عما[2] سواه، وحسن والإرادة والدخول في كل خلق سني[3] والخروج من كل وصف دني، ومراقبة الأحوال، ولزوم الآداب في كل نفس، والإقبال على الله تعالى بمحو التشوف وإسقاط التكلف، والتوكل الثقة بالمضمون، والقيام بالأوامر ومراعاة السر، والتخلي عن الكونين، والتشبث بالحق والصدق والاستتار عن الخلق بلوائح الوجد، والاختفاء عن الكون بشمائل القصد، والتوحيد، غض الطرف عن الأكوان بمشاهدة من هو منزه عن كل نقص والعارف وحداني الذات، لا يقبله أحد ولا يقبل أحداً[4].

ومنه: مبنى الأحوال كلها على ثلاث[5] خصال: التمسك بالفقر

= في ربيع الآخر فسمع منه جماعة، ومات سعيد في سنة 603هـ، سألته عن مولده فقال في خامس جمادي الآخرة سنة 564هـ.

(1) في الأصل (مما) والتصويب عن البهجة.

(2) في الأصل (عمن) والتصويب عن البهجة.

(3) في الأصل: والإرادة الدخول في كل خلق شيء: والتصويب عن البهجة.

(4) في الأصل: لا يملك أحداً، ولا يملكه أحد، والتوصيب عن البهجة.

(5) في الأصل (ثلاثة).

والافتقار، والتخلق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار، وعلامة الصادق في طريقه، أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة[1].

ومنه: إذا رأيت الرجل يسمي الطمع زيادة، وسوء الأدب إخلاصاً، والخروج عن الحق شطحاً والتلذذ بالمذموم لذة طيبة، واتباع الهوى ابتلاءً والرجوع إلى الدنيا وصولاً، وسوء الخلق صوله، والبخل جلادة، والسؤال للخلق عملاً، فقد هدم أركان الطريق، ومحا سوها وغير معانيها وسقط من عين الله عز وجل، وكان قدس سره يتمثل بهذه الأبيات[2]:

لي حبيب يزار في الخلوات ... حاضر غائب عن اللحظات
ما تراني أصغي إليه بسري ... كي أعي ما يقول من كلمات
حاضر غائب قريب بعيد ... وهو لم تحوه رسوم صفات
هو أدنى من الضمير إلى الوهم وأخفى من لائح الخطراتِ

سكن قدس سره قيلويه، قرية من قرى نهر الملك، قرية من بغداد، ومات بها سنة سبع وخمسين وخمسمائة تقريباً مسناً، وقبره بها ظاهر يزار، وقيلويه بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف فلام مضمومة فواو ساكنة وباء آخر الحروف مفتوحة وهاء. انتهى.

قلت ورأيت في بعض نسخ البهجة ضبطها بالنون بدل الياء الثانية، وقال: على وزن (حمدونه)[3] ولم يظهر لي أيها صحيح إذ لم أقف على أنها أي قرية كانت من قرى زماننا وفي أي ناحية وفي أي موضع هي والله أعلم.

---

(1) في الأصل: ويشتهر بعد الخفاء، والتصويب عن البهجة.
(2) الأبيات في بهجة الأسرار ص161.
(3) كذلك في المطبوعة ص162.

149 ـ الشيخ مطر البادراني[1]

ومنهم: الشيخ مطر البادراني قدس سره، وأفيض علينا بره، هو على ما ذكره في البهجة وطبقات الشعراني من أجلاء مشايخ العراق، ومن سادات العارفين على الإطلاق، واحد ممن أظهره الله إلى الوجود، وصرّفه في الكون، ومكنّه وجعله على خزائن الأسرار، وأمّنه وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات، أخذ عن الشيخ أبي الوفاء تاج العارفين، وكان شيخه المذكور يثني عليه ويقول الشيخ مطر وارث حالي ومالي، ويلقبه بالجبل الراسخ ويدعوه بالمشيخة، وتخرج عليه ابنه الشيخ أبو الخير كرم البادراني والشيخ تميم الحلاوي وغيرهما من الصلحاء الكاملين والعلماء العاملين، وكان الغالب عليه حال السكر.

روي إنه رأى في المنام في حياة شيخه تاج العارفين شجرة عظيمة لها أغصان كثير وعلى كل غصن رجل من أصحاب تاج العارفين، رأى نفسه على غصن مما يلي (بادراء) فلما أصبح إلى خدمة تاج العارفين فقال له: يا شيخ مطر، أنا تلك الشجرة التي رأيت البارحة، اذهب إلى (بادراء)

---

(1) ترجمه في بهجة ألسرار ص163.

في الأصل: البادراي: والتصويب عن البهجة، والبادراني نسبة إلى بادران، من قرى أصبهان ثم من أعمال نائبل (معجم البلدان 1/ 316) وفي بهجة الأسرار إشارة إلى أنه سكن بادراي، وسيذكر في ترجمته إنه من (باذراء) قال إنها بدره الحالية (في معجم البلدان وردت باسم (بادرايا) من أعمال واسط. وهي بدره الحالية.

فاستوطنها، فذهب إليها وسكن بها إلى أن مات وروي عن الشيخ أبي طاهر الخليل بن أحمد الصرصري قال: رأيت في زاويته رجلين كنت أعرف بالأمس أحدهما أعمى والآخر مريضاً مدنفاً فإذا الأعمى بصير والمدنف معافى فسألت أصحابه عن ذلك فقالوا: بات الشيخ البارحة في وسط العشب وفرشنا للمريض في آخر العشب ونام الأعمى عنده فاصبح العشب أخضر والأعمى بصير والمريض معافى.

وله كلمات تدل على علو همته وسمو رتبته، منها: لذة النفوس في مناجاتها القدوس، ولذة القلوب في مزامير أنس تطرب في مقاصير قدس بألحان توحيد في رياض تمجيد بمطربات المعاني من تلك المثاني الرافعة لأربابها في مدارج الأماني إلى مقصد صدق عند مليك مقتدر، ولذة الأرواح الشرب بكاس المحبة من أيدي عرائس الفتح اللدني في خلوة الوصل على بساط المشاهدة، والهيام بين معالم الكون صيرة في نور العزة، وقراءة ما كتب على صفحات ألواح نسمات ذرات الوجود لابقلم التوحيد، كلا بل هو الله العزيز الحكيم.

ولذة الأسرار مطالعة نسيم الحياة الدائمة[1] والوصول إلى حقائق الغيوب بضمائر القلوب، والمعاينة بالأفكار لسرائر الأسرار، ولذة العقول ملاحظة أسرار الملكوت الخفية عن الأبصار بالسرائر المحيطة بالأفكار، فتعاين القلوب حقائق الغيوب، وتصحبه قبول شواهد الأسرار فتلج الضمائر بحار الأفكار، وتطمئن النفوس إلى ما لحقت به من العالم المحجوب، فكلما كشف[2] عن الغيوب أذيال دلالتها على اتقان صنع وإبداع فطرة، قابلتها من العقول دهشة[3] وفكرة، ويخرج الاعتبار من القلب فإذا كان القلب طاهراً أنفذ الاعتبار بالشواهد وسمت به الهمة وترقى به الفكر ولم يمنعه مانع، فالفكر طريق إلى الحق ودليل على الصدق، والفكر أصل ثمرته

---

(1) في بهجة الأسرار (الذاتية).

(2) في الأصل شوهد، والتصويب عن البهجة.

(3) في البهجة: هيبة.

المعرفة، والمعرفة ثمرة طعمها العمل، والعمل طعم لذته الإخلاص، والإخلاص لذة غايتها النعيم، والنعيم غاية ليس لها انقضاء.

ومنها: الحكمة إصابة الحق، فإذا وردت على القلب دلت على مكامن الهدى، وجلت أصدية القلوب، وأماتت عيوب البواطن:

وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات:

سهرت الليل من وجدي بميا	واذكرها فتجري مقلتيا
أضم جوانحي بيدي شوقاً	فيشتعل الزفير براحتيا
ويسكرني مدام الحب تيها	ومن يصحو إذا شرب الحميّا
وما خوفي من السكر اختبالا	ولكن أن أبوح بسرّ ميّا
فجودي وارحمي يا ميّ صبّاً[1]	كواه هجركم والبعد كيا
ورقي للذي أمسى كئيباً	من البلوى تسامره الثريا

وكان قدس سره من الأكراد، سكن باذراء وهي بذال معجمة وألف تأنيث ممدودة قريه من أعمال اللحف بأرض العراق، وبها مات وقبره بها ظاهر يزار، ووفاته سنة خمسين وخمسمائة تقريباً. انتهى ملخصاً.

قلت: وبادراء هي القرية المشهورة الآن في الألسن (ببدرة) على ثلاث منازل من بغداد، ومعنى كونها من أعمال اللحف إنها قريبة من الجبل، إذ هي واقعة قرب جبل لورستان، ومشهده قدس سره فيها الآن ظاهر غير أن أهلها لا يسمونه باسمه واشتهر فيما بينهم أنه ابن الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني، ولعل الغلط نشأ من التسامح بأنه كان معاصر للشيخ محي الدين عبد القادر قدس سره، والله أعلم.

---

(1) في البهجة: مضنىً.

150 ـ الشيخ ماجد الكردي[1]

ومنهم الشيخ ماجد الكردي قدس سره، ذكر في طبقات الشعراني والبهجة، ما حاصله: هو من أعيان مشايخ العراق، وانعقد على ولايته الإجماع والاتفاق، أحد المقربين، وصدور أئمة المحققين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الباهرة، والأخلاق الرائقة، والكمالات الفائقة، والكلمات النفيسة الصادقة، ويكنى أبا محمد، وله كلام عال على لسان أهل الكمال، فمن كلامه أنه قال:

قلوب المشتاقين منورة بنور الله عز وجل، فإذا تحرك فيها الاشتياق أضاء نوره ما بين السماء والأرض، فيباهي الله تعالى بهم الملائكة ويقول: أشهدكم إني إليهم أشوق ومن أشتاق إلى ربه تعالى أنس، ومن أنس طرب، ومن طرب قرب، ومن قرب سار، ومن سار حار ومن حار طار، ومن طار قرت عينه بالاقتراب.

وقال: الزاهد يعالج الصبر، والمشتاق يعالج الكر، والواصل يعالج القرب[2]، والشوق نار الله عز وجل تضطرم في قلوب الأحباب، فلا تهدأ إلا بلقائه والنظر إليه، ونار الهيبة تذيب القلوب، ونار المحبة تذيب الأرواح، ونار الشوق تذيب النفوس.

---

(1) ترجمته في بهجة الأسرار ص165.

(2) في البهجة (الولاية).

وقال: الصمت عبادة من غير عناء، وزينة من غير حلي، وهيبة من غير سلطان، وحصن من غير سور[1]، وراحة للكاتبين، وغنية عن الاعتذار.

وقال: كفى بالمرء علماً أن يخشى الله تعالى، وكفى به جهلاً أن يعجب بنفسه.

وحكى: إنه جاءه رجل يودعه وهو يريد الحج على قدم التجريد والوحدة. ولا يستصحب زاداً ولا راحلة، فاخرج له الشيخ كوة واعطاها له، وقال: أنك تجد فيها ماء ان أردت الوضوء ولبنا وسويقاً إن جعت وعطشت، فكان الرجل طوال سفره من جبل حمرين إلى مكة وفي مدة إقامته بالحجاز وفي رجوعه من الحجاز إلى العراق إذا أراد الوضوء توضأ منها بماء مالح، وإذا أراد الشرب شرب لبناً وسويقاً وعسلاً.

وهو من الأكراد، قلت: فما في بعض نسخ البهجة وفي نسخة المؤلف في نسبته من لفظ الكروي بالواو فهو من تحريف الناسخ، والصحيح بالدال المهملة، والله وتبارك وتعالى أعلم، سكن قدس سره جبل حمرين واستوطنه إلى أن مات سنة إحدى وستين وخمسمائة، وقبره ظاهر يزار.

---

(1) بعده في البهجة: وراح من غير كاس.

151 ـ الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي[1]

ومنهم: الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي قدس سره، ذكر في البهجة هو من أجلاء مشائخ العراق صاحب الكرامات الظاهرة والمقامات الفاخرة والمعارف الزاهرة، والحقائق الباهرة واحد ممن أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، ونصبه قدوة للسالكين، وكان تلميذ الشيخ أبي سعيد القليوي[2]، وكان كثير الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقظةً ومناماً، وكان يقال أن أكثر أفعال الشيخ خليفة متلقاة من النبي صلى الله عليه وسلم بأمر منه أما في اليقظة أو في المنام، وكان شيخه أبو سعيد القيلوي يثني عليه كثيراً، وقال في حقه: الشيخ خليفة من خلفاء الله على أسرار الولاية. روى أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سبعة عشرة[3] مرة، وقال له: يا خليفة لا تضجر مني، فإن كثيراً من الأولياء مات بحسرة رؤيتي، ألا أعلمك استغفاراً تدعو به، قال: بلى يا رسول الله، فقال له: قل اللهم إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك، فجد بما أنعمت على ما قضيت. وأمح ذلك بذلك، جلّيت أن تطاع إلا باذنك أو تعصى إلا بعلمك، اللهم ما عصيتك حين عصيتك استخفافاً

---

(1) ترجمته في بهجة الأسرار ص201. والنهر ملكي نسبة إلى نهر الملك، وهو كوره واسعة ببغداد بعد بعد نهر عيسى (معجم البلدان 5/ 324).

(2) في البهجة: أبو سعد، تقدمت ترجمته.

(3) في الأصل: سبعة عشر.

بحقك، ولا استهانة بعذابك، ولكن بسابقة سبق بها علمك، فالتوبة إليك، والمعذرة لديك، ثم قال صاحب البهجة[1]، قلت وأعرف هذا الاستغفار مروياً عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما مطولاً.

وروي عن أبي محمد الحسن بن قوقا الحريمي[2]، قال: حكي عن بعض أصحابنا من أهل بغداد، قال انتبهت ليلة في السحر، وعاهدت الله تعالى أن أجلس في الجامع بالرصافة متوكلاً من حيث لم يشعر بي أحد من الخلق، وأتيت في وقتي الجامع، وجلست فيه ايام الاثنين والثلاثاء والأربعاء فما رأيت فيها أحداً ولا أكلت فيها طعاماً. فاشتد جوعي، وكرهت الخروج من تلقاء نفسي، واشتهيت شواء مسخناً وخبزاً رصافياً وتمراً برنياً، وإذا أنا بحائط المحراب قد انشق فخرج منه رجل هيئته كهيئة أهل السواد، وبيده مئزر فوضعه بين يدي وقال لي، قال لك الشيخ خليفة كل شهوتك واخرج من هنا. فما أنت من أرباب مقام التوكل، ثم غاب الرجل عني، ففتحت المئزر. وإذا فيه شواء سخن وخبز رصافي وتمر برني، فأكلت وخرجت وجئت إلى الشيخ خليفة بنهر الملك، فلما رآني قال لي ابتداءاً: يا هذا لا ينبغي للرجل أن يجلس متوكلاً حتى يحكم أساسه في قطع الطريق باطناً وظاهراً، وألا تكن عاصياً في ترك الأسباب[3].

وله قدس سره كلام عال على لسان أهل الحال فمنه[4]: آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين وكل شيء حلية وحلية الصدق الخشوع، ولكل شيء معدن ومعدن الصدق قلوب الزاهدين ولكل شيء علم وعلم الخذلان عدم البكاء من قلب حزين، ولكل شيء مهر، ومهر الجنة ترك الدنيا بما فيها، ومن توسل إلى الله تعالى بتلف نفسه، حفظه الله تعالى

---

(1) بهجة الأسرار ص203.

(2) اسمه في بهجة الأسرار: أبو محمد الحسن بن أبي القاسم ابن محمد بن دلف الحريمي المعروف جده بابن قوقا.

(3) الخبر في بهجة الأسرار ص203.

(4) بهجة الأسرار ص201.

عليه نفسه، وأوصله إليه وأفضل الأعمال مخالفة هوى النفس، وإذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات وطرد الغفلة عن القلب، ولكل شيء ضد، وضد نور القلب شبع البطن، ومن أظهر الانقطاع إلى الله فقد وجب خلع ما دونه، ومن كان الصدق وسيلته كان رضى الله عنه جائزته، وعلى كل شيء شاهد وشاهد اليقين الخوف من الله عز وجل، وأقوى سبب بين الله تعالى وبين العبد محاسبته بورع ومراقبته بعلم وأدب باتباع كل ما شغلك عن الله عز وجل من أهل أو مال أو ولد فهو عليك شؤم، وكل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الآخرة، وإذا جاع القلب وعطش صفا وإذا شبع وروي عمي، (ومن رأى لنفسه قيمة)[1] لم يذق حلاوة المناجاة، (والقناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد)[2] ومن لبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم، فقد خالف باطنه ظاهره، وإذا لم يبق في القلب شهوة جاز له أن يتدرع بزي الزهاد، فيلزم طريق الزهد الصادق، فإذا أحسست بالوسواس فافرح يزل عنك، فإن أبغض الأشياء إلى الشيطان سرور المؤمن، وإن اغتممت به زادك.

ومنه: صلاح القلب في أربع خصال: التواضع لله والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء في الله... واصل التعلق بالخيرات قصر الأمل، وعلامة التوفيق أن تطيع الله تعالى وأنت تخشى الرد، وعلامة الخذلان أن تعصيه وأنت ترجو أن تكون مقبولاً.

وكان يتمثل بهذه الأبيات:

قلوبنا لشراب الحب[3] أقداحُ	ومجلس الأنس فيه الروح والراح
ونحن في خلوةٍ سكرى ينادمنا	أهل الحقيقة كم صاحوا وكم باحوا
وخلوة الوصل قد طاب السماع بها	حقاً وقد رقصت للوجد أرواح

(1) ما بين حاصرتين سقط من الأصل، واستدرك عن بهجة الأسرار.
(2) في البهجة: طريق الصدق.
(3) في الأصل: الراح والتصويب عن البهجة.

ولما حضرته الوفاة تشهد وتهلل وجهه بالسرور والبشر وقال: هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابي يبشروني برضوان الله تعالى، ثم قال: هؤلاء الملائكة يستعجلوني بالقدوم على الكريم، ثم ضحك وقال: إذا تجلى الحق جل جلاله على عبده المؤمن عند قبض روحه وقال له أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فلم يتم تلاوة الآية حتى فارقته روحه، ولما وضع ليصلي عليه سمع نداء عال من جهات ولا يرى المنادي: يا معاشر المسلمين الصلواة على الحبيب المقرب، وكان يوماً مشهوداً وهو قدس سره من قرية من قرى نهر الملك تعرف بالاعراب في أرض العراق واستوطن نهر الملك إلى أن مات بها وقد علت سنهُ، وقبره هناك ظاهر يزار وله هنالك الشهرة الظاهرة الكثيرة، انتهى، قلت ولم تبق له تلك الشهرة إلى زماننا هذا مدفناً ومزاراً ومشهداً وموطناً ودارا.

152 ـ الشيخ أبو الحسن الجوسقي[1]

ومنهم: الشيخ أبو الحسن الجوسقي قدس سره، قال في البهجة ما ملخصه، هو من أجلاء مشائخ العراق، وعظماء العارفين، أحد أركان هذا الشان وأعيان ساداته الفتيان، صاحب الحقائق الربانية، والمعارف الإلهية والعلوم الدينية، وكان يكنى أبا عرجاء لعرج به.

صحب الشيخ علي بن الهيتي قدس سره وإليه كان ينتمي، ولقي جماعة من مشايخ العراق مثل الشيخ بقاء بن بطو والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، والشيخ أبي سعيد القيلوي، وكان يتردد إلى الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله سرهم، وأفاض علينا أنوارهم، وتخرج بصحبته جماعة من الأكابر.

روي عن الشيخ مسعود الحريمي وفي نسخة الحارثي قال قصدت انا والشيخ عبد الرحمن بن حبش، والنعمان الزبيدي ، والدوراني، إلى زيارة أبي الحسن الجوسقي، فلما مررنا بالدجلة المقابلة لجوسق رأينا فيها شخصاً كريه المنظر شديد النتن. مكبلاً بالقيود والأغلال، فنادانا وقال لنا: إذا دخلتم على الشيخ أبي الحسن فاسئلوه اطلاقي فإنه حبسني هنا وقيدني كما ترون فلما دخلنا على الشيخ هممنا نسأله فابتدأ وقال: لا تسألوني فيه فإنه شيطان يأتي الفقراء المتقطعين عندنا فيوسوس عليهم وأنه كلما هم أن يفسد شيئاً من أحوالهم أنهاه

---

(1) ترجمته في بهجة الأسرار ص203.

وروي عن الشيخ أبي الحسن علي الخباز[1] قال: قصدت مع جماعة زيارة الشيخ أبي الحسن الجوسقي فلما دخلنا كاشفنا بكل ما جرى لنا في طريقنا وأوضح لكل منا ما اختلج في نفسه وبتنا عنده فخرج علينا في الليل براغيث فكنا نجتهد أن نقتل منهن شيئاً فلا نقدر، فلما أصبحنا قال له أحدنا: يا سيدي إذا كان للرجل جاه عند الله أيعم جاهه أهل بلده؟ قال: نعم ودوابهم وحشراتهم حتى البراغيث.

وله كلام عال في المعارف فمنه:

المعرفة حياة القلب مع الله تعالى، والمحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب والزهد النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعززاً أو تطرفاً، ومن استحسن من الدنيا شيئاً فقد نبه على قدرها وثمرة الشكر الحب لله تعالى والخوف منه، وذكر اللسان كفارات ودرجات، وذكر القلب زلفى وقربات، ومن استوى عنده ما دون الله تعالى نال المعرفة. والفتوةُ حفظ السر مع الله تعالى على الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة، وأعرف الناس بالله أشدهم مجاهدة في أوامره وأشدهم متابعة لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبكاء الزاهدين بعيونهم، وبكاء العارفين بقلوبهم.

ومنه: فساد العلماء من شيئين، يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، وآفة المريد الغضب في الانتصار لنفسه والكلام في غير نفع، وإفشاء السر لغير السادة من الشيوخ، والأنس بكل واحد، وإذا رأيت الفقير يستزيد من الدنيا فذلك من علامات إدباره، وعلامة الشقاوة ثلاثة أشياء، أن ترزق العلم وتحرم العمل، وأن ترزق العمل وتحرم الإخلاص، وأن ترزق صحبة العارفين ولا تحترمهم.

وكان يدعو بهذا الدعاء: اللهم يا من ليس في السموات قطرات ولا

---

(1) الشيخ علي الخباز الزاهد، له ترجمة في العبر 5/ 233، في وفيات سنة 656هـ قال: (أحد مشايخ العراق، له زاوية وأتباع، وأحوال وكرامات، قتل شهيداً).

في هبوب الرياح ولجات ولا في الأرض حياة، ولا في قلوب الخلائق خطرات، ولا في أعظائهم حركات، ولا في أعينهم لحظات، إلا وهي لك شاهدات، وعليك دالات، وبربوبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات، فأسألك بقدرتك التي تحير فيها من في السماوات والأرض، أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته، ثم يدعو بما أحبه.
وكان الشيخ عبد الله الماريني يقول: إن هذا الدعاء من الأدعية المستجابة.

وكان روح الله روحه يتمثل بهذه الأبيات[1]:

أشار قلبي إليك كيما	يرى الذي لا تراه عيني
وأنت تلقي على ضميري	حلاوة السؤل والتمني
تريد مني اختبار سري	وقد علمت المراد مني
وليس لي في سواك حظ	فكيف ما شئت فاعف عني

سكن قدس سره الجوسق[2]، وهي بلدة في دجيل من أرض العراق واستوطنها إلى أن مات بها مسناً، وبها دفن وقبره هناك ظاهر يزار، انتهى.

قلت: وقال في القاموس الجوسق بلدة بدجيل.

(1) الأبيات في بهجة الأسرار ص204.
(2) وانظر عن الجوسق: معجم البلدان 2/ 184.

153 ـ علي بن إدريس اليعقوبي[1]

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن إدريس اليعقوبي قدس سره، ذكر في البهجة إنه من أكابر مشايخ العراق العارفين، ومن أعيان الأئمة المحققين، صاحب الأعمال الخارقة والأنفاس الصادقة، والتصرفات الرائقة، صحب الشيخ أبا الحسن بن الهيتي، وإليه كان ينتمي، وصحب أيضاً الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني قدس سره، وخدمه وروى عنه، ودعا له الشيخ قدس سره وقال في حقه: لهذا الصبي شأن عظيم، وقال له أيضاً: سيأتي زمان يفتقر فيه إليك، وتصير علياً. وكان يقول: أنا دعوة الشيخ عبد القادر، ولقي جماعة من مشائخ العراق مثل الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي والشيخ بقاء بن بطو والشيخ أبي سعيد القيلوي والشيخ أحمد البقلي والشيخ مطر البادرائي والشيخ أبي الكرم المعمر، وانتهت إليه رئاسة هذا الأمر في عصره، وتخرج به غير واحد مثل الشيخ خليفة بن خلف اليعقوبي والشيخ أبي الشكر ماجد بن الحسن الحميري وغيرهما، واجتمع عنده بيعقوبا ناس كثيرون من الفقهاء والفقراء وانتفعوا بكلامه، واشتهر ذكره في الآفاق، وقصد بالزيارات، وكان يجتمع ببابه أمم عظيمة من الزوار القاصدين إليه من جميع الأقطار، وربما قاموا على بابه أسبوعاً، وكان يأتي بغداد لزيارة الشيخ محي الدين عبد القادر وينزل بمدرسته بباب

---

(1) ترجمته في بهجة الأسرار: 227 والعبر للذهبي 5/ 77.

الأزج عند قاضي القضاة أبي نصر، فيأتيه أكثر أهل بغداد من العلماء والمشائخ، وكان جليلاً مهابا، متأدبا متواضعا، لا يمكن أحداً من تقبيل يديه، ولا يستطيع أحد أن يقول له سيدي لكراهيته، لذلك، وكان شديداً في اتباع الكتاب والسنة، وكان سماعهم لا ينقطع أبداً إلا نهار شهر رمضان، وما كان يجلس في صدور المجالس، ولا يتبعه أحد إذا مشى إلا بأمره.

وله كلام عال في المعارف منه:

الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والتصوف كله آداب، ولكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبالغ الرجال، ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يظن القبول، وحسن أدب الظاهر عنوان آداب الباطن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه، وما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء بلسانه، وأحبه بقلبه.

ومنه: من لم يقدر أحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا نعده في ديوان الرجال، ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجبرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغروراً، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها، وأنفع العقل ما عرفك بنعم الحق عليك وأعانك على شكرها، وقام بخلاف الهوى، وأنفع الإخلاص ما نفى عنك الرياء والتصنع، وأنفع الفقر ما كنت به راضياً متجملاً، وأنفع الأعمال ما سلمت من آفاتها وكانت مقبولة، وأنفع التواضع ما نفى عنك الكبر، وأمات منك الغضب، وأنفع المعاملات إصلاح خواطر القلب، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي وأطال فيك الحزن، وألزمك الفكرة، ورأس الأدب أن يعرف الرجل قدره، ومن لم يخش أن يعذبه الله على أفضل أعماله فهو هالك، وما ابتلى أحد بمصيبة أعظم من قسوة القلب، ومن جزع من مصيبة الدنيا تحولت في دينه

وكان يتمثل بهذه الأبيات:

غرست الحب غرساً في فؤادي فلا أسلو إلى يوم المعاد
جرحت القلب مني باتصالٍ فشوقي زائد والحب بادي
سقاني شربة أحيت فؤادي بكأس الحب من بحر الوداد
ولولا الله يحفظ عارفيه لهام العارفون بكل وادي

توفي قدس سره سنة تسعة عشر وستمائة ببعقوبا ودفن من الغد برباطه بها. انتهى ملخصاً قلت: وبعقوبا بلدة مشهورة على بعد يوم من بغداد واقعة على النهر الكبير المشهور بالديالى.

154 ـ الشيخ أبو محمد المغربي[1]

ومنهم الشيخ أبو محمد المغربي قدس سره، قال المؤلف ما ترجمته:

هو أبو محمد صالح المغربي، قدوة السالكين، وصفوة العارفين، أحد الأئمة الفضلاء. والسادة القادة الأولياء، تتلمذ على الشيخ شعيب أبي مدين المغربي[2]، نقل عنه أنه قال: بينما أنا في خدمة أبي مدين قال لي يوماً: يا أبا محمد، سافر إلى بغداد وأن الشيخ عبد القادر ليعلمك الفقر، فامتثلت ومضيت إلى بغداد، ودخلت على الشيخ عبد القادر فأمرني بالخلوة أربعة أشهر، فخلوت تلك المدة واعتزلت في الناس، ولما انتهى أمر خلوتي دخل علي الشيخ عبد القادر وقال لي: يا أبا محمد أنظر إلى جهة القبلة فنظرت وإذا أنا بمكة أعاينها، ثم قال: أنظر إلى جهة المغرب، فنظرت، فرأيت شيخي أبا مدين، ثم قلت للشيخ ما رأيت في الجهتين، ثم قال لي: يا أبا محمد، إذا أردت الفقر، فإنك تناله حتى ترقى سلم التوحيد، وملاك التوحيد محو كل متلوح من المحدث لعين السر.

---

(1) في بهجة الأسرارترجمه أبي مدين شعيب ورد اسم أبي محمد صالح بن وبرجان الدوكالي فلعله هو.

(2) أبو مدين شعيب بن الحسن أو الحسين المغربي له ترجمة في بهجة الأسرار ص185 والعبر 4/ 275 ذكره في وفيات سنة 590هـ قال: ومن كان في هذا العصر، أبو مدين الأندلسي الزاهد العارف شيخ أهل المغرب شعيب بن الحسين، سكن تلمسان وانظر: عنوان الدراية وفيه أنه ولد سنة 594هـ وتوفي في نحو سنة 590هـ.

هذا ولم يزل يرقى يوماً فيوماً مدارج الكمال إلى أن صار من أمره ما صار حتى صار أوحد عصره في الحقائق والمعارف والمنازلات والمكاشف، واشتهر بالكرامات الزاهرة والفضائل الباهرة، ثم بعدها عاش ما شاء الله توفي ودفن في بغداد على ما هو مسطور في أصل هذا المختصر... انتهى.

155 ـ الشيخ محمد الأزهري[1]

ومنهم الشيخ محمد الأزهري عليه الرحمة.

قال المؤلف، هو أحد الأولياء العارفين، كان فريد زمانه بين أرباب السلوك وأهل شأنه، وكان والده من أصحاب الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني، فكان هو أيضاً من المنسوبين إلى تلك الطريقة السنية، والحجة القادرية، صاحب الشهرة الوافرة بالكرامات الفاخرة.

توفي في بغداد ودفن بها في الجامع الشهير بجامع الخاصكي الواقع في محلة رأس القرية من محلات بغداد ـ انتهى ـ وقد أنعم الله علي بجواري له محلة ودارا.

(1) في العقد اللامع ص146: قبره في جامع الخاصكي، وكان مدرسة قديمة آلت إلى الخراب فعمرها الوالي محمد باشا الخاصكي، وجددت دائرة الأوقاف بناءه سنة 1309هـ.

156 ـ عون بن علي بن أبي طالب[1]

ومنهم: عون بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال المؤلف: يغني عن تعريفه وبيان توصيفه كونه درّة صدف ذلك البحر الزاخر، وإنه جوهر ذلك المعدن الحاوي لأشرف الجواهر، ومدفنه بأخبار الأخيار في قرب قرية الباشية، من قرى بغداد، يتبرك به ويزار.

---

(1) للإمام علي ابن اسمه عون من زوجته أسماء بنت عميس (الطبري 5/ 154) ولم يذكره المصعب الزبيري في نسب قريش في ولد علي. وقد تكرر اسم عون كثيراً في العلويين.

157 ـ علي بن علي بن الحسين[1]

ومنهم: علي بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، قال المؤلف: هو ابن علي الشهير بزين العابدين، وحسبك دليلاً على علو شأنه، وسمو مكانه، كونه من أهل البيت، مدفنه باتفاق أهل العراق الحلة الفيحاء، يتبرك به ويزار.

---

(1) علي بن علي، وأمه أم ولد نوبيه له ذكر في نسب قريش ص62 وعمدة الطالب ص194و339، ولم يذكر مكان دفنه.

158 ـ عمران بن علي بن أبي طالب[1]

ومنهم عمران بن علي بن أبي طالب كرم وجهه، قال المؤلف ما معناه: إن كون ثمرة تلك الشجرة الحيدرية، ونخلة هاتيك الحديقة العلوية، أقوى دليلاً على علو شانه ومنزلته ومكانه، ومدفنه باتفاق أهل العراق في قرب الحلة الفيحاء، قلت: وفي قرب بغداد على بعد أربعة عشر فرسخ منها تسمى بالعمرانية، فمررت بها في بعض أسفاري إلى وطني، فرأيت بها مشهداً وعليه قبة، فسألت عنه بعض الأكابر في السن من أهاليها فقال: إنه قبر عمران بن علي، وإليه تنسب هذه القرية.

وقال: هذا هو المشهور فيما بيننا. والله أعلم.

---

(1) لم يرد في كتب التاريخ والسير التي أحصت أولاد الإمام علي (اسم عمران، إلا أنه ذكر في مصادر حديثة قالت أنه جرح في النهروان وحمل وهو في الطريق إلى الكوفة، وقبره ظاهر قرب مدينة الحلة بين الجميجمه وآثار بابل، وعليه قبتان، ترمز إحداها إلى شهداء معركة النهروان، وانظر مراقد المعارف 2/ 128 ـ 129..

159 ـ الإمام أبو القاسم

ومنهم: الإمام أبو القاسم عليه الرحمة، هكذا ذكره المؤلف في كتابه، ولم يسمه. وقال: هو أبو القاسم بن الإمام موسى الكاظم، وكان صاحب الفضائل الكثيرة والخصائل الحميدة الوفيرة، واشتهر في الآفاق بشرف الذات والصفات وحسن الأخلاق وكفى به في علو مرتبته، وحسن منقبته، أنه أحد أحاد تلك السلسلة الطاهرة النبوية ومدفنه في قرية الجربوعية، وهي من قرى الحلة الفيحاء.

160 ـ حمزة بن موسى(1)

ومنهم: الإمام حمزة بن الإمام موسى رضي الله عنهما، قال المؤلف: إنه مع كونه فائزاً بالنسب النبوي، وبأهلية البيت المصطفوي، كان معتقد الأناس كانوا حوالي تربته السنية.

ومدفنه في قرية الباشية من القرى العراقية.

(1) حمزة بن موسى الكاظم، ذكر في عمدة الطالب ص228، وينسب له عدة مراقد في الري وقم وشيراز وكرمان (مراقد المعارف 1/ 262).

161 ـ إبراهيم وإسماعيل ابنا موسى الكاظم(1)

ومنهم: إبراهيم وإسماعيل ابنا موسى الكاظم رضي الله عنهم، قال المؤلف: كان كل منهما كوكب سماء السيادة، ويدور أفق الشرف والسعادة، وكفاهما شرفاً وفضلاً كونهما للبيت النبوي أهلاً، ولما لم تذكر لهم مناقب في الكتب المعولة وما عثر على فضائلهما مفصلة، لم تحرر في هذا المختصر، واتفق أهل العراق على أنهما دفنا في فناء مشهد والدهما، بينه وبين مشهد الإمام يوسف والله أعلم.

---

(1) للإمام موسى الكاظم ابنان باسم إبراهيم، هما إبراهيم الأكبر ظهر باليمن أيام أبي السرايا ولم يعقب(مقاتل الطالب ص755 وعمدة الطالب 201). والآخر إبراهيم المرتضى (ذكر في عمدة الطالب ص201 وقال أن العقب منه ولم يذكر مكان وفاته).

162 ـ منصور بن الحسن

ومنهم: منصور بن الحسن عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: إنه من أجلة أهل البيت المشهورين بالكرامة والشرف، ومدفنه بالجواذر، وله هناك مشهد معمور بالخدام والنذور، ويقصده الزوار ويتبرك به ويزار.

163 ـ إبراهيم المجاب[1]

ومنهم: إبراهيم المجاب عليه الرحمة، قال المؤلف، هو من السادة القادة، ونقل عن بعض الأخيار أنه قصد يوماً ليظهر حسبه لأهل زمانه، فوقف تلقاء مشهد الحسين السبط ابن علي رضي الله عنه، ونادى يا جداه، فرد عليه الجواب من الضريح، وأجيب فلذلك لقب بالمجاب، ومدفنه في كربلاء قرب مرقد الحسين رضي الله عنه.

---

(1) إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن موسى الكاظم (عمدة الطالب ص216).

164 ـ سعيد بن الحسن

ومنهم: سعيد بن الحسن رضي الله عنه، قال المؤلف ما معناه: إنه من أولاد الحسن السبط رضي الله عنه، اشتهرت مناقبه في الآفاق، ووقع على فضله الاتفاق حكى بعض الثقاة وقال: كان لي رفيق فزرت معه قبر سعيد المذكور، ولما فرغنا من الزيارة سأل رفيقي بعض خدامي عنه وقال: من يكون صاحب هذا المرقد؟ فقال الخادم: هو سعيد من ولد الإمام حسن السبط، فقال رفيقي: مم علم ذلك، وما الدليل على ما هنالك؟ فكأنه أنكر أو تردّد، فرجعنا وذهب كل منا إلى منزله، فرأى رفيقي في تلك الليلة علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه يعاتبه في إنكاره ويوبخه على تردده ويمنعه عن عوده إلى مثله، فلما أصبح قص عليّ رؤياه واستغفر الله وتاب إليه، ومدفنه في الحي وهو موضع في طريق البصرة والله أعلم.

165 ـ قنبر علي[1]

ومنهم: قنبر علي رضي الله عنه، قال المؤلف ما ترجمته إنه مولى علي رضي الله عنه، كان يلازمه في سفره وحضره، وكان الإمام رضي الله عنه يشرفه باستخدامه في أكثر مهامه، ولما لم توجد مناقبه على التفصيل في كتب التاريخ المشهورة اكتفى بذكر اسمه عن ذكر مناقبه، ورسمه ومدفنه باتفاق أهل العراق في بغداد في الموضع الذي يزار الآن، قلت وعرف بمحلة قنبر علي ولكن أكثر الناس على أنه استشهد بقتل الحجاج بن يوسف الثقفي ودفن في الواسط. انتهى.

---

(1) ذكر المؤلف إن قنبر مولى الإمام علي، وكذلك ورد في العقد اللامع، وليس بصحيح إذ أن قنبر قتله الحجاج بواسط سنة 95هـ، وليس له رسم قبر الآن (مراقد المعارف 2/ 202) وفي 2/ 206 منه أنه من موالي الإمام علي الهادي، قال حدثنا الشيخ ميرزا هادي الخراساني النجفي أنه رأى نصاً تاريخياً يصرح بأنه من موالي الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام، ويقع قبره اليوم في شارع الكفاح بمحلة قنبر علي.

166 ـ الشيخ ناصر الدين[1]

ومنهم: الشيخ ناصر الدين رضي الله عنه، هكذا ذكره المؤلف بلقبه، ولم يسمه. وقال لم ترد مناقبه في كتب التاريخ ولكن أخبر بعض الأخيار إنه من السادات الكرام ومن المشايخ ذوي الاحترام، ومن معتقدي أهل زمانه من الأنام ومدفنه في الجامع السليماني قرب دار الإمارة.

(1) الجامع السليماني، ويسمى جامع السراي أو جامع جديد حسن باشا، يقال أن السلطان سليمان القانوني عمل هذا الجامع حين دخل بغداد فسمي باسمه (دليل خارطة بغداد ص234)

167 ـ الخواجة نور الدين

ومنهم: الخواجة نور الدين عليه الرحمة، هكذا ذكره المؤلف بلقبه دون اسمه ونسبه وقال: إنه من العلماء الكاملين والفضلاء العارفين والكمل المشهورين، وكان في علم القوم من المجتهدين، حكى عن الشيخ ركن الدين علاء الدولة إنه قال: لو لم يكن نور الدين في زمانه مجدد لمذهب الصوفيه ومحيياً لرسوم تلك الطائفة الأبية عن كل دنية وموضحاً لأسرار العلوم اللدنية لكان هذا العلم نسياً منسياً، ومحاسنه مشهورة إلا أنها لم تثبت في الكتب المنظورة، توفي في بغداد، ودفن فيها، انتهى: قلت والخواجة كلمة فارسية معناها: الشيخ.

168 ـ الشيخ علي الخضراوي

ومنهم الشيخ علي الخضراوي عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: أنه كان من أعاظم مشايخ العراق في الزهد والورع، وحسن الأخلاق، نقل عن الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم الخضراوي أنه قال في حقه: كان شيخ العراق في وقته، ولم ير في زمانه أحد مثله، من المشايخ ولا أتم منه مقالاً، ولا أصدق لساناً، ولا أعلى مكاناً، متوحداً في طريقه، ظريفاً في شمائله وحاله، له لسان في التوحيد يختص به، ومقام في التجريد والتفريد لم يشاركه فيه أحد من بعده، توفي سنة إحدى وسبعين وثلثمائة في بغداد ودفن فيها.

169 ـ الشيخ عبد الله الراسي

ومنهم الشيخ عبد الله الراسي عليه الرحمة.

قال المؤلف ما تعريبه أنه أبو محمد عبد الله الراسي، وكان من أكابر مشايخ العراق وأجلائهم علماً، وعملاً، وفضلاً، وورعاً، وكان يقول إذا امتلأ القلب بالتقوى، ترحل عنه حب الدنيا، وكان يقول من البلاء صحبتك من لا يوافقك، ولا تستطيع تركه، توفي سنة سبع وستين وثلثمائة في بغداد ودفن فيها.

170 ـ الشيخ عبد الرزاق

ومنهم: الشيخ عبد الرزاق قدس سره، قال المؤلف ما معناه، هو من أكابر المشايخ العظام، وأفاضل العارفين الفخام، صاحب الكرامات، وخوارق العادات، توفي في بغداد ودفن فيها.

171 ـ الشيخ محمد الدوري[1]

ومنهم: الشيخ محمد الدوري عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: إن هذا الشيخ ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم، وكان من أكابر المشايخ الأعاظم، ذوي الإشارات الغريبة، والكرامات العجيبة، توفي في قرية الدور وهي قرية من قرى بغداد على بعد أربعة فراسخ من مدينة سر من رأى، ودفن فيها وقبره ظاهر يتبرك به ويزار.

---

(1) قيل هو محمد الدوري في مدينة الدور إلى الشمال من سامراء بحوالي 30كم وينسب إلى أبي عبد الله محمد بن موسى بن جعفر توفي قبل الثلثمائة للهجرة (القباب المخروطية ص19). وفي معجم البلدان أنه محمد بن فروخان بن روزبة أبو الطيب الدوري. معجم البلدان 2/ 481. وذكر الشيخ يونس السامرائي في كتابه (تأريخ الدور) أنه محمد الدوري أحد العلويين وقد كتب الخطيب البغدادي أنه محمد بن الفرخان بن روزبة أبو الطيب الدوري (تأريخ بغداد 3/ 167).

172 ـ الشيخ محمد العاقولي[1]

ومنهم الشيخ محمد العاقولي عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: إنه من العلماء العاملين ومن أجلة المحدثين، وكان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان يعرف بزمانه بمفتي الأنام، وشيخ الإسلام، ثم قال: كانت الحنابلة يباهون من المشايخ بالشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني قدس سره، ومن الوعاظ بالشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. ومن المحدثين بالشيخ محمد العاقولي المذكور.

ومدفنه باتفاق الثقات في بغداد، ظاهر يزار، قلت وبني على مرقده جامع معروف بجامع العاقولي، وإليه تنسب المحلة التي فيها مشهده.

---

(1) هو الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي العاقولي الواسطي الشافعي مدرس المستنصرية، أوقف داره لأيتام يقرؤون فيها القرآن وطورت هذه الدار لتصبح مدرسة لتعليم علوم القرآن، واوقف عليها أملاكه. ولد ببغداد سنة 638هـ وعين قاضي القضاة ودرس في المستنصرية (40) سنة وتوفي ببغداد سنة 728هـ/ العقد اللامع 87 ـ 88 مخطوط في دار صدام للمخطوطات برقم 9049 بخط المؤلف (انظر مخطوطات التاريخ في مكتبة المتحف العراقي أسامة النقشبندي وظمياء محمد عباس ص 283).

173 ـ الشيخ محمد الألفي[1]

ومنهم: الشيخ محمد الألفي قدس سره، قال المؤلف ما ترجمته:
هذا الشيخ من أكابر مشايخ العراق، وقع على فضله ومجاهدته في العبادة الاتفاق، ومدفنه في بغداد، يزار ويتبرك به، قلت، هو في قرب مشهد سيدي عبد القادر الكيلاني، وبُني على مرقده أصحاب الخيرات مسجداً، واشتهر في ألسن الناس أنه كان يصلي في كل ليلة ألف ركعة، فلذلك قيل له الألفي، والله أعلم.

(1) انظر العقد اللامع صفحة 172.

174 ـ الشيخ محمد المجنون[1]

ومنهم: الشيخ محمد المجنون، قال المؤلف ما نصه مترجماً، إنه من المشايخ الأكابر، صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة في بغداد، ودفن عند الباب الأوسط من أبواب بغداد، له مشهد ظاهر هناك يزار معمور بالخدام والأوقاف والزوار.

قلت: ومشهده[2] قرب مرقد الشيخ شهاب الدين السهروردي في المقبرة الوردية.

وقصد المربوط به قرية يقال لها زهرة[3]، واقعة على نهر الخراساني على بعد ثلاثة عشر فرسخاً من بغداد، وقد سمعت من بعض الأكابر أن السلطان مراد الغازي الثاني لما توجه بجنوده إلى بغداد لتخليصها من يد العجم بعدما بقيت تحت حكم شاههم الشاه عباس، وجعل فيها من قبله من يحكم فيها ويتصرف فيها وفيما يليها مدة مديدة على ما هو المشهور بين الجمهور ونزل بعسكره بقرب بغداد فكان أول من لقبه الشيخ محمد المجنون المذكور فبشره بالانتصار والظفر واشترط عليه أن يعطيه أرضاً مقدار جلد بقر ويعمرها له ويوقفها على بنته زهرة، أو ينعم بها عليها،

(1) ورد ذكره في العقد اللامع ولم يزد على ما جاء هنا مخطوط (صفحة 35).

(2) أشار إليه ياسين العمري في غاية المرام ص37 بقوله: (مرقد محمد المجنون عند باب باغ قابي قرب شهاب الدين، وباغ قابي اسم تركي للباب الوسطاني ويعني باب البستان.

(3) تعرف اليوم بالزهيريات.

فوعد له بذلك، فلما انتصر واستولى على بغداد وأدخلها تحت قبضته أتى محمد المذكور بجلد بقرة وقصه من أطرافه في غلظ خيط إلى أن انتهى الجلد، فقاس به أرض هذه القرية المذكورة بأن جعله كالدائرة على الأرض، وطلب منه محاطه، فأجابه إلى ذلك، وعمر له ما أحاط به الجلد، وانشاءها له قرية، فبقيت مشروطة عليه مدة حياته، وعلى من يتولى خدمة مشهده[1] بعد مماته باسم بنته زهرة والله أعلم.

(1) في العقد اللامع أن المشير أحمد توفيق باشا بنى مشهده بناء فخماً إلا أنه انهدم في غرق سنة 1333هـ.

175 ـ محمد البقلي اليماني

ومنهم الشيخ محمد البقلي اليماني عليه الرحمة، قال المؤلف: كان هذا من مشايخ العراق، وكان من أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره والشيخ إدريس اليعقوبي والشيخ مطر البادرائي، صاحب الكرامات والخوارق، والإشارات.

ومرقده قرب قرية بهرز من قرى بغداد.

قلت: لم يكن قرب تلك القرية مشهد اشتهر بين سكان تلك القرية باسم الشيخ أحمد المذكور، بل قرب قرية جبل الدوز، هي قرية من قرى بغداد أيضاً وقع على نهر تلك القرية، واشتهر بين عربانها بالبجلي، والظن الغالب أن الشيخ أحمد المذكور هو هذا والله أعلم.

176 ـ الشيخ بير داود[1]

ومنهم الشيخ بير داود عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: كان هذا من الدراويش السياحين وفي زيهم، عرف بين أهل بغداد بالكرامات الباهرة والإشارات الزاهرة وقد اشتهر في السن الناس بير داود إلا أنه نقش على الحجر الذي بباب ضريحه أي نودا ابدال بير موسى دمور بابا.. انتهى.

قلت: ومدفنه في الميدان، واتخذوا عند مرقده مسجداً وله بابان، باب من الميدان وباب من الزقاق الذي ينتهي أحد طرفيه إلى حذاء الجامع المرادي.

---

(1) بير لفظة فارسية تعني الرئيس وشيخ الشيوخ وتطلق اصطلاحاً على الولي الذي ينسب إليه تأسيس مهنة أو حرفة، فيكون رئيساً روحياً لأهل (الصنف) الذي يختص بها. وقد ورد في العقد اللامع كان على قبره مسجد يقع قريباً من جامع المرادية، وكان يدعى هذا المسجد في بادئ إنشائه تكية عبد الرحمن القادري، ثم سمي مسجد بير داود، وفي هذا المسجد حجرة فيها قبر بير داود... وقد وضعت رخامه على باب هذه الغرفة وقد حرر عليها: هذا مرقد المرحوم داود الصحابي) المتشرف بعلمدارية رسول الله ﷺ وقد عمر في سنة 1243هـ وفي سنة 1266 جدد بناء رئيس المدراء في القرنتينة.

177 ـ السيد إبراهيم

ومنهم: السيد إبراهيم عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه، إنه من ولد موسى الكاظم واتفق أهل العراق على فضله وعمله وعلمه وكماله، وصدق مقاله وحاله، ومدفنه قرب مشهد الشيخ شهاب الدين السهروردي، قلت فيما بينه وبين سور البلد مما يلي المحكمة على ما هو المشهور.

178 ـ الشيخ محمد العربي

ومنهم: الشيخ محمد العربي، قال المؤلف ما معناه: إنه من مشايخ العراق واشتهرت فضائله بين الناس بالاتفاق، توفي في بغداد ودفن فيها.

179 ـ السيد إبراهيم الفضل

ومنهم: السيد إبراهيم الفضل، قال المؤلف ما معناه إنه من السادات، ومن الأولياء ذوي الكرامات، ومدفنه في بغداد يجتمع فيه الفقراء، ويأوي إليه الغرباء قلت: ثم بعد عصر المؤلف بنى عليه أحد وزراء بغداد يقال له حسين باشا جامعاً وهو الآن مشهور بجامع حسين باشا.

180 ـ السيد السلطان علي[1]

ومنهم: السيد علي عليه الرحمة، قال المؤلف وهو الآن مشهور فيما بين أهل بغداد بالسيد السلطان علي، من المشايخ العظام والسادات الكرام، ومدفنه في بغداد مأوى الغرباء ومجمع الفقراء.

قلت: هو واقع على دجلة فيما بين محلة يقال لها الآن محة السبع ابكار وبين محلة يقال لها مربعة. وعلى مرقده الآن جامع تقام فيه الصلواة الخمس والجمع.

(1) هو السيد السلطان علي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن أحمد بن رفاعة الحسن أبي المكارم المكي الحسيني، ولد في البصرة سنة 459هـ، وتوفي ببغداد سنة 519هـ، تولى والده نقابة الطالبيين في البصرة وواسط والبطايح وتوفي يحيى وعمر ولده علي سنة واحدة. وقد اتقن قراءة القرآن وعلوم الشريعة والفقه وصحب خاله الشيخ يحيى البخاري ودرس عليه وتزوج بفاطمة الأنصارية بنت خاله فاعقب منها سلطان العارفين السيد أحمد الكبير الرفاعي. انظر النور الجلي في أخبار السيد السلطان علي ـ مخطوط في دار صدام للمخطوطات ببغداد رقم (90) تأليف محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي صفحة 8 ـ 10.

181 ـ الشيخ محمد الجولاني

ومنهم: الشيخ محمد الجولاني عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه، إنه صاحب التصانيف المعتبرة المشهورة، والكرامات الصادقة الموفورة، كان من الأكابر في علمي الظاهر والباطن والزهد والورع والتقوى، وكم شهد الساكنون في جواره من كراماته وآثاره، توفي في بغداد ودفن فيها.

182 ـ الشيخ سراج الدين[1]

ومنهم: الشيخ سراج الدين عليه الرحمة، هكذا ذكره المؤلف بلقبه ولم يسمه، وقال: إنه من مشايخ العراق صاحب الكرامات الصادقة والأحوال الرائقة، ومدفنه قرب مشهد الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني، ظاهر يزار، قلت: وعلى قبره الآن جامع كبير تقام فيه الدوابت والجمع إلا أنه مشرف على الخراب لما لم يكن له شيء من الأوقاف، وعلى طرف ضريحه من داخل السوق حجر منقوش: هذا مرقد الشيخ سراج الدين من مشايخ الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولعله من مشايخه الذين قرأ عليهم والله أعلم.

---

(1) انظر ترجمته في كتاب العقد اللامع ص169 ـ 170 وذكر فيه على ما ذكره صاحب كتاب تراجم الرفاعية هو ابن الشريف نجم الدين المبارك محمد خزام السليم بن السيد شمس الدين عبد الكريم الواسطي وتوفي سنة 885هـ.

183 ـ الشيخ عبد العزيز

ومنهم: الشيخ عبد العزيز عليه الرحمة: قال المؤلف ما معناه: إنه من مشايخ بغداد، صاحب المعارف والإرشاد، له قدم في طريق القوم السادة الأمجاد، توفي في بغداد ودفن فيها ولم اقف على مكان تربته.

184 ـ الشيخ محمد الفضل[1]

ومنهم الشيخ محمد الفضل عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه، إنه من مشايخ العراق ومعتقد أهلها مشهور بالعلم، ومدفنه في بغداد، ظاهر يزار، قلت: وعلى مشهده الآن جامع بناه الوزير سليمان باشا الكبير.

(1) في العقد اللامع انه محمد الفضل بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وفي عمدة الطالب ص233 إنه حظي عند الرشيد وخرج معه إلى العراق ومات ببغداد، قال مؤلفاً دليل خارطة بغداد ص238 (ولا يلتفت لذلك لأن المعروف في تاريخ بغداد أنه لغياث الدين محمد بن الفضل وزير السلطان أبي سعيد بهادر خان أو للفضل الإسفراييني الشافعي). وذهب العزاوي إلى أنه محمد ابن الفضل فضل الله رشيد الدين صاحب جامع التواريخ استناداً إلى رأي ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة الذي ورد فيه أن لهذا الوزير جامع بناه في بغداد (تاريخ العراق بين احتلالين 2/ 47).

185 ـ جواد نمرد قصاب[1]

ومنهم: جواد نمرد قصاب عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: هو من الرجال الكمل وعليه تلمذ أكثر أرباب الصنايع والعمل، ونقلوا كراماته وحكوا خوارق عاداته، ومدفنه قرب مشهد الشيخ شهاب الدين السهروردي، قلت: ولفظ جواد نمرد مركب فارسي بمعنى الرجل الشاب، والمشهور إنه مرشد الجزارين.

(1) ذكر في العقد اللامع قال: لم أقف على ترجمته وإن معناه الرجل الشاب، من المشهور إنه شيخ القصابين انهدم قبره بغرق 1333هـ/ 1914م فقيض له أحد الجزارين سنة 1922م فعمره وبنى فوق قبره قبة وقدامها طارمة.

186 ـ الشيخ محمد الوتري[1]

ومنهم: الشيخ محمد الوتري عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: إنه من المشهورين بالزهد والورع والتقوى، وكان يصرف أكثر أوقاته في مدائح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، ومن نظمه القصائد المشهورة بالوتريات المرتبة على حروف الهجاء في مديح سيد الأنبياء. وتلقته أرباب الطريقة بالقبول، واتخذوها جالبة الخيرات والمنى والسؤال ولم يزالوا يداومون على قرائتها ويلازمون على تلاوتها في ليالي رمضان.

توفي في بغداد ودفن في سوق السراجين، في مرقد الشيخ أحمد القدوري قلت: قد سبق في ترجمة أحمد القدوري بيان ذلك السوق والمكان الذي دفن فيه.

---

(1) هو الشريف شمس الدين الوتري، الوصفي البغدادي، محمد بن أحمد، ولد بالموصل سنة 820 وهاجر إلى بغداد والتحق بخدمة الشيخ سراج الدين الرفاعي، توفي سنة 901هـ (العقد اللامع) ومعجم المؤلفين.

187 ـ بابا فخرولي

ومنهم: بابا فخرولي عليه الرحمة، قال المؤلف، هو من المشايخ الكرام ومن معتقدي أهل بغداد، واشتهر أن الدعاء عند قبره لا يرد، ومدفنه في بغداد في الموضع المعروف بحيدر خانة، ولم يزل الزوار يزورونه وبالنذور يقصدونه.

188 ـ حمزة

ومنهم: حمزة عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه إنه من مشايخ أرباب الزهد والرشاد وكان في بغداد معتقد العباد ومرقده في بغداد على شاطئ دجلة من الجانب الغربي.

189 ـ الشيخ جميل[1]

ومنهم: الشيخ جميل عليه الرحمة/ قال المؤلف هو من الأولياء الكرام والمشايخ العظام، وكان معتقداً في عصره للخاص والعام، ومدفنه في قصبة دجيل ظاهر يزار.

(1) هو الشيخ جميل بن دراج المكنى بأبي الصبيح بن عبد الله الخثعمي الكوفي الراوي. مراقد المعارف 1/ 229 وتنقيح المقال 1/ 232 والكنى والألقاب 1/ 273.

190 ـ الشيخ محمد جركين[1]

ومنهم: الشيخ محمد جركين عليه الرحمة، قال: المؤلف إنه كان من الأولياء، وكان رث الهيئة والحال، ومدفنه في بغداد في الجانب الغربي قرب مرقدي معروف الكرخي وداود الطائي، انتهى والله أعلم.

قلت: ولفظ الجركين فارسية، كلمة نسبة بمعنى ذو وسخ.

(1) انظر العقد اللامع صفحة 24 (الملحق).

191 ـ الشيخ صندل[1]

ومنهم الشيخ صندل عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: إنه من الأولياء الكاملين والمشايخ الطارقين، اتفق أهل العراق عل أنه ذو الكرامات السنية والإشارات والأحوال البهية ومدفنه في بغداد في الجانب الغربي منها. قلت: وعلى مشهده الآن جامع معمور بالراكعين والساجدين، وله الأوقاف الكثيرة والخدام العديدة.

(1) هو كما ذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الآداب: عماد الدين صندل بن عبد الله الحبشي المعروف بالمقتفوي (نسبه إلى سيده الخليفة المقتفي لأمر الله) تولى النظر بأعمال الديوان بواسط أيام الخليفة المستنجد، ثم عاد إلى بغداد أيام المستضي بأمر الله فولاه استاذيه الدار، وانقطع بموضع في الجانب الغربي بعدما كبر وعجز، ودفن بالتربة التي عملها لنفسه سنة 593هـ، وانظر إكمال الإكمال ص49.

192 ـ أبو سيفين[1]

ومنهم: أبو سيفين عليه الرحمة، قال المؤلف ما معناه: لم أقف على ترجمته ووصفه في كتاب من الكتب إلا أن مدفنه في بغداد[2] ظاهر يزار، وشهد بعض كراماته بعض الأخيار، قلت: وكذا الفقير لم أعثر على اسمه ولا على رسمه، ولا على سبب تكنيته بهذه الكنية، والله أعلم.

هذا آخر ما ترجمته في كلام المؤلف رحمه الله بإشارة السيد السند، ومن به الوثوق وعليه المعتمد، بعد الله ورسوله الحامد الأحمد، أعني به طيب الأسلاف، نقيب الأشراف رئيس العصبة القادرية، ونفيس عقد القلادة الكيلانية محمود الاسم والوسم، شريف الجد والرسم، السيد محمود أفندي النقيب، حفظه الرقيب القريب. آمين.

(1) ورد ذكره في العقد اللامع ق121 والمشهور أنه استشهد في محاربة بغداد مع السلطان مراد، يقال أنه كان يحارب بسيفين، وفيه مسجد جددت عمارته من قبل الأوقاف سنة 1968م.

(2) يقع جامع أبي سيفين في المحلة المسماة باسمه في الجانب الشرقي من بغداد.

المصادر والمراجع

1 ـ أخبار القضاة، لوكيع محمد بن خلف، القاهرة (66 ـ 1369).

2 ـ الأخبار الموفقيات، للزبير بن بكار، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، بغداد 1972.

3 ـ الأئمة الاثنا عشر، لابن طولون، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (بيروت 1958).

4 ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، ط نهظة مصر.

5 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير الجزري (طهران 1342).

6 ـ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، مصر 1939.

7 ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، ط 4 (1 ـ 8) دار العلم للملايين ـ بيروت.

8 ـ الأغاني، لأبي فرج الاصبهاني، الهيئة المصرية للتأليف والنشر.

9 ـ أنباء الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية 1950.

10 ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر (القاهرة، 1350هـ).

11 ـ الأنساب للسمعاني (حيدر أباد الدكن 1962 ـ 1964).

12 ـ البداية والنهاية، لابن عبد البر (مصر 1351 ـ 1358).

13 ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى 1926.

14 ـ البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق محمد عبد السلام هارون، القاهرة 1948.

15 ـ بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، علي بن يوسف الشطنوفي، مطبعة التمدن بمصر 1339هـ.

16 ـ تاريخ ابن الوردي، المسمى تتمة المختصر في أخبار البشر، مصر 1285هـ.

17 ـ تاريخ الأدب العربي، (1 ـ 6) كارل بروكلمان، ترجمة د.عبد الحليم النجار د.رمضان عبد التواب د.سيد يعقوب، دار المعارف بمصر 1959.

18 ـ تاريخ الأدب العربي في العراق، عباس العزاوي، بغداد 1962.

19 ـ تاريخ اربل، المبارك بن أحمد اللخمي، تحقيق سامي السيد خماس الصفار، بغداد 1980.

20 ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، طبعة مصورة، دار الكتاب العربي، بيروت.

21 ـ تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر 1967.

22 ـ تاريخ العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، بغداد 1953.

23 ـ تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن بن عبد الله الأندلسي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

24 ـ تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الذهبي، الطبعة الثالثة، حيدر آباد الدكن 1955.

25 ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود (دار مكتبة الحياة بيروت ـ دار مكتبة الفكر بطرابلس ليبيا).

26 ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك محمد بن عبد الله، تحقيق محمد كامل بركات (القاهرة 1968).

27 ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (حيدر آباد الدكن، 1325 ـ 1327).

28 ـ الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني، في رجال البخاري ومسلم: لابن القيسراني، (حيد آباد الدكن 1323هـ).
29 ـ جمهرة الخطاطين البغداديين ـ وليد الأعظمي (1 ـ 2) بغداد 1989.
30 ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لابن أبي الوفاء القرشي (حيدر آباد، 1332).
31 ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، القاهرة 1938.
32 ـ حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، القاهرة ـ كتاب التحرير 1966.
33 ـ خريدة القصر وجريدة العصر، ج3 مجلة1، عماد الدين الاصبهاني الكاتب، تحقيق محمد بهجة الأثري بغداد 1976.
34 ـ خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة 1967.
35 ـ الدر المنتثر في أعيان القرن الثاني عشر والثالث عشر، علي علاء الدين الآلوسي، تحقيق جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري، بغداد.
36 ـ دليل خارطة بغداد، مصطفى جواد وأحمد سوسة، بغداد 1958.
37 ـ ذخائر التراث العربي الإسلامي ـ لعبد الجبار عبد الرحمن (1 ـ 2) جامعة البصرة 1980.
38 ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق الدكتور سليم النعيمي.
39 ـ الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن، بغداد، د.ت.
40 ـ رغبة الآمل من كتاب الكامل، السيد بن علي المرصفي، ط2 بغداد، 1969.
41 ـ الروض الأنف لعبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، القاهرة.
42 ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة الاعتماد بمصر.
43 ـ السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت 1975.

44 ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد عبد الحي، القاهرة (50 ـ 1351).
45 ـ صفاء الدين البندنيجي، دكتور عماد عبد السلام ـ مجلة المورد، مجلد (13) عدد (2) 1984.
46 ـ فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ـ اعداد سالم عبد الرزاق (1 ـ 9) طبع وزراة الأوقاف ـ بغداد 1980.
47 ـ الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (دار صادر ودار بيروت، 1965 ـ 1967).
48 ـ كتاب التوابين، لموفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، تحقيق عبد القادر الأرناؤط، بغداد 1989.
49 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة بيروت.
50 ـ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير (القاهرة، 1356 ـ 1369).
51 ـ المحبرّ، لابن حبيب، (حيدر آباد الدكن، 1361).
52 ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثي، انتقاء محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. مصطفى جواد، بغداد 1951.
53 ـ مراقد المعارف، محمد حرز الدين، (النجف 1969 ـ 1971).
54 ـ مروج الذهب ومعارف الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التحرير، القاهرة 1966.
55 ـ مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان البستي، عني بتصحيحه م. فلايشهمر.
56 ـ معجم ألفاظ الصوفية، الدكتور حسن الشرقاوي، القاهرة 1987.
57 ـ معجم الأدباء، لياقوت الحموي، (القاهرة 1936 ـ 1957).
58 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الطبعة الثانية، دار الفكر.
59 ـ مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصبهاني، النجف 1961.
60 ـ مقامات العلماء بين يدى الخلفاء والأمراء، لأبي حامد محمد بن محمد

الغزالي، تحقيق محمد جاسم الحديثي، بغداد 1989. سلسلة دار صدام للمخطوطات.

61 ـ نسب قريش، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري، عني بنشره أ.ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر 1976.

62 ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، دار الكتب المعربة.

63 ـ نزهة الجليل، ومنية الأديب الأنيس، للعباس بن علي الموسوي، مصر 1293هـ.

64 ـ نكت الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين الصفدي، طبع مصر 1911م.

65 ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي، بغداد 1984.

66 ـ وفيات الأعيان، وانباء ابناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق الدكتور احسان عباس، طبعة دار صادر ـ بيروت.

67 ـ شرح الصولي لديوان أبي تمام، تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان، بغداد (977 ـ 1982).

68 ـ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر 1967.

69 ـ صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل ـ المطبعة المنيرية، القاهرة 1929.

70 ـ صفة الصفوة، لابن الجوزي، حيدر آباد الدكن 1955.

71 ـ الصواعق المحرقة، أحمد بن محمد بن حجر الهيتي، قدم له السيد طيب الجزائري، مصورة من المطبعة الميمنية 1314هـ.

72 ـ ضحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة (964).

73 ـ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار التحرير ـ القاهرة 1968.

74 ـ طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، (القاهرة، 1952).

75 ـ طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، تحقيق عبد الله الجبوري (بغداد 1970).

76 ـ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، (القاهرة 1324ه).

77 ـ طبقات الصوفية، لابي عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شربية، (القاهرة 1986).

78 ـ طبقات الشعراني، المسمى لواقع الأنوار في طبقات الأخبار، القاهرة 1299.

79 ـ طبقات المعتزلة، لأحمد بن يحيى بن المرتضى، تحقيق السيدة سوسنة ديفلد، بيروت 1961.

80 ـ العبر في خبر من عبر، الحافظ الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد وقال السيد (الكويت 1960 ـ 1966).

81 ـ عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية، الدكتور ناجي معروف (بغداد 1974).

82 ـ العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، عبد الرحمن بن بكر صدقي، مخطوط في دار صدام للمخطوطات برقم 9049.

83 ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لجمال الدين بن أحمد بن علي المعروف بابن عينه، دار الأندلس، النجف 1988.

84 ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني، تحقيق عادل نويهض الطبعة الأولى، بيروت 1969.

85 ـ الغيث المسجم في شرح لامية العجم، للصلاح الصفدي، (المطبعة الأزهرية 1305هـ).

86 ـ الفهرست، لابن النديم (طبعة مصورة عن الطبعة الأوربية بتحقيق فلوجل، بيروت 1964).

87 ـ فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد (مصر: 1951).

88 ـ القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزآبادي ـ بيروت.

89 ـ فيضانات بغداد.

90 ـ من أعلام العارفين، لصادق محمد الجميلي، الجزء الأول بغداد 1969.

فهرس المحتويات

إبراهيم المجاب	587
سعيد بن الحسن	588
قنبر علي	589
الشيخ ناصر الدين	590
الخواجة نور الدين	591
الشيخ علي الخضراوي	592
الشيخ عبد الله الراسي	593
الشيخ عبد الرزاق	594
الشيخ محمد الدوري	595
الشيخ محمد العاقولي	596
الشيخ محمد الألفي	597
الشيخ محمد المجنون	598
محمد البقلي اليماني	600
الشيخ بير داود	601
السيد إبراهيم	602
الشيخ محمد العربي	603
السيد إبراهيم الفضل	604
السيد السلطان علي	605
الشيخ محمد الجولاني	606
الشيخ سراج الدين	607
الشيخ عبد العزيز	608
الشيخ محمد الفضل	609
جواد نمرد قصاب	610
الشيخ محمد الوتري	611
بابا فخرولي	612
حمزة	613
الشيخ جميل	614
محمد جركين	615
الشيخ صندل	616
أبو سيفين	617